

منشور از کتابخانه سیدالکامی

- ۱ -

مطالعات و تحقیقات مختلفه المورفنا

منشورات مكتبة سيدنا حماد

- ١ -



المطالعات في مخزن المؤلفات

تأليف

محمد علي لوسون الحامدي

الجزء الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ﴾

﴿ الطبعة الأولى ﴾

١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م

الأهـداء

لأنهم يبدون برئيتهم ، اقرم هذه : بضاعتها الفرجة مستشفعاً لها ، بايمان يومئذ ينزل
 معترفاً بفضل نعمتك ، سائلك لتفكر ، مصرفاً لرسولك ، الصديق الوفي به ، دلاله الياسمين
 صلاتك ، عبيدك المعبود برحمتك له لا كونه محمداً ، اذ في كتابه عيسى ففجع هنالك القراء على العنا
 ساحة فرسك ، سائلك لتفكر فله لا تفقد منك ، سائر محمدك اذ فيك ، اذ فيك اله صرة
 التي لم تر في زفره باناس سما ، فلو وس فرأى ذر في قوله تعالى : يا ايها محمد زعمهم
 برزقوه : وقوله تعالى تلك ، الهول للآخرة جعلها للذين لو يريدون عملوا في الوجود والو
 فسوا ولا العاقبة للمنتقيا ، فليس ، يا رب انقرب بجلال المبسوطان عفوكم ورضاكم
 فليس ، يا ابن ابي العباس فلهما فانه من (محمداً) منك ، ورسوخ
 من رسوخ ، فيض عدوك ، الذي غزيتي بخبرها فهنالك الكتاب منك وليك ، فاجتريه وذللك
 بالو وبمنه لا عترة من محمد بن علي ، فظهر لا تلمس الا انك است فليس ، فقدره بديه
 تعالى دلاله روحك (الظاهره) : <

بين يدي القاري

أن هذا الكتاب : كأحد الكتب التي تؤلف ، فتطبع فتخرج الى ميدان باعة الكتب فتقع في ايدي القراء ، والمطالعين ، وهوارة جمع المؤلفات ، فهو ما بين قارى له مباح لما فيه ، وما بين ساخط عليه غير راغب بما محتوبه ، وهذه سجية الناس في كل شيء : فان اعجبك فذلك غايتك المنشودة وامنيتي التي اتوخواها لك وان لم يعجبك ولم يحظ برضاك فلست أول من كتب وألف ليوفق الى رغبتك ورضاك غير أني أدرك وانقأ بانك من الذين يقدرون جهود المؤلف وما يلاقيه من الأتعاب ، فاستميجك العذر مما تجده فيه من النقصان ، لأن الكمال لله تعالى وحده

الإفتاح

في بيان فكرة تأليف الكتاب ونضوجها إلى عالم الأخراج :

أما من بدل بالكُتب الصَّحَابَا
لم أجِدْهُمُ لَوْ أَمِيَا إِلَى الْكُتُبَا
« شُفَى »

نفتتح بسم الله تعالى فله الحمد على ما تفضل وانعم ، وله الشكر على ما علم والهم ، حمداً لا يبلغ مدى شأوه إلا واسم علمه ، على جميع نعم اسداها وسبوغ آلاء أولائها جل شأنه وعظمت نعمه ، الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ، انشأ الكائنات بمظيم قدرته واوجد المخلوقات من فيض مكنون ارادته خلق السموات والأرض وما فيهن وما يبينهن لغاية اقتضتها مشيئته ولسر تعلقت به ارادته . فاسكن فيها مختلف خلقه واختار الأرض فجعلها مهبطاً لبعض مخلوقاته وخص الإنسان بذلك رفعة ، فكان موضع عنايته تعالى فاختره محلاً لسر حكيمته بمد أن خلقه فسواه فقدره فهده فجهله في الأرض بشراً سوياً وانشأه الدنيا مضماراً لمظاهر عبادته وميداناً لأدراك ما أعده له مما وراء الغيب في مثواه وآخرته ، ثم وهب له العقل ميزاناً لمقاييس عمله وليتهدي بنور رشده وخلق له الدنيا وما فيها ترغيباً له الى الطاعة وأعد له الثواب اجراً على طاعته والعقاب جزاء لمن سلك طريق معصيته كل ذلك لحكمة الأستزاده في طلب الخير والتقرب الى ساحة الحق والأبتعاد والارتداع عن الوقوع في مهالك المعصية : والله تعالى لا يريد ظلماً للعباد : وليجزى الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى : والصلاة والسلام على أشرف انبيائه وافضل خلقه ، المبعوث رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً وسراجاً منيراً سيد الأنبياء والمرسلين الصادق الأمين بعثه تماماً لقيام الحججة على خلقه واطهاراً لبراهين آياته تعالى وعلى عترته المنتجبين الأئمة الميامين هداة الأنام وامناء الرحمن وفصل الخطاب وسفن النجاة وآيات الأحكام من تمسك بهم نجوا ومن تخلف عنهم غرق وهوى وضل عن السبيل فتردى اللهم اجعلنا من المتمسكين بحبل ولائهم

والأعتصام بقولهم والأستنارة بنور هديهم وارشادهم ولا تحرمنا من النظر الى كرامتك تحت ظل رحمتك يوم نلقاك يا آله العالمين .

وبعد ، لا يخفى على القاريء الكريم بان كتاب « المطالعات في مختلف المؤلفات » وهو الذي بين يديك - قد عزمت مستعيناً بالله تعالى على تأليفه من زمان سابق لذلك فان فكرة تدوينه وتأليفه يرجع عهدها الى ما يقارب العشر سنين حيث كان اقدامي على هذا النتاج العلمي هو حديث نفسي الذي اتعمل به ساعة خلواتي وانفرادي وهو امنيتي التي اتوخاها ، واتطلب الفرص لتحقيقها وبراها الى عالم الوجود واليمان ، ولكن قد حال ما بيني وبين هذا الانتاج عاملان قويان كان من تأثيرهما مرور هذه السنين عليه وهو في دور الكتمان وزوايا المسودات المتفرقة ، « العامل الأول » ما انبأ عنه الكاتب القدير العماد الأصفهاني بكلمته المأثورة : « اني رأيت أنه لا يكتب انسان كتاباً في يومه إلا قال في غده لو غير هذا لكان احسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ، ولو قدم هذا لكان افضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل ، وهذا من اعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر » والثاني « من العالمين ما عبر عنه العلامة الأديب المرحوم الهبيخ محمد جواد الشبيبي في مطلع قصيدته التائية بقوله :

عبر الزمان تحلبت عبراتي وألانت الأيام صدر قناتي

وزيد به كما اراد الشاعر : الحوادث والكوارث الزمنية ، التي امتحننت بها ، ولا اقول ذلك سهواً ولا تبجحاً ، فان الله اعلم بالسرار وهو يجزي كل صابر ، وهذه الحوادث قد غيرت من سيرتي بعض منهاج حياتي وغيرت في وجه شطر من شؤني ، وهي سهام الدهر ، الذي وصفه ابو العلاء

المري بقوله :

يا دهر يا منجز ايعاده ومخلف المأمول من وعده

وكما قيل « خلق الزمان عداوة الأحرار » حيث رميتني الخطوب
فاصابت الهدف وياليتها اصابتي دون ذلك ، الوالد العطوف ، ولكن المنايا
لاتطيش سهامها ، ولما يتبدل الجرح حتى رميتني باخي الرؤوف فقصمت
ظهري وانهد ركني . ولكن ، انا لله وإنا اليه راجعون ، ولا حول ولا قوة
إلا بالله العلي العظيم .

فهذان العاملان قد هدا مني جميع قواي وأقعداني عن كل اقدام
وتصرف في جميع ما احاول وازاول . ومع هذا كله فان نشوة الفكرة
لم تبرح مختمرة في قرارة نفسي تماودني بين آونة وأخرى ، فعاودت
الكرة اسامرها في دياجى الليالي المدلّمة وانا جيتها في جنح ليالي السمير ،
كما قال الأديب المعاصر :

يا حديث النفس في خلوتها وسميري في ليالي السمير
بل أن الفكرة قد تكشفت لي بلون جديد حببت الي كل كتاب
وكل مؤلف مها كان ومها يكون كما قيل : بان الكتاب هو الجليس الذي
لا ينافق ولا يمل ولا يعاتبك إذا جفوته ولا يفشي سرك ، اذا حدثته : واليك
قول المتنبي :

أعز مكان في الدنا سرج ساج وخير جليس في الزمان كتاب
وقول الآخر :

لنا جلساء ما نمل حديثهم أمينون مأمونون غيباً وشهدا
يفيدوننا من علمهم علم مامضى ورأياً وتأديباً ومجداً وسؤدا

فان قلت اموات فلم تعد امرهم وان قلت احياء فلست مفئدا
 ومن وصايا المهلب الوزير لبنيه قائلاً : « إذا وقفت في الأسواق فلا تقفوا
 الا على من يبيع السلاح او يبيع الكتب » . ولهذا اخذت على نفسي مصمماً
 مستمداً منه تعالى : فرجعت الى نفسي مقتنماً منها ولو باليسير آخذاً بقاعدة
 (الميسور لا يسقط بالمعسور) و (ما لا يدرك كله لا يترك كله) فاخترت لنفسي
 وقتاً من بعض ساعات الفراغ فكنت في تلك الفرصة انغمس ما بين الكتب
 فأني كتاب يقع في يدي اتصفحه ممعناً منه مواقع النظر وما يختار منه من
 محاسن الأمور وان الوقت من ذهب - كما قيل - فلم أجد شيئاً أعتن
 في الحياة ولا أغلا قيمة فيها من ساعة تمر على الإنسان وقد اكتسب
 فيها شيئاً من العلم ليستنير بنور هديه ، فان العلم زينة الرجال
 ومجد تسمو به الأجيال وان الدنيا مها طال عهد المرء بها وامتدت به أيامه
 ولياليه ، فهو الى الفناء يصير « وان الدنيا مزرعة الآخرة ، نخذوا من مكرم
 لمكرم » كما في كلام الامام علي عليه السلام وأن العلم به يزداد المرء بصيرة في
 امره ، ومعرفة بخالقه ، كما يقول المستشرق الأمريكي في عنوان كتابه (العلم
 يدعو للإيمان) وليكون المرء بسبب العلم ذا خبرة ومعرفة في شؤون حياته :
 الدنيوية والأخروية . ولو تصفحنا كتب الأحاديث والأخبار وسبرنا سير
 السابقين من العلماء والأعيان ، ونظرنا بمنظار الواقع الى هذه الموجودات
 العيانية المدركة بالحواس لتجلى لنا الأمر : بان افضل الخلق هم العلماء
 بعد الأنبياء والأوصياء وكفى بفضلهم قوله تعالى : « إنما يخشى الله من عباده
 العلماء » فالعلم نور وبه يسمو البشر ، فيكون هو الفرد الكامل الذي يفنقر
 اليه المجتمع فيعميش بسبب العلم سميداً ويموت فقيداً .
 وإنما المرء حديث بعده فكان حديثاً حسناً لمن روى

ولهذا القول الذي احدثك به والسبب الذي وقفت عليه لم اجدلي
عذراً مبرراً ولا مناصاً وسبيلاً اعذر عليه حتى اعددت وقتاً جعلته لنفسي
انفرد به منها ساعدتني الفرصة وأوتيت من التوفيق منه تعالى .

واحب أن اتحدث معك - ايها القاري الكريم - واحيطك على
جانب من حياتي لا كون معذوراً عندك على تأخير إخراج هذا المؤلف
واليك بعض الحديث . « والحديث ذوشجون » .

أيها القاري : اني كنت مشغولاً في خدمات والدي واني اعتبر ذلك
من النعم التي تفضل الباري تعالى بها علي - كما هي في الواقع والحقيقة - كما
تفضل عليه بسمة الرجعية في التقليد - وهي وان لم تكن عامة بجميع معنى
الكلم - ومع هذا فانها تحتاج الى كثير من الاعمال والفكر والتدبير فقام
الوالد - عطر الله مرقده - بأعبائها مدة اربعة عشرة سنة .

واكاد اجزم بانك تصدقني لو قلت لك باني كنت الوحيد الذي
يحرص على خدماته دون بقية أولاده ، أكان ذلك مني من اجل مجرد
العاطفة بين الولد وابه ، ام الدافع الديني هو الذي حتم علي ذلك ، أم
اني لم أجد بداً من ذلك ، ام لثقته بي ، ام غير ذلك من الأمور ؟
وأنت حر فيما تحكم به علي في هذا الموقف ، ولا انكر الجميل الذي
اسداه بعض اصحاب الوالد حيث كان يقوم بشطر وافر من مسؤولية
الاستفتات او بعض المكاتبات والمراسلات فجزاه الله خير الجزاء وكان
الوالد هو بنفسه يوكل الي شطراً من ادارة شؤنه وخدماته لعلمه بحرصي
الشديد علي اداء هذا الواجب وللمثل المعروف « ماحك جلدك مثل ظفرك »
والحمل الثقيل لا يقوم به إلا اهله ، وأن الزطامة الديفية بالمعنى
المعروف عند الشيعة كثيرة الأتعاب ، وان كلمة المرحوم آية الله الشيخ

محمد طه نجف تم عن هذا المعنى حيث يقول : امتحنت بثلاث بفقد ولدي
وذهاب بصري والثامنة (١) . يريد بها الزعامة الدينية كما يقول الشاعر :

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصباية إلا من يمانئها

ولنعود الى حديثنا معك سابقاً وهو أن تلك الفكرة لم تزل تجري
معي مجري دمي في عروقي ، محاولاً اخراج مؤلف انتفع به عند مراجعتي
له ، واتسلى به عند وحشتي من الناس ، وقد اخترته خير جليس لي في
وحدتي ، كما قال الشاعر :

وحدة الأنسان خير من جليس السوء عنده

وجليس الخير خير من جلوس المرء وحده

وحاولت جهد المقدور أن اتحف القاريء الكريم من بعض الفوائد
العلمية التي توصلت اليها حسب ذوقى القاصر فأخذت اراجع كل كتاب يقع
في متناول يدي ، ما بين هذه الكتب الموجودة - في مكتبة المرحوم الوالد
السيد الجمي - ولقد تمخضت جانباً من الكتب وسيرت لملة كبيرة منها
فالتقطت من بطونها ماراتق لي تدوينه حسب فهمي واطلاعي ولم اقتصر في
تلك الكتب على جانب خاص منهافي العلوم والقنون بل اخذت اسجل وادون
كل ما اتذوقه واختاره من اي علم كان وفي اي موضوع يتناول حتى
جمع كما يراه القاري فكان سلوة للقاريء وعبرة للمطالع وتاريخاً لحياة
الماضين من العلماء والمؤرخين والأدباء فهو في العلوم التاريخية والأدبية
والطبية والتفسير وغيرها والتراجم والسير وسميته بكتاب - المطامعات في
مختلف المؤلفات - راجين من واهب العطاء وملهم العلماء أن يفيض علينا

(١) اعيان الشيعة : ٤٥ / ٢٥١ .

من بركات علمه ، فان العلم نور يقذفه الله تعالى في قلب من يهتد من عباده ، كما في الحديث الشريف « اللهم اجعلنا ممن قذفت في قلبه نور العلم والحكمة ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً »

* * *

المطالعة الأولى

في تاريخ

حياة التأليف في العصور الغابرة والحاضرة

« وتحتوى على فوائد »

الفائدة الأولى - ١ -

في تاريخ انشاء تدوين المعلوم

التأليف ظاهرة من ظواهر الحياة الفكرية ، وغريزة من غرائز الفطرة العقلية ، نشأت مع نشوء الانسان ونمت مع نمو جسمه وورقي عقله وتكونت في قرارة نفسه وضميره حينما أدرك بحكم فطرته الانشائية ، فمرف أن الحياة منظوية على الخير والشر والنفع والضرر ، وعلى العدل والظلم الى غير ذلك من الصفات التي تتصف بها المجموعة البشرية .

ولكن سلطان العقل وحكومة التفكير الذي أنشأه تعالى موهبة ومنحة لعامة البشر دون سائر المخلوقات الحيوانية المعبر عن تلك الموهبة بلسان أهل الميزان والمنطق - بالقوة العاقلة - فجعل البارئ تعالى لحكومة العقل الأمر النافذ ، فهو يتصرف في جميع شئون الحواس الظاهرية والباطنية كما في مضمون الحديث الشريف : « أنه تعالى حينما خلق العقل فأنشأه خاطبه أن اقبل فأقبل ، ثم قال له أدبر فأدبر ، فقال عز من قائل : وعزتي

وجلاي ما خلقت خلقاً أحسن منك ، فبك أنيب وبك أعاقب ، فبالعقل
تميزت مظاهر الحياة وتجلت صور الكائنات والمخلوقات في السماوات والأرض .
هنالك ظهرت لمراة العقل وتمثلت أمام منظر الادراك جميع شئون
الحياة البشرية ، وتكشفت لديه الأسرار الكونية وما انطوت عليه من
الحكمة البالغة ، فعرف العقل معرفة صادقة وتيقن بما لا يخامرہ الشك
والارتياب بضرورة حاجة البشر الى العلم الذي يسيره في مجالات الحياة ،
فانه الكفيل له بما يحتاج من عامة ضرورياته التكوينية ، فعرف حكمة
ايجاد هذه الكائنات ، فاستضاء بنور بصيرته ، فأدرك غوامض سر تكوينه
الانساني والغاية التي من أجلها وجد البشر على وجه البسيطة بعد أن كان
في طيات بطون العدم ، فأجلت لديه حكمة فيض واجب الوجود في انشائه
بشراً سوياً .

ولأجل هذه الحكمة عرف كنه تعلقه بالعلم ، وأنه الجوهر الذي
يوصله الى الكمال ويبعده عن النقص والجهل . كما وقد أدرك أن جميع
المعلومات إنما يتوصل الى معرفتها والاحاطة بها باحدى وسائط الدلالة
عليها (١) ، وهي : الاشارة ، أو اللفظ ، أو الكتابة . وحيث أن الاشارة
تتوقف على المشاهدة ، واللفظ يتوقف على حضور المخاطب وسامعه ، ولكن
الكتابة والخط لا يحتاجان الى شيء من ذلك ، ولأجل ذلك كان أهمها فعماً
وأشرفها منزلة ، ولاختصاصه بالنوع الانساني الذي به امتاز عن سائر
الحيوانات ، وبالكتابة والخط ضببت الأموال وحفظت العلوم والمعارف
ودونت الأخبار ونقلت من زمان الى زمان .

وكما يقول الجاحظ في رسالة المعلمين : « لولا الكتابة لاختلفت أخبار

(١) كشف الظنون ٥١١

الماضين وانقطعت آثار الغابرين ، وإنما اللسان للشاهد لك والقلم للغائب
عنك وللماضي قبلك والغابر بمدك ، فصار نفعه أعم والدواوين اليه أفقر
والملك العقيم بالواسطة لا يدرك مصلح أطرافه وسد ثغوره وتقويم مكان
مملكته إلا بالكتّاب ، ولولا الكتّاب لما تم تدبير ولا استقامت الأمور ،
وقد رأينا عموم سلطان الصلاح والدنيا إنما يعدل في نصابه ويقوم على
أساسه بالكتّاب والحساب » (١) .

ولهذه الحكمة دفعت العقل تيارات نفسية مركزة الى الادراك
والشعور بافتقار عامة المخلوقات والموجودات الانسانية الى سن نظم وانشاء
دستور يربط ما بين أفراد البشر ، ليحفظ هذا النوع من غوائل تصادم
التيارات المتفاعلة من جراء ما ينطوي عليه من الغرائز نتيجة تنازع البقاء
الذي يتمشى مع القوي في جانب الضعيف : (ولولا دفع الله الناس بعضهم
ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا
ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز) (٢) .

وإنه تعالى لم يخلق هذا الموجود من الكائنات عبثاً ، تعالى الله عن
ذلك علواً كبيراً (أحسبتم انما خلقناكم عبثاً وانكم الينا لا ترجعون) .
ولسر هذه الحكمة الالهية البالغة في خلقه بعث الأنبياء مبشرين
ومنذرين يحملون بكف القداسة دستور السماء ونظام العالم الموجود على ظهر
البسيطة بمد أن هبط الى الأرض أبو البشر آدم عليه السلام وكثر ولده وانتشر
نسله ، فكانوا شعوباً وقبائل وأماً ودولاً ، كما هو مقتضى مشيئته تعالى ،
قال عز من قائل : (وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو وانزلناكم في الأرض

(١) تاريخ التربية الاسلامية ٣٥

(٢) الحج : ٤٠

مستقر ومتاع الى حين) (١) .

وهكذا دواليك تمر آلاف السنين والاعوام وتذهب أجيال ونجيء ،
أمم وشعوب : (وتلك الايام نداؤها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا
ويتخذوا منهم شهداء والله لا يحب الظالمين) (٢) .

وفي كل فترة من الزمن يبعث الله تعالى نبياً مرسلًا الى الخلق
رحمة بهم وإقامة للحجة عليهم (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي
عن بينة وان الله لسميع عليم) (٣) .

ولما كثر البشر عدداً وانتشر في الاصقاع أسراً وأمماً وقبائل
مختلفة الطباع والاتجاهات والميول والرغبات وفي التفكير والشكل والالوان
والالسن (ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم
إن في ذلك لآيات للعالمين) (٤) .

من هنا تولدت لدى بعض الملوك والسلاطين ممن أوتي سلطة الحكم
ونفوذ السلطان وقوة السيطرة . وكان ذلك لاجل تثبيت ملكه وتوطيد
نفوذه في شعبه ورعيته ، فشرع قانوناً عرف باسمه (قانون حمورابي)
وحمورابي أحد ملوك بابل العراقية ، أراد بذلك القانون انشاء شريعة
لشعبه ، فعمد الى علماء مملكته والمفكرين منهم فكلفهم بالتدوين له ليربط
ما بين أفراد شعبه ومملكته ، ليخضع له المستعصي ويقرب له القاصي
ويدين له القريب ويعمل به جميع أفراد المملكة على اختلاف مللهم وأهوائهم ،

(١) البقرة : ٣٦

(٢) آل عمران : ١٤٠

(٣) الانفال : ٤٣

(٤) الروم : ٢٢

فهو قانون حكومي وشريعة دينية عندهم يجب الالتزام بها ، والمحالف جزاؤه جزاء المخالفين الخارجين عن الشريعة والنظام السائد . وقد شرع هذا القانون في القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد وقبل شريعة موسى عليه السلام بثمانية أو تسعة قرون ، وهذه الشريعة الجورابية مؤلفة من مائتين واحد وثمانين مادة تبحث في طبقات الناس من أمة بابل وحقوق المرأة وواجباتها والزواج والتبني والارث وغيره (١)

وهذا الملك صاحب الشريعة هو سادس ملوك الامرة البابلية السامية الاولى ، وقد حكم في دولته المترامية الاطراف مدة اثنين وأربعين سنة ، وكانت تتمثل فيه العظمة في سيرته وسلطانه ، حيث كان يتطلب بسط سلطانه بالطرق العادية ، ولم يألف تفويم ملكه بالاعمال العسكرية والحروب ، لذلك فقد كانت معظم اعماله التي سجلها له التاريخ هو نظامه الاداري الذي عرف بقانونه ، ولم تكن موارده اموراً مبتكرة قد استحدثها هو او مفكروا شعبه من العلماء ، بل هو دستور يضم شتات عدد كبير من الشرائع والعادات التي كانت سائدة فيما قبله من العصور ، وغير فيها وبدل من التعديل والاصلاح بمقدار ما يتطلبه من الرغبة والشهوة الحكومية والمنصب الاداري التي دفعته لسن قانونه ، فهو يعد فتحاً جديداً في عالم الادارة والحكم السائد على الشعوب بحكم السلطنة الزمنية التي تتأني لبعض ملوك الارض من السلاطين .

الى ان ذهبت ظروف وممرت ازمان متعاقبة وجاءت اجيال واجيال وقد ملك سلطان الأرض جبابرة آخرون وفراعنة قديرون ، فورثوا سلطان من سبقهم وملكوا شعوب من تقدمهم ، فبدلوا وغيروا في قانون

(١) تاريخ العالم ١/٤٥٨ - ٦٠٤ ، وتاريخ آداب اللغة ١/٢٢

جمورابي وقوانين من تأخر عنه .

والسبب في ذلك حيث ان الاحكام والقوانين التي كانت تشرعها الملوك والسلاطين الذين حكموا الارض بالسلطة والسطوة والنفوذ والقدرة لاجل مصالحهم وعشية نفوذهم الوقتي ، لذلك كانوا يغيرون قوانين من سبقهم ويبدلون في نظمهم إذا لم توافق مصالحهم الوقتية ولم تلائم ذوق شعوبهم ولا فكرة سلطانهم وملكهم ، فان كل ملك وشعب وكل سلطان ورعية له مصالحه الخاصة والعامة التي توافقه وتوافق رجال شعبه ، كل ذلك من اجل مصلحة نفوذ كل سلطان وكل ملك .

لذلك وجدنا بالتبع والاستقصاء ان كل حكومة تأتي بعد حكومة لا بد وان تغير وتبدل في قوانين من سبقها من الحكومات ، حرصاً منها على طلب دوام السلطان بما ترغب اليه ويحببها إلى الشعب ، لذلك تغير وتبدل وترفع وتعزل وتنصب .

وايضاً حيث ان البشر يتطور ويتقدم كما وتبديل احواله وطاداته بحسب تبدل اطوار الحياة وتقدم اهل كل عصر جديد وزمان مستحدث ، لذلك كان هذا مما يدعو إلى التغيير والتبديل في كل قانون شرع في حق من كان قبلهم ، فان لسلك زمان دولة ورجال ، وهذا شأن كل قانون شرع من قبل اناس لاحظوا المصلحة الوقتية التي كانت محيطة بهم ، وما ذاك إلا من جهة قصور عقولهم عن الوصول إلى المصالح التي تتمشى مع اهل كل زمان ومع كل شعب وكل دولة .

ومن اجل هذه الفكرة التي دفعت بجمورابي إلى سن قانونه ادرك جماعة من العلماء والمفكرين بضرورة حاجة البشر إلى العلم ، فانه المقياس والضابط بين الانسان وبين غيره من بقية المخلوقات ، وبه تمايز افراد البشر

بعضه عن بعض ويسمو بعضه على بعض ، كما وادركوا بأن العلم يذهب
بذهاب اهله وحامليه ، لذلك طفق جماعة من ذوي البصيرة والرأي إلى
تدوين العلوم والمعارف في بطون الكتب ، فراحوا يرسمونه على صفحات
الالواح .

وكان السائد في العصور السالفة قبل زمان تدوين التاريخ انهم
ينحتون من الحجر الصلد أو من الطين أو الخشب قطعاً يسجلون فيه علومهم
ومعارفهم ، كما هو شأن الامم الغابرة قبل آلاف الاعوام ، كما يحدثنا التاريخ
عن الاكاديين والسومريين الذين حكموا قبل ملوك البابليين وكانوا أسبق منهم
في تحصيل العلوم والمعارف ، حيث كانت عندهم الكتب العلمية مرسومة بالاحرف
المسارية ، فاقتبسها منهم البابليون مما وجدوه وعثروا عليه من آثارهم وأخبارهم
المدونة بتلك الاحرف ، وكان ذلك قبل القرن الخامس والاربعين قبل الميلاد ، وهو
مايقارب السبعة آلاف سنة ، وهذا مما يبرهن بالدلالة الواضحة على قدم التمدن
البشرى في تحصيل العلم .

وقد دلت الآثار على وجود كتابة مسارية فيها قائمة بأسماء ملوك بابل
يرجع تاريخ عهدها الى اكثر من ستين قرناً ، وكان من جملة ملوكهم (شرحينا)
وقد وصف بحبه للعلم وشغفه بالعلماء وجملة العلم والفضيلة وهو ابته لهارة مملكته ،
وهو الذي انشأ مكتبة (وركاه) في أرض العراق ، سماها مدينة الكتب (١) .
وقد عهد إلى رجال من خاصته وثقات مملكته والمحتمين بعرش سلطانه
من الاعيان والوزراء ، بجمع الكتب القديمة والحديثة ، وقد استعان
بالعلماء والكتّاب الذين جلبهم من سائر الاقطار البعيدة والقريبة على
ان ينقلوا له علوم الاخرين ممن سبقوه من الامم والملوك ، وان يترجموا له

علومهم إلى لسان أهل مملكته .

وان مكتبة (وركاه) كانت حافلة بمختلف الكتب من شتى العلوم ، وقد عثر عليها الآثوريون ونقلوها إلى المتحف البريطاني في لندن ، وهي لاتزال موجودة .

كما يحدثنا التاريخ أن (بيزستراتيدس) أسس مكتبة عامة في القرن السادس قبل الميلاد بقيت محفوظة مدة من الزمن ، حتى أبادها الفاتح الفارسي أكسيركسيس (١) حيث هدم المدينة التي كانت فيها المكتبة ، ولقد عز على العلم ورواد الفضيلة مثل هذه الحوادث التاريخية .

هذه قيمة الثقافة العلمية والاعتزاز بالمعارف قبل زمان تاريخ الاسلام ، وهكذا كان شغف الملوك والصلابين في المصور الماضية ، حيث كان العلماء والكتاب يترجمون لهم العلوم الى لسان أهل مملكتهم ، كما فعل (بطليموس فيلاولقوس) بالاسكندرية في القرن الثالث قبل الميلاد ، وكذلك كسرى أنوشروان في (جنديسابور) في القرن الخامس للميلاد .

ولما جاء دور الرسالة المحمدية وهتف بأهل الارض داعي السماء ، أن أجيئوا داعي الله فإنه الصادق الأمين وهو نبي الرحمة وخاتم المرسلين (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) فقام بأعباء تبليغ الرسالة المقدسة (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) يحمل ما بين جنبيه قلب النبوة المطبوع على صفحاته آي الذكر الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فهو المعجز السماوي والسر الالهي المودع عند نبيه الامين المبعوث رحمة للعالمين ، وان قداسة هذا الكتاب المنزل وآياته الساطعة وبراهينه اللامعة القاطعة - وهو معجزة البلقاء والفصحاء - لكفيلة ببقاء أحكامه المشرعة دأمة دوام آيات

(١) دائرة معارف فريد : ٦٠/٨

واجب الوجود ، لا تناله يد العبث ولا تلامسه كف التحريف والزوير والزيادة
والتقص ، قال تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (١) .
وإن آيات أحكامه راسخة الأسس دأمة البقاء ، لا تتغير ولا تقبل معها
تبدلت الامم ومهما تغير أهل المصور في كل زمن ، فإنه الدستور المنزل من قبل
صانع الموجودات فيه من النظام الحافظ لمعاد البشر ومعاشرهم ، شعار مبلغه
« قولوا : لا إله إلا الله فتلحوا » . (وان حلاله حلال الى يوم القيامة وحرامه
حرام الى يوم القيامة) .

وكانت ثقافة المسلمين في الدور الأول من صدر الاسلام محصورة
ومقصورة على حفظ آبي الذكر الحكيم وتلقي الأخبار من صاحب الرسالة ، فلم
يكن التدوين والتأليف متداولاً عندهم ولا كان مألوفاً لديهم كما هو عليه الآن ،
حتى اذا ازدهر عصر الاسلام ، في القرن الثاني والثالث الهجري فكان الخلفاء
العباسيون يسعون على منهج الملوك السابقين ، رغبة منهم في العلم وتقديماً في
عقول حملة الفضيلة ، وتويراً لعقول المسلمين ، فعمدوا الى كتب اليونان والسرمان
فنقلوها الى لسانهم العربي ، حتى نقلوا معظم ما كان معروفاً من العلم والفلسفة
والطب وغيرها من سائر العلوم ، فلم يغادروا لساننا من الألسن من سائر الأمم
المعروفة في زمانهم إلا ونقلوا الشيء الكثير من علومهم عن اليونان
والهند والفرس .

وقد نبغ في ميادين علم الترجمة والنقل رجال سجل لهم التاريخ اليد الناصعة
في سبيل احياء العلوم ومآثر القدمات السابقين ، وكان ذلك في عصر المنصور
والرشيد والمأمون ، وهؤلاء المترجمون والنقلة كلهم أو جلهم من أهل العراق
والشام والفرس .

ويحدثنا جرجي زيدان في تاريخه : آداب اللغة العربية وبمطينا صورة جليلة فيما لدينا من الموضوع قال : « لقد رغب الخلفاء في إحياء فكرة العلم والتدوين لمختلف المعارف بسبب ما يبذلونه من المال الكثير والمطاء الجزيل في هذا السبيل ، حتى جعلوا لبعضهم رواتب وجواري في إكرامهم والاحسان اليهم ، فقسم من هؤلاء ينقلون من اللسان اليوناني لاختصاصه به ولكثرة اطلاعه على كتب فلسفة اليونان ، وأشهر هؤلاء (بختيشوع) من سلالة جورجيس الفسطري طبيب المنصور وأمثاله كثيرون . والقسم الثاني ينقلون العلوم من اللسان الفارسي الى العربي ، لاحظتهم بذلك اللسان وسعة اطلاعهم في معلوماته (كابن المقفع) و (آل نوبخت) وأمثالهم . والقسم الثالث اختص بنقل العلوم من اللغة الهندية الى العربية (كاسحاق بن سليمان ابن علي الهاشمي) و (ابن رهن الهندي) (١) .

هكذا ازدهرت العلوم وتقدمت معارف المسلمين وشمل الوعي دول الاسلام في تلك العصور الذهبية ، وبرزت آثار المسلمين بروزاً بيناً في مجال الحياة الفكرية التي هي من أسباب رقي الأمم نتيجة ما تخرجه من ثمار العلوم على يد حملة الفضيلة والعلماء ، حتى تقدم الادراك في الحياة وتوسعت المعرفة في فنون العلوم .

فراح العلماء وأصحاب المعارف من مختلف العلوم يسجلون ما يعرفون من العلم خوف الضياع لتلك الآثار ، فعمدوا بتدوينها على الجلد والرق ، وأخذ التأليف هذا اللون والشكل شرطاً من الزمان ومدة من الوقت والأيام ، الى أن جاء دور اختراع الورق والقرطاس من قبل الصينيين الذين سبقوا الأمم في هذا الميدان .

(١) تاريخ آداب اللغة : ٣٢ / ٢

يقول صاحب كتاب المفرد العلم (١) تحت عنوان (اختراع الورق والقرطاس): كانت الأمم في الأزمان الخالية والعصور الماضية تالقي صعوبات جمة ومشقات كثيرة اذا أرادت تقييد علم أو حفظ تاريخ أو مخاطبة بعيد، فكانت تستعمل لذلك جلد الحيوان وعظمه والقحاف والعسب (٢) وشظايا الحجارة، وان هذا لا يقوم بالمقصود ولا يفي بالفرض المطلوب من تدوين العلوم والمعارف وتقييد الأخبار والأشعار والكتب والاسفار وتواريخ الغابرين وآثار السالفين، ولقد كان العرب في جاهليتهم يعتمدون على ذاكرتهم ويتكلمون على حافظتهم في صيانة علومهم ومعارفهم وأشعارهم وأنسابهم، فكثرت الرواية والتلقي وصارت العلوم تؤخذ عن العلماء بالمشافهة دون الكتاب، فضاعت علوم وذهبت معارف واندرت آثار كثير ممن أدركهم الفناء، فانت علومهم بموتهم، ومحيت آثارهم من بعدهم، فلما جاء الاسلام واتسعت لدى المسلمين الحضارة وكثرت العلوم وتعددت الفنون وظهر الحكماء والخطباء والشعراء، اضطروا الى شيء يدونون فيه أفكارهم وأخبارهم وعلومهم وأشعارهم، فأدخلوا صناعة الكاغد في ممالكهم، وكانت قبل ذلك شائعة في بلاد الصين (٣) ومن نظر الى زمن المأمون علم ما لا كاغد من الفوائد الجليلة التي عادت على الاسلام والمسلمين والعلم واهله بالخير الكثير.

ولما دخلت صناعة الكاغد الى أوروبا دخله التحسين، وكثرت أنواعه وتعددت أصنافه فأصبح غير قاصر على أن تقييد فيه العلوم والاخبار وتكتب

(١) المفرد العلم: ٢٨٩

(٢) العسب: جريدة من النخل قشط خوصها .

(٣) دائرة معارف فريد: ٦٢٣/٥

فيه التواريخ والاشعار ، بل دخل في كثير من المصنوعات ، فجمع من الفوائد مالا يحصى ومن المزايا العديدة مالا يستقصى .

ومن أجل هذه الفائدة من هذا الاختراع ازداد تقدم العلم بكثرة حملته وكتبته ، وكثر استنساخ الكتب في مختلف العلوم ، ونقلت كثير من الكتب عن لسانها المدونة فيه فترجمت الى اللغة العربية . حتى كانت الملوك والخطباء تستصحب العلماء وحمله الاقلام والعارفين باللغات وتراجها لأجل الترجمة واستنساخ الكتب ، حتى عمدت الى جمع الكتب الموجودة في غير بلادهم وعند غير أهل لسانهم ، فأنشأوا دوراً للمكتبات على غرار نهج الملوك السالفين في العصور القديمة قبل تاريخ الاسلام ، وبدلوا كل ما يستطيعون من بذله ويتمكنون من صرفه وإنفاذه لأجل غاية تحصيل الكتب لغرض انشاء المكتبات .

ولكن هذا الدور العلمي في الكتب كان مقصوراً على الترجمة والنقل والاستنساخ ، ولم يكن التأليف والتصنيف منتشرأ ومعمروفا لدى المسلمين على المنهج المؤلف هذا اليوم .

وقد نبغ كثير من أهل الوعي والتفكير ممن عرفوا العلم واقتفوا أثره فأوتوا بسطة في العلم والمعرفة ، فأخذوا على عاتقهم مسؤولية خدمة هذا النوع الانساني بما توصلوا اليه واكتسبوه من العلم وفنون التأليف والكتابة ، لانهم أدركوا أن هذه الطرق هي الوسيلة الوحيدة من وسائل التربية العامة وتوجيه الفرد وإيقاظ الشعوب .

وكم ربح المؤلفون من وراء هذه الفضيلة ، وكم اكتسبوا في هذا الميدان والمضمار في توجيه الناس الى الصالح العام في مختلف شؤون الحياة العقلية ؟ فهؤلاء هم المتكفلون لأجل السيطرة في تغيير مشا كل الحياة

الاجتماعية التي تتولد من جراء الجهل وترك العلم ، فان الغرض السامي من وراء هذه الأتباع الفكرية التي يتحملها أصحاب البصائر وذوو العقول والمواهب ، عندانتاج هذه المؤلفات الموجودة التي جاءت من قبل معصرات أفكارهم وأنعابهم فالغرض من ذلك هو توجيه الفرد توجيهاً صحيحاً ليكون فرداً صالحاً ينتفع به المجموع الانساني ، فان الحياة الصالحة تنأى من المجموع والمجموع يتكون من الفرد فاذا صلح الفرد ووجه الى الخير وضم بعضه الى بعض صلح المجموع الذي يتكون منه هيكل الحياة الصالحة .

ولذا نقول - والحق يقال - : إن موهبة التأليف والتصنيف ليس كل أحد يتوصل اليها ولا كل شخص يوفق للاتيان بها ، فكم رأينا من العلماء الأعلام من أنعب فكره وأضنى جسمه في طلب العلوم واكتساب المعارف وكان يشار اليه بأطراف البنان لغزارة علمه وفضله ومع هذا كله لم نجد له أيراً في عالم التأليف . ولم يكن له مصنف يذكر ولا تأليف من أمر . كما وقد رأينا من العلماء من هو أقل بضاعة وأضعف احاطة في العلم من البعض الأول من العلماء في حين أن له الكأس المعلى في عالم التأليف والتصنيف ، وكم له من المؤلفات الكثيرة العدد في مختلف العلوم .

ويمكننا أن نقول بأن السر في ذلك قد يعزى الى التوفيق ، والله تعالى يؤتى الحكمة من يشاء من عباده ، وان العلم من قبيل الأرزاق التي قد يحضى بها بعض البشر ويحرم منها بعض آخر ، الحكمة لا يعرفها إلا الله تعالى .

ومع هذا الذي قلنا ، فان التأليف من قبيل المخترعات والمكتشفات ، أو الكنوز الموجودة في بطون الأرض وفي طبقات الصعيد ، فكم هناك رجال منقبون قد أتعبوا أنفسهم في الفحص والتقيب ولم يمتروا على ما يطلبون

ويفحصون ، وكم هناك أناس ممن عثروا على تلك الكنوز والمعادن أو توصلوا الى إيجاد بعض المخترعات من أدنى بحث وخص ؟؟ ولا تنكر أن الفضل يرجع الى التنقيب والمثابرة على العمل مع مساعدة يد الغيب .

وحيث ان العلوم والمعارف قد دونها العلماء السابقون والحكام العارفون والفلاسفة المحققون في بطون الكتب وخبايا المؤلفات ، وهنا تنكشف لدى المطالع ملكة المؤلف واقتداره على التأليف حينما ينحدر بزورق فكره في تلك البحار الطامية ، نريد بها آلاف الكتب المدون فيها مختلف العلوم والفنون ، فيغور فيها باحثاً منقباً ليستعمل ذوقه السليم وفكرته الصائبة ليستخرج من تلك المجموعة العلمية ، وهي الكتب الكثيرة المنتشرة في المكتبات ودور الكتب وبيوت الحكمة ، وبعد الكد والجهد والمطالعة والبحث يختار ماتقع عليه بصيرته وتختاره نيته وترشده اليه معرفته ، كل هذا مع التعب في محصيل مايريد حتى يوفق لاجراج كتاب يفتفع به وينفع به جماعة القراء والمطالعين فقد يوفق لذلك وقد يخونه التوفيق ويبد الله تعالى التوفيق .

وليس لمن يريد إخراج مؤلف في أي موضوع كان أن يقول :
قد سبقني الى هذا الموضوع آلاف الكتاب والمؤلفين فلا حاجة لي في الخوض في ذلك ، فان ذلك من العجز الواضح والكسل المقوت ، وهذا يشأ من ضعف النفس وقصر الهمة ، وكفاه عبرة ما قيل في ذلك : « كم ترك الأوائل للاواخر » .

وبحق لنا أن نصرح بفتيجة ما ذكرناه بأن التأليف نبوغ فطري وموهبة يهبها واجب الوجود ويفيض بها على من يشاء من خلقه بحسب ما تقتضيه مشيئته ومصالحته ، فيهب تعالى هذه الفضيلة والمكرمة لبعض خلقه دون بعض آخر ، وليس ذلك إلا من جهة وجود أسباب

في بعض أفراد العلماء وحملة الفضيلة ، وتلك الأسباب الممددة هي التي هيئت في ذلك البعض الكفاءة والاستعداد والقابلية ، وعندما تكل فيه القابلية والاستعداد فهناك ينجلي لديه نور العلم ويضيء له سراج الحكمة ، كما في الحديث الشريف : « العلم نور يقذفه الله تعالى في قلب من يشاء من عباده » .
ولولا هذا الفرد من حملة الأقلام من المؤلفين ممن استضاءوا بنور العلم في سبيل إدراك معارف الكون ، ومن الذين اهتمدوا الى نور العلم لأجل إنارة السبيل للبشر لأجل الصلاح والاصلاح والحب للخير وانشاء الحروف بين الناس ، فلولا هؤلاء الزمرة لذهب كثير من العلم ولضاع معظم الفنون في مختلف المعارف ، او قل : لكان العلم وقفاً مرصوداً عند الأنبياء والأوصياء وعباد الله المخلصين ، ولكن حكمة البارئ تعالى اقتضت إظهار دينه عن طريق العلم والعقل ، وعن طريق التبصر والادراك والفهم والبرهان القاطع .

لذلك أظهر بعض مكنونات علمه على لسان من بعثه من أنبيائه عليهم السلام ، يريد بذلك الخير لعباده والنجاة لهم من الهلاك ، وإظهار بعض مكنونات علمه تعالى هي إحدى آيات لطفه في عباده لئلا يبقى البشر يتخبط في ظلمات الجهل رافة منه عليه ، ولئلا يبقى كالحيوان المتوحش - بل هو أضل سبيلاً -

أليس كان البشر يسكن الغابات وبطون الأودية ويضاجع الصخور ويرافق الحيوانات المفترسة كما في قوله تعالى مشيراً لبعض نواحي حياتهم :
(وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً) كما أخبر التأريخ عن حياة الانسان القديم في العهد الحجري ، ولكن الله تعالى لا يريد ظلماً للعباد ويريد لهم الخير ، لذلك أفاض بنور العلم على بعض خلقه ليغيروا به السبيل .

وهنا تعرف فضيلة بعض العلماء على بعض من حيث هذه الصفة الكريمة والموهبة الالهية ، حيث منحوا بهذه المكرمة فحصلت لهم ملكة التأليف ، وقد دفعتهم أريحية العلم إلى إراز ماعرفوه بهذه الكيفية الخاصة من البث والنشر المعبر عنه بالتأليف ، وقد دفعهم لأظهار هذه المكرمة حب إفشاء العلم ، فان لحمل العلم لذة وللتحدث به لذة أخرى كما يقول (جلبرت هايت) أحد علماء الغرب الكبار : ان قراءة الكتب لذة وممتعة ، ولكن من المتعة أيضاً الحديث عنها (١) ولما لمسوه من ثمراته ووجدوه من آثاره وهو أن العلماء من المؤلفين هم كبراء محترمون مقربون في جميع أدوار الحياة وعند مختلف الطبقات من البشر ، وهذا مما ركز في نفوسهم قيمة العلم الذي يحملونه ويتحلون به ، وكفى منزلة ورفعة للعلم قوله تعالى : (انما يخشى الله من عباده العلماء) وقول أمير المؤمنين عليه السلام في جواب من سأله عن العلم والمال وايبها هو الأفضل ؟ فأجاب عليه السلام بقوله : « العلم خير من المال ، فان العلم يحرسك والمال يحرسه ، وأيضاً العلم خير من المال فان العلم يزكو على الانفاق والمال ينقصه الاتفاق » والى آخر الحديث الذي يتضمن تفضيل العلم على المال ، وقد ذكر الامام اموراً عشرة توجب تفضيله .

ولو تصفحننا الكتب التاريخية قبل تاريخ الاسلام حتى اليوم لوقفنا على الشيء الكثير مما يدلنا على أن الملوك والسلاطين كانوا يرغبون في التقرب الى العلماء ويتحجبون اليهم ويظهرون الاخلاص لهم ويحاولون أن يجعلوهم في أطار حاشيتهم وبطانتهم الخاصة ، وان هذه المحاولة من الملوك والسلاطين ليست لأجل مصلحة العلماء أنفسهم ، بل هناك غايتان للملوك أوجبتا جذب العلماء اليهم :

(١) فهرس مكتبة النهضة : ٥

الغاية الأولى - هو حاجة الملك لهم ، لأنهم احدى الدعائم التي يقوم بها نظام الملك وأساس السلطنة ، لابتناء المملكة والشعب على المال والرجال وعلى الثقافة والمعارف ، وإن تربية أبناء الشعب وتوجيه النشء المتكفل بها العلماء الذين يذمرون العلم من طريق الكتابة والتصنيف والنشر والوعظ وسن القوانين وتنظيم الدستور الذي يفتطم به أبناء الشعب هو بيد العلماء ، فهذه جهة وغاية رصينة دفعت بالملك الى أن يقربوا العلماء اليهم ليستفيدوا من علومهم وينفعوا أبناء شعبهم بتوجيههم وتعليمهم . لذلك حينما تطورت الدول وتبصرت العقول وتقدم الوعي في الحياة أنشأت الحكومات وزارة خاصة تختص بهذه الزمرة من أبناء الشعب - وهم العلماء - وسميت (بوزارة المعارف) أو (وزارة التربية والتعليم) .

وهناك غاية أخرى حببت الى الملك تقرب العلماء اليهم ، وهذه الغاية أيضاً ترجع ثمارها ونتائجها الى الملك لتوطيد حكوماتهم دون العلماء أنفسهم وهي أن يظهر الملك لأبناء شعبه ورعيته بأن حكومته شرعية مما يرتضيها أظهر أفراد الشعب وهم العلماء ، ويبيدي الى الناس بأن تعاليمه ونظمه ودستوره مما يتلقاه من العلماء الذين هم تحت لواء حكمه وسلطانه ، وبهذا ومثله تتصف الملوكية بحسن السيرة والعدالة في الرعية ليسود الحكم وليتظم الوثام بين جميع أفراد الطبقات .

هذا شأن الحكومات في العصور السابقة واللاحقة ، إلى أن جاء دور التمدن وإطلاق الحريات للحكومات ، وان الملك والسلطان ورئيس الحكومة هو مصون غير مسؤول ، ومن أجل هذا ذهب الشيء الكثير من قداسة العلماء التي كانت تربطها مع الحكومات علاقة العلمية وصلة القداسة من حب العلم وتوجيه العلماء ، فأصبحت العلماء في معزل عن الحكومات ورؤساء

الحكومات ، حيث نفشى الاستبداد والديكتاتورية عند جميع من يتولى السلطة
أكانت حكومة كبيرة أم صغيرة ، وقد توجد بعض الحكومات المعبر عنها
(بالديمقراطية) ولكنها قليلة جداً .

وعلى كل حال فإن الحكومات الزمنية الحاكمة فعلاً ابتعادها عن العلماء
بين ظاهر ، حيث أن الأنظمة والقوانين التي تسير عليها هي غالباً متلقاة
من الدول الغربية المستعمرة ، وإذا كان دستور الدول بهذا الشأن والصفة
فما قيمة العلماء بين الشعب ، فالعالم لا يمثل إلا نفسه كأحد أفراد الشعب
لذلك نجد أكثر العلماء في العصور المتأخرة قد انطوا على أنفسهم وانصرفوا
الى نشر ما عندهم من العلم بطريق التأليف وبث تعاليم الدين بطريق من
يتصل بهم من أبناء الشعب المتدينين الذين تربطهم مع أهل العلم رابطة الايمان
والمقيدة ، من جهة اعتقادهم بأن العلماء وأهل العلم هم سبل النجاة في الحياتين
الدنيوية والأخروية ، وليس لديهم من السلطة والنفوذ سوى تعليم الناس
معارف الدين ونشر أحكام الشريعة المقدسة .

هذه منزلة العلماء في العصور الحاضرة مع هذه الحكومات المتمدنة
المتطرفة المكتسبة أخلاقها وخلقيها وتعاليمها ونظمها من ألد اعدائها ، وهو
الدول المستعمرة الظالمة .

وهنا أرغب في التحدث مع القارئ حول موقف العلماء والمؤلفين
الذين يسايرون الحكومات والدول التي تتشكل بين آونة وأخرى من أدوار
الحياة ، كما قيل : « لكل زمان دولة ورجال » ، فإن بعض المؤلفين والكتاب
من أوتوا جانباً من العلم والفضيلة نرى علومهم ومعارفهم ينشرونها لأجل
مصالح الدولة والحكومة الحالية ، فهم يكتبون ويؤلفون ولكن ثمرات
علومهم يعود ريعها ونفعها الى الحكومة ، بمعنى إنهم يكتبون في مصالح

الحكومة ولارضاء السلطة القائمة ، ولذلك نراهم يتغيرون ويتبدلون في الآراء والاتجاهات عند تغير الحكومات واتجاهاتهم . وزيد بهؤلاء المؤلفون الذين يشرعون نظم الدستور ويؤلفون فيما يخص عن تاريخ الحكومة وعن نظامها في المؤلفات المحتاجة اليها في جميع الوزارات من المعارف - أو التربية والتعليم - أو بقية الوزارات المفتقرة الى بعض المؤلفات ، وأعطف على هؤلاء كتاب الصحف والمجلات ، فمثل هؤلاء وان اعتبرهم رجال العلم بأنهم من المؤلفين ولكن لا يخرجون عن نطاق كونهم موظفين عند الحكومة ويسايرون تمشية أمورهم على نهج سيرة الحكومة القائمة .

وبحق لنا أن نقول : إن مثل هؤلاء لا يوصفون بكونهم يخدمون المصلحة العامة بالمعنى المعروف للمصلحة العامة - والمراد بها المصلحة التي تعود بالخير لجميع أفراد البشر ولا تختص بفرد دون آخر منهم - وان هؤلاء يخدمون مصلحة شعبهم فقط وان أدى ذلك الى الضرر ببقية الشعوب فهذا يكتب للمصلحة الخاصة الراجعة لتلك الحكومة الحالية ، لذلك فقد يكتب ويؤلف بخلاف ما كتبه أولا إذا تغيرت الحكومة وتبدلت الدولة وطلبت منه نقض ما ألف أولا فإنه طيع لها طوع إرادتها ، فهؤلاء من العلماء والمؤلفين وان كانوا من أعضاء الدولة القائمة وفي صفوف موظفي الحكومة مع ذلك يعتبرون أنهم من المؤلفين ومن العلماء والكتاب .

وهناك جماعة من العلماء والمؤلفين لا تربطهم مع الحكومات أي رابطة بالمعنى السابق وان كانوا هم من أبناء الشعب بل هم من أعز أبنائه وأجل شيوخه وانظر شبابه ، ومؤلفاتهم بعيدة عن أوضاع الحكومات فلا يكتب لأجل صالح الحكومة ولا في ضدها أو عدم صالحها ، بل يكتب للناس وللنوع الانساني لغاية نشر ما عنده من العلم لتعليم الناس وثقافتهم ، وهذا

شأن أغلب المؤلفين في العصور القديمة والحديثة .
وان كلمة الحمد والثناء وان اختص بها القسم الثاني من المؤلفين ولكن
لا يقدم القسم الاول من حظ الثناء والاطراء بعد أن كان يشمل عنوان
كلمة (المؤلف) وكتابه ينطبق عليه عنوان (المؤلف) واختلاف الغايات
لا يغير العناوين .

وعلى كل تقدير فان المؤلفات التي تبرز الى عالم الوجود فتقع بأيدي
القراء والمطالعين تعتبر فتحاً جديداً في عالم المعارف والثقافة ، وهي تنوير
للآراء وتبلور للمقول ، وان أهل العلم ليرحبون بكل فضيلة لها مساس
بالوعي العامي والانتاج الفكري ، فان العلم بالشيء خير من الجهل به ،
فان كل مؤلف يعتبر غرساً جديداً في رياض العلم وبقائه ، وكفى بالعلم
نحراً أنه وصف بالنور وكفى بالجهل دناءة وضمة ، أنه وصف بالظلمة .

الفائدة الثانية - ٢ -

في حياة التأليف في عصر الطباعة

الطباعة بقسميها الحجري وطباعة الحروف المتداولة حالياً يرجع عهدا الى العصر القديم والزمان البعيد ، ولكن المشهور على ألسنة المؤرخين (١) أن الصينيين هم أقدم الأمم في هذه المبادرة وفي هذا الانتاج من المخترع في ميدان الطباعة ، فهم أسبق الأمم ممن طبع على الحجر أو الخشب المحفور ، ويعتبر هذا الشكل من الطباعة من أقدم طرقها .

وقد عثر المنقبون في الآثار البابلية فوجدوا قوالب بارزة الحروف نانثة الحجم كان التكلدانيون يطبعونها على الآجر ، كما دلت الآثار على أن عرب الأندلس السابقون كانوا يعرفون الطباعة على الحجر أو الخشب .

هذا تاريخ طباعة الحجر ، وأما طباعة الحروف المعروفة في المطابع العالية المألوفة في العصر الحالي فانها لم تكن مسبوقة قبل القرن الخامس عشر للميلاد والمعروف عند أرباب التاريخ أن المخترع لها هو (غو تيرج) الألماني ، كما وان

(١) تاريخ آداب اللغة : ٤٤/٤

الطباعة العربية ظهرت الى الوجود في أوائل القرن السادس عشر بايطاليا ، وأول مطبعة عربية ظهرت في (فانو) بايطاليا باسم البابا يوليوس الثاني ، وأول كتاب طبع فيها في تلك السنة كتاب ديني ثم سفر الزبور في سنة ١٥١٤ الميلادي ، وبعد قليل من الزمن طبع القرآن في البندقية ثم أعدمت طبعته خوفاً من تأثيره على معتقدات النصارى .

يقول فريد وجدي (١) : إن المطبعة - وهي الآلة المعروفة - قد أصبحت من أقوى عوامل الرقي في العالم الانساني ، يعزى اكتشافها (لجوتامبرج) الألماني المولود سنة ١٤٠٠ ميلادي والمتوفى سنة ١٤٦٨ ميلادي ، تخيلها لا على الشكل الموجود منها الآن ، ولكنه ارتأى أن تحفر الصحف برمتها على الخشب على شكل قوالب ثم تطبع على الورق ، فيكون لكل كتاب قوالب خاصة تسمح بأخذ ألوف مؤلفة من المسخ منه .

وهذا بلاشك أسهل من النسخ ، والظاهر أن هذا النوع هو المعبر عنه باللسان العالي (بالكلايش) وقد حدث على آلة الطباعة تحسین في سنة ١٦٢٠ ميلادي باختراع (بلايو) من امستردام ، ولكن التغيير الكبير فيها أحدثه الكونت (سنانوب) العالم الانكليزي ، فإنه لما تصدى لطبع كتاب له في علم الطبيعة لم يستحسن المطابع الموجودة ، فأخذ في صنع تلك الآلة من الحديد ، فصنعها على اسلوب علمي بحيث تكون أسرع طباعة واثقن عملا .

وفي سنة ١٨١٧ ميلادي أدخلت الى أوروبا المطبعة الكولومبية من امريكا، وكان المخترع لها جورج (كلمير) من أهالي مدينة فيلاد لفييا .
وفي سنة ١٨٢٧ م اخترع (صاموئيل هوست) مطبعة سماهاوشنجنوتون
صارت نموذجاً لما حدث بعدها من المطابع المستحسنة .

(١) دائرة المعارف : ٥ | ٦٨٤

وفي سنة ١٨٦١ م اخترع (ويلز) من نيويورك المطابع المسماة بالبيدال التي تحرك بالأرجل بينما تكون الأيدي مشغولة بالطبع .

وفي سنة ١٨٦٦ م اخترع (لوبيوية) الآلة الصغيرة التي تطبع بطاقات الزيارة ، ثم اخترعت ماكينات تطبع وجهي الصحيفة في دورة واحدة فاستطيع إنجاز العمل بسرعة .

وفي سنة ١٨٧٠ م اخترعت الآلات ذات رد الفعل ، وهي مؤلفة من عدة اسطوانات فيمكن كل اسطوانة أن تطبع ١٥٠٠ نسخة ، اخترعها (تيلر) الانكليزي .

أما الماكينات التي تعرف باسم روتاتيف أو الأسطوانية فإن الأحرف فيها بدل أن تكون مرصوصة رصاً مستوياً تكون على هيئة اسطوانة وهي آخر ماوصلت اليه آلة الطباعة من الرقي في عصرنا الحاضر ، فإنها تستطيع أن تعطي ٢٤٠٠٠ نسخة من جريدة في الساعة الواحدة - انتهى مافي دائرة معارف فريد وجدي .

ثم كثرت وتعددت أشكال المطابع العربية وانتشرت في أنحاء أوروبا كلندن وباريس وليبسك وليدن وغوتنجن ورومية وفينا وغيرها ، وقد تقدمت الطباعة تقدماً محسوساً ظاهراً وانتشرت في جميع أنحاء المعمورة . وإنما أشرنا الى اختراع المطابع وبيان تاريخها لأجل الإشارة والتنبيه الى ماللطباعة من التأثير في ناحية الحياة العلمية وفي مجالات تقدم الوعي الفكري ، وبيان ازدهار الانتاج العلمي ، فان فضيلة التأليف والتصنيف لم تزدهر ولم تكمل فائدته إلا بسبب هذا الاختراع ، لأن أصحاب المواهب الفكرية من العلماء والوفيين فان محاولة هؤلاء لما اختصوا به من العلم وأوتوا من الفضيلة مما يستدعي الكتابة والتسجيل والاملاء ورسم الكلام

وتدوينه ، فلولم يجدوا وسيلة تساعدهم على تدوين معارفهم وما اتبعوا به
أبدانهم وجوارحهم لكانوا منطويين على أنفسهم ، ولكانت فوائدهم العلمية
التي اكتسبوها وحصلوها بالجد والاجتهاد محفوظة في خزانة قلوبهم وادمغتهم
فلم يفتقم بها إلا من اتصل بهم مشافهاً لهم دون غيرهم ، ولأجل ذلك عرفت
فضيلة اختراع الطباعة وشدة تأثيرها في انتشار المعارف بين الناس .

ومن أجل مكرمة الطباعة كثر التأليف والتدوين ، وانتشرت الثقافة
انتشاراً بيناً أدركه كل مثقف يتطلب موارد العلم ومناهل الفضيلة .

والى القارىء بعض الشواهد المحسوسة التي تنسب فضيلتها الى اختراع
الطباعة : إن بعض الكتب المؤلفة الملقاة في زوايا المكتبات التي لا تتوصل اليها يد
الباحثين والمنقبين إلا بعد الجهد والالتماس والرجاء ، حرصاً من صاحب المكتبة أو
المؤلف على هذا الأثر العالمي ليختص به هو أو ينسب الى مكتبته ليعد
ذلك من الآثار النادرة ذات القيمة والأعتبار ، ولكن المطابع بمد أن
توصلت الى ذلك السكتاب وأمثاله من المؤلفات الكثيرة التي كانت مخطوطة
أر قليلة الوجود فطبع ، فأصبح نفعه عاماً وفائدته منتشرة في جميع البلدان
ويعزى ذلك الفضل والمعروف للمطابع ولأصحابها الذين ينقبون وراء انتشار
العلم والمعارف .

وبهذه المناسبة يقول بعض المؤلفين (١) كانت العلوم في الأزمان الغابرة
والعصور الخالية قبل ظهور المطابع وطلوع نجمها بعيدة المطلب صعبة المنال
لا يمكن لغني فضلاً عن فقير أن يحوزها إلا بعد تجشم الأسفار وصرف الدرهم
والدينار ، فلما من الله تعالى على عباده بظهور المطابع واختراعها أصبح
نيل العلم سهلاً هيناً ، فاستوى الغني والفقير والعظيم والحقير في اقتناء الكتب

(١) المفرد العلم : ٢٩١ .

وانتشرت العلوم والمعارف وظهرت الأفكار والآراء ونبع النايفون وسبق
السابقون وتقدم الفاضلون وباتت بلاغة البلغاء وفصاحة الفصحاء ، فانسعت
دائرة المعارف وراجت سوق العلم وعز أهله وعظمت أنصاره ووضعت الكتب
وألفت المؤلفات ونقلت من لغة الى لغة ومن لسان الى لسان ، وبزغت
أنوار الصحف اليومية والمجلات العلمية والصناعية والسياسية والدينية ، فاستضاء
العالم بنورها واستنارت الأفكار بضوئها وسهل على الناس تبادل الأفكار
وتناوب الآراء ، مع السرعة الفائقة والزمن الزر اليسير ، ولا نرى أمة من
الامم مستغنية عن المطابع غير مفتقرة اليها ، بل كل الأمم فعلا تنتفع بها
وتستفيد بواسطتها لأن عليها مدار الدواوين وأنجاز الاعمال ، تخرج
للناس مئات المؤلفات النفيسة بل آلاف الكتب المفيدة في أيسر زمن
وأقل مؤنة وأزهد كلفة ، فترى الكتاب المطبوع اذا كان متصفاً بمجودة
الايخراج والطبع مما يميل اليه نفسك بما يتمتع به نظرك من حسن تسميقه
وترتيبه وجمال رونقه ، وان قرأتك به تكون قراءة مريحة للنفس ومريحة
وبال مطمئن ويميل طبيعي وكثرة شوق وتوجه اليه ، وهذا بخلاف ما لو نظرت
الى المؤلف المكتوب باليد ، خصوصاً الكتابة التي لا يقبلها الذوق ويمجها
الطبع حتى لو حوى الكتاب بين دفتيه حكمة الحكماء وبلاغة الفصحاء ،
أضف الى ذلك ما تجده من التحريف والتصحيح والتغيير والتبديل مما يضيق
به صدر الحليم ولا يألفه صاحب الذوق السليم - انتهى .

ومن آثار ثمرة المطابع ما تجده من تقدم الوعي الفكري بالكتابة
الانشائية بسبب تبادل الآراء وانتشار المؤلفات من الكتب والصحف والمجلات
وغيرها ، مما أدى الى تبلور الأفكار وصقل العقول والاذهان ، لذلك وصلت
الادراكات العقلية الى هذا النضوج من التقدم والتفنن في الكتابة والانشاء

في الاملاء من حسن التعبير والتنمق في ترتيب الكتابة حسب القواعد التي يخرعها المتخصصون في هذا الفن .

قال بعض المؤرخين من الادباء (١) : ان الكتابة الانشائية حصرها الكتاب والمؤلفون الكبار من الغربيين الى قسمين ، وقد عبروا عن كل قسم من هذين بتعبير خاص لهم وبلسانهم ، فاسموا أحدهما باسم (بريالسم) والثاني (اديالسم) ، وهذان التعبيران انتحال جديد أوجده الكتاب الغربيون حيث لم يوجد لهما أثر في المسميات العربية ، وأرادوا بالقسم الاول : الكتابة في الاشياء الواقعية بلا تخيل وتصنع ، وبلا نمق وتزوير وتسطير وتنميق في اسلوب الالفاظ . وأرادوا بالقسم الثاني : الكتابة الخيالية التي هي من أوصاف الشاعر والكتاب الاديب ، حيث يصف الكتاب الحالة التي تخيلها في ذهنه وحاول بحسن تعبيره وبيان اسلوبه السعي الى تحقيق ما كان في ذهنه لتقريبها الى ذهن القارىء ، ليتصورها بصورة قريبة إلى إدراكه وفكره حتى تصبح جلية واضحة أمام عينيه .

وعبر عن هذين القسمين بعض الادباء بتعبير أقرب وأجمع وأوفق بالقبول ، حيث قال : المراد بالكتابة على النهج الأول وهو (الريالسم) هو الكتابة عما هو كائن ، والمراد بها على النهج الثاني وهو (اديالسم) هو الكتابة فيما يجب أن يكون .

وهذا التقسيم للكتابة بهذين القسمين لم يكن مأخوذاً من قواعد طبيعية ثابتة حقيقية وجدانية مما يمكن الابتناء عليها والاعتماد بها ، بل إن ذلك مأخوذ من نتيجة الاستقراء والتبع في المؤلفات القديمة والحديثة مما استنبط منها ذلك .

(١) دائرة معارف فريد : ٥٥/٨

وقد وقفنا على تمييز ثالث لبعض الكتاب والمؤلفين ، وهو اصطلاح جديد عندهم للكتابة الانشائية ، وصف احدى السكتابتين بالكتابة (الكوميديه) والمراد بها الكتابة المتضمنة للقصص الفكاهية ، وهي التي تكون وصفاً لبعض أحوال الحياة الانسانية إذا كانت خالية عن استعمال الخيال في تهذيبها وتنميقها . ووصف الكتابة الثانيه (بالتراجيدي) وهي الكتابة في القصص الخيالية التي يتخيلها الكاتب فيجعلها كأنها واقعية ويذتعل للقصه أشخاصاً وهميين خياليين ، يعبر عنهم بابطال القصة أو ابطال الرواية .

ومن هذا المعنى انتحل اسم أبطال الروايات السينمائية التي تخرج على الشاشة ، وهم الممثلون ويرزون للخارج كأنهم واقعيين ، ويريدون من وراء تلك القصص من هذا اللون الحث على فضيلة معلومة متسلم عليها لدى الجميع ، ولقد وفقت الكتابة من هذا النوع القصصي حتى أصبحت أقرب انطباعاً إلى ذهن القارئ من بقية أنواع السكتابات الانشائية ، ولعل من هذا الاسلوب كتاب كليله ودمنة .

وقد انتحل بعض الكتاب للكتابة الانشائية نوعاً جديداً سماه (بالدرام) وقد اعتبر هذا اللون جديداً جذاباً في عالم الانشاء ، والمنتحل له الكاتب الانكليزي الشهير الأديب (شكسبير) حيث جمع في كتابته بين فضيلة القسمين الريالسم والأديالسم ، فكان موفقاً في كتاباته حيث كان يدعو بها إلى الفضائل العالية والتعجب إلى المكارم الأخلاقية والصفات الجميلة الاجتماعية ، لذلك فقد لاقى نجاحاً ملموساً في عالم الأدب وفي ميدان الثقافة الجديدة المحببة لدى الابداء .

وقد أرضى بكتاباته الرأي العام والرأي الخاص ، فكان مرغوباً عند العامة وعند مختلف الكتاب ، لأن كتابته تحتوي على وصف للحياة اليومية التي تسير

أضرحة المجتمع ، كما وأنه أَرْضَى الحكماء والفلاسفة والعلماء لأنه كان يدعو للمثل العليا ويرغب في الخلق الكامل ويحبب الادب الحي .
وكل هذه الثمار الفكرية التي حدثنا القارىء عنها مما أنتجتها العقول الواعية ، مما تعزى فضيلته الى الطباعة التي كانت هي السبب الوحيد في تموير الأفكار حينما تكون في متناول كل أحد هذه المؤلفات الجديدة التي تتمشى مع الذوق الجديد .

ولا ينكر ماللكتابه المصرية والمؤلفات الجديدة من التأثير في عقول الناس وصقل المواهب اذا كان أسلوب الانشاء مما يلائم الذوق السليم والطبع المستقيم ، بل يصح لنا أن نقول : إن السبب الفعال في توجيه الناس خصوصاً هذا النشء الجديد الذي يتطلب التجدد في كل شىء حتى في الكتابة والمؤلفات ، فان الكتابة لها الاثر من السيطرة في التوجيه نحو السبيل الذي يختاره الكاتب الأديب أو المؤلف العالم من الصالح النافع أو السبيل المعوج المتبوي ، ولدينا بعض الشواهد على ما نقول من مفعول الكتابة وتأثيرها في الانطباع الفكري الى الذي يريده من التوجيه : هو ما نجد من الاثر الذي ينطبع في قلب قارىء القصة الخيالية التي يرتبها الكاتب وينمقها الأديب ، فيذكر فيها وقائع تاريخية وحوادث اجتماعية كلها منتحلة من عالم الخيال ولكنه بأسلوب خلاب وبتعبير جذاب ، وبحسن تعبيره يفرضها كأنها واقعية ، ثم يمين أشخاصاً بأسمائهم ليكونوا أبطالاً للقصة أو للرواية .

قد يؤدي بسمو خيال الكاتب وتحلقه في أوج الشعاعية الى درجة تجسيم تلك القصة الخيالية ، فيعطي القصة من الصفات والاصناف المحببة المرغوبة ويظفي عليها ثوباً قشيباً ، فيرغب اليها القارىء ويتلهف الى طلب المزيد لاجل الوصول الى النتيجة ، كل ذلك من أجل حسن البيان الذي

منح به السكائب القدير .

حتى أن بعض قراء القصص من هذا اللون يجد أراً ظاهراً في نفسه من مفعول مايقراه ، لذلك قد ينحاز إلى جانب أحد أبطال القصة فينفعل بما ينفعل به بطل القصة ، وقد يظهر عليه بعض الافعال الخارجية والحركات مما ينيء عن شدة الاثر والانفعال .

كما يحدث بعض المشاهدين لافلام السينما حينما تستعرض بعض الافلام فترسم على الشاشة ، كمثل القضايا المثيرة للحواس عاطفياً وكالافلام الغرامية أو غيرها ، لذلك تقع المسؤولية هنا على عاتق كاتب القصة أو المخرج للفلم السينمائي .

وبهذه المناسبة - حول تأخير بعض الكتابات في توجيه الفرد أو المجتمع - أحببت التحدث مع كتابنا اليوم الذين يكتبون في الجرائد والمجلات ، فانهم المسؤولون أمام الضمير والوجدان وأمام العقيدة والايمان بالله تعالى ، فهل أنهم يدركون بأن عليهم واجباً يحتم عليهم الاخذ بجانبه ؟ وهل أنهم يشعرون بهذا الواجب لانهم الموجهون لهذا الجيل الجديد الذي يتطلب الثقافة - من طريق قراءة الصحف والمجلات - للاعتقاد السائد فعلا بين الناس بأن الثقافة هي مطالمة الصحف ومراجعة المجلات للاطلاع على ما فيها من الاخبار والقصص والروايات والنوادر .

فتعال معي أيها القارئ لننغمس بين هذه الصحف وبين أوراق المجلات وبين هذه الجرائد اليومية التي تصدرها المطابع ونخرجها الى عالم الوجود بمقدار عشرات الآلاف أو عشرات الملايين بالنظر الى مقاييس ما تخرج من الجرائد في جميع أنحاء المعمورة في الكرة الارضية في مختلف اللغات والبلدان والدول العربية والغربية ، ثم بعد ذلك أمعن النظر في

جوانبها واطل التفكير في مطالعتها واسبرها من مقال الافتتاح الى آخر الاعلانات التي تنشر دعاية لدور السينما ولبيع الخمر و لاعلان الفجور واسماء الممثلات والممثلين وأمثال ذلك ، فهنا ينكشف لديك وتخرج من مطالعتها على يقين جازم بأن محتوياتها - ماعدى ماتنشره من المقالات الراجمة لامور السلطه القائمة من نشر قوانينها واصدار أحكامها على لسان حكامها وبعض الامور الراجمة للاقتصاديات في البلاد - فا عدا هذه العناوين لو سيرتها لم تجد فيها إلا الخبر التافه أو بيان الحوادث الفظيعة من القتل والنهب والسرقة والتلصص الى غير ذلك من مخزبات الجرائم .

فهل ترى أن نشر أمثال ذلك مما يمود بالنفع الى البلاد أو يصالح شيئاً من أمور العباد من تقليل الحوادث او تقليص الفضائع ؟ وهل ان في ذكرها أثراً في تقديم الاخلاق وتقويمها وتهذيب النفوس وتربيتها ؟ وهل يحسن نشر هذه الامور أم ان الاجدر المستحسن تقليل ذكرها او عدم التعرض لها الى أن تنقصر وتنعدم بسبب تهذيب الاخلاق وتوجيه الناس الى الصلاح والاصلاح ؟

فالواجب على الكاتب ان يقوم بالعمل الصالح قبل الكتابة ، فان لسان العمل أقوى تأثيراً من لسان القول والكلام ، كما يجب عليه نشر الكتابات التي فيها تربية النفس على مكارم الاخلاق ومحاسن الخصال ونشر المقالات الدينية والاجتماعية ، فان البشر لا يصلحه إلا الدين ، لذلك نجد محسوساً لدينا أن الانسان الذي يبتعد عن التمسك بالدين وبالعقائد يكون بعيداً عن كل خلق سامي ، كما نجد عياناً أن صاحب الدين لايسرق ولا يزني ولا يشرب الخمر ولا يقتل النفس المحرمة ولا يكذب ولا يصدر منه أي فعل يؤدي الى غير صالح نفسه وبلاده ، وبمكسه الرجل الفاجر الفاسق فإنه يصدر منه

كل رذيلة وكل فعل قد يؤدي الى دمار نفسه وهلاك بلاده .

فينبغي على الكاتب قبل كل شيء أن يكون ذا دين وعقيدة صحيحة ليكون الدين محبوباً لديه ومقدساً عنده ، حتى يكتب فيما يحجب الدين في نفوس الناس ولاجل أن يقرب مفاهيم قوانين الاسلام الى العقول ويذكر الحوادث التاريخية والاجتماعية التي من اجلها تقدم الاسلام وانتشر في طول الارض وعرضها شرقاً وغرباً ، أيام عصوره السابقة العصور التبشيرية والمصور الذهبية التي كان المسلم فيها قدوة صالحة في جميع شؤون الحياة وفي جميع ميادين تصرفاته مع نفسه ومع غيره ، وما ذاك إلا من جهة أنه يرتبط بنظام الدين ويسير على مناهج دعوة الرسول الاعظم الصادق الامين (ص) إن الصحف والجرائد اليومية هي لسان البلاد الناطق ، وهي المنبر العالمي الذرى البعيد المرتقى ، وإن الوعظ والارشاد من طريقها يتمبر لونها يتذوقه كل شباب ناشيء ، فيحق لكتابتها معرفة قيمتها الاجتماعية ليؤدوا مايجب عليهم خدمة للدين وللشعب .

وهذا أمير الشعراء أحمد شوقي يهتف بقصيدته العشاء ويرينا قيمة هذه الصحف وما لها من أثر فعال في النفوس حيث يقول :

لكل زمان مضي آية وآية هذا الزمان الصحف

لسان البلاد ونبض العبا دوكهف الحقوق وحرب الجنف

فيصنفها بالآية الظاهرة والعبرة الواضحة ، وانها لسان البلاد والنبض الحساس في بدن العباد ، وهي البيت والكهف للحقوق ، وأنها حرب الجنف - وهو الجور والميل عن العدل والحق .

فإذا كانت الصحف بهذا الوصف من الاعتبار وبهذه المنزلة في تثقيف الناس ، فلماذا لاتوجه نحو صالح البلاد وما يرضي العباد ؟ ولماذا لم يقوم

اعوجاجها لتكون مقياساً صحيحاً يسير على منهاجه أبناء الشعوب ؟
كل هذه المسؤولية تقع على كتابها والذين يديرون شؤونها ويقفون
على اخراج ما يطبع منها وما يستثمر من نتاجها .

ولو أن هذه الأموال الطائلة التي تبذل في سبيلها من الورق والطبع
والعمال والمرتبين والموزعين والمراسلين والوكلاء ، أضف الى ذلك الأتعاب
الفكرية والبدنية التي يلاقها الكاتب أو المدير المسؤول ، فلو أن ذلك
كله بذل في سبيل توجيهها توجيهاً صحيحاً حسناً يحمي البلاد ويصلح العباد
لكانت كما وصفها شوقي بأنها حرب الخنزف ، ولمادت بالخير الذي ينتفع
به جميع أفراد الشعب من مختلف طبقاتهم .

هذه الامم الغربية هي أسبق منا في نشر الصحف والمجلات والجرائد
اليومية ، بل أننا تلقينا منها هذا اللون من الثقافة ، فن راجع صحفهم
وجرائدهم يجدها تتوخى نشر ما فيه صلاح بلادهم ونفوسهم ، كنشر المقالات
التبشيرية التي تدعو إلى عقائدهم ودياناتهم ، أو نشر ما فيه الدعاية لوجود
مؤسسة علمية أو ثقافية او مخترع جديد صناعي أو طبي أو غير ذلك .
ونحن لا نتكرر أن في دول الغرب الأوربية من الفضائع والاجرامات
والحوادث المحلية من القتل والسرقات والتلصص والعصابات المجرمة - كعصابات
شيكاغو - التي ملأت المسامع باجراماتها البشعة وفتكها الفضيع وغير ذلك من
الامور ، فالدول الغربية فيها ما ذكرناه وزيادة مما يعرق منها جبين الانسانية
ومع ذلك كله فانها قد غطت جميع شذوذها وأفماها الخارجية عن حدود
الشرع والانسانية بغطاء مخترعاتها الجديدة وسنار مكتشفاتها الحديثة وتقدمها
في ميادين الثقافة والتقدم العلمي ، فان هذا كله مما أنسى الناس وأشغلهم
عن ذكر مثالبهم حتى اصبحوا يتحدثون بذكر مناقبهم .

وفي الحقيقة انه ليست للغرب مناقب بمد أن خرجوا عن حدود الدين سوى أنهم خدموا الحياة الفانية فقط ، إما لعدم اعتقادهم بالحياة الباقية كما قال تعالى مشيراً إلى عقائد الكفار : ﴿ إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين ﴾ أو لأنهم عرفوا الحياة أكثر منا فجمعوا بين عقائدهم وبين خدمة هذه الحياة وتطوير شؤون الفرد ليعيش في رفاهية ورغد . هذه سيرة الغربيين في صحفهم وجرائدهم وفي سير امور حياتهم ومن نظر إلى حياة المسلمين وسير تاريخهم يجزم بأن لهم القدر المعلى في العلوم والفنون وفي الطب والصناعات والثقافة ، ولكن التشاحن والتباغض فيما بينهم والنزاحم في المصالح الشخصية أدى بهم إلى ذلك كما قال تعالى : ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾ (١) اي سطوتكم وسلطانكم ، فان هذه الأمور قد أضعفت جانبهم وفككت قواهم ، فأرقتهم فريسة بين فكي أسد الاستعمار .

كل هذا من جراء عدم تمسكهم بتعاليم القرآن المقدس وهجرهم لما جاء به الرسول الاعظم وأخذهم بتعاليم الغرب والتعلق بركابهم وسيرتهم . والاعجب مما ذكرنا من الحديث هو ان الدول الغربية لما اتصلت بالدول الاسلامية بحكم العلاقات الثقافية او العسكرية او الاقتصادية او غير ذلك من العلاقات التي تربط ما بين الدول من اجل تبادل المصالح او ان هذا لون من الاستعمار ، وعلى كل حال فان دول الغرب لما توغلت في أراضي المسلمين وعرفت ما عندهم من العلوم والآثار أخذت منهم المزايا التي جاءت بها الشريعة المحمدية لأجل مصالحهم وخدمة بلادهم ، ولكن المسلمين بالعكس من ذلك فانهم اكتسبوا منهم الأخلاق الدنيئة والعادات الوحشية من الخلاعة

(١) الأنفال : ٤٧ .

والتهتك ، ونبذهم لعاداتهم وتكريم مقدساتهم ، ونمقها لهم سماسة الغربيين
واسموها لهم باسم (التمدن) او (الثقافة الجديدة) او (التقدم في الحياة)
او غير ذلك من الالفاظ ، ونحن نقول : انه تمدن ، ولكنه ليس بالتمدن
الصادق بل هو الكاذب كما يقول العلامة المرحوم السيد مهدي الاعرجي :
بذمة التمدن الكاذب حلقك للحيية والشارب
إلى أن يقول :

حديدهم طار بجو السما بخارهم مطية الراكب

فنقول : إن التمدن الصحيح هو التقدم العلمي والتوصل إلى المكتشفات
الجديدة التي فيها خدمة تامة للبشر ، فنحن لماذا لم نكتسب منهم هذا اللون
من التمدن والتقدم الذي بسببه ملـكوا الدنيا بأطرافها ؟
وان هذا التقدم العلمي والفني الذي شمل جميع شؤون حياة الفرد
الذي جاءنا من الغرب المستعمر مها تسامى في أفق المعارف والخدمة الانسانية
مع ذلك لم يكن فيه مساس نفع للبشرية من جهة النواحي الخلقية والاجتماعية
بل نقول : إن الغرب بما جاء من الصناعات والمخترعات أدى ذلك كله إلى
تفسخ الاخلاق في المجموعة البشرية .

والسر في ذلك أن هذه المخترعات الجديدة والتعاليم التي تلقتها الدول
الاسلامية من الدول الغربية مما أدت إلى ابعاد الناس عن عقائدهم وتكريم
مقدساتهم ، لان المستعمر لا تربطه معك ايها المسلم رابطة دينية سوى رابطة
تبادل المصالح ادت الى سلب دينك ام لم تؤد ، فهو لا يهتم به ذلك بل
هو قد يقصد سلب مقدساتك لتكون له طوع رغباته وطلباته ، ولكن
ما هذا السبابة والاغفاء عن خلقك السامية ؟ وأي مانع لديك أيها المسلم
مع وجود هذه الملائق ما بينك وبين دول أربا : انك تبقى متمسكا بالدين

وعاداتك وعادات آباءك والاختذ بتماليم دينك ، فتكون قد جمعت بين الدين والدنيا ؟ كما يقول الشاعر :

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا واقبح الكفر والافلاس في الرجل
والذي يريك أيها القارى، صدق ما أقول من أن هذه المكتشفات
الجديدة أدت بالناس إلى الابتعاد عن كل المقدسات : ما يحدثنا به الكاتب
الاوربي الكبير (جورج أ . لندبرغ) في كتاب هل ينقذنا العلم (١) قال :
لم يتألق نجم العلم في تاريخ البشرية كما تألق منذ عام ١٩٦٠ م ، إذ توصل
الانسان أخيراً الى اطلاق اجرام سماوية من صنع يديه شقت طريقها في
مدار الارض ، وبمئت أجهزتها بمختلف المعلومات عن ظواهر طبيعية كنا
نجهل وجودها حتى ذلك الحين ، ويتفق الخبراء ذوو الكفاءة على أن الانسان
نفسه سيتمكن قريباً من أن يجوب في تلك الاجواء بل ويتمداها ، ويحدث
هذا كله بينما تجري تطورات هائلة في صناعة الصواريخ وانتاج الاسلحة
المهتمة الاخرى بشكل يبرر التخوف من إمكان إفناء الجيل الذي صنعت
يداه هذه المعجزات ، فهل يتمكن هذا الجيل أو الاجيال اللاحقة به إذا
بقي منها شيء من تنمية علوم تعني بالملاقات الاجتماعية بين البشر تكون
قادرة على أن تستخدم الطاقات والاجهزة المتوفرة اليوم لبني الانسان بشكل
اليجابي بناء ؟ .

أمام هذا السؤال نجد حتى علماء الطبيعيات أنفسهم يقفون صرعين من
العواقب الاجتماعية التي يمكن أن تترتب على استعمال ما صنعته أيديهم ، لذلك نراهم
يممدون أحياناً إلى ضم أصواتهم إلى الصرخات التي ترتفع بين الفينة والفينة
مطالبة بما يشبه كف اليد عن العلوم الطبيعية . أما العلم فهو لا يفي في تقدمه

(١) هل ينقذنا العلم : ٩ .

الحديث سواء أكان في ذلك خير البشرية ام لم يكن .
ثم يقول : ومع هذا نجد تأخراً في ناحية اخلاق المجتمع البشري
ويستشهد بقول احد كبار علماء الغرب وهو (روبرت هتشنس)
حيث يقول : لقد بلغ العالم في آن واحد الى الأوج في المعرفة والتكنولوجيا
والتحكم في الطبيعة ، والى الحضيض في حياته الأخلاقية والسياسية .

وبعد هذا الاعتراف والتصريح من كبراء علمائهم ومفكرهم ، وان
علومهم مما تقدمت وتطورت فانها قد أثرت تأخراً في ناحية أخلاق المجموعة
البشرية ، ومع هذا كله نرى دول الاسلام مندفعة نحو تعاليم الغرب والسير
في ركابهم والأخذ بعاداتهم والتمسك بنظمهم في جميع مدار الحياة الاجتماعية
والخلفية ، وقد تركت تعاليم الاسلام وما نطق به القرآن ، تلك التعاليم
التي تمهدت بسعادة البشر في حياته .

وإلى هنا ثم نعود إلى مفتتح حديثنا عن الولايات التي جاءت الشعوب
المساعة من قبل كتاب الصحف والجرائد اليومية ، ولا ننكر أن تعاليم تربيتهم
مما يوقفنا على الواقع ويلمسنا للحقائق ، وهي أن هؤلاء الكتتاب يحق لنا
أن نعبّر عنهم - بأنهم تلاميذ الاستعمار - الذين وجههم نحو هذا السير وعلى
هذا المنهج فيما يفسرونه وما يعلمونه ويكتبونه ، حتى أن شبابنا اليوم
قد تأثر بتلك الكتابات السومومة والمقالات المدسوسة مما أدى بهم إلى تغيير
عقائدهم والسير بهم نحو الطريق الموعج الملتوي .

أضف إلى هذه السيئة ونفسخ الأخلاق التي جاءت من قبل كتاب
الصحف والمجلات وما تلاعبت فيه بمقول الفسء الماهض ، هذه الكتب التي
تنشرها مطابع مصر ولبنان وبقية الدول العربية المنشورة عند باعة الكتب
والمجلات ، ونريد بها الكتب المشتملة على القصص الغرامية أو الروايات

البوليسية أو الكتب الجنسية ، وأمثال هذا اللون من المؤلفات الكثيرة التي جاء بها أدياء مصر ولبنان ، مما احتوت على الأخلاق المتفسخة والشذوذ في التعاليم في سلوك الحياة .

فإن هذه الروايات الفرامية والقصص العاطفية الجنسية قد ملئت بالأوصاف لفضائع الحوادث البشعة من حيث الخيانة المخدعية ، وتحتوي على تعاليم الشباب حول افتناء الزميلات واتخاذ الخليلات وتحميد العشق والغرام بكل طريق مشروع أو غير مشروع ، ونريد بالمشروع هنا ما يشرعه العرف وترتضيه العادات الاجتماعية ، وإلا فأبي عشق يوافق الشرع المقدس وتحتوي أيضاً على الأوصاف الجنسية المثيرة لغرائز الشهوة السكائمة الحيوانية .
وان كل انسان غيور يحمل الايمان بين جنبيه والعفة في ضميره يأبى أن يدنس نفسه بمطالعة هذه الكتب .

أضف إلى تلك المؤلفات الحاملة للواء الانحراف عن المثل العليا التي جاءتنا من الاستعمار وترجمها أدياء مصر ، إظهاراً لبيان أنها من الكتب الثقافية التي تشرح للشباب ذهنه وتريه مغازي الحياة بجميع معانيها ، ولكنهم قد أساؤا اساءة لا تغتفر وجمنوا على المقدسات والأخلاق الفاضلة واعطف عليها : الكتب المحتوية على الروايات البوليسية من التجسس والمغامرات ، فإنها تفتق أمام ذهن الانسان أبواب الاجرام وتعلمه كيف يسرق وكيف يقتل وكيف يتلصص ، فإن هذه الكتب ليس لها علاقة بأي ثقافة ، بل جاءتنا من الغرب وقذف بها الاستعمار بين أيدي زمرة من بائعي الضمائر ، فراحوا بقصد الأدب والثقافة يترجونها من لغتها لغة الاستعمار إلى اللغة العربية المقدسة ، فباعوا ذلك المثلث الغالي وهو بلادهم وأبناء شعبهم وأخذوا عوض ذلك دراهم معدودة ، (أولئك الذين اشتروا

الضلالة بالهدى فما رحمت تجارتهم وما كانوا مهتدين) (١)
ويريد المستعمر من وراء هذه السفاسف أن يشغل أبناء الشعوب
الضعيفة بهذه الامور النافهة ، ويوجههم بهذه الكتب ويركزها في أذهانهم
ليبتعدوا عن مصالح بلادهم ويتيهوا في تيار الملذات والشهوات ، فهناك
ينشب الاستعمار أظفاره في فريسته فيمتص منها دماءها وحياتها ، وهذا
يعتبر لونا من ألوان الاستعمار .

وقد زاد في الطين بلة ، وهو الداء الويل الذي نكاد نحزم بأنه
قد قضى على كثير من خلق شباننا السامية ذلك الشباب الذي هو غرس البلاد
المثمر ونتاجه المقبل ، مانجده في الاسواق منتشراً في أغلب المكتبات المتجددة
العصرية ، وهي المجلات المصورة الخلاقية التي جاءت بليتها من (هولود)
و (باريس) وبقية الدول الغربية ، فتلاقفتها (مصر)
لانها تتطلب كل جديد ، فان هذه المجلات تصور أنواع الفسق والفجور
والتهتك والتبرج والخلاعة والاستهتار ورفع جلباب الحياء والغيرة ، فترسم
الممثلات والراقصات وبنات الدارة بهذه الأتواب المغرية ، وتبرز
مواضع الافتتان منها وكل ما يجلب البصر ويثير الغريزة .

فأين الذين يطبلون وي زمرون باسم الدين من العلماء والخطباء والمرشدين
وأهل العلم ؟ الذين أخذوا على أنفسهم هذه المسؤولية ووصفوا بأنهم المجاهدون
الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، ليقفوا أمام تيار هذه المجلات
المتهكة المخزية ليلتمسوا من السلطات المسؤولة عدم جواز بيعها وعدم
إدخالها إلى الاسواق ، ولتعتبرها كسائر الكتب التي يمنع بيعها لانها تتنافى
مع السلطة القائمة أو السياسة الحالية ، فهذه أيضاً تتم مناقاتها للاخلاق

الفاضلة وللشريعة المقدسة ، وهذه (دولنا) (وحكوماتنا) تهتف باسم الدين الاسلامي وانه دينها الرسمي .

وهذا شبابنا المثقف قد انغمس في تيار جاذبية هذه المجالات ، حتى أصبح لا يشعر بما يرتكبه من منافيات الدين والاخلاق الي أن وصف بالتعبير الجديد (بالشباب المائم) ، حيث تتلاعب فيه الأهواء النفسية وبميل مع الملذات الدنيئة والشهوات الحيوانية ، لا يردعه من الدين رادع ولا يزرجه من السلطات زاجر .

والمسؤولون هم رجال الارشاد الذين يهتفون باسم الدين ويناضلون من أجله ويتحزبون باسمه ، وكذلك السلطات القائمة التي تعلن باسم الدين نظامها السائد وتريد القضاء على المنحرفين عن طريق الصواب باسم الدين . والذي يضحك الشكلى إنك لو فتحت الحديث مع هذا الشباب حول هذا الانحراف منهم إلى التعاليم الغربية ومطالعة هذه المجالات الخلاعية المتهتكة أجابك بأن الثقافة تدعو إلى ذلك ، فانظر إلى هذا التأخر في ناحية الاخلاق الذي دفع بهم إلى هذا الاعتذار .

وقبل أن نختم الحديث بهذه المناسبة لابأس بذكر ما نوهت عنه بعض المجالات البغدادية ، حيث نطقت بما نوهنا عنه من تأثرها بما تصدره المجالات الثقافية التي أخذت طريق الالتواء في عصورها الخالية ، قالت تحت عنوان (تطور معكوس) :

ان من يطالع مجلات دار الهلال في الوقت الحاضر يأخذ العجب وخاصة إذا كان من مطالعي مجلات هذه الدار قبل عشرين سنة أو أقل من ذلك ، كانت المجالات التي تصدر عن هذه الدار نظيفة جداً وتتمم بالثقافة الراقية الموجهة والأدب الذي يغذي الازهان والقلوب ، لذلك فقد دوت

وانتشرت شهرة هذه الدار في الشرق والغرب . وأصبحت مجلاتها في طليعة مجلات البلاد العربية التي يقبل عليها أبناء البلاد العربية شيوخاً وشباناً ومرافقين من الجذنين ، أما الآن فيأخذنا المعبج كثيراً من هذه المطبوعات التي تصدرها هذه الدار في الوقت الحاضر ، فبعد أن كانت الآثار الجذسية والصور الخلية والقصص التافهة وحوادث القصور وسيدات المجتمع آخر ما تعتمد عليه لترويج مطبوعاتها فجاءت في السنوات الاخيرة إلى كل هذا وأكثر من هذا ، وأصبحت مجلة الهلال التي كانت قرة شامخة من قم الثقافة العربية مجلة خفيفة جداً يقرأها طلبة المدارس وطلاب الادب الرخيص وصور الممثلين والممثلات ، وكذلك مجلات المصور والكواكب وحواء .

انا نكن لهذه الدار الكثير من الحب والاعجاب ، والكثير من العواطف والذكريات الجميلة لما أسدته للثقافة العربية من تراث خالد في سنواتها الغابرة ، لذا يجوز لنا حقاً أن تتطور مطبوعاتها هذا التطور المعكوس وتصبح في صفاق المجلات الرخيصة (١) .

ونشرت تلك المجلة مرة ثانية ، تحت عنوان (مظاهر مؤسفة) قالت : من يعاني مثلي الاطلاع على جميع ما يصدر في القاهرة ، من صحف يومية ومجلات اسبوعية وشهرية ، تذهله ظاهرة مؤسفة جداً ، ومؤلمة للعقل والنفس ، وهذه الظاهرة هي طغيان أخبار الممثلين والممثلات ، وما يدور في « الكباريات » والملاهي ، ودور الطبقة الراقية على غيرها من الأخبار ، ولا تكسفي هذه الصحف والمجلات بنشر ما يدور في القاهرة فقط ، بل تضيف إليها أخبار المجون وحفلات « الكوكبتيل » وفصائح دور اللهو في العالم الخارجى . . . فلا يتصور قارىء هذه الصحف ، إلا أن القاهرة

(١) مجلة المكتبة ، السنة الثالثة : عدد ٤/٤ .

عبارة عن ملهى كبير ، وسكانها جميعهم يلهون ، حتى الصحف والمجلات الرصينة طفت فيها هذه الأخبار على غيرها من أبناء الثقافة والأدب والبحوث والدراسات الرصينة ، فعبد الحليم حافظ ، ومحمد عبد الوهاب ، وميمى شكيب وزوزو نبيل ، إلى غيرهم من الممثلين والممثلات نقرأ اخبارهم ، وطموم وزواجهم وطلاقهم وتنقلاتهم يومياً في أبرز الصفحات ، أما لطفى السيد ، وطه حسين ، والعماد ، وعنان ، وغيرهم من عمالقة الأدب والذين هم نخر مصر وعنوان مجدها ، فلا نعرف عنهم شيئاً ، وإذا نشرت فسطرين بسيطين لا يجدهما القارئ إلا بعد جهد ومعاونة .

ولا تزال الصحف والمجلات ، تهتم بتسجيل أخبار الطبقات الراقية وهو أبنائها وبناتها تماماً كما كانت في العهد السابق (قبل الثورة) وتشر لهم الصور وتمتعهم بالأحاديث ، وتفسح صفحاتها للإعلان عن حفلاتهم المجننة وأخبارهم التافهة ، إن ثورة مصر الجبارة قضت على الملكية والاقطاع واثمت المعامل والمصانع ، وأمت الكثير من المؤسسات لصالح الشعب ، وفي جملتها الصحافة ، فهل نشر مثل هذه الأخبار مما يخدم العامل والفلاح والفقير ، إن على صحافة القاهرة ، أن تبرز وجه مصر الحقيقي على صفحاتها ، وجه الشعب الثائر على الظلم وعلى الاسراف فى البذخ واللهو ، اننا نرجو مخلصين من هذه الصحف والمجلات وهي مصدر مهم من مصادر ثقافتنا أن تقتصر على نشر الأخبار المهمة جداً للممثلين والممثلات وأهل الفن فى الملاهي وأخبار الطبقة الراقية ، لأن صورة عبد الحليم حافظ وهو يتسم لاتشبع جائعاً ، ونكتة لاسماعيل ياسين ، لاتقيم مصنعاً ، وغنوة لفريد الأطرش لاتصلح شأننا (١) .

وهنا يجب علينا أن نقف واعطين مصر حين لهذا الجيل الجديد الذي أوكل لديه توجيه ما ينشره في الصحف والمجلات لأنه الشباب المثقف ، ونقول لهذه الناشئة الناهضة التي تلاعبت في مقدرات عقولها المؤلفات الغربية المترجمة إلى اللغات العربية ، ونوجه نداءنا بالدرجة الأولى إلى كتاب الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والشهرية حيث أنهم لسان البلاد والموجهون لطلاب الثقافة وهم ألق بالمجتمع من غيرهم ، فيجب عليهم أن يتطلبوا في كتاباتهم الكمال والثقافة مع الضمير النزيه والمنطق المرضي ، وان يكونوا ذا دين وعقيدة حقة ، وان لا يكونوا شاذين في سلوكهم الاجتماعي ولا منحرفين ولا متعزبين ، وان يكونوا متصفين بالخلق الكامل والمزايا الطيبة . كما وصفهم الامبراطور (غليوم) بقوله : يجب على كتاب الجرائد والمجلات ان يتخرجوا من مدارس خصوصية وتكون بأيديهم شهادات تؤهلهم لهذه الوظيفة الكبيرة .

وقد رد عليه الصحفي الكبير (هارد وان) قائلاً : إذا حتمت شهادة خصوصية على الصحفيين فأبي شهادة يجب أن تكون في أيدي الملوك وهم الحاكمون في الأمم ، المتصرفون في شؤونها (١) وكما قيل : « الناس على دين ملوكهم » فإذا كانت السلطات الزمنية هي التي تتصرف في شؤون الناس وهي الموجهة لأبناء الشعب وانها هي التي تشرع القوانين وتنفذها على الرعية رغبة أو رهبة .

إذن فإذا يصنع كتابنا اليوم الذين يراولون الكتابة في الصحف والمجلات أو في النشرات أو المؤلفات ، وهل يتمكنون أن يبيحوا بما تكنه ضمائرهم وان يظهروا جانب الحق للملأ العام ومن ورائهم ذلك الرقيب الذي يهاب ويحذر فهل تراهم قادرون على ذلك والأمر بيد السلطات والتوجيه بأشارة الحكام ،

(١) دائرة معارف فريد : ٥٨/٨

والناس تنصاع إلى السلطة أو للمال والمادة ، وقلّ من نجده من هؤلاء ممن يكون للدين طائماً مجاهداً ، واساحة الحق وإظهار الواقع لله متقرباً ؟؟

فإن الناس هم الناس الذين وصفهم سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام قبل ألف وثلاثمائة وأربعة وعشرين سنة بقوله : « إن الدين لعق على ألسنتهم يحوطونه مادرت معائشهم ، فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون » (١) .

ومع هذا كله : فلا عذر لكتاب الصحف والمجلات والناشرين والمؤلفين أمام الحق تعالى وإمام الضمير والانصاف ، فهم الموجهون لهذا المجتمع الذي يتطلب العلم والثقافة من طريق ما ذكرنا ، فيجب عليهم بين آونة وأخرى أن يختاروا بعض الفشرات الموجهة المتكفلة لصقل العقول وتبلور الأفكار نحو الدين والخلق الكامل ، وأن يدعوا كافة المسلمين إلى التضامن والتكاتف ليكونوا كالبغيان المرصوص الذي يشدّ بعضه بعضاً .

فإن رقي الشعوب بتكاتف أبنائها ، ونظام المجتمع بالتخلق بالدين والعقائد والتمسك بالأخلاق الفاضلة ، كما قال الأديب :

فإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

الفائدة الثالثة - ٣ -

في نظر المجتمع في المؤلف

من يتصدى للكتابة والتأليف يأخذ على عاتقه هذه المسؤولية ويتحمل هذا العبء الثقيل ، فان ذلك مما يجعله بحكم منصبه واختياره متصفاً بصفة خاصة يمتاز بها دون غيره من طلاب خدمة المجتمع ، وهي من الصفات المحببة عند ذوي الكمال والمرودة ، وهي كونه خادماً للمصلحة العامة بفرض رغبته وحب اظهار العلم والفضيلة ، وإلى ذلك يشير الحديث الشريف : « خير الناس من نفع الناس » وأي خدمة هي أنفع من هذه الخدمة وأعود نفعاً منها ، أليست هي حياة القلوب وصقل العقول ؟ .

وان السكاتب والمؤلف ليشكر له هذا الجهد ، سواء حصر كتابته في شؤون خاصة وفي موضوع علم خاص ، كما لو دفعته للكتابة من هذا النوع جهة اختصاصه بها ولما يشعر به استلذاذه فيه بسبب ما أوتي من العلم المختص به ، حيث لا يروق له سواء ولا يتذوق غيره ، بل لا يهمة بحسب نظره وفكره إلا ذلك فقط فسواء كان من هذا القسم من الكساتب

أو كان من النوع الآخر وهو الذي دفعته للكتابة والتأليف أغراض معينة وغايات مقصودة عنده قد انطوت عليها نفسه وحدثته بها سريره، فأحب اظهار ما انطوى عليه قلبه على صفحات لسانه وقلبه .

كما قد وجدنا ذلك في جماعة من المؤلفين كانوا بهذه الصفة ، حيث كانوا يؤلفون ويكتبون لبيان إظهار القدرة على الانشاء والمقدرة والتمكن من العوص في بحار المعارف العلمية الانشائية والأدبية ، ليستحصلوا المعاني الغامضة والمفاهيم الدقيقة العويصة ، وكان ذلك منهم التماساً لأدراك إعجاب العلماء بهم وبما توصلوا اليه من فنون التعبير والعوص وراء المعاني البعيدة ، ولأجل ان يشق فهم انشائهم على جمهور القراء ، ومثل هؤلاء الكتاب يستحقون وصف التعبير عنهم بأنهم يكتبون لأنفسهم لا إعجابهم بكتابتهم وبحسن اسلوب تعبيرهم في انشائهم وبيانهم ، ومثل هؤلاء الكتاب لا يكتبون إلا لزصرة خاصة ولافراد معينين من رواد العلم والفضيلة من العلماء والمؤلفين (١) .

ولا ينكر أن هذا النوع الثاني من الكتاب لهم المكانة السامية والمنزلة المرموقة والكيان المقدر في سبيل هذه الخدمة من أجل مايعاونونه من المجهود ، فلهم قصب السبق في هذا الميدان والقدح المعلي ، سواء كانت كتابتهم دينية أم أخلاقية أم اجتماعية ، ومع هذا كله فلا يعتبر هذا اللون من الكتابة - في نظر البعض - مما يستحق التنويه عنها بأنها للخدمة العامة لجميع أفراد المثقفين ، ولا تعتبر منفعة تعود لجميع الطبقات الذين يطلبون العلم وينشدون الثقافة والسكالم من وراء الكتابات والمؤلفات .

وهؤلاء العدد من المؤلفين من هذا الشكل اختصوا بوصف كان محددًا بأطار خاص بهم استحقوا من أجله أن يكونوا من الطراز

(١) تاريخ آداب اللغة : ٣/٢ .

الاول في صفاة المؤلفين والكتاب ، لما يلاقوه من الاتهاب الفكرية والاجهاد البدني المرهق وراء ماسعوا نحوه من تحصيل تلك المعلومات التي اوصلتهم إلى هذا الاختصاص ، فاستحقوا هذه الفضيلة التي امتازوا بها . وهناك نوع ثالث من الكتاب وانولفين - وهم زمرة كبيرة وعدد ليس بالقليل ممن استحق ان ينوه عنها وتوصف خدماتها العامية بأنها خدمة عامة لجميع أفراد المجتمع ، لأن كتابتهم يتناولها بالقبول والرضى ويستقبلها بالترحاب ويأخذ بمفاهيمها البينة سائر الناس وجل الجماهير ، ويفهم معانيها جميع الطبقات من العالم والاديب ورجل الشارع المثقف - كتابة وقراءة - فهؤلاء يكتبون إلى الجميع ليخدموا بما كتبوا جميع أفراد الطبقات .

وهذا النوع الثالث الذي اختار هذا الشكل من الكتابة المرضية المفهومة المعاني لدى الجميع مما يحتم عليهم حكم العقل والضمير والدين المقدس أن يبذلوا جل جهودهم ومعظم أتعابهم الفكرية في سبيل المصلحة العامة النوعية لابناء جنسهم وجميع أبناء النوع الانساني ، فيجب عليهم أن يكرسوا جهودهم في سبيل اختيار الموضوع الذي يتطلبه المجتمع لمسيس حاجته اليه كالمواضيع التوجيهية التي تعود بالشر إلى جميع أفراد المجتمع بتعبير سهل المنال ومطاب قريب للفهم ، مشتملا على حسن العبارة ومثانة السبك بقالب سهل الفهم ، ويتوصلون الى افهام القارىء بكل ما أوتوا من التعبير ليلتفت إلى المعنى بأدنى التفات .

وان يتوخوا صدق المنطق وصراحة الالهجة والكلام الصحيح والعبارة الصريحة ، فلا ينحازون الى فئة دون أخرى ولا إلى فرقة دون فرقة ، بل يجب عليهم أن يكتبوا لمحض الواقع والحقيقة ، وان يظهروا منطويات الحقائق صادقين في القول مصرحين في التعبير ، فان صدق الالهجة وصراحة

القول من أهم واجبات الكاتب ، بل من أعظم العوامل التي تساعد على أداء واجب هذه المسؤولية ، فان الدين قبل كل شيء يتطلب من الكاتب عدم الكذب والمدحاة والتهميه في المنطق .

ومن أجل ذلك كانت هاتان الصفتان عزيزي المنال عند جملة من الكتاب ، لأن من الصعب جداً ان مجرد الانسان نفسه من غوائل المحيط ويستخلصها من شوائب المجتمع والبيئة ويستنقذها من الروابط المتبادلة بينه وبين أفراد الداس ، وكذلك استخلاصها من التمصبات الطائفية - وهي الداء الويليل - والمرض الفتاك في المجموعة البشرية ، فان الابتعاد عن كل ما ذكرناه صعب مستصعب بعيد المنال .

وكذلك يصعب على الكاتب الابتعاد عما أنشأ عليه من التربية ، حيث كان طفلاً صغيراً إلى أن ترعرع فأصبح يافعاً وكهلاً ، فكيف يتجرد من آثار تلك التربية التي حالفته من نعومة أظفاره الى أن قوى ساعده واشتد عليها عظمه وقويت عليه شكيمة وعزمه ؟ وكيف يمكنه الابتعاد عن تلك الغرائز الفطرية التي نما عليها بدنه وهي تتجاذبه بحكم سلطانها وبقوة سلطتها النافذة وهي الهيمنة عليه بجميع حواسه وادراكاته ؟

فالغريزة قوية البقاء ، والتربية شديدة المفعول والبيئة قوية الملمطة ، ومن وراء ذلك جاذبية المحيط والبيئة : فهل ترى مع هذه العوامل الشديدة المفعول التي تمكنت فيه ونفذت في أعماق نفسه وتفكيره وارتكزت في خاطره وذهنه منذ نشأ وأدرك الى أن أصبح رجلاً قوي الساعدين مفتول العضدين ، أترأه يتمكن من التجرد عن ذلك كله ليسكون حراً في منطقته صادقاً في كلامه ؟

فنقول : إن ذلك نادر جداً وقليل الوجود عياناً خارجاً ، ومع

هذا الذي قلنا فيمكن أن يكون الكاتب قوي الإرادة متمكناً على السيطرة التامة على أعصابه ونفسه ، ويمكنه توجيه غرائزه وعواطفه بقوة عقله وهيمنة تفكيره ووعيه ، بأن كانت تربيته حسنة ونشأته طيبة ، ومثل هذا ليس بعزيز .

وإن مثل هذا الكاتب لو تعصب في بعض المجالات أو اتقى إلى بعض الفرق أو دافع عن بعض الفئات في بعض المجادلات والمناظرات الاجتماعية أو الدينية - كما لو تعصب لأمة من الأمم أو انحاز إلى طائفة من الطوائف إذا كان مع المنطق الصحيح والقول الصريح المقبول بما يرضي الطرف المقابل ، وكان غير مدهن في الكلام ولا مداج في التعبير ولا يبغض الناس حقوقهم ، بل كان قوله مع البرهان ومنطقه مع الدليل والبيان وكلامه مع الحججة ، فالانصاف أن انصاف هذا المؤلف بهذا الوصف لا يخرج عن كون كتابته في سبيل الخدمة العامة ، فإن معظم الكتابات لا تخلو من هبوط إحدى كفتيها عندها ورجحان إحدى جنبتيها فيها ، وقد توصف بالوصفين معاً من وجود نفع فيها من جهة ووجود ضرر فيها من جهة أخرى ، فربما يكون الكاتب نافعاً لأمة أو لفرقة وضاراً لأمة ولفرقة أخرى .

ولكن المهم على مثل هذا المؤلف أن يحكم نزاهة ضميره فيما يكتبه ، ويحافظ على أمانته في كتابته ، وإن يوجه مجموع فكره وجل اهتمامه إلى بيان اظهار الحقائق التي يستطيع جمعها في كتابه بلا تكلف فيما يعبر ولا تأنيق فيما يملئ ويكتب ، ولا يغير شيئاً بحسن التنسيق ، بل يكون محافظاً على سلامة المعنى وتأدية الواقع ، لأن الناس إلى بيان الحقائق أحوج منها إلى تفسيق الالفاظ ورشاقة القول ورقة الاسلوب .

وهذه الخطة هي التي يجب أن يسير عليها الكتاب في كتابته والمؤلف في تأليفه في أي موضوع حاول أن يكتب وفي أي علم رغب أن يؤلف ، فان ذلك المنهج مما يرضي العقل والضمير والعقيدة والايمان ، ويكون قد أدى واجبه المقدس من خدمة أفراد المجتمع خدمة طامة صالحة للجميع ، وتلك من الغايات السامية التي يتحلى بها بعض الكتّاب والمؤلفين .

الفائدة الرابعة - ٤ -

في حقوق الطبع والتأليف

لم تزل المؤلفات التي تخرجها المطابع في العصر الحاضر مرفقة بكلمات تم عن اختصاص ذلك التأليف بالمؤلف نفسه أو ما يؤدي هذا المعنى ، كمثل (جميع الحقوق محفوظة للمؤلف) ويراد بها حقوق الطبع والنشر والترجمة وما الى ذلك من الفوائد التي تستتبع وتعود للمؤلف ، والسر في تدوين هذه الكلمات على الغلاف أو داخل الكتاب نفسه :

هو ان الانتاج العلمي والمواهب الفكرية ، التي اكتسبها الانسان بكده وجده ، واستحصلها من مزاولة جهوده وأتباعه ، ووصل الى ثمارها وريعها بالتعلم هي من الجهود التي تحمل أعباء ثقلها صاحبها المنتج لها ، المخرج لها من عالم العدم الى عالم العيان والوجود ، سواء وصف بوصف المؤلف أو الكاتب أو المخترع ، فان هؤلاء الذين اتصفوا بهذا الوصف يحق لما أنتجوه أن يكون حقاً خاصاً من حقوقهم ، وهم أصحاب الامتياز الذي ينسب اليهم ، كما نجد ذلك التعبير كثيراً في نشرات الصحف والمجلات ، بأن فلاناً صاحب الامتياز ، أو غير ذلك من التعبير .

وقد نتوسع في القول ونذهب بأن الانتاجات العلمية - كالمؤلفات من الكتب وغيرها - هي أعظم شأنًا مما تفتجها الاتعاب البدنية - كالذي ينشؤها النجار أو الحداد أو البناء أو المخترع لهذه الموجودات الحديثة الجديدة وأمثالها ، لاسبقية العلم على العمل ، فان الاعمال الخارجية التي تصدر من الجوارح البدنية لا تكون إلا بعد العلم والمعرفة ، فما يصدر من الجوارح من الاتعاب فهو موصوف بوصف التطبيق ، والتطبيق لا يمكن أن يتحقق إلا بعد العلم وتحصيل ما يحتاجه المطبق من المعرفة ، ثم من بعد ذلك يكون التطبيق عملياً .

ولذلك ورد الحديث الشريف في طلب العلم في قوله ﷺ : « اطلبوا العلم ولو بالصين » .

والغاية من الحث على طلب العلم لاجل التوصل الى تطبيق العمل تطبيقاً صحيحاً ، وإلا فلا يكون تطبيقاً علمياً .

هذه جهة قد نستفيد منها ارجحية العلم شأنًا على العمل خارجاً ، لأقدمية الأول شرفاً على الثاني منزلة .

ولأجل هذا السر المربوط بين العلم والعمل نجد أن الجوارح الخارجية لا يصدر منها أي فعل من الأفعال إلا بعد اشارة القلب المنبعث عن الروية والتفكير ، كما يشير الى هذا المعنى قول المتنبي :

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني

وهناك جهة أخرى قد تدلي بالحجة على أن الاتعاب الفكرية لها الامتياز والتقديم على الأتعاب البدنية ، فرجل العلم أرفع شأنًا من رجل العمل ، وهذا لا ينعم مما هو معترف به عند الجميع من أن الغرض المقصود بالعلم هو ارادة التطبيق والعمل ، ومع ذلك نذهب الى أن رجال العلوم

والمعارف هم أولى بالعناية من رجال الأعمال ، لأن أتعاب رجل العلم أشد تأثيراً على جهاز البدن من أتعاب رجل العمل .

بل نقول : ان البدن ينمو بمزاولة الأعمال البدنية ، كما نجد ذلك في الاشخاص الذين يمارسون الرياضة البدنية - بخلاف رجل العلم الذي يمارس الاتعاب الفكرية ، فإنه أسرع للهرم وأقرب للشيخوخة ، كما يقرر ذلك الاطباء ويعترف به علماء الاجتماع .

ونقول - عوداً على بدءه - : إن الاتعاب بمعنيها العقلية والبدنية التي يقوم بها صاحبها الذي تنسب اليه ، وهو صاحب امتيازها والاختصاص بثمارها ، سواء كان نتاج الاتعاب مؤلفاً من كتاب ونحوه أو كان نتاج الاتعاب مخترعاً لآلة أو انشاء بناء أو ايجاد شيء من الأعيان الخارجية ، فإن الانسان يملك جهود اتعابه مهما كانت ، كما يملك الاعيان الخارجية بالتعب والتكسب ، فلا يجوز للغير التعدي عليه ، لأن ذلك من الظلم والعموان ، وهما قبيحان عقلاً وشرعاً وقانوناً واجتماعياً .

وهذا القرآن الكريم يصرح في جملة من آياته بذلك ، قال الله تعالى : ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً * ومن يفعل ذلك عدواناً وظلماً فسوف نصليه ناراً وكان ذلك على الله يسيراً ﴾ (٢) .

وفي الحديث الشريف . « لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب

(١) البقرة : ١٨٨ .

(٢) الفساد : ٢٩ - ٣٠ .

نفسه « وأمثال ذلك من الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة كثير جداً ،
نكتفي بالادلة بما ذكرناه

أضف الى ذلك الدليل حكومة العقل والوجدان في استقلاله بعدم
جواز اغتصاب حق الغير والمدونات على ثمرات العقول ، اضافة الى نظم
الحكومات والسلطات ، فان من جملة ما يدرج في مواد الدستور الذي
تشرعه الحكومات للشعب هو حفظ حقوق الناس ، وفرضت العقاب أو
الحسارة المالية على المتجاوزين على ثمرات عقول الآخرين ، وتدفع تلك الحسارة
المالية الى صاحب الكتاب أو صاحب الامتياز (١)

ومع هذا كله ، فان اغتصاب حقوق الغير أ كان من الثمرات العقلية
أو الاعمال البدنية فيه من المحاذير التي تتولد من جراء ذلك الاعتداء - من
المنازعات والمشاجرات - التي تؤدي الى الويل والثبور ، الذي يجرب بالفتك بين
المجموعة البشرية والتفرقة بين الناس ، فيسود الفساد بين العباد ، من أجل عدم
حفظ حقوق الناس ورعاية مواهبهم .

ومما يدلنا بالحجة الواضحة بأن عمل الانسان - مهما كان نوعه وشكله -
هو مقدر ومحترم ، وله أمر مفروض ، قوله تعالى : ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملاً ﴾ (٢) .

وأى وزر هو أعظم خطراً من التعدي على حق الانسان ، خصوصاً
ذلك الحق الذي استحصله بجهوده وبسهر ليليه ، فان التأليف - مهما كان
وفي أي موضوع تناول - فيه من الانتعاب المفضية والمشقات الكثيرة
مالا يوصف ، فان لصاحب التأليف فضل لا ينكر ، مما يلاقيه ويقاسيه من البحث

(١) دائرة معارف فريد : ١ / ٤٦٤ .

(٢) الكهف : ٣٠ .

والفحص في بطون الكتب وفي زوايا الطوامير وما بين الاوراق والصحف ،
فكم يبذل من راحته الساعات الكثيرة في سبيل الوصول الى شيء من ثمرات
تلك الكتب التي يقلبها ، ليقف على ما يستحسنه ويرتضيه ، فلعله يوفق
الى رضا المطالعين ، وكم يبذل من الاوقات الثمينة لاجل تحصيل بعض
المقتطفات من المعارف التي لا تقتنص إلا بـمد أمد بعيد من الوقت
والتفكير ١٢ .

ويحق للقراء الكرام وجميع المطالعين أن يقدرُوا جهود كل مؤلف ،
وأن يقيموا الوزن لكل تأليف ، اذا كانت عليه صبغة علمية ووسام ثمرات
فكرية ، مما يمود بالنفع الى الجميع في سبيل الصالح العام واناة الفكر
وتنوير المواهب ، فان كل مؤلف يخرج المطابع مما انتجته الافكار
الحرة المستقيمة يعيد من الثمرات المافمة التي أتت بها جهود المؤلفين
والكتّاب .

واننا أصبحنا - في فترة من الزمن - بأمس الحاجة الى اظهار العلم
الذي ينفع في أي موضوع كان مما فيه توجيه للفرد نحو ما يصلحه ، كما
واننا بحاجة ملحة الى كل كتاب يؤلف ، مما يسد فراغا « في المكتبة العربية
الاسلامية » قبل أن يشغل ذلك الفراغ بهذه الكتب الجديدة التي سمت أفكار
شبابنا فجعلتهم فرقا وأحزابا ﴿ كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ .

في حين انهم لا يشعرون بأنهم مسيرون من قبل ناشري تلك الكتب
المسمومة ، ليسلكوا بهم الى غير السبيل المستقيم ، فراحوا يخبطون خبط
عشواء في ليل داج وجهل مميت للقلوب .

فيجب على العالم اظهار ما عنده من العلم ، كما في الحديث الشريف :
« اذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه » فان نشر العلم عن طريق

التأليف هو من أعظم وسائل طرق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،
وان العلم هو غذاء العقول والقلوب ، إذ به قوامها . كما وان الاكل
والشرب هما غذاء الابدان وبدونها يؤدي بالجسم الى الهلاك ، فالبدن
محتاج الى العلم كحاجته الى ضروريات حياته البدنية بحسب تكوينه
وانشائه .

وان العلم لا يتم الانتفاع به ولا تنكل فائدته إلا بعد تدوينه
وتأليفه ، وايداعه في بطون الكتب ، وتسجيله في طي الطوامير والوثائق ،
وهنا تتجلى لناحكة أتعاب المؤلفين ووجوب مراعاة حقوقهم ، والعناية بهم
وبشؤون ماينتجونه من المعارف ، ويقبض من جانب العقل اضاءة مايدونونه
من العلوم ، فان ذلك من معتصرات عقولهم وأفكارهم .

واليك بعض الحديث عما كان يصنعه خلفاء المسلمين ، بل جميع
الملوك والسلاطين من مراعاة تلك المواهب العلمية ، فكانوا يفرضون المعطاء
الجزل والمال الكثير الى الشعراء والخطباء ، وكان المؤلف اذا أنتج كتابا
جديداً واخرجه الى عالم الوجود يقدمه الى الخليفة أو الملك ، فيحظي
عنده بالمنزلة السامية ويختص بالمعطاء الكثير ، كما يحدث المؤرخون عند تقديم
شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، الى الوزير ابن العلقمي .

ومن تصفح التاريخ في مثل هذه المناسبات يقف على الشيء الكثير
من ذلك . نعم كان الخلفاء والملوك السابقون يمنحون الشاعر أو الخطيب
أو المؤلف بالمعطاء ، ولكن بعنوان الهدية والصلة تشجيعاً له وتقديراً
لفضله .

لكن هذه الفكرة قد نمت في بعض الأمم الغربية - كالأنكليز
وغيرهم من الدول - حتى اعتبرت أن كل إنتاج علمي مما يستحق عليه

صاحبه العوض أجراً وتعويضاً ، حتى أن المؤلف قد مرت على حياته التاريخية بعض الظروف ، فكان لا يرضيه عوض تأليفه وثمرات عقله انال الكثير .

والسبب في جعل العوض قبالته حيث أن أول أمة قدرت حق التأليف هي الأمة الانكليزية (١) ، ولا عجب لهذه الأمة في أسبقيتها لهذه البادرة ، فانها تاجرة بطبيعتها ، كما يقوله صاحب دائرة معارف قرن العشرين - فهي تاجرة في كل شيء حتى في العلم والانتاجات العقلية ، والثمرات الفكرية .

والسبب الدافع لجعل العوض والأجرة في مقابل الثمرات العقلية ، قد يعزى الى أمرين :

(الأول) حيث قد عرفوا جهود ذلك التعب الذي يتحمله (المؤلف) فأعطوه تلك الاجور مقابل تعبهم .

(الامر الثاني) وهو أعظم شأنًا وأشد تأثيراً ، وهو أن الامم حيث انتشر فيها التعليم ، وكثر فيها الميل لثمرات القرائح ومن أجل ذلك قد تصدى لاستغلال هذا الميل رجال المطابع ، فراج بينهم المؤلفون فيروى أن الكاتب (سويفت) أخذ أجراً على كتابه المسمى (جوليفر) ٣٠٠ جنيه و (جونسون) أخذ ١٣٧٥ جنيهاً أجراً لقاموس ألفه ، وفي سنة ١٧٧٩ م طلب من ناشر كتبه ٢٠٠ جنيه ثمناً لكتاب (تراجم شعراء الانكليز) ، وباع (فييلدنغ) روايته المسماة (اميليا) بألف جنيه .

ولم يلبث هذا الميل أن انتقل من الانكليز ، فنشأ في فرنسا ، وهناك حسنت حال المؤلفين ، وراجت بضاعة المتأدين ، حتى بيعت رواية

(١) دائرة معارف فريد : ٤٦٣/١ .

اليهودي التائه (ليفيكتور هوجو) بمائة الف فرنك ، واشترت جريدة
الديبا رواية (الأسرار) بمائة وستين الف فرنك .

لذلك لم تقتنع الدول والحكومات الزمنية من نفسها بتقديم الأوسمة
التكريمية لنوبي المواهب العالمية والقرائح الفكرية ، كما لم يرتض المؤلفون
بهذا التكريم .

فقد روى أن المؤلف اليوناني (سفوكل) كان يكتفي من المكافأة
على مؤلفاته أن ينال تاجاً من بعض الزهور ، وقد كانت هذه اكرم
مكافأة تعطى لرجال العلم ، وتعتبر ألبق من المكافآت المادية ، ولكن
امثال (سفوكل) اليوم لا يرضيهم أمثال هذه المكافآت الفارغة ،
ولا يرون أدنى هزيمة عليهم في استغلال نمرات قرائحهم ، حتى لا يكونوا
عالة على غيرهم ، ولا كيلا يضطروا الى الانقطاع عن التأليف بسبب
الكد وراء معاشهم .

فقد روى أن (هيرودوت) المؤرخ اليوناني حين قرأ على
الأتينيين : وهم مجتمعون في ساحة الالهاب الاولمبية القطعة التي تتعلق
بهم في كتابه منحوه قدرأ يوازي ٢٤٠٠٠ فرنك ، وفي الوقت نفسه
قام شاعر يدعى (شيريل) فجد بقصيدة عامرة الابيات انتصار اليونانيين
على ملك الفرس المسمى (اكسركسيس) فأعطاه اليونانيون عن كل
بيت من قصيدته قطعة من الذهب .

ولعل من هذه البادرة التي دفعت الناس الى تقدير هذه الاريحية
ما نجاهه في وقتنا الحالي عند تلاوة القصائد باللسان الدارج الملهوف
بمناسبة المواكب العزائية الحسينية من قبل القاريء (الرادود) فيخلع
عليه بالجوائز المالية والتكريمات المادية ، اضافة الى ما يلاقيه من استحسان

الحاضرين واطاعة أبيات القصيدة مرتين فأكثر ، خصوصاً اذا كانت القصيدة فيها من التعريض والنكات ، حسب الذوق المرغوب فيه على نهج الطريقة التي يخنارها الرادود ، مع الصوت العذب المنبعث عن الفن .
ومما يدلنا على أن الحكومات الزمنية لم تكتف بتقديم الأوسمة التكرمية لذوي المواهب العملية ، بل عمدت الى تقديم المنح والجوائز المالية لهم ، ولدينا بعض الشواهد على ذلك حيث نشرت بعض المجلات البغدادية (١) تحت عنوان (جوائز الدولة التقديرية في العربية المتحدة) جاء من العربية المتحدة أنه تقرر منح جائزة الدولة التقديرية الى الاستاذ محمود تيمور في الادب ، والدكتور أحمد بدوي مدير جامعة القاهرة في العلوم الاجتماعية ، والمهندس علي لبيب جبر في الفنون ، وان هذه الجائزة الممنوحة لهؤلاء الادباء والدكاترة قيمتها ٢٥٠٠ جنيه وميدالية ذهبية لكل منهم ، كما وأنه قرر المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم منح ثمان جوائز تشجيعية في الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، وتبلغ قيمة الجائزة ٥٠٠ جنيه .

وذكرت المجلة نفسها في موضع آخر تحت عنوان (أجور كتّاب القصة بالعربية المتحدة) : تشكلت لجنة من محمود شعبان ومحمود حسن اسماعيل ويوسف الخطاب ومحمود علوان ، وبحث عن الاجور التي يتقاضاها كتّاب القصة من الاذاعة ، وأسفرت عن الذين يتقاضون ١٥ جنيهاً ، هم توفيق الحكيم ، ونجيب محفوظ ، واحسان عبد القدوس ، وسعيد عبده ، ويوسف جوهر ، وفتحى غانم ، وهناك ٢٧ مؤلفاً يتقاضى كل منهم

(١) مجلة المكتبة : السنة الرابعة : العدد - ٣٥ - ٣٦ | ص ٤٦ ،

١٠ جنهيات عن القصة ، و٩ من مترجمي الروائع العالمية .
ونشرت المجلة ايضاً أن المجلس الأعلى ذكر في مذكرته الي الحكومة
العراقية بأن جائزة قيمتها ٢٠٠ ديناراً ستمنح لأحسن دراسة تتناول
شاعراً عربياً عاش في القرن التاسع عشر والقرن العشرين .
ويجد الباحث المنقب أمثال ذلك كثيراً فيما تنشره الصحف وتخرجه
المجلات وتذيمه دور البث والاذاعات ، مما يوقفنا على تقدير الحكومات
والدول لنتاج ذوي المواهب في جميع ما ينتجون من المؤلفات وما يخرجون
من النشرات والكلمات ، فلا يجوز عقلاً ولا شرعاً ولا قانوناً اغتصاب تلك
المواهب والاعتداء عليها ، بل هي حق من حقوق صاحبها المنتج لها ،
ومن تعرض لاغتصاب هذا الحق فقد عرض نفسه الى الخطأ والمخالفة التي
من أجلها يستحق العقاب ، ويطبق في حقه قانون الحكومات الزمنية
بحسب تلك المادة .

ومن أجل هذا كله - مما أوضحناه للمطالعين - يجد القراء في كل
كتاب يفشر قد طبع على غلافه أو الصحيفة الثانية من نفسه هذه العبارة
(جميع الحقوق محفوظة للمؤلف) أو عبارة (حقوق الطبع والنشر والتأليف
والترجمة والنقل محفوظة للمؤلف) أو أمثال هذه العبارة .

الفائدة الخامسة - ٥ -

في اختلاف كلمات الاهداء

اعتاد جماعة من المؤلفين دون جماعة أخرى على تقديم مؤلفاتهم وتصديرها قبل الشروع في موضوع الكتاب بكلمة يعبر عنها بـ (الاهداء) وكان هذا الاعتياد مسبوقاً ومألوفاً في العصور القديمة ، وان لم يكن بهذا اللون الخاص ، ولكنه لا يمدو أن يكون غرار صبغة الخطباء والمعلماء الذين يقدون على الملوك والخلفاء ، باستثناء المؤلفين الذين هم في معية الملوك والسلاطين ، حيث أن هؤلاء كانوا يسيرون الحركة العلمية المرتبطة بصلاح شؤون الدولة أو الخلافة القائمة آنذاك ، وهؤلاء لا يخرجون عن نطاق وصف الموظفين وان كانوا يحملون الشعارات العلمية وصبغة العلماء ، وباستثناء المؤلفين (من علماء الشيعة الجعفرية) الذين كانوا ينتجون المعارف ويدونون العلوم قاصدين تعليم تلاميذهم ليفشروها بين عامة الناس ، لأن واجبهم الديني يفرض عليهم نشر العلوم وبيان الاحكام الشرعية .

والتأليف هو منهج من مناهج البث والفرش ، وان جماعة علماء الشيعة ، من المؤلفين ومن غيرهم ليست لهم صلة ولا مواصلة مع السلطات الزمنية ، أكانت موصوفة بوصف الخلافة أم بوصف الملك والسلطان ، فهم كسائر الناس المواطنين لهم ميزتهم الدينية وصبغتهم العلمية ، يحتف بهم العام والخاص من جميع الطبقات لاجل اكتساب ما عندهم من العلوم .
وحياتهم مع جميع أدوار السلطات التي مرت على تاريخ الاسلام - كحياة أئمتهم عليهم السلام - في زمان تاريخ الخلافة العباسية حتى اليوم ، وهم على تلك الشاكلة - إلا ما ندر منهم - ممن رأى المصلحة الدنيوية تدفعه للخوض بين الناس باكثر من تدوين العلوم والمعارف ، فكانوا يواصلون ويتصلون ببعض السلطات لاجل بعض المصالح التي رأوها تحتم عليهم هذا المنهج - وهؤلاء زمرة قليلون - .

ونحن لا نريد التعمق في حياة العلماء من السالفين والمعاصرين من علماء الشيعة وفي مواقفهم الدينية مع السلطات القائمة ، فان ذلك يؤدي الى الخروج عن الموضوع ، كما واننا لا نريد البحث عن حياة المؤلفين في المصور المندثرة الغابرة لكي نعرف موقفهم في اهداء مؤلفاتهم لمن يريدون الاهداء له ، فلننا بصدد أولئك ولا هؤلاء ، وانما نريد الحديث مع القارىء لنقف معه على معرفة لسان الاهداء الذي وجدناه مختلف التعبير والصبغة في العصر الذي نعيش فيه .

ونعتقد أن تعبير الاهداء قد شمله من التطور ما شمل جميع مرافق الحياة حتى دخل في جميع الفنون والمعارف ، ومن فضيلة هذا التطور انتشار المؤلفات وتدوين العلوم في مختلف المعارف ، حتى بلغ التأليف الى الغاية وتجاوز الحدود والنهاية ، ومع هذا فان النتائج العلمية في دور التصاعد

والارتقاء ، كل ذلك مما يدلنا على تقدم الوعي في جميع الطبقات ، وحبهم للاطلاع على ماخفي من العلوم ، ولسنا بهذا الصدد ولكن نقول : انما قد سبرنا جملة من عبارات الاهداء وقرأنا كثيراً من كلماته المختلفة البيان والاسلوب المدونة على صفحات هذه الكتب ، التي تفتجها مطابع مصر والعراق وسوريا ولبنان وغيرها من البلدان العربية ، أو بقية البلدان غير العربية ، فأعطتنا تلك القراءات والمطالعات نتيجة ، هي : أن الغالب في بواش الاهداء هو العاطفة المتولدة من الروابط والملائق بين المهدي والمهدي له .

وهذه العاطفة كما عرفها علماء الاخلاق والاجتماع بأنها « قوة جاذبية داخلية تثيرها العوامل الخارجية وتندرج في النمو والارتقاء ، تابعة في ذلك ارشاد العقل ووحيه ، فلا تلبث أن تمتد من القوى العقلية أو تكاد » (١) .

وهذه الملائق والروابط إما أن تكون فردية أو اجتماعية ، أو دينية أو مادية ، لذلك فان العاطفة قد توصف بأحد هذه الاوصاف ، ويصح أن تضاف الى واحد منها ، فيقال « عاطفة دين » لأن المحفز لها العلاقة الدينية كما يقال « عاطفة اجتماع » وهكذا .

ومن أجل هذه النسبة التي استفدنا منها هذا المحصر ، وجدنا ان الاهداء تارة يحمل صبغة العاطفة الدينية ، وأخرى يتصف بشعار العاطفة الفردية ، وثالثة تتوسم فيه العاطفة الاجتماعية ، ورابعة يوصف بالعاطفة المادية وحب الجاه .

أما الاهداء الذي يحمل الصبغة الأولى ، فهو الذي يكون اليه تعالى ،

(١) الخلق الكامل : ١ / ٣٨ .

أو الى رسوله الصادق الامين ، أو الى أحد من الأئمة اليمامين ، أو الى أحد من الأنبياء السابقين ، أو أوصيائهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

والذي يدلنا على أن الاهداء اليه - تعالى شأنه - هو من اللون الذي يحمل صبغة العاطفة الدينية ، هو أن الانسان حينما يستعرض جانباً من تلك الفيوضات الالهية التي لا تعد ولا تحصى ، وينظر الى تلك النعم الربانية التي لا تستقصى ، ثم يستعرض جانباً آخر مما عرفه من صفات خالقه تعالى ، وانه الذي أنشأه بشراً سوياً ، فأعطاه تلك الجوارح الظاهرية والمواهب الباطنية ، وأنه الذي منحه بجوهر العقل وقوى الشعور وصفة الناطقية ، وانه تعالى هو الخالق الرازق المحيي المميت ، وانه الرحمن الرحيم ، وأنه على العرش استوى ، وعلى الملك احتوى ، واحداً لا أحد سواه ، فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن ، وأنه على كل شيء قدير ، وهو الذي يجمع الناس ليوم لا ريب فيه فتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ، فهذه العوامل الخارجية التي يستعرضها الانسان تولد في نفسه عاطفة تدفعه الى تقديم ما يجب عليه تقديمه من الطاعة ووجوب الانقياد اليه تعالى - بسبب حكم العقل ، بوجوب شكر المنعم - كما يقول تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾ (٢) .

(١) الذاريات : ٥٦ .

(٢) لم يكن : ٥٥ .

ومن أجل حكمة وجوب شكر المنعم شرعت الاحكام الشرعية على
لسان الانبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين ، وان المؤلف حينما
يقدم ما انتجه من المواهب العالمية ، بحسب ما أوتي من الفضل والمعرفة ،
ويجعل اهداء مؤلفه اليه تعالى ، فان ذلك من باب العاطفة الدينية التي
تولدت عنده من تلك العوامل الخارجية التي نوهنا عنها ، فان العبادة
لها آثار وصور ، واهداء التأليف لساحة الحق تعالى هو لون ومظهر
من مظاهر العبادة ، يريد ان يتقرب به العبد ليحضى بالزلفى
لديه تعالى .

وعلى غرار هذا اللون يكون الاهداء الى الرسول الصادق الامين
خاتم الأنبياء وأفضل المرسلين ، أو الى الأئمة الطاهرين ، أو الى الانبياء
السابقين وأوصيائهم صلوات الله عليهم أجمعين .

والعوامل الخارجية التي كونت تلك العاطفة الدينية في نفس المهدي
حينما يقدم اهدائه الى تلك الذوات المقدسة هي ما يلي :
فان من قرأ تاريخ حياتهم ، وسبر مناهج سيرتهم ، وأحاط معرفة
بقيامهم بأعباء نشر الدعوة الى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) وعرف
فضاهم المنهك ، وجهادهم المميت ، في سبيل اعلاء كلمة الحق - كما نطق
به الصادق الامين الرسول الاعظم بين جماهير الطغاة من المشركين الذين
كانوا يكفون على أصنامهم ويعبدون أوثانهم ونيرانهم ، فصدع معلناً
مجاهراً غير مبال ولا مكترث ، موقناً بالحق متصفاً بالصدق شعاره « قولوا
لا إله إلا الله تفلحوا » .

وهذه سجلات تواريخ الانبياء وأوصيائهم كشفت لنا مواقفهم
أمام سلطة الظلم والظلم ، وتيار الجور والفساد ، الذي عم العباد وشمل

البلاد ، وانتشار تفسخ الاخلاق بين الناس ، كما صرح القرآن المجيد بذلك حيث قال تعالى : (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) (١) .

وما اكتفى المشركون بما يعملون من ظلم الناس وجورهم وقتل النفوس المحترمة حتى عمدوا الى قتل الانبياء وتعذيبهم ووثد البنات البريئات ، ومع هذا كله فلم يعبأ الانبياء (ع) بتلك الاتعاب والاذايا من القتل والتبعيد وغيرها ، بل وقفوا مناضلين عن الدين ، ومجاهدين في سبيل صالح البشر ، قاصدين هدايتهم ، راغبين الى اصلاحهم بكل ما يستطيعون من حول وطول ، وقد تباروا على اظهار دعوتهم الدينية ، وصمموا على ابداء ما يجب عليهم من نشر تعاليم الدين وارشاد الناس الى العدل والانصاف ، واخراجهم من الظلمات الى النور .

وكانوا صلوات الله عليهم أجمعين يمارسون مختلف الاساليب في بث الدعوة الى توحيد الله تعالى من وعظ الفراعنة والجبابرة تارة امام الجماهير والمجتمعات ، ليكون ذلك أوقع في نفوس الآخرين ، فان الذي لا يهاب السلطان لايهمه بقية أفراد الرعية ، وان الوعظ من هذا اللون مما يدل على قوة الجنان ، وعدم المبالاة بما يلاقه الواعظ من السلطان الجائر الظالم الفاجر ، وهذا لا يقوم به إلا من قويت عقيدته ، وثبت ايمانه ودينه وديانته .

وتارة أخرى ينهجون سبيلا آخر للوعظ ، كإظهار المعاجز والآيات الالهية التي يعجز عن الاتيان بمثلها البشر - إلا من كان متصفاً بالعصمة من الانبياء وأوصيائهم - .

(١) الروم : ٤١ .

وقد تظهر بعض الكرامات على أيدي أولياء الله تعالى لكن لا على نحو المعجزة ، وان المعاجز التي تظهر على أيدي الانبياء وأوصيائهم تختلف باختلاف الامم والازمان ، كارغام السحرة من آيات موسى عليه السلام لكثرة علم السحر في ذلك الوقت ، وكاحياء الموتى من آيات عيسى عليه السلام لكثرة علم الطب في الوقت الآخر وهكذا ، وكآية الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله القرآن الكريم لانتشار الفصاحة والبلاغة والخطابة والشعر ، فكان القرآن معجزة خالدة اخرس البلغاء وحرير الفصحاء .

وهناك منهج ثالث قد يلتجئون اليه حينما لا يجدون أثراً لدعوتهم ، ويكثر الايذاء لهم وتكثر السخرية بهم ويتهمون بانهم غير صادقين فيما يقولون ، فيتضرعون بالدعاء الى الله على الكافرين والجاحدين ، فتظهر آثار الداء عليهم من الخسف بهم أو من المسخ أو الموت أو الطوفان أو الجراد أو القمل والضفادع آيات ، ومن نزول النار من السماء عليهم ، ومن الرمي بالحجارة من السماء ، وأمثال ذلك من العبر السماوية والآيات الالهية .

ومن نظر الى تاريخ حياة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأساليبه التي اتخذها لظهور دعوته الى الحق ودين الله القويم ، يتجلى لديه عظمة مقامه وشرفه ومنزلته على سائر الانبياء والمرسلين عليهم السلام ، فان أساليب دعوته الى كلمة التوحيد (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا) كانت مملوءة بمكارم الاخلاق ، وان كانت لديه من المعاجز الكثيرة التي ظهرت على يديه من تكلم الحصى وانشقاق القمر وحنين الجذع وغير ذلك من المعاجز الكثيرة المملوءة بها كتب السير والتواريخ ، ومع ذلك فان أوقع معاجزه تأثيراً في النفوس وأمضاها وقماً ونفوذاً هي القرآن الكريم ، الآية الخالدة التي حير العقول في بلاغته ﴿ قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن

يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً (١) فا سمع احد تلك الآيات الباهرة ، إلا انصاع لمفعولها مؤمناً بأنها وحي منزل من جانب الحق ، إلا من طبع الشيطان على قلوبهم فأصمهم واعماهم واصل افئدتهم ، فهم كالأنعام بل أضل سبيلاً .

والمعجزة الثانية التي اختص بها هي مكارم الاخلاق ، فكان يقابل ما يلاقيه من مشركي قومه من الاذايا والتعذيب والتعرض له بكل ما يستطيعون من الايذاء ، ومع ذلك كان يقابل ذلك كله برحابة صدر وسمة خلق ، فيقول : « اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون » ولا زال يكرر قوله : « اني بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » وقد وصفه القرآن المجيد مادحاً له تلك الفضيلة ، قال تعالى : (وانك لعلى خلق عظيم) (٢) .

كما قد اختص بأية الجهاد دون بقية الانبياء السابقين ، قال تعالى : (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلق عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير) (٣) .

وفي الحديث الشريف : « إن الجهاد باب من أبواب الجنة » ففاضل وجاهد وعذب وأوذى هو وخلص أصحابه وأوصيائه الطاهرين ، ولاقى من فراعنة زمانه وجبابرة أيامه من مشركي قومه أنواع المهن والعذاب ، ومع ذلك لم يفتأ مصراً على نشر الدين بين الناس ، لئلا يكون للناس على الله حجة ، فكان يفشر تعاليم الدين المتكفلة لسعادة

(١) الاسراء : ٨٨ .

(٢) القلم : ٤ .

(٣) التوبة : ٧٣ .

البشر في حياته الدنيوية والاخرية ويثبت معالم الشريعة الفراء - المستمرة
أحكامها مع جميع أدوار الحياة في كل زمان ومكان - كما هو نص
الحديث الشريف : « حلال محمد حلال الى يوم القيامة وحرام محمد حرام
الى يوم القيامة » .

فإعطاء النظرة الحافظة لتاريخ حياة الانبياء وأوصيائهم وما لاقوه
من الاتعاب في سبيل اعلاء كلمة الحق ونشر العدالة بين جميع أفراد
بني آدم ﷺ ، وإعطاء النظرة الحافظة في تاريخ حياة صاحب الرسالة
المحمدية (ص) ينكشف لدى كل انسان أن هؤلاء الذوات المقدسة ناضلوا
من أجل الدين وحوربوا من أجل نشر العدالة ، وجاهدوا في سبيل الله تعالى ،
كما قال تعالى : ﴿ لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم
وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون ﴾ (١) .

ويحسن بنا أن نشير عطفاً على معجزتي الرسول محمد ﷺ - وهما
القرآن ومكالم أخلاقه - أن هناك شيء يحق أن يطلق عليه بالمعجزة
أيضاً ، كما أشار الحديث الشريف الى ما يرمز الى ذلك ، قال ﷺ :
« ما قام الاسلام إلا بأموال خديجة وسيف علي بن أبي طالب ﷺ » .

ولا تنسكروا مواقف أبي طالب ﷺ ونصرته للنبي وللدين الحنيف ،
كما يقول ابن أبي الحديد المعتزلي :

لما مثل الدين شخصاً فقاما	ولولا أبو طالب وابنه
وهذا يثير حبس الحماما	فذاك بمكة آوى وحامى
وأودى فكان علي تماماً	تكفل عبد مناف بأمر
قضى ما قضاه وابقى شماما	فقل في ثبير مضى بعدما

(١) التوبة : ٨٧ .

فلهذا فأنحأ للهدي ولله ذا المعالي ختاماً

وما ضر مجد أبي طالب جهول لفي أو بصير تعامى

كما لا يضر آيات الصباح من ظن ضوء النهار الظلاماً (١)

وهذا الاستعراض الخاطف واللمحة الجزئية في حياة تلك الذوات المقدسة من الانبياء وأوصيائهم عليهم السلام ، مما يركز في نفس الانسان بعض العوامل الخارجية التي استوحاها من تلك الظواهر والمظاهر المنبمئة عن الدين ، والتي قدموا لها القرابين والضحايا في سبيل ساحة الحق تعالى ، فشكل ذلك مما يولد العاطفة الدينية في نفس ذلك المطالع في حياتهم ، فيندفع بقوة تلك العاطفة وبرغبة منه واشتياق لتقديم ما يفتجحه من المواهب العلمية نحو تلك الهياكل الروحية والاجسام النورانية ، تقرباً اليه تعالى بهم ، فانهم الشفعاء المشفعون وهم العباد المخلصون الصادقون الصديقون .

واما الاهداء الذي يتصف بصفة العاطفة الفردية - الذي استوحيناه من كلمات بعض المقدمين لمؤلفاتهم - فهو يتجلى بالاهداء الذي يكون بين الولد ووالده وبين الأخ وأخيه وبين الصديق وصديقه وبين التلميذ واستاذه .

وانما وصفناه بالعاطفة الفردية ، لأن مظاهر تكوين تلك العاطفة وروابط انشائها وايجادها مرتبطة بين طرفين لا غير ، والمؤثرات لنموها في الجسم هي من تأثيرات جسمية وخارجية أيضاً متصلة بين فردين جوهريين .

أما العاطفة الجسمية والباطنية بين الولد وأبيه - وإنما وصفناها

(١) شرح نهج البلاغة : ٣ / ٣١٧ .

بالجسمية لأن أحدها يعطف على الآخر جسماً وظاهراً وبقي أحدهما الآخر بما يتمكن أن يقي به ولو أدى الى هلاك جسمه ، ولذلك وصفناها بالعاطفة الباطنية لأن كلا منهما يحمل العطف والحنان في ضميره وقرارة نفسه ، ويحاول بكل ما يستطيع أن يوصل المسرة والارتياح الى الآخر ، فان الولد حينما يفتح عينيه في هذه الحياة بعد ان يأخذ جانباً من العواطف المتولدة في أيام الحضانة فهو متعلق بين ندي أمه ورعايتها له ، فهو في هذا الدور لا يعرف من علاقته بأبيه ولا من عطفه عليه شيئاً ، حيث لا يدرك غير المهذب والرضاع وعناية الأم ، فاذا شب ونشأ واشتد عظمه وكل نبات لحمه ، فهناك تدفمه غرائزه الى ادراك مزايا أبيه ذلك الاب الذي غمره بحنانه وعطفه وقطع الحياة أشواطاً في سبيل تربيته ولاقى كل صعب وكل مجهود مضني من الزمان ومن أهله ، كل ذلك من أجله ولأجله ، كما وصف تلك العلاقة سيد البلغاء وامام الفصحاه أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لولده الامام الحسن عليه السلام حيث يقول :

« وجدتاك بمضي ، بل وجدتاك كلي ، حتى كأن شيئاً لو أصابك أصابني ، وكأن الموت لو أتاك أتاني ، فعنك من أمرك ما يعنيني من أمر نفسي » (١) .

فان الابوة التي كانت بهذا الوصف الذي انشأ الولد على تربيته ، فهناك تتولد من أجل تلك الظواهر والعوامل المرتبطة بينهما طوال تلك الحياة التي كانت متصلة بينهما ، فتنشأ وتنمو تلك العاطفة فتدفعه الى ايجاد اثر من آثارها ليكون ولدأ باراً قائماً في خدمات والده .

ولاشك أن تقديم اهداء المؤلف ، يعتبر منبعثاً من تلك العاطفة

(١) نهج البلاغة : ٤ / ٣ - ٤٦ .

المركزة في نفس الولد ، وايس بينها من الروابط والعلاقات سوى رمز عطف الابوة ، وحكم الغريزة من جانب البنوة ، بوجود تقديم مواهبه العلمية لوالده ، لتطيب نفس الوالد فيعرف أن تربيته لم تذهب هباء وان عنايته ما راحت ضياعاً ، بل ان ماغرس قد اينع ، لذلك يحسن هذا الاهداء وان كان لمجرد العاطفة بين الولد ووالده .

وأما العاطفة الفردية - المتولدة بين الاخ وأخيه - فموامل تلك العاطفة كثيرة جداً ، لذلك قد نشر الكتاب في وصف الاخوة ، ونظم الشعراء القصائد المطولة في محاسنها ، ونظمت الحكام والمتكلمون في بيان مركزيتها في المجتمع ، فان الاخوة هي العمود الفقري الذي يرتبط به كيان جسم الانسان ، وان الاخوة التي يتوسم فيها طلائع الخير وبقراً في جبينها الصفات الجميلة ، فهي من المظاهر الطيبة والسيرة المحبوبة ، مع صدق المنطق ورقة الجانب ولين العاطفة ، وان الاخوة الطيبة من ثمرات يانع الابوة الصالحة ، والفرع يتبع الأصل طيباً ومنبتاً ، وبالعكس العكس ، كما يقول تعالى : (والبلد الطيب يخرج نباته باذن الله والذي خبث لا يخرج إلا نكداً كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون) (١) .

وقد تشذ هذه القاعدة في بعض المصاديق - كخروج الولد على غير منهج أبيه والأخ على طريق مباين لأخيه - وهذا قليل نادر .
فاذا كانت الأخوة الصالحة كما وصفناها تتمثل في شخص وتبرز في فرد ، فان ذلك الاخ مما يكثر به العدد ويشتد به الساعد ، وبه يسود المرء مجداً وسؤدداً ومحتداً ، وتقوى به قبضة اليمين ، ويهابك من أجلها كل عدو ، ويرطاك لأجلها كل صديق وقريب ، كما يقول الشاعر

(١) الأعراف : ٥٨ .

مسكين الدارمي :

أخاك أخاك ان من لا أخأ له كساع الى الهيجا بغير سلاح
فان هذه الأخوة التي تتمثل في الشخص الكامل ليعتز الأخ باخوته ،
ويحق له وبحسن به ان يقدم ما يفتجبه من المعارف التي توصل اليها
الى أخيه تقديراً للأخوة الكاملة .

وان كان الاهداء قد حفزته عاطفة الأخوة من جهة مؤثرات العوامل
الخارجية ، ولهذا الاهداء تعبير خاص يحمل صبغة معينة لا تعدو عنها الى
غيرها ، وهي لا تزال تتوسم بالركة والمطف واللين .

(واما الاهداء) الذي يكون بين الاصدقاء فهو أيضاً مسوق من دوافع
العاطفة الفردية المركزة بين الصديقين ، فان الصداقة هي المحبة بالصدق كما
عرفها علماء اللغة (١) وان الصديق هو الخل الحبيب .

وقد تعرض الحكماء والمفكرون ، لذكر أوصاف الصديق المحموده
منها والمذمومة ، وكما أن سيد الاوصياء عليه السلام ذكر بعض أوصاف الصديق
في وصيته لولده الحسن عليه السلام ، وقد حثت الاحاديث الكثيرة والاعخبار
المتواترة على اختيار الصديق الصدوق الذي يجمع الخصال الحميدة ، وقد
ورد ايضاً كثير من الاشعار الحكيمية المتضمنة لذلك .

ونحن لا نريد الخوض والتعمق في ذلك ، لانه يؤدي الى الخروج
عن الموضوع ، بل نكتفي بذكر بعض ما بينه علماء الاجتماع فيما يعتبر
في الصديق من الاوصاف :

قالوا : لا ينبغي اختيار الصديق إلا بعد اختباره ونجربته ، ويجب
أن يكون من بيت طيب منظم متحلياً بكريم الخصال متمسكاً بجميل

(١) اقرب الموارد : ١ / ٦٤٠ .

الفعال ، له عقل ودين وأدب ، لأن الانسان صورة من صديقه يحاكيه في زيه وأخلاقه وآدابه ، فكم من جبان القلب تعلم الشجاعة والاقدام من معاشرة الشجعان ، وكم من بخيل أصبح كريماً بمخالطة الكرماء ، وكثيراً من النابغين له عقل وافر ودين وأدب ، وله همة عالية يحب الرفعة والمعالي ، فعاشرتهم لها أثرها .

ولا تثمر الصداقة إلا إذا كان بين الصديقين شعور متبادل وطباع متقاربة وميول متناسبة .

قال حكيم : « نبغني عن تصاحب انبيئك من أنت » .
وقال شاعر :

عن المرء لا نسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي
وقال آخر :

صاحب أمانته تحفى بصحبته فالطيب مكتسب من كل مصحوب
كلريح آخذة مما تمر به نتناً من التبن أو طيباً من الطيب
وكثير من النابغين ينسبون نبوغهم إلى أنهم وفقوا الى اختيار
صاحب أو أصحاب أثروا فيهم أثراً صالحاً ، ونبهوا فيهم قوى
كانت خاملة .

وللصديق حقوق أهمها :

- ١ - البحث عن حاجة الصديق وقضاها .
- ٢ - مشاركته في السراء والضراء .
- ٣ - الدفاع عنه حاضراً أو غائباً .
- ٤ - شكره على حسن صنيعه والتودد اليه بحميد الكلام .
- ٥ - المحافظة على أسراره وعدم التكبر عليه ، وانه يجب له مايجب

لنفسه ، ويكره له ما يكره لها ، وان يخالقه بمخلق حسن (١) .
 فان الصديق الصدوق المشفق الحميم الذي عرف بما يحمله بين جنبيه ،
 من الوفاء وصدق المودة والاخاء وحسن المعاشرة وطيب السلوك بين الناس
 بالمعروف ، وتفقدته لما ينفع صديقه في القول والعمل ، ويحاول ابعاد الشر
 عنه بما يستطيع من حول وطول ، الذي يذكر خير صديقه فيشكره ،
 ويستتر عليه بالذكر الجميل عند صدور هفواته وزلاته ، ويستغفر له عند
 خطأه ، فان مثل هذا الصديق هو مضرب المثل المعروف « رب أخ لك
 لم تلده أمك » (٢) .

فاذا كان الصديق كما وصفناه فلا ريب أن تلك المظاهر التي يتحلى
 بها تكون باعثة لتولد العاطفة في قلب صديقه ، فيذمبت بسبب تلك
 العلاقة والصلة لتقديم اهدائه العلمي اليه ليسكون رمزاً للعودة الخالصة
 بينهما ولأجل حسن المكافأة ، فان الجميل يذكر والخير يشكر
 والمعروف يقدر .

ومن (هذه الشاكلة) واللون الاهداء الذي يكون بين التلميذ واستاذه
 ومعلمه ، حيث أن السائق لتلك الاهداء هو العاطفة الفردية بينهما من
 أجل العوامل المؤثرة لتوليدها في نفس التلميذ ، وأما وصفناها بوصف
 الفردية لانها موصولة بين فردين لاثالث بينهما يكون مشاركا ، والمظاهر
 النفسية المتكونة في التلميذ حصلت من أجل تلك التربية العلمية التي
 اكتسبها منه ، حيث أخذ شطراً من تعاليمه وارشاداته ، فتلك الجاذبية
 بينهما ولدت العطف والاتجاه من جانب التلميذ ، فان الاستاذ هو الاب

(١) الخلق الكامل : ١١٠/١ .

(٢) مجمع الامثال للميداني : ٢٩٤/١ .

الروحي الذي يكون أحق بالتكريم وأجدر بالتعظيم ، من الابوة النسبية، فإن الابوين وان كان لهما حق الاسبقية في تربية الطفل ، وان الام هي المدرسة للاولادها الصغار كما وصفها شاعر النيل في قوله :

الأم مدرسة إذا أعدتها أعددت شعباً طيب الاعراق

الأم روض ان تمهده الحيا بالري أو رق أيماء ابراق

الأم استاذ الاساتذة الالى شغلت مآثرهم مدى الآفاق (١)

وان الاب هو الذي يقطع أشواط الحياة تمعناً ونصباً في سبيل ايجاد العيش لأولاده ، فحنان الابوين لا يعدله حنان أحد وحرصهما على تنمية أولادها لا يجاريه شيء ، ومع هذا فإن الدور الذي يخرج به الطفل من بيت أبويه لأجل التلمذة والمدرسة واكتساب العلم والتعلم ، فإن هذا الدور هو من اختصاص المعلم والاستاذ ، فالولد يكون تحت رعاية استاذ ومعلمه ، وهو الموجه له لأجل أن يستقبل الحياة ليكون عارفاً لمفاهيمها فاهماً لمغزاها وشؤونها .

وهذا الدور يحتاج الى المراس والحنكة والفقنة أكثر من غيره من بقية ادوار حياة الطفل ، لأن المطلوب من المعلم والاستاذ أن يوجه التلميذ توجيهاً صحيحاً ليكون رجل المستقبل الذي منه يتكون المجتمع الصالح ، فالمسؤولية التي تلقى على عاتق الاستاذ مسؤولية اجتماعية وفردية ودينية :

(فردية) من حيث أن الولد أعز الاشياء التي استحصلها الانسان في حياته ، وعليه قد عقد آماله وأحلامه ، فيجب المحافظة عليه والرعاية المطلوبة في حفظ الأمانات .

(١) ديوان حافظ ابراهيم : ١ / ٢٢٢ .

(ودينية) حيث أن الولد بعد أن سلمه الوالد الى استاذة يجب على الاستاذ أن ينفذه المعائد الدينية الصحيحة ، وأن لا يلوث تفكيره وعقله بشوائب الاوهام - من فساد المعائد والزيف عن المثل العليا في مكارم الاخلاق - ويعلمه التمسك بالدين ونظام الشريعة المقدسة .

(واجتماعية) لأن الولد يعتبر ثمرة من ثمرات الشعب والمجتمع ، فإذا صلح صلح المجتمع وإذا فسد فسد المجتمع ، لأن المجتمع يتكون منه ومن أمثاله من أبناء وطنه ، كما وصفهم العلامة الاديب الشيبلي في قصيدته التي عنوانها (رجال الغد) بقوله :

أنتم متمم بالسؤدد يا شباب اليوم اشياخ الغد
يا شباباً درسوا فأجتهدوا لينالوا غاية المجتهد
وعد الله بكم أوطانكم ولقد آن نجاز الموعد
انتم جيل جديد خلقوا لعصور مقبلات جدد (١)

فلا بد وأن يكون الاستاذ والمعلم فيه من الكفاءة والقابلية التي يؤهل بها الجيل الذي يكتب منه التعليم ، ويأخذ عنه مناهج الحياة ، ويحسن أن يعبر عنه بالاب الروحي ، حيث ان بيده تغذية العلم والمعارف دون الاب المسمي فان بيده التغذية الجسمية ، فمثل هذا الاستاذ والمعلم أحق بالتعظيم وأجدر بالتكريم ، كما يقول شوقي :

قم للمعلم وقه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا (٢)

لذلك فهذه الانطباعات التعليمية والتوجيهية من الاستاذ للتلميذ تؤثر علاقة عاطفية فردية بين الطرفين ، فيندفع بتقديم اهداء ما يفتحه له مريداً

(١) ديوان الشيبلي : ٨١ •

(٢) الشوقيات : ١/٢٢٤ •

بذلك اظهار بعض الوفاء نحو خدمات معلمه وابداء ان تعاليمه لم تذهب هباءً وان ما غرسه من العلم في قلب التلميذ قد اينع وأثمر ، وهذه من احدى ثمراته .

(واما الاهداء) الذي يتوسم فيه العاطفة الاجتماعية ، فهو الذي قرأناه من عبارات الذين يقدمون باهدائهم الى أبناء وطنهم أو إلى المسلمين أو إلى احدى المعاهد العالية أو الجمعيات أو المؤسسات العلمية أو غير ذلك من الالفاظ التي لم يقصد بها فرداً معيناً بل جماعة من الناس غير معينين وان شملهم عنوان مسلمين أو أبناء وطن

والظاهرة المولدة لهذه العاطفة الاجتماعية هي جاذبية حب الوطن ، كما في الحديث الشريف : « حب الوطن من الايمان » الحاصلة من علاقة المرء بجماعة أبناء بلاده ، ومن شعوره وادراكه بأنه عضو في هذا الجسد الممثل في المجموع ، ومن مظاهر تلك العاطفة شعور المرء بأنه مدين بكيانه وسماحته لرفعة وطنه وعلو شأنه ، وأنه يجب عليه أن يدافع عنه بما يستطيع ، وإذا اقتضى الداعي - من باب حفظ بيضة الاسلام كما عليه عقيدة المسلمين - فيجب عليه أن يجاهد دونه ويحامي عنه ، إذا كان منطوقاً تحت لواء سلطة من يجب عليه اطاعته وامتنال أوامره .

وأخرى من جهة جاذبية المجتمع لملاقته به وحاجته اليه ، كما وان المجتمع محتاج اليه وحاجته الى المجتمع تتكون وتبدو ، من حيث أن الانسان مدني بالطبع - كما قيل - فلا يمكنه الانفراد بنفسه والاستقلال بمفرده ، لوجود الملائق والروابط المتصلة بينهما وهو مفتقر اليها ، لان نظام حياته المعاشية وضرورياته التكوينية بحسب نشأته مما تدفعه الى الالتصاق بالمجتمع ، وعلى تقدير تمكنه من الانفراد فيعد فرداً شاذاً بين

المجتمع ، فيكون كما وصفه المتنبى بقوله :

ولسكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان (١)
والذي يدلنا على حاجته الى المجتمع أن المجتمع يعتبر كهيكل جسم
الانسان ، ولا ريب بحاجة بعض أعضاء الجسم الى البعض الآخر بحسب
تكوينه وانشائه .

كما وان المجتمع مفتقر اليه ، لأنه يتكون منه ومن بقية أفراد
هذه المجموعة البشرية ، ولذا لو انفرد مستقلاً بنفسه وانفصل من بقية
هذا النوع ، لأدى الى انحلال هذا المجتمع - الملتئم منه ومن غيره -
خصوصاً إذا كان من أظهر الافراد المنسبك منه ذلك الالتئام ، كما ورد في
الحديث الشريف « اذا مات العالم انثلم من الاسلام نعمة لا يسدها شيء » وكما
ورد في تفسير قوله تعالى : (أولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من أطرافها
والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب) (٢) وان المراد بذلك
فقد العلماء (٣) .

ومن أجل هذه العلاقات المنسبكة بين كل المجتمع والفرد وحاجة كل منهما
الى الآخر ، لذلك يؤدي الى خضوع المرء لانظمة المجتمع لانها تعود
بالمصلحة الى المجتمع وهو أحد الافراد ، كما وان المجتمع يخضع الى
ما ينتجه الفرد ويثمره من النتائج العلمية أو غيرها مما تعود بالربح
الى الجميع .

كل هذا الذي ذكرناه في علاقة الطرفين يوّاد المصلحة بين

(١) ديوان المتنبى : ٤٨/٢ .

(٢) الرعد : ٤١ .

(٣) مجمع البيان : ٣٠٠/٣ .

الطرفين ، وتتكون من المظاهر العيانية الخارجية ، فتدفعه إلى نتائج العاطفة المركزة في نفسه والميل الى مجتمعه ، الذي تجمعه وإياه إمارابطة الوطن ، أو القومية ، أو الجمعية ، أو الحزبية . . . وان كان هناك بعض الفوارق بين هذه العواطف ، فان العاطفة الوطنية هي المتكونة بين فرد وآخر من أمته ، والعاطفة الاجتماعية هي المتكونة والحاصلة بين فرد وآخر من المجتمع سواء كان من أمته أو من غيرها .

وإذا شعر الانسان من قبل نفسه وتراجع الى تفكيره وعرف وجود هذه العلاقات التي تربطه مع مجتمعه ، فتنشأ لديه العاطفة ويبدو عنده الميل والرغبة ، فيدفعانه الى تقديم اهدائه له ، ليسكون مشاطراً في بناء هيكل الحياة الاجتماعية ، فان الحياة هيكل يتكون من أسس وبناء ، فكل ما يستنتج من العلوم والصناعات وما يؤلف من المواهب الفكرية الذي يعود بالنفع الى الجميع فيعتبر كلبنة وضعت لبناء هذا الهيكل ، وإذا كل بناء ذلك الهيكل فيتم النفع ويسود النظام الاجتماعي ، فيسعد كل فرد بسعادة مجتمعه ، كما قيل : « الرقي الحق أنه ثمرة الاتحاد والتعاون على المنافع العامة العائدة على الافراد بتنافعهم الخاصة ، وهو يحصل من المثابرة على الأعمال العظيمة المنتجة ، ومن التنقيب والتنقيب وراء ما يفيد انتاجه واختراعه قوة ومالا وجاهاً وملسكا ، وهذا مما يعود بالنفع الى الجميع ويستثمر منه الافراد ، لانطوائهم تحت تلك المجموعة ، ولذا يجب علينا ان نلح في الوصول الى الطريق القويم فيما يعود بالنفع للناس » (١) .

قال تعالى : (انزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً

(١) الخلق الكامل : ٧٨/١

رأياً ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال) (١) وان لا يقتنظنا من ذلك تباین الافكار واختلاف الآراء وصعوبة المسلك .

فهذا كله مما يندفع بالإنسان - بسبب جاذبية العاطفة الاجتماعية - الى تقديم مؤلفه واهدائه الى مجتمعه ، الذي تجمعه وایاه احدى الروابط التي نوهنا بالكلام عنها - وهي روابط الدين أو الوطن أو القومية أو الحزبية أو ماشابه ذلك .

وأما الاهداء الذي يوصف بدافع العاطفة المادية المالية أو حب الجاه أو التقرب الى السلطان ، فهو الذي يتصف به شردمة قليلون من الكتّاب والمؤلفين .

وكنت قد ازممت على عدم الخوض في ميدان هذا القسم من الاهداء ، وحاوات عدم الولوج في سبيله ولا البحث عن أربابه ، لأن القلم قد يجربني الى الحديث عنهم بما لا يرتضيه جماعة من القراء من أولئك الذين يناصرونهم ، ولكن تصمم الموضوع الذي بيدي - بعدما عرفت من تقسيم الاهداء - مما يدفعني الى الخوض في غمرات هذا المحيط ويسوقني الى التنقيب عن أرباب هذا القسم ، سواء في ذلك حظيت برضا جميع القراء أو لم أحظ إلا برضا القليل منهم ، فاني لست ممن يهاب لسان القادحين ، ولا ممن يتمشق نفثات اطراء المادحين ، بعد أن كانت محاولاتي في جميع ما اكتب لمحض المنطق الصحيح ، وما يرتضيه الضمير الحي « فان الساكت عن الحق شيطان أخرس » كما في الحديث الشريف .

ولماذا وصفنا هذه الشردمة بهذا الوصف من حب المال أو التمشق الى الجاه والتقرب الى صاحب الصولجان ، لأن لسان اهدائهم مما يرم عن استحقاقهم لان يلصق بهم هذا الوصف . حيث انه يحمل طابعا خاصا من الاطراء والثناء ، كما يستظهر منه التزلف والتلمق ، ويحاولون من وراء ذلك التعبير المزيّف التوفيق الى رضا (المهدي اليه) فهم يميرون للمقدم له الاهداء أوصافا ونعوتاً لربما يكون غير موصوف بها ، أو هو بعيد عنها - كبعد المشرقين - .

وهناك جهة أخرى مما توجب اهتمامهم بهذا الوصف ، هو عدم وجود العلاقة والرابطة بينهما ، لامن حيث البلد ولا من حيث الجنسية ولا من حيث اللسان ، فلا نسبة بينهما سوى التباين كما يقول الشاعر :

أيها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية إذا ما استهلت وسهبل اذا استهل يآني

وهنا يتجلى لدينا أن اصحاب هذا القسم من الاهداء يستحقون من الوصف ما يستحقه الشعراء الذين يفدون على الملوك والسلاطين ، الذين يحملون قصاصات أوراقهم التمداحية ويقصدون من وراء أشعارهم الاستجداء وطلب الرزق ، وهذه العادة كانت مألوفة في العصور السابقة - حينما كان الشعر من السلع الرائجة التي يقام لها ويقعد ، ولكن التطورات الزمنية أرخصت من قيمة الشعر الرائجة ، لذلك لربما نقول : ضعف طلاب الشعر وقل عاشقوه - وقد نأني على شيء مما يتعلق بالشعر في موضع آخر .

وان تأليف العلوم وانتاج المواهب واخراج المؤلفات له الصدارة في هذا الميدان ، لذلك قد انتزه جماعة من المؤلفين فراحوا يتجرون به كما يتجرون بالموارد التجارية السوقية .

وهؤلاء من المؤلفين قد يلصق بهم القدر من جهة صحة وصفهم (بالانتهازيين) تارة ، حيث أن هذه الصفة - وهي الأتجار بما وهبهم العملية - مما تدل على ضعف نفوسهم وارادتهم ، لأن العلم والفضيلة أسمى من ان يبتذل بهذا النوع والشكل ، وأي قيمة للمال بازاء تلك المعارف ؟ وأي قيمة للعلماء اذا كانوا بهذه الصفة والضعفة ؟ ولذا ورد في الحديث الشريف : « اذا رأيت العلماء على ابواب الملوك فقولوا بئس العلماء وبئس الملوك ، وإذا رأيت الملوك على أبواب العلماء فقولوا نعمت الملوك ونعمت العلماء »

(وتارة أخرى) قد يكون العذر في جانبهم ، لأن الغالب على أهل المواهب والعلماء انهم فقراء من حيث المال وهم أغنياء من حيث العلوم ، فانهم اذا أنتجوا مؤلفاً في بعض العلوم أو صنفوا كتاباً في بعض الفنون والمعارف ، فحرصهم على تلك الثمرة العملية وخوفهم من ضياعها من بعدمهم يدفعان بهم إلى الاتصال بمن يجدون منه المساعدة لهم من حيث المال لأجل نشر ما الفوا ، لذلك نرى بعض المؤلفين يجوبون الفيافي البعيدة الشاسعة ويقطعون المسافات الطويلة بين البلدان أو الدول والممالك ، لأجل الوصول الى غايتهم المنشودة ، وهي التوصل إلى الملوك والامراء لأجل تقديم مؤلفاتهم لهم ، والاهداء يكون منهم وسيلة للتقرب اليهم ، ولا ريب أن تلك الشخصيات المحترمة مما تقدر العلماء وتعرف قيمة المنتجات العلمية ، وان شغلتهم المناصب الدنيوية ، ومع هذا فترى بعضهم مما تدفعه الاريحية الى مساعدة بعض المؤلفين من العلماء - أما رغبة منهم في إحياء بعض العلوم ، أو من جهة المكافأة بالمعروف - حيث أن صاحب المؤلف قد قدم اهداء مؤلفه باسم ذلك المهدي له ومن أجل ذلك قد خلده له الذكر الجميل والثناء الخالد الذي يبقى ما بقي

رسم الكتاب .

فهذا كله مما يكون عذراً في جانب المؤلفين ، وهناك عذر آخر مما يبرر موقف المؤلفين من هذا القسم - كما قدمنا - وهو أن الغالب منهم متصفون بصفة الفقر ، فالتأليف يعتبر مورداً لتعيشهم وسبيلاً الى رزقهم ، حذراً من أن يكونوا متسكمين وعالة على سائر الناس ، فتقديم الاهداء يكون نوعاً من أنواع التكسب ، ولا ضير فيه كما ورد في مضمون الحديث الشريف : « اذا طلبت العلم لاجل الدنيا نلتها واذا طلبته لاجل الآخرة حصلتها » .

وهؤلاء العلماء المؤلفون من هذا النوع هم أقل مكانة في نفوس الجمهور من العلماء الذين كانوا يتكسبون لطلب العيش ويجعلون لهم وقتاً لطلب العلم - كما نص على ذلك بعض المؤرخين (١) بل هم يعتبرون في عداد العلماء الذين يدر عليهم من رواتب السلطان أو مجريات الخليفة .

ومع هذا كله فإن هؤلاء المؤلفين من القسم الرابع ، مما لا تبخس حقوقهم ولا تنكر فضائلهم ، فإن لهم اليد البيضاء في سبيل خدمة العلم واحياء تدوين المعارف ، فهذه مؤلفاتهم تعتبر من الآثار الخالدة التي سجلها لهم التاريخ ، وأقام لها الوزن المرموق ، كما وقد حلت في المحل اللائق لها من المكتبة العربية .

وكنت أحاول أن أذكر صوراً نموذجية لتلك الاقسام الاربعة من الاهداء العاليي ، ولكنني قد استغنيت حينما وجدت أن ذلك قد يؤدي الى الاسهاب في القول والاطناب في الكلام والتطويل في الحديث بلا طائل .

(١) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري : ٣١٠ |

وأيضاً فأتنا بعد أن بينا أن الغالب في لون الاهداء ما يكون على تلك الصور والاشكال فلا حاجة إلى ذكر نصوص كلمات الاهداء بنفسها ، لأنها في متناول القراء والمطالعين في الكتب المنتشرة في جميع المكتبات العامة والخاصة ، التي تخرجها المطابع في عصرنا الحاضر ، وهو قرن (الرابع عشر الهجري) و (قرن العشرين الميلادي) .

وقبل أن نختتم الحديث في القائمة الخامسة نقول من باب ما قيل « الشيء بالشيء يذكر » : كشف التاريخ في المصور الغابرة عن أناس عرفوا في عداد حملة العلم ، بل كان لهم القدر المعلى في السبق في ميدان المعارف ، لأن لهم سمة حملة الحديث الشريف ، فوصفوا بصفة الصحبة لصاحب الرسالة الرسول الاعظم ﷺ ، فلات كتب التفسير والتاريخ والحديث وغيرها من أفواهم وأحاديثهم حينما كانت العلوم تؤخذ من طريق الرواية والتلقي وتحفظ المعارف من العلماء بالمشافهه ، فسكانوا يملون على طلاب العلوم ما عندهم مما عرفوه من الحديث وما سمعوه من التاريخ وقصص العرب فينشر ذلك عنهم بين عامة جمهور الناس ، وان بعض هؤلاء كانوا متعلقين في ركاب السلطة الجائرة المناوئة لأهل البيت ﷺ ، وزيد بذلك سلطان بني أمية ، وبالاخص زمانى معاوية بن ابي سفيان وزيد بن معاوية ، فقد قرب معاوية ، أمثال أبي هريرة وسمره بن جندب ، حينما عرف منهم بعض الانحراف عن أهل البيت ﷺ فأدناهم وقربهم ، وليس ذلك منه رغبة بهم ولا حباً لهم ، بل لاجل نواياه الحبيثة التي كان يضمها للإسلام والمسلمين ، ولغاية تركيز خلافته الغاشمة وسلطانه الجائر ، فكان يجري عليهم بالعطاء الجزل ويدر عليهم بالمال الكثير ليفتعلوا الأحاديث على رسول الله ﷺ في فضائل بني أمية - الشجرة

الملعونة في القرآن المجيد - والحظ من كرامة بيت الرسالة النبوية - أهل البيت (ع) (الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً) فدسّوا كثيراً من الأحاديث التي افتملوها ، وفسروا جملاً من آيات القرآن الكريم بما تشتهيبه أنفسهم وترغب إليه أهواؤهم ، ونقلوا تواريخ غزوات المسلمين وفتوحاتهم على خلاف واقعها ، ففبروا وبدلوا في جميع ما يتمكنون عليه من كيد للإسلام والمسلمين ، كل ذلك رغبة منهم لارضاء شهبانهم الدنيوية وتزلفاً منهم الى فتات خوان سلاطين الجور والظلم خلفاء بني أمية ، ولم يراقبوا في الله الا (١) ولا ذمة ، كأنهم لم يسمعوا كلام الله تعالى حيث يقول : (وما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) (٢) وقوله تعالى : (انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به أعماً مبيئاً) (٣) .

وقوله تعالى : (من الذين هادوا بآياتنا لا يسمعون سماعاً حقيقياً ويقولون سمعنا ووعينا واسمع غير مسمع وراعنا لياً بألسنتهم وطعناً في الدين ولو انهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً) (٤) .

ولم يعوا حديث رسول الله ﷺ حيث يقول : « من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » .

وان هذه الزمرة التي أنبأ عنها الرسول الاعظم (ص) بقوله : « ستكثر عليّ »

(١) الال بالكسر : العهد .

(٢) ق : ١٨ .

(٣) النساء : ٤٩ .

(٤) النساء : ٤٦ .

القالة - أو المتقولون من بعدي « قد جنت على تاريخ حياة المسلمين ،
وعبثت بمقدرات الرسالة المقدسة بما سوت لهم أنفسهم ، فسحقاً لهم
ولاصحاب السعير .

وقد اتعبت العلماء والمؤلفين في علوم الاسلام الذين جاؤا من بعد
عصورهم ، حيث ان المؤلفين وجدوا كتب التواريخ والتفاسير والآحاديث
مشوهة من أقوال تلك العصابة المستأجرة ، التي باعت ضمائرها ودينها على
حكومة بني أمية ومن لف لفهم .

ولأجل استخلاص الاحاديث الصحيحة من بين تلك الكتب المشوهة
بها ، حيث أنها هي المصدر الثاني بعد القرآن الكريم لبيان الاحكام الشرعية
ونظم الشريعة المقدسة ، عمد العلماء الى تأليف كتب الرجال والجرح والتعديل ،
فاعتبروا شروطاً في قبول قول الرواة والمحدثين ، من اعتبار الايمان في
الراوي والصدق والثقة والحفظ وغير ذلك من الشروط ، ومن راجع
كتاب الغدير (١) ينكشف لديه سلسلة وضاع الاحاديث على رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلسلة وضاع الاخبار السكاذبة التي تشتمل على
الحوادث التاريخية من غزوات المسلمين وفتوحاتهم في بديء الدعوة الاسلامية
أيام الرسول الاعظم ﷺ وزمان الخلفاء والى زمان بني أمية وبني العباس ،
فان هذا التلاعب من قبل المخربين والدجالين المندسين في الاسلام وهم
ليسوا منه بل هم براه من الاسلام والاسلام برى منهم .

ومن أجل تلك الاحاديث المكذوبة على رسول الله ﷺ التي
جاءت من قبل المستأجرين لحكومة بني أمية وحينما أظهر بنو أمية العدا
لآل رسول الله ﷺ والكيد لهم فجاهروا في سبهم والنيل من كرامتهم ،

(١) الغدير : ٢٠٨/٥

فظهرت من جراء ذلك الى ساحة الوجود بعد أن كانت أيام الخلفاء غير بارزة فرقتان : فرقة مناصرة لأهل البيت وهم الشيعة ، وفرقة معادية لهم وهم النصاب من أهل السنة . وهاتان الفرقتان - الشيعة والسنة - لا يزال التناحر والتصادم بينهما من زمان غصب الخلافة في (يوم السقيفة) والى هذا اليوم ، وقد غذى فكرة التمسك والتمسك لأهل البيت (ع) جميع السلطات الزمنية التي حكمت باسم الخلافة الاسلامية ، منذ زمان الخلفاء وإلى انقراض الحكومة العثمانية وحتى اليوم .

وقد استعملت السلطات المناوئة لأهل البيت (ع) أساليب متنوعة في ضد أمير المؤمنين عليه السلام وقبالة شيعته المخلصين ، ففي زمان الخليفة الاول استعمل اسلوب الارتداد الذي طبقه في حق جماعة من أنصار أمير المؤمنين عليه السلام ، كأمثال مالك بن نيرة وأصحابه الأبرار ، فأرسل اليهم قائده خالد بن الوليد فقتل مالك وأصحابه ودخل بزوجته في ليلته ، وفي زمان الخليفة الثاني استعمل لونا آخر من الصلابة والحزم والتشفي الكاذب لاجل أن يرى الناس زهده وعدم رغبته في الدنيا ، لذلك فإن علي بن ابي طالب عليه السلام وشيعته المستضعفين لم يجدوا بداً وحيلة أمام هذا الخداع والتدليس إلا الصمود والتقية وحفظ الصور الظاهرة ، كما عبر عن ذلك أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته الشقشقية بقوله : « فصبرت على طول المدة وشدة الهمة » فقبع وصي رسول الله صلى الله عليه وآله في بيته وأمر شيعته بالتقية ، حيث كان ضنيناً بهم حريصاً على سلامتهم لانهم أفراد معدودون ، وخوفاً منه على ذهاب اسم التشيع الذي بذهابه يكون ذهاب الدين ، وكان التشيع يتمثل بأفراد قليلين كأمثال سلمان الفارسي والمقداد وأبوذر وعمار بن ياسر وأمثالهم .

وفي زمان الخليفة الثالث الاموي استعمل اسلوباً محموتاً عند عامة المسلمين ، فظهر حقد السكامن في نفسه ضد علي وشيعته ، حيث لم يجد سبيلاً مبرراً له في قتالهم ، فأمر بتمعيد أبي ذر الى أن مات غربياً في الربذة ، وهي قرية من قرى المدينة على ثلاثة اميال منها وبها قبره (١) .

ووصلت الخلافة الى أهلها - التي عينها الله تعالى ، والرسول الأمين - الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وولده الحسن عليهما السلام ، ولكنها مرت مرور الخاطف العجلان حيث لم تمها الظروف ولم تساعدها الايام ، فبلى الامير (ع) بحرب القاسطين ، والمارقين ، والنا كئين ، كما قال عليه السلام مصرحاً : « والله لو نذيت لي الوسادة لأفتيت أهل الأنجيل بانجيلهم وأهل الزبور بزبورهم وأهل الفرقان بفرقانهم » ولكن الاشاعة الالهية اقتضت ذلك ، فقتل بسيف ابن ملجم لعنه الله تعالى ، ومات الحسن بالسم على يد زوجته جعيذة بنت الاشعث دسيسة من معاوية ، بمد أن خان به أصحابه فأسلموه عند الوثبة .

وانتقلت الخلافة بمدها عن موضعها الى السلطة الجائرة خلافة آل أبي سفيان ، فهنا برزت كوامن العداة الاموي ذلك العداة الوراثة الذي غذي من ندي آكلة الاكباد ، الملعونين على لسان النبي الصادق الامين ، فدانت لهم السلطة ودام لهم الملك سقيماً واعواماً ، فتتبعوا أصحاب علي ومحبيه تحت كل حجر ومدبر ، فكانوا يقتلون على الضنة والتهمة ، فقتلوا حجر بن عدي واصحابه وفعلوا الاذاعيل التي تندی منها جبين الانسانية ، فبدلوا في الدين وغيروا في نظام المسلمين الى ان انقرضت دولتهم العاشمة ،

(١) معجم البلدان : ٢٢١ / ٤ .

التي قامت على سفك الدماء واستباحة ما حرمه الله تعالى .

وقد سود وجه التاريخ الاسلامي ما فعله زيد بن معاوية ، حيث قتل سيد الشهداء (ع) واصحابه في السنة الاولى من خلافته ، وفي السنة الثانية أباح المدينة المنورة لجيشه المجرم فهتكوا أعراض المسلمين ، وفي السنة الثالثة رمى الكعبة بالمنجنيق .

ولما انتقلت الخلافة الى بني العباس استعملوا أساليب من الظلم والجور في قبال آل الرسول وشيعتهم مما لم يحدث التاريخ بوقوعها ، فهذه عاصمة ملكهم بغداد قد شيدت اصطوانات عماراتها على رؤوس العلويين وأولاد فاطمة الزهراء (ع) ، فسكانت زبائنهم وسعاتهم الظلمة يأتون بالعلوي من ذرية علي وفاطمة ويسلمونه الى البناء فيبني عليه الحائط والاصطوانة وهو حي .

وآل بيت الرسالة في تلك المصور الجائرة قد لاقوا من الحبس والتشريد والقتل وانواع المذاب والرج في السجون المظلمة تحت الارض مما لم يفعله الترك ولا الديلم ، ومع هذا كله فإن شيعتهم ومحبيهم وأولادهم كانوا يتورون ضد تلك الخلفاء الناصبين الظالمين ، لأن واجبهم الديني يحتم عليهم اظهار هذا الشعور المذهبي أمام الملأ العام ، وان هؤلاء الخلفاء هم غاصبون لمنصب الخلافة ، وانهم سلاطين زمنيون لا خلفاء لرسول الله ﷺ ولا تربطهم مع الدين رابطة سوى انهم توصلوا الى تلك السلطة باسم الخلافة فحكموا بهذا الاسم ، ولو ان تلك الثورات قد نجحت وقاز اهلها بالحكم لساموا امر الخلافة الى اهلها ، وان كان أئمة الشيعة - وهم أهل البيت (ع) - كانوا يأمرون أولادهم وأصحابهم بالتقية والمجارة الظاهرية حفظاً لصورة الاسلام .

وعلى كل فرض فإن الأئمة الطاهرين وأولادهم وشيعتهم قد لاقوا من الأذى والاعتساف أكثر مما لاقوه في عصور بني أمية ، كما يقول الشاعر عن لسانهم :

والله ما فعلت أمية فيهم معشار ما فعلت بنو العباس

وفي زمان بني العباس ظهرت المذاهب الأربعة (الحنفي) و (المالكي) و (الشافعي) و (الحنبلي) ، وبصح لنا أن نعتبرها بالمذاهب الحكومية ، لأن السلطات الزمنية آنذاك والخلافة العباسية هي التي كونت هذه المذاهب وجعلتها رسمية ممضاة من قبلها في قبال مذهب أهل البيت - المذهب الجعفري - لأجل إمامة التشيع بامانة مذهبهم ، ولكن هيئات يكون ذلك ، فإن أعداء آل محمد ﷺ يريدون أن يطفؤوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) (١) .

وفي زمان الاعتساف والاضطهاد وكبت الحريات ، وفي ظروف السلطات الجائرة من قبل بني أمية وبني العباس ، مع ذلك فقد قيض الله أنصاراً للحق يهتفون داعين لآل الرسول ﷺ ، وهم شعراء الشيعة المتفانين في سبيل الدين والعقيدة ، كمثل الفرزدق في زمان الامويين والسكريت ، ودعبل في زمان بني العباس ، وأمثال هؤلاء من الشعراء الذين جاهدوا في حب آل محمد ﷺ وعرضوا أنفسهم للاخطار والاهوال ، ولم تأخذهم في الله لومة لأثم) والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سلبنا وان الله لمع المحسنين) (٢) .

وكذلك حملة الاخبار والاحاديث ، كمثل زرارة بن أعين وأبان

(١) التوبة : ٣٣ .

(٢) العنكبوت : ٦٩ .

ابن تغلب وأبي بصير ومحمد بن مسلم وأمثالهم ، وهم تلاميذ الصادقين
وبقية الأئمة الطاهرين (ع) فان هؤلاء قد نشروا ما تلقوه من العلوم
والاخبار من أهل البيت ، فآظفروا للناس الحقائق التي أماتها أعداء الدين
الذين حكموا وتسلطوا باسم الدين .

وقد اتسعت دائرة التشيع في زمان العباسيين بسبب انتشار الرواة
والعلماء من تلاميذ الصادقين وبقية الأئمة الطاهرين (ع) في الاصلحاع
والبلدان ، وان كان رمز التقية محفوظاً عندهم خوفاً عليهم من
السلطان الجائر .

ولما هلكت الدولة العباسية انتشر التشيع في مجال أوسع ، حيث
تشكلت دويلات لهم وقتية زمنية كدولة الفاطميين والبويهيين والصفويين
والحمدانيين ، وهذه الدول - وان لم تكن شرعية بالمعنى المصطلح عليه
عند علماء الشيعة الامامية - ومع ذلك فهي تحمل شعار التشيع والحب
لاهل البيت (ع) .

وما بين تلك الظروف الزمنية والمسافات الوقتية والى انقراض الدولة
العثمانية ، قد نبسج جماعة من علماء الشيعة ، فسكان لهم الاثر والمفعول
في بناء هيكل التشيع ، كالمفيد ، والصدوق ، والسيد بن المرتضى والرضي
والعلامة الحلي ، والمحقق والشهيد بن الشيخ الطوسي وغيرهم ممن أحيوا
بمصنفاتهم آثار الأئمة الطاهرين (ع) ، وان كان في تلك الازمان
قد ظهرت جماعة من علماء السنة يدعون الى احياء آثار بني امية وبني
العباس ، كابن خلدون وصاحب الملل والنحل وصاحب العقد الفريد ومن
لف لفهم ، ولكن علماء الشيعة « جزاهم الله خير الجزاء » قد أبانوا
بججهم الواضحة وبراهينهم القاطعة أحقية أهل البيت (ع) بمنصب الخلافة

وأنتهم الأئمة الطاهرون والخلفاء الراشدون ، وان الخلافة هي منصب إلهي خص الله تعالى به علياً وولده المعصومين عليه السلام ، وانها قد اغتصبت منهم بالقوة والقسر ، وهذا لا يمنع من بقائهم على أحقية الامامة العامة ، والخلافة الدينية الشاملة .

ولما انتهت أدوار الحكومات التي حكمت باسم الخلافة الاسلامية ، وجاء دور الاستثمار وحاول أن يغزو البلدان الاسلامية لاستثمار كنوزها والتسلط على ما فيها من الخيرات ، فلم يجد له مجالاً للولوج فيها - حينما كان المسلمون يبدأ واحدة وهم كالبنيان الرصوص يشد بعضه بعضاً - ولكنه حينما درس تاريخ حياة المسلمين وأحاط معرفة بما وقع عندهم من الخلاف بين الطائفتين الشيعة والسنة عن أجل الخلافة ، وان الخلاف في ذلك متأصل عندهم من يوم (السقيفة) - يوم غضب الخلافة من أهل البيت (ع) - فوجد متسماً لغزو بلدان الاسلام من هذه الثفرة ، وان كان قد استعمل أساليب أخر من غير هذا السبيل من القوات العسكرية واشغال نار الحروب وبذل المال والرشوة بين صفوف الجيش المسلم ، فظهرت الخيانات منهم وبان الضعف عندهم ، وغير ذلك من اساليب الاستثمار ، ولكن قد ساعده على تفريق صفوف المسلمين بعض الكتاب المرتزقة باسم الدين وهو برىء منهم ، فان هؤلاء قد باعوا ضمائرهم وبلادهم من أجل دراهم معدودة ، ومن أجل ملذاتهم الدنيوية واشباع رغباتهم وشهواتهم ، وتعصبهم ضد أهل البيت (ع) كالآلوسي صاحب التحفة الاثني عشرية () وكالخضري صاحب المحاضرات ، والبعقري صاحب كتاب

(١) نشرت بعض الصحف العراقية : ان التحفة تعزى لغير الآلوسي ولكنه ترجمها فنشرها باسمه ولعلنا نأتي على التفصيل فيما بعد (المؤلف)

للتحذير ، وأحمد أمين صاحب فجر الاسلام وضحاها وظهره ، وطه حسين في فتنته وفي كتابه علي وبنوه ، ومحب الدين الخطيب في خطوطه ، والحفناوي في مؤلفه أبو سفیان شيخ الأمويين ، ومومى جار الله في كتابه الوشيعية والصواف والملاح فيما نشره في جريدة السجل والجهان وغيرهم ، فان هؤلاء الكتاب يجدد بنا أن نعبّر عنهم (بتلاميذ الاستعمار) و (عملاء الدول الكافرة) .

ولازال علماء الأزهر وكتاب مصر والسعودية وبقية الدول السلفية تتحف البلدان الاسلامية ونفاجيه المسلمين ، وتهاجم مقدسات العقائد المذهبية بأمثال هؤلاء النصاب الذين يحملون العدا لأهل البيت (ع) ولاعجب فأنهم من تلك السلالة التي جهرت بالبعض والعداء لهم ، وهي بنو أمية - والقوم أبناء القوم - .

ولقد عز على المسلمين أن يستعين عدو المسلمين - وهو المستعمر - بالمسلم على المسلم ، ولا زالت الشيعة وأنصار آل محمد (ص) تقف موقف المدافع كما لازال السنيون يشنون الغارات عليهم بمختلف الطرق والأساليب .

ومن درس حياة الطائفتين - الشيعة والسنة - واحاط بتاريخ الجانبين ينكشف لديه أن مثار الفتن قد جاء من قبل طائفة السنة ، حيث انهم يحاولون تصحيح مواقفهم الاعتسافية وما كانوا عليه من العقائد ضد عقائد أهل البيت (ع) ، يفرضون ذلك على الرأي العام ولو بالقوة والقهر ، وبالاستماعة من السلطات القائمة الزمنية ، والاندساس مع المستعمر لأجل التهريج على شيعة علي وأولاده الطاهرين عليهم السلام .

ولكن البارى سبحانه وتعالى يقبض أنصاراً لدينه في كل زمان ، ويهيء حملة للواء لاحق في كل وقت ، لذلك قد قمع دابر المفسدين الذين

أرادوا سوء بشريعة سيد المرسلين (ص) وحاولوا النيل من كرامة مقدسات الشيعة أنصار محمد وآل محمد (ص) ، بمواقف علماء الدين المعاصرين من الشيعة الذين هم مصداق قوله تعالى : ﴿ رجال لانلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ماعملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ (١) كالعلامة آية الله المرحوم السيد محسن الأمين في كتابه (نقض الشيعة) والمجاهد الحجة المرحوم السيد عبد الحسين شرف الدين في كتابه (المراجعات) و (أبو هريرة) و (أجوبة موسى جار الله) ، والامام المصلح المرحوم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في كتابه (أصل الشيعة) و (التوبة) ، والفقيه البجائي المرحوم الشيخ محمد حسن المظفر في كتابه (دلائل الصدق) ، والعلامة المتتبع الشيخ عبد الحسين الأميني في كتابه (الغدير) - الموسوعة الغديرية - والعلامة الكبير المتبحر الشيخ آغا بزرك في كتابه (الذريعة) والعلامة المفوه المرحوم الشيخ محمد حسين المظفر في كتابه (تاريخ الشيعة) ، والعلامة الجليل المرحوم الشيخ محمد رضا المظفر في كتابه (السقيفة) ، والعلامة المجاهد الشيخ محمد جواد مغنية في كتابه (فضائل الامام علي) و كتابه (الشيعة والتشيع) و كتابه (الشيعة والحاكوم) والعلامة الجليل الشيخ أسد حيدر في موسوعته (الامام الصادق والمذاهب الأربعة) .

فان هؤلاء من علماء الشيعة وأمثالهم من العلماء الأعلام - شكر الله مساعيهم - قد أوقفوا أقلامهم وأثبتوا أقدامهم في ميادين الدفاع عن الهجمات التي تجيء من قبل صناع المستعمرين المفرقين لصفوف المسلمين ، فكانوا

يجاهدون بكتاباتهم وبمواقفهم ، وانا بحاجة ماسة إلى أمثال هؤلاء من العلماء - قدس الله أسرار من مضى منهم وأطال الله عمر الباقيين وقبض من شاكلتهم مايشاء انه سميع الدعاء - احياء ألدينه وانتصاراً للحق المضاع ولم تكثف دول الاستعمار بانارة فتى الطائفية بين المسلمين ، تلك الفتنة التي أكل الدهر عليها وشرب ، وعرفها كل من عرف تاريخ حياة المسلمين ، وأن الخلافة منصب آلهى غصبته السلطات والقوات المتآمرة فى (السقيفة) بل عمد المستعمر إلى فتح فوهة جديدة بينه وبين بلدان المسلمين ، وهذه الفوهة أوسع مجالاً لدخوله فى بلاد المسلمين ، وهي أشد ضرراً من فتنة الطائفية ، وهي فتنة الأحزاب التي لم تكن مسبوقه بها دول المسلمين ، ولكن الدول الغربية الكبرى المتناحرة من أجل استثمار الشعوب الضعيفة هي التي ولدت فسكرة الأحزاب ، وجاءت بها لاضعاف الشعوب ، بمايقع بين أبنائها من الخلاف والتصادم ، وهناك يتم غرض المستعمر ويحصل مقصوده الذى بناه على سياسته المعروفة (فرق تسد) و (الاصطياد فى الماء العكر) .

وهذه الاحزاب منتشرة فى جميع الدول الاسلامية وان مفعولها يجرى كجبرى الدم فى العروق .

وانما كانت فتنة الاحزاب أضر من فتنة الطائفية على الاسلام والمسلمين حيث أن النزاع الطائفي والمشاجرات المذهبية بين العميعة والسنة مما يمكن زواله وتلافيه برفع الحزازات من النفوس وبسط التقام المنطقى بين الجانبين فان خضع أحد الجانبين للآخر بحسب الحججة والمنطق ، وإلا فالكل تحت لواء واحد وهو قول (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ونظام الجميع تالميم القرآن والسنة النبوية .

ولكن التصادم الحزبي ، والنزاع القائم من أجل الأحزاب مما لا يمكن
زواله ولا ارتفاعه من بين الكمثل ، والزمر ، المنتمية الى الأحزاب ، وإنما
لا يكون ذلك لجهتين :

(الجهة الاولى) أن هذه الاحزاب تستمد قواها المعنوية والمادية
من الدول الكبرى ، وهي التي تبعت فيها النشاط وتعطيها الغذاء ، فهي
مربوطة بأسس وقوانين لا يمكن التجرد عنها - وان كان ذلك المدد تحت
الستار - أو قل : من وراء السفارات - .

(الجهة الثانية) أن كل حزب من هذه الاحزاب يعنى نفسه بالفوز
يوماً ما بالتسلط على أزمّة الحكم فيكون بيده العجل والعقد ، والنزاع
من أجل المناصب الدنيوية والكراسي السلطانية لازال ولم يزل متركز في
نفوس من يطلبون المناصب ويحاولون الوصول إلى الحكم والسطوة ، فع
هذا التناحر بين الاحزاب كيف يحصل التفاهم ويزول التشاجر ، وهذا أمر
لا يكون - بحسب مبادئ الاحزاب - باعدنا الله تعالى عنها جميعاً وجعلنا
من حزبه تعالى (الذين لاخوف عليهم ولا هم يحزنون) .

والذي يضحك الشكلى ان بعض شبابنا المنخدعين يسأل من رجال
الدين والعلماء عن الدخول في بعض الاحزاب ، حيث انها تدعو إلى
الدين فهل يجوز الدخول فيها بعد فرض اتصافها بهذا الوصف الخداع ؟؟
وانى أقول والحق يقال : قد سألتني البعض عن ذلك فكان الجواب
مني شفافاً لا كتابة : يا هذا لا تتخدع بهذه الاسماء ، فان الاحزاب كلها
مربوطة ومتصلة بالسياسة ، والسياسة غير مربوطة بالدين . ولا تمنع بأن
السياسة قد تقتضي ظروفها أن تستغل الدين ، فالتدين لا يدخل في الاحزاب
ولا تفره هذه المخادعات بالاسماء وغيرها (يخادعون الله والذين آمنوا

وما يخذعون أنفسهم وما يشعرون * في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً
ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون (١)

وآخر كلامنا عن هذه الاحزاب ، المنتشرة في الدول الاسلامية ،
وغيرها أننا نقول عنها كما قال المرحوم المصلح الكبير الشيخ محمد حسين
كاشف الغطاء : أنها صلاح لدول الغرب وفساد لدول الشرق ، وأزيد في
ذلك بأنها حياة للدول الغربية وأماتة للدول الاسلامية ، وإن الحوادث
التاريخية التي شاهدها أوقفتنا على صحة القول ، حيث أن الحزب الذي
يفوز بالسلطة - في الدول الغربية - غاية ما يحاول اصلاح بعض النظم والقوانين
التي قررها الحزب السابق عليه ، بحسب ما يراه في فكره وكذلك العكس
بالعكس ، والكل متفقون على خدمة بلادهم من طريق الاحزاب الذي هو
بالنتيجة كالتبادل في الآراء والفكر ، ولم ينقل لنا أن أحد الاحزاب
قد نكل بالحزب الآخر المناوئ له حينما تسنم منصة السلطة والحكم
إلا القليل .

ولكن بالعكس من هذا ما نراه من الأحزاب في الشعوب الاسلامية
والدول العربية ، فان كل حزب يتوصل إلى الحكم ليست له غاية إلا القضاء
على الحزب المناوئ له والتنكيل به والانتقام منه ، وان أدى ذلك إلى ما أدى
من الفضائع والحوادث ، بل وان أدى إلى اهلاك عامة الشعب ، وإلى اراقة
الدماء وسلب الاموال وغير ذلك مما لا تجزه الشعوب الواعية ، ولا تسمح
به جميع الديانات السماوية .

أليست هذه الاحزاب على اختلافها قد جاءت من دول الغرب ؟
لا أظنك تقول لا ، اذن فلماذا لا تتأسى دول الاسلام بهم في سيرهم مع

(١) البقرة : ٩ - ١٠ .

الاحزاب وأنها أوجدت لنفع الشعوب لا لآبادتها ؟ ١
وبالخطام انني أرغب في عدم الاطالة - وإن جر الكلام بنا إلى ماقلنا
- ومع ذلك نقول : إن الشعوب الاسلامية هي بيد الغرب كالكرة بيد
الطفل يلعب بها كيفما شاء له هواه ، وحسبما رغبت به شهواته واقتضت
سياسته .

ونسأله تعالى أن يجمع كلمة المسلمين على الحق ، وأن يوجد
صفوفهم أمام طاغيتهم المستعمر الكافر ، فان الكفر ملة واحدة - وان
يكون جميع المسلمين آخذين بمفاهيم قوله تعالى : (وأطيعوا الله ورسوله
ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم (١) واصبروا أن الله مع الصابرين) (٢)

(١) قوله تعالى : « وتذهب ريحكم » اي صولتكم وقوتكم . مجمع

البيان : ٥٤٨ / ٢ .

(٢) الانفال : ٤٦ .

الفائدة السادسة - ٦ -

في تقريرى المؤلفات ونقدها

الكتب التي تخرجها المطابع فعلا - ونخص منها ما تخرجه مطابع مصر، ولبنان، وسوريا، والعراق، بل بقية الدول العربية - تحمل طابعا خاصا من حسن الطباعة وجودة الاخراج وتنسيق التدوين والتأليف، ويعتبر ذلك لونا جديدا في عالم التأليف وطورا مستحددا عند المصنفين، مما يزيد في تركيز المؤلفات في نفوس القراء والمطالعين، بل يحدث جاذبية مما تدفع بالمطالعين الى الرغبة والشوق في مطالعتها.

وهي مع هذا اللون الذي تحلت به لم تعد من فن آخر قد اكسبها الروعة والجمال في نظر جماعة من القراء، وهو اوراق بعضها بالتقاريرى النظرية أو الشعرية، وارقاق بعضها الآخر بالنقد وابداء الملاحظات.

ونحن لم نقف على مصدر يرشدنا الى تاريخ فكرتي النقد والتقرييرى، ويدلنا على أن أي الفكرتين كانت أسبق من الأخرى، ولسنا بصدد

الوقوف على تاريخ الاسبقية ، بعد فرض التحقق والوقوع في الخارج ، إذ لا يتعلق لنا غرض من هذه الجهة ، حيث لا يهمننا معرفة تاريخ الاسبقية ، بل اننا نبحت عن فكرتي (التقرير) و (النقد) من جهة أخرى ، سيرفها القارىء عن قريب .

فنعول : ان فكرة التقرير قد اصبحت عادة مألوفة ومحبية عند جماعة من المؤلفين - إلا ما ندر منهم - ممن لا يتذوقون هذا اللون ، كما وان المادة الجارية فعلا هو أن يحتل التقرير أولى الصفحات من الكتاب ، أو يكون ملحقاً في آخر الكتاب في الصفحات الاخيرة منه ، ولكن المفاجئة الجديدة من رواد العلم والفضيلة ارتأت للتقرير محلاً جديداً ، هو أن يرسم مطبوعاً على الجانب الثاني من غلاف الكتاب .

وقد طرحنا سؤال تقرير المؤلفات ، على جماعة من ذوي الفضل والاعتبار ومن أهل الخبرة في هذا الفن ، فكان الجواب منهم يحمل فكرتين متضاربتين وتمزى كل فكرة إلى طائفة : فذهبت إحدى الطائفتين الى بيان محاسن التقرير ، ودعت القراء الى الرغبة اليه . وذهبت الاخرى الى بيان معايبه ورغبت القراء الى الميل والانحراف عنه .

ولكل فريق من هؤلاء حجته الواضحة ، والادلاء براهينه اللامعة : أما أولئك الذين ذهبوا الى محاسنه فقالوا : بأن التقرير مما يرفع من شأن الكتاب ومما يزيد في قيمته الاجتماعية العلمية والمادية ، ويجمله في صفات المؤلفات ذات القيم والشأن البارز ، فيحتل المؤلف المحل المرموق في المكتبة ، وهؤلاء قد امتازوا بالتفنن في اخراج كلمات التقرير في المؤلفات ، فتارة يخرجوها مطبوعة على الـ « كلايش » بعد أخذ صورة « فوتغرافية » عليها لأجل المحافظة على قلم المقرض الخاص به ، وأخرى

على النحو المتداول من طباعتها بالحروف .

وهذه المحاولات والتفنن منهم التي يبذلون الاتعاب السكثيرة من أجل الحصول عليها ، ما هو إلا لاجل اخراج التقريرى بحلة قشبية وثوب فضفاض ، مما يرمقه المطالعون بنظر الاعتبار .

وهؤلاء من المؤلفين يصح لنا أن نصفهم بوصف عشاق التقاريرى وممن تستهويهم أسنة المدح والثناء وكلمات الاطراء ، لذلك تراهم لا ينشرون مؤلفاتهم إلا وهي مرفقة بهذه البرزة .

وقد رأينا جماعة من القراء والمطالعين على هذه الشاكلة ، وعلى هذه الوتيرة من الاعتقاد منهم بمحاسن التقريرى ، فهم ينظرون إلى التقاريرى قبل نظرهم الى نفس الكتاب .

وأما الطائفة الثانية فقد ارتأت من الرأي غير ما حيدته الطائفة الأولى فى محاسن التقريرى ، فهي لا تعبأ بالتقاريرى المدونة مع المؤلفات بأي لون أخرجت ، وبأي لسان صيغت وعبرت ، كما هي على اعتقاد جازم بأن التقريرى لا يرفع من شأنية الكتاب شيئاً لا مادياً ولا معنوياً ، حتى لو كان المقرض من الهخصيات اللامعة فى المجتمع ، بل ان الكتاب هو الذي يرفع من شأن نفسه اذا كان ذا شأن ، كما يقول المتنبى معتذراً عن عدم نظمه للقصائد فى حق أهل البيت لاسيما أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهم السلام :

وتركت مدحي الموصي تعمدأ إذ كان نوراً مستطيلا شاملا
وإذا استطلال الشيء قام بنفسه وصفات ضوه الشمس تذهب باطلا (١)
وان لم يكن الكتاب ذا شأن علمي فى المجتمع فلا يرفع التقريرى

(١) ديوان المتنبى : ٥٤٦/٢ .

من شأنيته ولا من مقامه ، بل يكون التقريض له من قبيل وضع الشيء في غير موضعه ، وهو غير مستحسن عند ذوي الاعتبار .
ولنا موقف بين هذين الرأيين نعتبره الموقف الإيجابي تارة والسلبى أخرى ، ولا يصح منا الصمت واجمين في ذلك « فإن الساكت عن الحق شيطان أخرس » كما في الحديث الشريف ، ولا تتحاز منحرفين ، فإن الآراء حرة في ميدان الفضيلة - مع حفظ حدود نطاق المعرفة وعدم خروج المنطق عن مواقع الاعتدال - .

فنقول : ان التقاريف المرفقة بالمؤلفات ليس لها ذلك الشأن الذي يؤدي الى رواجها عند اهل الفضيلة والعرفان ، ولا يبعث فيها رواجاً في ميادين باعة الكتب - أصحاب المكتبات التجارية - فسك رأينا من الكتب ماهو مشحون بالتقاريف المختلفة من العلماء والادباء ، ومع ذلك لم نجد ما يتطلبها اصحابها من الرواج لها ، بل لم تلق ما تستحق عليه من المدح بمقدار موضع ضلها وشاخصها ، كما رأينا بعض المؤلفات الأخر الخالية من كل تقريض ، مع ذلك فقد حلت في سماء الخلود والاعتبار ، وتلاققتها أيدي القراء بالقبول والاعتزاز .

ولا نقول : ان التقاريف ليس لها وقع ولا أثر في المؤلفات ، فإن هذا القول فيه من الغدر لحقوق المقرضين ، ولا نريد أن نبخس الناس حقوقهم .

والى هنا نعطي الرأي الأخير في التقاريف بأنها : قد توصف بالحسن من بعض النواحي والجهات :

(فمنها) ان القارئ لسكيات تقريض قبل الدخول في موضوع الكتاب قد يستفيد بعض الاحاطة عن موضوع الكتاب وعن محتوياته ،

فيكون التقريظ من قبيل المرشد والدليل للقارىء .
(ومنها) أن التقريظ قد يبعث روح النشاط في المؤلف ، فيكون
جريئاً في الاقدام والمثابرة على التأليف .

ومن أجل هاتين الجهتين فقد يوصف التقريظ بالحسن ، وما ذكرناه من
محسناته ، ولكننا ننصح القراء والمطالعين بأن لا يعتمدوا على التقريظ
- في ابداء الرأي عن الكتاب - بمعنى أنهم يعملون التقريظ هو صورة
حاكية عن موضوعه ، فان ذلك غير صحيح ، لاحتمال اختلاف رأي
القارىء مع رأي المقرض ، كما وانما نبدي النصح للمؤلفين - هواة المدح
والتقريظ - بأن لا تكون كتاباتهم سطحية في مؤلفاتهم اعتماداً منهم على
التقاريز بتخيل منهم بأنها هي التي تسيّر الكتاب في المجتمع ، فان ذلك
من العجز في الرأي ، والجهود في التفكير ، والقلّة في المعرفة وضعف النفس
في النتاج ، وهذا مالا يرتكبه ذوو البصائر .

ومن سير كلمات المقرضين يجدها لا تخرج عن نطاق موضوع
واحد ، وهو مدح الكتاب لما فيه من المحتويات العلمية ، والاطراء على
المؤلف لما بذله من الجهود في اخراج ذلك النتاج . وبعبارة ثانية :
التقريظ صورة مصغرة تتضمن ترجمة الكتاب والمؤلف ، فهو تعريف
بالكتاب ومؤلفه .

ولم يكتف هواة التقريظ وعشاق المدح والثناء من المؤلفين بما
ينشرونه من التقاريز في ضمن مؤلفاتهم ، بل عمدوا الى لون آخر من
الدعاية في ترويج مؤلفاتهم بالاتصال مع أصحاب الصحف والمجلات ودور
البت والاذاعات ، لأجل التنويه عنها والاشارة اليها في تلك الوسائل ،
ولا بأس بهذه المبادرة حيث أنها محببة لأجل نشر الفضيلة والمعارف .

ولو أن تلك التقارير التي تنشر في حق الكتاب وفي حق المؤلف تجتمع فتطبع في ضمن الكتاب ثانياً لسكانت أنفع للفائدة وأعود للنعمة ، وقد رأيت بعض المؤلفين ممن تفتن لهذه البادرة - وقد أحسن وأجاد - فأعاد طبع الكتاب مرفقاً معه تلك التقارير التي نشرتها الصحف والمجلات واذا عنتها دور البث والاذاعات ، فكان لها الموقع المحبوب لدى القراء جميعاً . هذا ما أردنا التنويه عنه حول تقرير المؤلفات .

وأما نقد المؤلفات الذي يعتبر في معناه المقابلة للتقرير ، فإن معناه اللغوي هو عبارة عن تمييز الكلام والنظر فيه ، ليعرف الجيد منه من الرديء .

ونقد الكلام هو اظهار ما فيه من العيوب أو المحاسن وتمييز الصحيح من المريب والصواب من الخطأ ، وهو مأخوذ من قولهم : « نقد الصرّاف الدراهم يشقدها نقداً » أي ميزها وعرف جيدها من رديئها ، وقلّ ما نجد من المؤلفات منشوراً معها (النقد) بخلاف (التقرير) فقد يفشر معها ، وقد يمزى ذلك الى عدم التداول ، وليس بمتعارف عند المؤلفين - إلا ما قل - .

وقد يقال : إن النقد هو عبارة عن ابداء الملاحظات عن الكتاب ، وربما لا يعترف بها صاحبه ، لذلك لم يفشرها معه .

ولي رأي في نقد المؤلفات بما أحبذ فيه نشرها مع الكتاب كتنشر التقارير ، فإن النقد مهما كانت صبغته العملية فهو لا يخرج عن كونه عبارة عن المناقشات والمذاكرات العملية التي توصل اليها الناقد ، فأبداها أمام الذين يتطلبون الحقائق العملية من وراء كل منطلق ، فإن كانت تلك الملاحظات التي أبداها هي صحيحة فاللازم - من باب تكميل

الفائدة - إعادة طبع الكتاب مع تلك الملاحظات ، وان لم تكن صحيحة فلا بأس بنشرها لتعرف قيمة الكتاب العلمية وان ما انتقد عليه لم يصب الهدف .

وعلى كل حال أرى حسن نشر النقد في المؤلفات كنشر التقارير ، نعم العادة المألوفة بين المؤلفين - في النقد - هو ابداء النظر والملاحظات عن نفس الكتاب فقط ، دون التعرض لحياة المؤلف ، فان الطريق الاول يعتبر من قبيل المناقشات العلمية ، وهي مسموحة بين أهل العلم ، واما التعرض لحياة المؤلفين - انتقاداً - فان ذلك غير مسموح به ، لأن فيه مسأ للعواطف ، وجرح العواطف بين المجتمع غير مغتفر ولا يسمح به الشرع ولا العقل .

ولدينا فوارق مما توجب تمييز جانب الكتاب الناقد على جانب المقرضين من حيث هذين الوصفين - النقد والتقريض - ومن أجل تلك الفوارق ننحاز الى مستوى الناقد في الترجيح لرجحان كفة ميزانهم ، لانهم يتصفون بما لا يوصف به الجانب الآخر من العلمية وسعة الخبرة ، فان الكتاب المقرض - مهما أوتي من جمال التعبير وحسن البيان - فهو أقل أتعاباً وأخف جهوداً وأضعف نفقة علمية من الناقد ، لأن التقريض - في الحقيقة والواقع - لا يخرج عن نطاق المدح والاطراء للكتاب ومؤلفه ، ويكفي المقرض لصياغة عبارة التمداح سير الكتاب ولو سطحياً ، والاطلاع على جانب من حياة المؤلف أو سماعه بهما دون الخبرة والاطلاع .

ولذلك لانتبيب لو أطلقنا على المقرضين من الوصف ما يطلق على الشعراء والادباء الذين ينظمون قصائد مديح ويرتبون كلماتهم في المناسبات الخاصة - كمثل محافل التأبين أو الاعراس أو أمثال هاتين المناسبتين - فهؤلاء

جميعاً يدخلون في سلك مناسبة واحدة خاصة ، فإن المقرض يتناول في تقريره مدح الكتاب والمؤلف - كما هو المتداول في التقارير - والادباء والشعراء الذين ينظمون بمناسبة التأبين أو الاعراس أو أمثال هاتين المناسبتين أيضاً لا يتجاوزون حدود مدح المؤن أو من أقيم له الحفل بمناسبة الزفاف ، فالكلي يشترك في ابداء شعوره الخيالي في بوتقة موضوع واحد ومناسبة خاصة لا تعدو غيرها .

ولأجل ما ذكرناه فإن الشعراء والادباء الذين ينظمون القوافي أو المكلمات في المناسبات العامة هم بنظر الاعتبار أرفع شأنًا وأجل مكانة من غيرهم من الشعراء والادباء الذين ينظمون بما ذكرناه من المناسبات الخاصة ، ولماذا استحقوا هذا الامتياز ؟ لأنهم يعالجون المشاكل الاجتماعية ، فهم الأسنة الناطقة في توجيه الناس الى الصلاح .

ويعتبر هذا اللون من الارشاد والوعظ الراقي - الذي يلامم الذوق المتجدد - ويا حبذا لو أخذ خطباؤنا وادباؤنا هذا اللون من التوجيه والارشاد ، لنفعموا وانتفعوا ، ولعلنا نخوض بهذا الموضوع في المطالعات القادمة انشاء الله تعالى .

وإلى هنا نعود فنقول : أن المقرض لا يتحمل من المجهود ما يتحمله الناقد ولا يوصف بالعلمية بما يوصف به ، فإن الناقد ينظر الى الكتاب نظرة تعمق ودراسة ، ويتصفح جوانب موضوعه بدقة وخبرة ، ويبحث فيه عن تتبع وروية ، وفي الحقيقة انه يحيط بمجهرات الكتاب الست ، فيعتبر ان تكون عنده كفاءة علمية تؤهله للاحاطة بمصادر ذلك الكتاب ليقارن ما بين ما أودع في ذلك الكتاب وما هو موجود في المصادر حتى يتوجه منه النقد وابداء الملاحظات .

ولذلك نقول : أنه قد يلاقي الناقد من الانعاب والجهود مالا يلاقيه مؤلف الكتاب ، لأن نتيجة النقد هو وضع النقاط على الحروف ، وهذا مما يحتاج الى الابهة والتوسعة العلمية والاحاطة بجميع معلومات الكتاب ، وان يكون مجتهداً فيما يشتمل عليه الكتاب - الذي يريد انتقاده - من فصوله ، وعناوينه ، وترتيبه وتدوينه .

ولدينا بعض البراهين على ما نقول على سبيل التنظير والمثال : هو أن من جملة موارد الانتقاد ، وجود أغلط في الكتاب تتنافى مع القواعد المقررة في علم العربية أو اللغة أو أغلط انشائية تتخالف مع الأصول المقررة في علمي البلاغة والفصاحة ، أو تتنافى مع القواعد الشرعية أو العقلية أو الاجتماعية أو الطبية أو أمثال ذلك من العلوم ، أو كون المؤلف نقل ترجمة أو خبراً أو حديثاً أو قصة عن مصدر يחדش في ثقته وليس بموضع اعتماد ، فهذا كله مما يعتبر احاطة المنتقد به ، لو كان الكتاب يشتمل على احدى جهات ما ذكرناه .

وأما الاغلط المطبعية - حيث انها لاتعزى للمؤلف نفسه - لذلك قلما تذكر من موارد الانتقاد وان تعرض لها البعض .

ونتيجة ماوقفنا عليه من الخبرة والاطلاع هو ترجيح فضيلة الكتاب الناقدين على فضيلة الكتاب المقرضين ، وان اشتركوا في ميدان الخبرة العلمية . هذا ما توصلنا اليه من المعرفة جهد المقدور والمستطاع .

الفايدة السابعة - ٧ -

في فهرس المؤلفات بين الافراط والتفريط

المقارنة بين بعض الكتب التي نخرجها المطابع فعلا ، وبين الكتب المطبوعة قبل تاريخ خمسين سنة أو أكثر مما يدعو القراء الى التساؤل عن سبب وجود الفوارق بينها من حيث تدوين الفهارس ، حيث ان الكتب التي كانت متداولة بين أيدي القراء والمطالعين - قبل اكثر من نصف قرن - كانت موصوفة بصفة واحدة وبصبغة معينة - كما هو الغالب فيها بل كلها - وهي اشتغالها على فهرس واحد يقع في آخر الكتاب يتضمن العناوين فقط ، وقد يكتفي عنه بالاشارة الى ذلك على هامش الصفحات ، والغرض من تدوينه التسهيل على القراء والمطالعين لاجراء ما يطلبونه من مواضيع عناوين الكتاب .

هذه صبغة المؤلفات السابقة من ناحية الفهارس ، ومن راجع المؤلفات - على اختلاف أنواعها وأشكالها ومواضيعها - من زمن انشاء

الطباعة والى ما قبل تاريخ خمسة عقود ، يجدها على هذه الشاكلة ، لا تخرج عن نطاق اشتغالها على فهرس واحد فقط ، ولكن جملة من المؤلفات التي صدرتها المطابع بعد التأريخ المتقدم ، قد تحلت واشتملت على ثوب جديد ، من تعداد الفهارس وكثرتها ، حتى تطور هذا الفن العالمي فبلغ أقصاه وتجاوز منتهاه .

ولدينا شاهد على ما نقول : كتاب الجاحظ المطبوع جديداً في سنة ١٣٥٧ هـ تحقيق عبد السلام محمد هارون ، فقد اشتمل الجزء السابع منه - حسب تجزئة الشارح - على ستة عشر فهرساً .

وهنا يقع السؤال من جانب القراء مستفسرين ومستطلعين عن منشيء هذه الفسكرة - تعداد الفهارس - وعن السبب الذي ولدها في ذهن المنشيء ؟؟

وحسب التتبع الذي وقفنا عليه يمكننا أن نزود القراء بما لدينا من المعرفة مما توصلنا اليه - مع فرض قلة المصادر - أو القول بعدم وجودها في مثل هذا الموضوع - فنقول : سبق أن وقع في متناول يدي كتاب بلوغ الأرب ، الطبعة الثانية في سنة ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٥ م في ثلاث مجلدات والمجلد الثالث يشتمل على ثلاثة فهارس : الأول في موضوعات الكتاب ، الثاني في أسماء الرجال والنساء ، الثالث في أسماء البلدان والقبائل وغيرها ، وفي ذيل الصحيفة المفوهة عن الفهارس كتب « عنى بجمعها وترتيبها محمد جمال ، صاحب المكتبة الأهلية في مصر » .

كما وقفت على كتاب رحلة ابن جبير المطبوع في مدينة ليدن بمطبعة (بريل) في سنة ١٩٠٧ م ، وقد دون في آخر الكتاب أربعة فهارس : الأول فهرس أسماء الرجال والنساء ، الثاني المواضيع والأمم

والقبائل ، الثالث السكتب المذكورة في التراجم والرحلة ، والرابع الامثال الواردة في الكتاب .

وأما ذكرت هذين السكتابين - بلوغ الارب ورحلة ابن جبير - لأبرهن للقارىء الكريم تقدم هذه الفكرة من قبل أكثر من نصف قرن ، ولم تسكن وليدة أفكار كتابنا المعاصرين حسب ما وصلت اليه من المصادر ، وربما توجد بعض المؤلفات تشير الى ما قبل هذا التاريخ ، ونحن لم نقف على مصدر يدلنا على بيان تاريخ أول كتاب نشرت فيه هذه الفكرة - وهي تعداد الفهارس - ولسنا بحاجة الى ذلك .

نعم قد نستفيد من سبر بعض المؤلفات ان هذه الفكرة قد تمزى الى الشراح والمعلقين ، وأنها من المعاني والمعارف العلمية الراجعة الى التفنن في التأليف المرتجلة لهم ، غير المسبوقة لذهن المؤلفين السابقين . ولا غرابة في تفتن الشراح والمعلقين الى هذا النوع من التفنن في علم التأليف ، مما قد غفل عنه المؤلفون أنفسهم ، لأن ذلك مما يدل على التوسع العلمي والتقدم في الوعي والادراك ، وقد قيل : « كم ترك الأوائل للاواخر » .

والى هنا نيكاد نمجزم بأن فائدة تدوين الفهارس هي من الفنون العلمية المرتجلة لشراح السكتب والمعلقين عليها ، ولسنا بصدد معرفتهم بأعيانهم وأشخاصهم ، كما وانما لسنا بصدد معرفة انهم من الكتاب المستشرقين أو الكتاب العرب ، ولا تنكر فائدتها العلمية ، كما ويشكرون على هذا التطور من التأليف .

هذا ما يصلح أن يكون جوابا عن السؤال الاول - وهو منشىء هذه الفكرة - وأما الجواب عن السؤال الثاني - وهو السبب الذي ولد

هذه الفكرة - فنقول : ان هناك اموراً تعتبر من البداية أجلى من الشمس لذي عينين ولا يكاد ينكرها أحد ، وهي أن الوعي العلمي والادراك بالمعارف الفكرية هو آخذ في التقدم في السير الى التصاعد والارتقاء من وقت لآخر ، ومن آثاره ما نجد من الفوارق المحسوسة البينة ، هذه المؤلفات الجديدة التي تخرجها المطابع من جهات عديدة : من حيث الاخراج والتدوين ، ومن حيث الطبع والتصميم الشاملة لغلقتها وداخلها ، وغير ذلك من المحسنات الطارئة على عالم التأليف والمطبوعات . وهذه المحسنات والفوارق البارزة إنما شملت عالم المطبوعات بحكم طبيعة التقدم والتحدن والتطور في كل شيء ، وإن العلوم هي أقرب من غيرها في التحدن والتطور .

ولا ينكر ان هناك رجالا يزاولون الاعمال الفكرية والانتاجات العلمية والمواهب العقلية ، ويمارسون إخراج المؤلفات وتدوين الكتب التي تبرزها المطابع الى الوجود ، أكانوا من الموصوفين بوصف المؤلفين ، أو الشراح والمعلقين ، أو تجار الكتب ، أو المصححون لما يخرج من المطبوعات ، فهؤلاء جميعاً يشتركون بصفة واحدة ، وهي أن تغير هذه المطبوعات واخراجها في كل وقت على شكل أو لون - مما يتناسب مع ذوق أبناء ذلك الوقت - مما ينسب كل ذلك اليهم وبسببهم ، ويعزى ذلك التنفن الى تقدم معارفهم ، وهم يتكيفون بتكيف المحيط والتربية والتعليم ، مما يكتسبونه من الثقافة من المصادر العالمية الاجنبية الغربية أو العربية ، ويحاولون من وراء هذه الانعاب الفكرية الوصول الى ارضاء القراء والمطالعين والوقوف على رغباتهم ، لواج تلك السلعة العلمية وهي - المؤلفات المطبوعة - .

وكذلك رغبات القراء والمطالعين تختلف باختلاف العصور والظروف ،
وتتغير بتغير ما يفرضه (التمدن) و (التطور) من أجل ما يعرض على
أفكارهم وما يمر على صورة اذهانهم من الصور الجذابة الممتعة ، ومن
المنظر الجديدة التي يشاهدونها بأبصارهم ، وكل ذلك من المشاهدات العيانية
أو المحسوسات العقلية ، من جميع تطورات الحياة مما يجعل عند القراء
شعوراً جديداً يتطلب اخراج المطبوعات على النحو الجديد الملائم
للذوق السليم .

لذلك فإن اخراج المؤلفات يلزم أن يسير على منهج سير القراء
ورغباتهم حسب ادراكهم ومعرفتهم وعلى شاكلة أذواقهم ، كما وان
الاعتناء من ذوي الخبرة آخذ في التقدم بالنسبة الى اخراج المطبوعات
خالية من الاغلاط المطبعية ، وقد يصل هذا الاعتناء والاهتمام فيما يأتي
الى أن لا تكون في الكتاب اغلاط مطبعية أصلاً ، وهذه المحاولة إنما
تم اذا تولى تصحيح الكتاب رجل يتحلى بالخبرة والسكفاءة في فن
التصحيح - عند خروج كل فورمة من الطبع - وهذه الاغلاط قد
تنشأ من المرتبين أنفسهم لقلّة خبرتهم وثقافتهم ، وقد تنشأ من المؤلف
نفسه - وان كان ذلك قليلاً - وقد يتفق - كما لو كان غير عارف
بالقواعد الانشائية الاملائية ، كالذين رأيناهم من أهل العلم وحملة الفضيلة ،
ومع ذلك لم يكن عندهم إلمام ومعرفة ليفرقوا بين التاء القصيرة أو الطويلة ،
وبين الهمزة التي تكتب على الواو أو الألف أو الياء ، وأمثال ذلك
من الاغلاط الانشائية ، لذلك فيحسن بالمؤلف بعد تدوين مؤلفه وقبل
تقديمه الى المطبعة أن يعرضه على ذوي الخبرة والاختصاص في فني الكتابة
والانشاء ليسلم الكتاب من الاغلاط الانشائية ، كما وان المصحح لا بد

وان يكون ذا أهلية في المعرفة ، فان سلامة الكتاب من الاغلاط بجميع معانيها مما يرفع من شأنه وقيمته العملية والمادية .

وبالنتيجة ان هذه الجهة آخذة في دور الارتقاء والتصاعد ، وسمعت من بعض الثقات أن بعض الدول المتقدمة في الثقافة لها اهتمام خاص بالنسبة الى اخراج المطبوعات ، حيث تعقد لجان لتصحيح الكتاب من الاغلاط المطبعية ، وأخرى لتصحيحه من الاغلاط الانشائية واللغوية ، وأخرى لتدوين الكتاب وترتيب مواضعه ، وهذه اللجان تفرض لها جمالة من صاحب الكتاب ، وكل هذه اللجان تكون بعد فرض تسكلة المؤلف من قبل صاحبه واخراجه الى الوجود .

ويا حبذا لو كانت هذه اللجان موجودة في جميع أقطار وطننا العربي المحبوب ، وفي جميع الدول العربية الاسلامية ، ليعم النفع وتشمل الفائدة في هذه المؤلفات ، وليستريح القراء والمطالعون من الاغلاط التي قد تشغلهم عن المطالعة ، فترى المطالع موزع الفكر بين تصحيح الاغلاط وبين استفادة ما يحتاجه من المطلب في موضوع الكتاب ، فيحتاج المطالع الى وقتين وقت اضافي لتصحيح الكتاب زيادة على وقت المطالعة . وبالنتيجة أن هذا التطور والتنمى - الذي أوجب اخراج المؤلفات على الذوق الجديد - هو الذي حجب في نفوس الشراح والمعلقين لأن يتفمنوا بما يستطيعون مما أوتوا من المعرفة لابداء هذه الظاهرة - وهي تدوين الفهارس السكثيرة - وقد تصل الى حد اخراج مجلد خاص في فهارس الكتاب .

وعلى كل حال فان هذه الفكرة التي ولدت هذه الظاهرة العلمية تعتبر فناً جديداً في عالم التأليف ، مما يراد به الوصول الى رغبات القراء

والمطالعين الموكولة لديهم رواج سلعة المؤلفات ، ويشكر عليها المتفنون
في إخراجها وتدوينها ، فإنها توسعة في المعارف وتطور في العلوم ، وهي
وليدة التمدن الذي شمل جميع مرافق الحياة العلمية والاجتماعية والسياسية
والدينية ، والناس عشاق كل جديد كما قيل « وللناس فيما يمشقون مذاهب » .
وكما قيل : إن أول خطوة الى تحصيل العلم الهواية ، والهواية
أول خطوة الى الدراية ، والدراية أول خطوة الى التفوق ، والتفوق أول
خطوة الى التخصص ، والتخصص أول خطوة الى النبوغ .
وبالنتيجة ان التفنن في العلوم - ومنه تدوين الفهارس - كالتفنن
في جميع مرافق الحياة ، وانه هواية وتطور دخل في اطار عالم (التمدن)
فارسه الادباء من الشراح والمعلقين لمختلف المؤلفات .

القائدة الثامنة -- ٨ -

في عصر التأليف وانشاء المؤلفات

يحق للعصر الذي نعيش فيه - وهو قرن العشرين الميلادي وقرن الرابع عشر الهجري ، وهو عصر (المخترعات الجديدة) - أن يسمي بعصر التأليف أو عصر انتشار المكتبات ، لبروز هاتين الظاهرتين في هذا العصر ، ولسكن سبقت التسمية له بحكم جاذبية هذه المخترعات ، من أجل أن النسبة والتسمية تتبع أبرز مظاهره وأبين مصاديقه ، لذلك سمي (بعصر النور) و (بعصر القنبلة الذرية والهيدروجينية) و (عصر الأقمار الصناعية والسفن الفضائية) ، ولولا سبق هذه التسمية لسكان الجدير به أن يسمي بما أسميناه .

وبروز هاتين الظاهرتين مما يدلي بالحجة الواضحة على النشاط الثقافي والتوسيع العلمي والوعمي والنضوج في عالم المعارف والادراك ، ويحسن بنا درس كل ظاهرة بوحدتها واستقلالها .

اما بروز ظاهرة كثرة التأليف فلا يكاد ينكرها أحد ، وهذه المؤلفات في مختلف العلوم وفي مختلف اللغات منتشرة فوق حد الاحصاء ، فلا يمر يوم إلا ويرى منها العدد الكبير الذي يتجاوز العشرات بل المئات أو الآلاف ، مما نخرجه المطابع في البلدان العربية وغيرها ، وقد سبقنا بالتصريح عن هذه المبادرة قبل ثلاثين عاماً المرحوم آية الله المجاهد الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء في بعض كلماته التقريضية لبعض المؤلفات ، حيث يقول :
قلما يمر اسبوع فضلاً عن الشهر ، إلا ويقم في يدي ويمر على بصري مؤلف أو أكثر من المؤلفات المصرية لأرباب الاقلام في مصر أو سوريا أو العراق أو غيرها من الاقطار ، وما أكثر المؤلفين في هذا العصر والمؤلفات بالطبع أكثر (١) .

فاذا كانت المؤلفات موصوفة بالكثرة على نحو التعجب في ذلك العصر - قبل ثلاثين سنة - فما يقول الكتاب في وصف كثرتها في مثل زماننا هذا ، فليس له مجال في التعبير عنها إلا بأن يوصف عصرها وزمانها (بمصر تضخم التأليف والمؤلفات) ونريد بها المؤلفات الجديدة للمؤلفين الجدد .

ولو أردنا أن نضيف أرقامها لارقام المؤلفات القديمة التي أعيد طبعها ، لسكانت أكثر مما وصفناها به ، ولزادت اعدادها أضغاط مضاعفة .
وعلى أي حال ، فالبحث يدفعنا الى الخوض في الموضوع لأجل أن نتوصل الى السبب الذي أدى بالمؤلفات لأن تكون بهذه الضخامة من العدد والكثرة ، ولعل التتبع والاستقراء يكشف لنا عن السبب الباعث وأنه منحصر في جهات :

(١) ماضى النجف وحاضرها : ١١١ .

(الأولى) كثرة المطابع المنتشرة في كل بلاد ، حتى أنها شملت جميع أنحاء المعمورة إلا ماقل من البلدان ، وهذه المطابع وليدة التقدم العلمي في المسكتشفات والمخترعات ، وإن المخترع لها أراد بها الخدمة العلمية لآبناء جنسه الانساني ، أو كان مراده بهذا الاختراع الاتجار به والحصول على المال ، الذي هو غاية مساعي الانسان التجارية . وعلى أي الحالين فإن هذا الانتاج الصناعي مما أثر في توجيه المواهب والعلوم الى الرقي والارتقاء .

(الجهة الثانية) - وهي لا تضعف جانباً عن الجهة الاولى من ناحية السببية - وهي اختراع القرطاس ، فإنه ان لم يجار محاسن اختراع المطبعة فلا يقل عنها فائدة واستمارة ، فإن فوائد القرطاسية مما غزت جميع شعون حياة الانسان المنزلية والتجارية والعلمية ، وقد سبق منا التفهيم عليه في بعض الفوائد الماضية .

(الجهة الثالثة) التي لها من مفعول التأثير مآللجهتين الاوليتين ، وهي محسوسة بالعيان فلا تحتاج الى اقامة الدليل والبرهان ، وهي التوسع في المعارف وشمول الثقافة العامة لاغلب طبقات الناس وزوال الامية عن الشطر الوافر من البشر بنسبة النصف أو الربع أو الاقل ، فإن تعلم القراءة والكتابة قد أصبح منتشرأ بواسطة انتشار المدارس في البلدان وفي الارياض والعشائر ، ولا تنكر هذه الفضيلة لوزارة التربية والتعليم لو انضم اليها فضيلة تعليم الدين في المدارس الابتدائية والثانوية والكليات ليكون المتخرج منها ذا ثقافة ودين ، فإتنا بحاجة ماسة الى تعليم الفناء معارف الدين وعقائد الشريعة المقدسة ، ليبتعد الشباب المثقف عن التيارات الحزبية النائية عن الدين والعقائد .

(الجهة الرابعة) وهي مما يكمل بها تمام الصبب المركب - من المقتضي وعدم المانم - كما في لسان علماء أصول الفقه ، وهي الوصول الى المصادر التي يحتاج اليها المؤلف ، وهي المكتبات الكثيرة الميسورة في متناول كل مراجع باحث ، سواء منها الحكومية أو الاهلية . وهذه الجهات الاربع هي تمام السبب أو الجزء الفعال منه لايجاد فكرة التأليف وكثرتها ، ومزاولة ذوي المواهب العلمية لها ، واستخدام قرائم افكارهم في سبيل الانتاج من المعارف .

ولقائل أن يقول : أنه ما الدليل على دعوى كثرة المؤلفات ؟ فيجاب عن ذلك بوجود هذه المكتبات التجارية وغيرها الكثيرة العدد المنتشرة في جميع البلدان الشرقية والغربية ، فانها وليدة كثرة المؤلفات ومن نتائجها المحسوسة بالعيان ، بل هناك أسواق تجارية معدة لبيع الكتب ، فان مزاولة بيع الكتب والاتجار بها أصبحت من المهن المرموقة في التجارة ، وهي آخذة في التقدم والتوسع .

وبضاعة يبيع الكتب من الاقلام التجارية ، ولها رواج ميادين التجارة العالمية في جميع الاسواق ، وهي مورد تنافس التجار ، لأن فيها من النفائس والذخائر مالا يوجد في غيرها من الجواهر الثمينة والامتعة النفيسة ، وان هذه المكتبات التجارية التي تستورد آلاف الكتب من مختلف البلدان ، وتصدر لها بمثلها وبأكثر منها ، هي ثمرة من ثمار ذلك الفرس المبارك ، وهو كثرة التأليف والمؤلفات ، وهو دليل على توسع هذا الانتاج العلمي بتوسع رواد الفضيلة وطلاب العلوم والمعارف ، وبطبيعة الحال كلما يحصل نتاج علمي بوجود المؤلفات تكثر المكتبات التجارية لكثرة طلاب هذا النوع من الكسب .

ولرب بادرة تدفع بالقراء الى السؤال عن الغاية التي من أجلها ولدت في نفوس أهل العلم وحملة الفضيلة اظهار ما لديهم من العلوم والمعارف ، حتى أصبحت العلوم من السلع المبتذلة لطلاب العلم والراغبين في التعلم ، بسبب انتشار المؤلفات وفتح أبواب المعاهد والمدارس الالهية والرسمية .

فنجيب عن ذلك ونقول : إن البشر بحسب تكوينه ونشأته هو مركب من عناصر تعتبر اركاناً لمزاج خلقته البدنية ، وهي أربع مواد الحرارة ، والبرودة ، والرطوبة ، واليبوسة (١) وبسبب هذا التكوين التركيبي تتولد لديه غرائز ذاتية له ، كالجوع والعطش والنوم واليقظة والراحة والألم . كما أن البدن بحسب تركيبه من تلك الاركان الاربعة مفتقر الى الماء والغذاء والهواء حسب ما تتطلب طبيعته ، فاذا تناول ما يحتاجه من الغذاء يتفاعل في بدنه ، لأجل تحويله الى مواد سائلة توزع على البدن لسكل جارحة ما يحتاجه من الغذاء ، فاذا استوفى البدن حاجته مما تناوله يقذف بالباقي الى الخارج بسبب ما تفرزه الطبيعة ، وهكذا دواليك مادام في قيد الحياة ، فكان الانسان ركب تركيبياً ميكانيكياً فتعالى الله أحسن الخالقين .

وانما ذكرت هذه النبذة الطبية لأبرهن للقارئ بأن بعض صفات الانسان هي من قبيل الغرائز الذاتية له التي لا يمكنه التجرد منها ولا يحتاج الى السعي لتحصيلها ، فهي حاصلة له بحسب تكوينه وخلقته - كما ذكرناه من صفة الجوع والعطش والنوم والراحة والألم .

وهناك بعض الصفات التي يتصف بها الانسان ولكنها ليست ذاتية

(١) قانون ابن سينا : ٦ / ١ .

له بل هي تحصل بالكسب والاكتساب والكسب والاعتاب ، كتحصيل العلم ومزاولة المهن والتجارات ، وتحصيل المناصب والمراتب التي يوصف بها بعض البشر دون بعض ، ولذلك ذكر علماء المنطق والميزان وعلماء أصول الفقه في تقسيم العلم الى أربعة أقسام : القسم الاول علمه تعالى فانه عين ذاته ، القسم الثاني ما يحصل بالالهام كعلم الملائكة ، القسم الثالث ما يحصل بالوحي كعلم الانبياء ﷺ ، القسم الرابع ما يحصل بالكسب والطلب وهو علم سائر الناس .

والعلم من القسم الرابع هو الذي يقع فيه التفاضل والتمايز بين الناس بحسب تفاوت مراتب ما حصلوه من العلم ، وبه يفضل بعضهم على بعض من حيث كثرة العلم وزيادته أو من حيث شرفه ومنزلته ، كما ورد في تفضيل علم الفقه على غيره من العلوم ، لذلك يمتاز علماء الفقه على غيرهم من العلماء .

وان غريزة العلم - بجميع أقسامه وأنواعه - الحاصلة بالطلب والكسب ، التي يتصف بها بعض الناس دون بعض ، مما تدفع بصاحبها الى حب ابرازها الى الخارج بحكم دوافع اظهار الفضيلة ، وقد وجدنا شطراً وافراً من حملة العلم ممن علقت في نفسه محبة اظهار العلم وهو شغف بهذه الصفة ، فلا يفتأ في حال من الحالات إلا وهو متصف باظهار فضيلته أمام قرنائهم من أبناء جنسه .

(ومن أجل) حب اظهار الفضيلة تولدت نوادي المناظرات والمباهلات العامة ، ومنتديات الادب والشعر ، ومحافل مجالس العلماء .

ومن ابرز مظاهر هذه الفضيلة ايضاً تدوين المؤلفات واخراج

المواهب العلمية في الكتب ، حذراً من اندثار تلك المعارف ، لذلك
تسجل في الطروس لتكون خالدة مادام ذلك الأثر موجوداً كما
قال الشاعر :

كل علم ليس في القرطاس ضاع كل سر جاوز الاثنين شاع
(ومن أجل) اداء واجب مقدس مفروض على العلماء حيث
يجب على أهل العلم اظهار ماديهم من العلوم في سبيل صالح المجتمع ،
لأن العقل والدين يحتم عليهم هذا الواجب - فهذه الغاية هي التي أدت الى
اظهار فضيلة العلم التي من أجلها كثر التأليف وانتشرت المؤلفات
والكتب ، وان حملة هذه الفريضة - وهي حب اظهار فضيلة العلم - هم بالدرجة
الاولى المؤلفون الذين هم من طراز العلماء ، لأن واجبهم الديني هو الذي يفرض
عليهم ذلك ، والفطرة والعقل مما يدعوان الى ذلك ، ولا زالت مؤلفاتهم تبرز
الى الوجود بين كل برهة وزمان ، ولا يرجون من وراء ما يكتبون
مادة ولا جاهاً ، فهم الذين يكتبون ويؤلفون لأجل خدمة البشر وهداية
الناس الى طريق الصواب .

وهؤلاء من العلماء الواردة في فضائلهم جملة من الاخبار المصروفة
في بيان شرف منزلتهم ، كما في قوله تعالى : (وما كان المؤمنون
لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا
قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) (١) .

وفي الحديث الشريف : « إن مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء »
و « هم ورثة الانبياء ﷺ » فهم المجاهدون حقاً الذين أحيوا آثار
الانبياء والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين ، فدونوا في جميع العلوم وفي

(١) التوبة : ١٢٢ .

مختلف الفنون مما توصلوا اليه بسهر الليالي وتعب الابدان والتفكير .
ولا نريد بهؤلاء (العلماء) خصوص ما يقدح اليه ذهن القارىء
من مراجع الدين والتقليد ، بل نريد بهم من ألف ودون أثرأ من
الآثار العلمية ، سواء وصف بصفة المرجعية في التقليد أو لم يوصف بها ،
فهذه (المكتبة الاسلامية) منذ بدء الدعوة المحمدية والى الآن
(قرن العشرين الميلادي) هي حافلة ومملوءة بمؤلفاتهم وآثارهم ، وهذا
التاريخ طافح يذكر مآثرهم التي نشرت على صفحات الأثير .

فهؤلاء الطبقة من المؤلفين لم تسكن لهم غاية وراء ما يكتبون
ويؤلفون مما عرفوه من العلم سوى البت والمقرر لأجل خدمة البشر لتفصب
هذه الفضيلة لهم ، فهم أسس بناء وعي البشرية الاسلامية ، وهم أساس
الثقافة بين النوع الانساني ، ومن وراء تلك الاتعاب لا يرجون سوى الحبوة
والزاني ، من ساحة الحق تعالى (والله يجزي المحسنين) .

وبالدرجة الثانية منهم المؤلفون الذين احكموا ثقافتهم على اللون
الجديد المعصري ، وهو الذي يتمشى مع هذا الجيل وابناء هذا العصر ،
وهم كتاب هذا العصر وادباؤه ومؤرخوه المتخرجون من المعاهد
والكليات .

وهؤلاء قد تلقوا اكثر دراساتهم من المناهج المدرسية ، لذلك كان
على نشأتهم العلمية صبغة التمدن الاوربي بكل معانيه ، حتى في مؤلفاتهم
وكتاباتهم . لذلك كانوا يعمدون الى ترجمة بعض الكتب الغربية ونشرها ، فيترجمونها
من اللغة الانكليزية أو الفرنسية أو الالمانية الى اللغة العربية ، ظناً منهم أن
ذلك يعدلونهاً جديداً من الثقافة العلمية ، مع أنه تأخر جديد من الناحية

الخلقية ، ولكنهم يجدون أن تلك الكتب تلامي رواجاً عند الشباب المتجدد ،
الذي تستهويه (المتجددات) لاعتقادهم أن أدمغة الغربيين هي أحفظ
للثقافة ، في حين أن تلك الكتب التي يترجمونها ليس فيها سوى بعض
القصص التافهة المشتملة على المغامرات والمواد الوحشية ، والاخلاق
النايبة ، أو المتضمنة للكتب الجفسية التي لا يحسن انتشارها إلا للبالغين
العاقلين .

وان مثل هؤلاء المؤلفين - وان كانت مؤلفاتهم قد ملأت الأسواق
والكتبات - ولكنها لا تستحق من المدح ما يعبر عنها بالمؤلفات التي
ينتفع من ورائها القراء والمطالعين ، سوى أنها غيرت اتجاهات أكثر
شبابنا فصرفته عن التخلق بالخلق الاسلامية الى التخلق والتعلق بالاخلاق
الغريبة البعيدة عن المثل العليا والاخلاق السامية .

وبحق لمثل هؤلاء الكتّاب أن يعبر عنهم بالتجار المتكسبين بهذا الشكل
من الكسب ، لذلك نراهم يترجمون بعض الكتب الغربية من أجل
رواجها في الاسواق والنفع المادي من ورائها ، ولا يهمهم أنفقت البلاد
أم أساءت الى العباد ؟؟

والحق يقال أنهم أعداء العلم والفضيلة ، وان وصفوا بوصف الادياء
المثقفين ، وهم مصداق قوله تعالى : (واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض
قالوا إنما نحن مصلحون * ألا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) (١) .
وهناك طبقة نائمة من الكتاب والمؤلفين ممن انتشرت مؤلفاتهم
وكثرت كتبهم « ويا ليتهم لم يؤلفوا ولم يكتبوا » ولم نجد وصفاً لهم

(١) البقرة : ١١ - ١٢ .

سوى التعبير عنهم (بالمتطفلين على مواعيد التأليف) ، وهذه الطبقة ان لم تكن أسوأ حالا من سابقتها فهي لا تقل عنها جرماً في المجتمع العالمي ، وزيد بها زمرة خاصة من الكتاب ممن يزاولون الكتابة واخراج المؤلفات في عصرنا الحاضر ، واننا قد قرأنا منظويات ضائرم من كتاباتهم فرأيناهم يحاولون فيما يكتبون أن يظهروا أنفسهم للملا من الناس بأنهم من المؤلفين الذين يتطلبون خدمة النوع الانساني ، وأنهم في عداد حملة الاقلام الذين دفعهم الدين والعقيدة والضمير الحى الى هذا النوع من البروز ، فهذه نشراتهم الشهرية أو الاسبوعية وكراساتهم المطبوعة ومجتمعاتهم التي يعقدونها بحسب المناسبات في الحفلات والنوادي ، ولسانهم يدعو الناس الى الدين والى تعاليم الشريعة المقدسة ، وهذه مؤلفاتهم هي من هذا اللون والشاكلة ، ويا حبذا تلك الذشرات والمؤلفات والمحافل والنوادي لو كان القاعون بها ممن يعمل بتعاليمها ويمثلها العليا التي تدعو الى تكاتف المسلمين وتعاليم الخلق السامي الذي جاء به الرسول الاعظم ﷺ وسار على ذلك أئمتنا المعصومون وعلماؤنا السابقون ، ولسكنهم كانوا مصداق قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون * كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون ﴾ (١) ومصداق الحديث الشريف : « لمن الله الآصرين بالمعروف التاركين له ، الناهين عن المنكر العاملين به » .

ولو فتشت عن دخالهم لعرفت أنهم مزيفون لا متدينون .

(ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويهدى الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام * واذا تولى سعى في الارض ليفسد

(١) الصف : ٢ - ٣ .

فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد (١) .
ولو كانوا متدينين حقاً لسااروا على منهج بين واحد يعرفه كل
أحد ، ولكنهم يتغيرون ويتلونون بحسب الظروف والمقتضيات ، فهم
كالخرباء التي ذكرها المتنبي في قوله :

يتلون الخريت من خوف التوى فيها كما يتلون الخرباء (٢)
وكيف يحسن عقلياً واجتماعياً أن يتصدر مثل هؤلاء لمثل هذا
المنصب الديني التبشيري ليقوموا بأداء واجب المبشرين الصادقين، وهذا التاريخ
قد سجل لهم ما كانوا يعملون ، وهذه الصحف والمجلات قد نشرت لهم
القصاصد الطوال في أيام (المد الأحمر) وهم يخلقون بنحياهم في المدح
والثناء بما لا يرتضيه الشرع المقدس .

وهكذا عرفنا تاريخ حياتهم ، فهم كالمثل المعروف (في كل
قدر لهم مفرقة) ويحاولون دس آناهم في كل شيء باسم الدين
ويأبى الله تعالى ورسوله والمؤمنون ما كانوا يفعلون ، ولو أردنا أن
نكشف من تاريخهم أكثر من هذا « لوضعنا النقاط على الحروف » ولبانوا
بثيابهم ثياب الرياء أمام الناس كما قال الشاعر :

توب الرياء يشف عما تحتهه واذا التحفت به فانك عار (٣)
(وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون) (٤) .

-
- (١) البقرة : ٢٠٤ - ٢٠٥ .
 - (٢) ديوان المتنبي : ١٢/١ .
 - (٣) جواهر الأدب : ٣٨٤/٢ .
 - (٤) آل عمران : ١١٧ .

وبعد هذا السجل المنشور المعروف من حياتهم جاؤا الى الناس
يكون بدموع التماسح على الدين ، وهيهات ان يخدع الناس بهذا
التباكي الكاذب ، ويحق لنا ان نعر عنهم بأنهم مسنأجرون لامتدينون
ومتطفلون على مواعيد التأليف لا مؤلفون .

وان هؤلاء الكتاب من المؤلفون الذين يؤلفون ويدنونون ويذشرون
كل ذلك باسم الدعوة والتبشير الى الدين وهم بعيدون عن العمل بقوانينه ،
فتلهم كمثل ذلك الشخص الذي حكى عنه بما حصل القصة : أنه رؤي في
بعض المشاهد المشرفة في بزة المتدين المتمبذ وهو ملازم لاوقات الصلوات
والفرائض في الحرم الشريف ، وقد مضت عليه شهور وأيام وهو على
المنهج ، حتى ان الذي يراه كان يغبطه على تلك الصفة ، وفي بعض
الايام رآه بعض من عرفه وهو يودع معدات العبادة من القرآن
والتربة الحسينية والصحيفة السجادية وغيرها ، فقال له : ما هذا ؟
قال : نعم قد جاءني نبأ يعلمني برجوعي الى منصب الوزارة ، وتبين أنه
كان يشغل منصباً حكومياً مرموقاً ، وقد عزل فأخذ هذا المنهج وسيلة له ،
فهو كما قال الشاعر :

صلى وصام لأمر كان يطلبه

وقد شاهدنا في حياتنا قصة من هذا النوع ، وبطلها لا يزال في
قييد الحياة ، وقد مرت عليه ظروف وهو ممتكف في مسجد الكوفة
وهو ليس من أهل الاعتكاف ، كما يتقل مثل هذا ، عن بعض
رؤساء دول (الخلفاء) في العهد (الناري) حينما تضايق من هتلر
التجأ الى الكنائس مظهراً الى الله تعالى الانقطاع وطلب من
القسيسين والرهبان الدعاء في الخلاص من « هتلر » ، وأمثال ذلك كثير

ممن لاذوا باسم الدين مظهرين التدين وايسوا هم من أهل الدين .
 وعلى كل حال لا نريد اطالة الحديث مع القارىء ، فان للحديث
 شعباً وفروعاً قد تؤدي الى الخروج عن الموضوع ، فنعمود قائلين :
 ان المؤلفات والنشرات والكراسات التي تدوّن فتطبع باسم الدعوة
 الى الدين ، وكذلك النوادي والمحافل التي تعقد بهذا الاسم ويصرف
 عليها من الاموال الطائلة ويبذل في سبيلها الاتعاب الكثيرة ، كل ذلك
 لأجل بث دعوة الدين والتبشير الى مثل الاسلام العليا وبيان تعاليم
 الشرع الشريف ، إن ذلك حسن مما يرتضيه الخلق الكامل والمنطق
 الصحيح ، وأن التبشير من هذا اللون مما يلائم الذوق الحاضر ، ويحبذا
 كل ذلك لو قام به رجال مخلصون نزيهون غير متعيزين الى فئة من الناس
 دون فئة ولا منتمين الى حزب دون حزب ، غير حزب الله والخدمة في
 سبيل اعلاء كلمة الحق ، ولكن يا للأسف الشديد ان الذين نراهم يطبلون
 ويصرخون ويهرجون باسم الدين لهم غايات لا ترضي الله تعالى ونوايا تسيء
 الى الدين والمعائد ، فاننا لله وإنا اليه راجعون .

لقد هزلت حتى بدى من هزالها كلاهما وحتى سامها كل مفلس
 وقد نبغت طائفة ممن نعبر عنهم بالمتطفلين على مواعيد التأليف
 لا بأس بالتنويه عنها ، وهذه الطائفة من حملة الاقلام من المؤلفين المعاصرين
 قد عرفوا شيئاً من العلم ونسوا الشيء الكثير منه ، كما قال
 الشاعر :

حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء

وان هؤلاء من هذه الطائفة من الكتاب والمؤلفين قد جنوا على
 العلم وحملة الفضيلة ، وارخصوا من سعره المثمن ، حيث أنهم يكتبون

في كل شيء يمر على خاطرهم وان لم يكن من اختصاصهم أو ليس لهم في ذلك العلم قدم ولا قدم ، فهم يدسون أنوفهم في كل ميدان علمي لأجل البروز وبيان اظهار أنهم من أرباب التدوين في جميع العلوم ، وبوجود هؤلاء قد ضاعت مقاييس العرفان وذهب مايز الفضيحة وجهلت منزلة العلماء الفطاحل الذين أفنوا حياتهم في طلب العلم .

والذي يسميه الأدب ويزعج المجمع العلمي أن بعض هؤلاء المتطفلين في التأليف من طلابنا المحترمين لم يعرف عنه أنه أكل دراسته السطحية لمقدمات العلوم ، ومع ذلك قد نال درجة النجاح بقاعدة (الزحف) وأخذ حق التأليف ، كأخذ النواب السابقين في المهدي البائد بطريق التزكية ، فهل يصح لمثل هذا السكاتب أن يؤلف في أصول الفقه أو الطب أو في علم الفقه أو غير ذلك من العلوم مع فرض أنه لم يعرف عند أهل الخبرة أنه من هذه الطبقة ؟

والخبر الذي يزعج أهل الدين والعلماء الاعلام اني طلبت كتابا فقهيا لبعض العلماء السابقين قدس الله أسرارهم فأني به الي مشروحا ومعلقا عليه من قبل بعض المعممين الذي لم يبلغ الخامسة عشرة من سنه ولم يعرف عنه أنه من أهل الفضيحة ، فتعجبت كثيرا فقلت : ان الذي أعرفه من هذا الشخص أنه لم يكمل دراسات مقدماته من العربية والصرف وغيره ، فكيف وصل الى هذا الحد والتقدم ، وكيف جاز له شرعا التعليق على كتاب فقهي استدلالي وهو لم يبلغ مرتبة الاجتهاد ؟؟

وقد بلغني ماهو أعظم من ذلك أن بعض المعممين قد طبع رسالة فقهية عملية ، وهذه الطامة الكبرى والجرأة على الدين الحنيف ، واغتصاب منصب الفتوى الذي لا يحل إلا لأهله .

وقد سمعت من والدي قدس الله سره أنه سمع من المرجع آية الله العظمى الميرزا محمد حسين النائيني قدس الله سره ، المرجع الديني الكبير في وقته يقول في حق أحد أئمة الجماعة ومن المعروفين بالفضيلة والصلاح حينما سمع من بعض أهل العلم أنه يدعي الاجتهاد فقال : ان لم يعرض نفسه على أهل الخبرة ليعرف اجتهاده أو عدم اجتهاده فهو فاسق لا تجوز الصلاة خلفه .

ويشهد الله إني لم أندفع الى هذا الحديث اندفاع ناقم أو ساخط ، بل انني متأثر من هذه السفساف التي تذهب بروعة رجال الدين وأهل العلم ، واني أهيب بأهل الفضيلة واناشد العلماء الاعلام بأن يقفوا أمام هذه المؤلفات الصادرة من غير أهلها وفي غير محلها ، لأن الهيئة العالمية تؤول الى التأخر والاندثار اذا كان الذين يصدرون الفتاوى الشرعية ليسوا من أهل الخبرة ولم يعرفوا أنهم من أهل الاستدلال أو استنباط الاحكام الشرعية عن أدلتها التفصيلية . . . هذا تمام البحث عن الظاهرة الاولى وهي كثرة التأليف والمؤلفات .

الفائدة التاسعة - ٩ -

في تأسيس المكتبات منذ أقدم العصور حتى اليوم

نشأت دبر الكتب في العالم منذ تعلم الانسان فن الكتابة على اختلاف أنواعها واشكالها ، فدون معلوماته وحفظها وأودعها في الكتاب .

وكانت الامم السالفة تعتبر الكتب من الاشياء المقدسة التي تحفظ في هياكل العبادة ، وكانت في هياكل مصر كتب تبحث في الامور الاعتقادية والطب والزراعة ، وقد ذكر المؤرخون أن (رمسيس الكبير) أحد فراعنة مصر كان قد جمع كثيراً من المؤلفات في قصره ووضعها تحت الآلهتين (توث) و (سافرين) .

فقدماء المصريين يعود لهم فضل تأسيس المكتبات الخاصة ، وفضل تأسيس المكتبات العامة يرجع الى اليونانيين السابقين . ومن أشهر المكتبات اليونانية التي أسسها (بيرغا) في أواخر

القرن الثالث قبل الميلاد، وأشهر من مكتبة (بيرغام) مكتبة الاسكندرية التي أسسها بطليموس سوتير (٢٨٣ - ٣٤٧) قبل الميلاد ، ويأتي بعد هذه المكتبة في الشهرة مكتبة ارسطو التي أودعها كتبه وجمع ما عثر عليه من المؤلفات في الفلسفة والعلم والادب ، وقد تأسست أول مكتبة عامة في رومية في عهد الامبراطور (أغسطس) ، وبما يؤسف له أن هذه المكتبات مما أبادها المتوحشون حين هجومهم على (رومية) ، ثم انتشر حب جمع الكتب من رومية الى بقية المدن الأخرى ، فأنشأت مكتبات عامة ثم زاد انتشار ذوق جمع الكتب حتى أصبح كل قصر نغم لسري من السراة خال من دار للكتب يعد ناقصاً غير بالغ حد الفخامة ، حتى اذا جاءت القرون الوسطى فذهبت المكتبات القديمة اليونانية والرومانية فلم يبق منها إلا النزر القليل ، وقد استوت الكنيسة المسيحية عليها .

ومن المؤسف أن المساوسة كانوا اذا احتاجوا الى شيء من الورق لدعواتهم ومواعظهم يأخذون من أوراق تلك الكتب فيمحون ما عليها من الكتابة ويكتبون ما هم في حاجة اليه ، فلم يبق من آثارهم إلا ما يوجد في بعض الكنائس .

ولما جاء دور (الامبراطور شارلمان) في القرن الثامن بعد المسيح ففضأ حب جمع الكتب بين الناس ، فوجدت مكتبات كثيرة في الاديرة وبعض الدور الكبيرة ، ثم تولدت مهاجرات ومجادلات دينية بين (الكاثوليك) و (البروتستانت) ومن جراء ذلك زاد أرقام عدد الكتب ، الى أن جاء اختراع المطبعة في القرن (السادس عشر) ميلادي فبما عدد المؤلفات نمواً طاقماً لم يحسب على بال ، حتى كثر محبو جمع

الكتب بين الملوك والعلماء (١) .

وذكر المؤرخون عن مكتبة الامبراطورية (الحثيية) بما حاصله :
ان الامبراطورية الحثيية ، التي حكمت آسيا الصغرى المشتعلة على (البلقان)
و (القوقاز) و (مملكة بابل) و (آشور) و (مصر) وقد حكمت
طوال الف عام وكانت في سنى الالف الثاني قبل الميلاد وانتهت في سنة
١٢٠٠ ق . م .

وقد كشفت يد التنقيب عن جانب من المكتبات الملكية التي
تجمعها (المكتبة الامبراطورية) ، وهي تحتوي على سجلات الامبراطورية
وأواح مكتوبة بثمان لغات : اللغة البابلية وهي لغة المعاملات الدولية ،
ثم اللغة الميتانية ، اضافة الى اللغات الميت الحثيية . وموضوع هذه الالواح
رسالة وارده من احدى الدول فيها بحث عن تربية الخيل ، وقد استصلح
منها حوالي عشرين ألف جذاذة (أي قطعة) ، وقد أفرد لها فهرس
صنف فيه أسماء مؤلفي الرسائل الموجودة في المكتبة ، ومعظم الموضوعات
يدور حول الحفلات الدينية والطقوس التي تؤدي في المعابد ، واستكناه
الغيب (أي علم السكينة بالمغيبات) وفيها المدونات القانونية والتنظيمات
العسكرية وقوائم الموجودات وسجل الاراضي والمراسيم الملكية ،
وخطب الملوك ، والوثائق المتصلة بشؤون الدولة ، والمعاهدات مع رجال
الاقطاع ، والحلفاء الموالين ، والدول الاجنبية (٢) .

هذه لمحة تاريخية عن انشاء المكتبات وتأسيسها قبل تاريخ الاسلام ، واما في
عصر تاريخ الاسلام : فان المسلمين لما تكونت لهم دولة في القرن الاول هب قادة أفكارهم

(١) دائرة معارف فريد : ٦٠/٨ .

(٢) تاريخ العالم مؤلفه السير جون .١٠ هامرتن : ٥/٢ - ١٤ .

الى جمع المكتب على ندرتها وقلتها ، لأن الدين الاسلامي يدعو الى العلم والحكمة ، كما في الحديث الشريف « اطلبوا العلم ولو في الصين » لأن العلم يخرج الناس من الظلمات الى النور وينير العقائد الحققة والحياة الانسانية الراقية ، لذلك هبوا يطلبون العلم من مظانه ، فجاؤوا الاقطار وتمرضوا للاخطار .

واني لأعجب من قادة المسلمين في القرن الاول في عهد الرسول الاعظم ﷺ كيف تركوا منبع العلوم وهو ما بين ظهرانيهم ، وراحوا يطلبونه من الصين أو الهند أو اليونان أو غيرهم ، وهذا رسول الله ﷺ يهتف بين حشد المسلمين : « أنا مدينة العلم وعلي بابها » وهذا علي ابن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام يقول : « علمني رسول الله ﷺ من العلم يفتح لي من كل باب الف باب » ويقول أيضاً ، وهو على المنبر « سلوني قبل أن تفقدوني سلوني عن طرق السموات فأني أعرف بها من طرق الأرض » ويقول عليه السلام : « والله لو ثبتت لي الوسادة لأفتيت أهل الانجيل بانجيلهم وأهل الزبور بزبورهم وأهل التوراة بتوراتهم وأهل الفرقان بفرقانهم » .

ولكن هناك هناة وهناة ولدت ظروفًا أدت إلى اخفاء كثير من العلوم ، فانظمت من جراء ذلك بعض الحقايق .

وعلى أي حال لقد جمع المسلمون في القرن الاول من ظهور الاسلام بين علوم القدماء والمعاصرين من الهنود والفرس ، والرومانيين واليونانيين ، وقاموا بترجمة ما وقع بأيديهم من المؤلفات الأجنبية ، وتنافس الملوك والامراء في هذا السبيل ، وقد دأبوا على جمع المكتب بصفة منظمة لأجل أن يتوصلوا الى تكوين المكتبات .

كما نقل عن المأمون أنه نقل الى بغداد مائة حمل بعير من
الكتب ، وقد كان أحد شروط معاهدة الصلح بينه وبين الامبراطور
(ميشل الثالث) أن يعطيه احدى مكتبات (القسطنطينية) التي كان
فيها من بين الذخائر الثمينة كتاب (بطليموس) فأمر المأمون بترجمته
الى العربية وسماه المجسطي .

ولما تمهدت الامصار للخلفاء أخذوا في جمع كتب العلم ، حتى جاء
دور المنصور العباسي فعنى بترجمة كتب الفرس واليونان ، ولما كثرت
تلك الكتب بنى الرشيد لها بيتاً سماه (بيت الحكمة) ، وجاء المأمون
من بعده فسار على خطواته وزاد في جمع الكتب وتراجها ، وزادت
الرغبة في جمع الكتب في بغداد كلها اقتداءً بالمأمون ، وكان كبار
المسامين غير ضنينين بما يصرف من المال في هذا السبيل ، حتى أنشأ الفتح
ابن خاقان وزير المتوكل مكتبة عظيمة ، وكان وزير الواثق بالله ينفق
ثلاثين ألف دينار في كل شهر على ترجمة الكتب ونسخها .

ولما انتقلت الخلافة من بني أمية الى بني العباس ، هرب عبد الرحمن
الاموي الى الاندلس ، فأنشأ دولة في (قرطبة) فظاقت القاهرة وبغداد
أو فافتها ، وكان للمستنصر بالله - سلطان قرطبة - اليد الطولى في الحركة
العلمية في الاندلس ، فانه جلب كتب الفلسفة من البلاد الشرقية وأمر
بترجمتها حتى جلب اليها من الكتب مما لم يعهد ، وطلب كتاب الاغاني
من مصنفه أبي الفرج الاصفهاني وبعث اليه ألف دينار من الذهب العين ،
فأرسل اليه نسخة قبل أن يخرجها الى العراق ، واجتمعت في الاندلس
خزائن من الكتب لم تكن مجموعة لأحد من قبله ولا من بعده ، ولم
تزل هذه الكتب موجودة في قرطبة الى أن بيع أكثرها في حصار البربر ،

ثم كثرت الفتن في البلاد وعبثت الايدي بالكتب ، فنقل بعضها الى (اشبيلية) وبعضها الى (غرناطة) وبعضها الى غيرها من العواصم .
وقيل أنه بلغ عدد المكتبات العمومية في أسبانيا أيام دولة العرب مقدار سبعين مكتبة عمومية ، ولما ضعفت الخلافة العباسية وقوي ملوك الطوائف ، فاستقل بنو سامان ، في بخارى وبنو حمدان في الشام وبنو بويه ، في شيراز والفاطميون في مصر ، وكانت هذه الدول تتنافس في رفع شأن العلم وتقريب رجاله ، فأنشأ نوح بن منصور ، سلطان بخارى مكتبة كبيرة ، ونوح هذا هو الذي عرض الوزارة على صاحب بن عباد فاعتذر عن قبولها بأنه لا يستطيع أن ينتقل اليه مالم يأخذ معه كتبه وهي حمل أربعة مئة جل ، وكانت دار سيف الدولة كثيرة الكتب ، وهو الذي قرب أبا نصر الفارابي وكان يجري عليه النفقة الى حين وفاته ، وقضى أبو الفرج الاصفهاني خمسين سنة في جمع كتاب الاغاني وحمله اليه فجازره بألف دينار واعتذر اليه من قلة المال لديه (١) .

ويحدثنا الدكتور أحمد شلبي : عن المكتبات حيث أفرد لها فصلاً خاصاً تحت عنوان (الفصل الثاني - المكتبات) يقول : ان المكتبات كانت طريقة القدماء في نشر العلم ، ولما كان يتعذر على غير الأغنياء اقتناء الكتب نظراً لأنها كانت مخطوطات غالية الثمن لجأ من أحب تعليم الناس الى انشاء مكتبة يجمع فيها الكتب ويفتح أبوابها لهم ، كما فعل البطالسة في مكتبة الاسكندرية والعباسيون في بيت الحكمة (٢) ثم كانت الكتب نواة الجامعات الاسلامية المبكرة ، كبيت الحكمة في بغداد ،

(١) دائرة معارف فريد : ٧٠/٨ .

(٢) التمدن الاسلامي : ٢١٠/٣ .

ودار الحكمة في القاهرة ، وقد كان ذلك داعياً الى اختلاف المؤرخين في طبيعة هذه المؤسسات ، وما اذا كانت تعد مدارس أو مكاتب ، ثم أصبحت هذه نماذج لهذا النوع من المنشآت ، سواء شيدتها الدولة أو أسسها الافراد ، وعلى هذا أصبحت المكتبات في العالم الاسلامي في تلك العصور تقوم بمهمة المعاهد العلمية في العصر الحديث ، بالاضافة الى ما تؤديه دور المكتب في الوقت الحاضر من خدمات ، وكانت القيمة الادبية للمكتبات تتبع من تقدير المسلمين للمكتب و إعجابهم بها ، ولهذا الإعجاب دفعهم الى تكوين المكتبات ، وبدلوا لها ما بذلوه للمكتب من حب وحرص وتقدير .

والأدب العربي حافل بصور تدل على هذا الاتجاه الرائع المثير ، هجم الجنود الخراسانية على دار ابن العميد بعد أن انتصروا على غلمانه وحراسه ، وفر ابن العميد الى دار الامارة تاركا لهم بيته وما فيه ، فلما جاء الليل وانصرف الجنود الخراسانية عاد ابن العميد الى داره ، فوجد ان اصطبلاته وخزائنه جميعاً قد نهبت حتى انه لم يجد في منزله ما يجلس عليه ولا كوزاً واحداً يشرب فيه ماء ، فأنفذ اليه أبو حمزة العلوي فراشاً وآلة ، واشتغل قلبه بدفأته ولم يكن شيء أعز عليه منها وكانت كثيرة تشمل جميع العلوم وكل نوع من أنواع الحكم والآداب ، وكانت تحمل على مائة وقر (١) وزيادة ، فلما رأى (ابن العميد) ابن مسكويه (٢) خازن كتبه سأله عنها فأجاب هي بحالها لم تمسها يد ، فسرتني عن ابن العميد وقال لخازنه : أشهد أنك ميمون النقيبة ، اما سائر الخزائن فيوجد عنها عوض ،

(١) الوقر : بكسر الواو : الحمل الثقيل .

(٢) ابن مسكويه : صاحب كتاب تجارب الأمم .

وهذه الخزانة هي التي لا عوض لها .

واهتم بنو عمار : الذين كانوا يقطنون طرابلس الشام اهتماماً كبيراً بمكتباتهم ، وحشدوا فيها مجموعة ثمينة من الكتب في الفنون المختلفة ، وصرحوا على أن يزودوها بكل نادر وكل جديد ، ومن أجل ذلك وظفوا أخصائين وتجاراً ليجوبوا البلاد ويحزروا لهم الكتب المفيدة من البلدان النائية والاقطار الأجنبية (١) .

ولم يقف حب المكتبات وتقديرها والحرص عليها عند العلماء والباحثين ، وإنما تمداهم الى سوامم من طامة الناس ، وأصبح وجود مكتبة بالمنزل من تمام زينته وتأنيثه ، حتى ولو لم يكن صاحب المنزل مؤهلاً للاطلاع والاستفادة من ذخائرها ، فهي على كل حال تضيئي على المنزل جمالا وعلى صاحبه كمالا وجلالا

روى المقرئ عن الحضرمي أحد علماء الاندلس أنه قال : أقت مدة بقرطبة ولازمت سوق كتبها (٢) مدة أترقب فيه وقوع كتاب

(١) خطط الشام : ١٩١٦ .

(٢) وتمتاز النجف الاشرف في بيع الكتب بالمزاد العلني المعروف [بالهرج] قد لا يوجد في غيرها من البلدان اضافة الى المحلات المعدة لبيع مختلف الكتب ، وغالباً يكون يوم الجمعة من كل اسبوع ، وتعرف حذاقة هواة شراء الكتب واقتنائها او الاتجار بها في هذا الميدان ، فقد يشتري ما يسوى عشرة دنانير بدينار واحد ، بخلاف من ليست له خبرة فقد يشتري ما هو بدينار بعشرة دنانير ، وقد اختص بهذا الفن اناس معروفون من اهل العلم ومن تجار الكتب .

« المؤلف »

لي بطلبه اعتماء الى أن وقع وهو بخط فصيح وتفسير مليح ، ففرحت به أشد الفرح فجمعت أزيد في ثمنه فيرجع الى المنادي بالزيادة علي الى أن بلغ فوق حده ، فقلت للمنادي : اربي من يزيد في هذا الكتاب حتى بلغه الى مالا يساوي ، فأراني شخصاً عليه لباس رياسة ، فدنوت منه فقلت له : أعز الله مولانا الفقيه ، ان كان لك غرض في هذا الكتاب تركته لك ولـكنني أقت خزانة كتب واحتفلت فيها لأتجمل بها بين أعيان البلد وبقي فيها موضع يسع هذا الكتاب ، فلما رأيت حسن الخط جيد التجليد استحسنفته ولم أبال بما أزيد فيه (١) .

ولهذه القصة نظير وقع في العصر الحديث ، فان ثرياً امريكياً بنى منزلاً فخماً في حي من أعظم أحياء (نيويورك) واختار له أرقى أثاث ، ثم أرسل خطاباً لمدير محل كبير لبيع الكتب (بلندن) يطلب منه ارسال مجموعة من الكتب ، وقد جاء في الخطاب تفاصيل دقيقة فيما يختص بنوع التجليد وحجم الكتاب والمساحة التي يراد شغلها بها ، أما عن موضوعات الكتب وعناوينها فقد تركت لاختيار محل بيع الكتب ، إذ كان المقصود بالكتب الزينة والمظهر دون أن يراد منها الثقافة والعلم (٢) .

ولم يعرف المسلمون في القرون الوسطى الطريقة الحديثة في وضع الكتب على الارفف ، بل كانوا يضعونها مستلقية الواحد فوق الآخر ، وعلى هذا نصح من يقوم بترتيب الكتب ألا يضع ذوات القطع الكبير فوق ذوات القطع الصغير كيلا يكثر تساقطها ، وكان المعروف في تنظيم الكتب بتلك الطريقة ان عنوان الكتاب واسم مؤلفه لا يكتبان على ظهر

(١) نفع الطيب : ٢١٨/١ .

(٢) هامش تاريخ التربية الاسلامية : ١٢٢ .

الكتاب كما هو متبع في العهد الحاضر ، بل كان المؤلف أن يكتب عنوان الكتاب واسم مؤلفه على أطراف الصفحات مجتمعة من أسفل وتجعل رؤوس الاحرف تجاه بده الكتاب ، فاذا وضعت الكتب بعضها فوق بعض جعل الجانب الذي عليه الكتابة في الجهة الخارجية للرف ليواجه الشخص الذي يبحث عن كتاب معين ، فيسهل عليه في هذا الحال أن يعثر على الكتاب الذي يريده .

أما الكتب الثمينة أو الكتب غير المجلدة فقد كان كل منها يحفظ غالباً في صندوق صغير حجمه حجم الكتاب ، والصندوق مصنوع من الورق المقوى غالباً ، ويكتب العنوان واسم المؤلف على جانب الصندوق بدلاً من أطراف الورق .

ولم تخل مكتبة ذات شأن عامة أو خاصة من فهرس يرجع اليه بسهولة استعمال مجموعة الكتب ، وبجانب الفهارس ورقة خاصة ملتصقة بكل دولا ب من دوايب الكتب كتب عليها عناوين الكتب التي يحويها ذلك الدولا ب وأرقامها فيه .

وبالإضافة الى عنوان الكتاب ورقه كانت الفهارس تشتمل على ملاحظات عن الكتاب التي فقدت بعض أوراقه أو لم توجد جميع أجزائه ، وقد كانت الفهارس معروفة في العراق منذ عهد (خزائن الحكمة) .

حدث الحسن بن سهل قال : قال لي المأمون يوماً : أي كتب المعجم أشرف ؟ فذكرت كثيراً منها ثم قلت : جاويدان خرد (يتيمة السلطان) يا أمير ، فدعا المأمون بفهرست كتبه وجعل يقلبه فلم ير لهذا الكتاب ذكراً ، فقال : كيف يسقط ذكر هذا الكتاب من الفهرست ؟ (١) .

(١) رسائل البلغاء : ٤٧٩ .

وكان لمكتبة المدرسة النظامية ببغداد فهرس شامل دقيق وآه ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ، وهو يقول : واقد نظرت في ثبث الكتب الموقوفة في المدرسة النظامية فاذا به يحتوي على نحو ستة آلاف مجلد .

واما في مصر فلم يكن هناك في بادىء الأمر فهرس عام لمكتبة الفاطميين العظيمة التي كانت تشمل أربعين حجرة ، بل كان يكتب بقاعة خاصة لكل حجرة ، وتشتمل القائمة على عناوين الكتب الموجودة بالحجرة وأرقامها ، وتلصق قاعة كل حجرة على بابها ، ولكن الوزير أبا القاسم الجرجاني وجد أن مكتبة كهذه لا بد لها من فهرس عام ، فأصدر في سنة ٤٣٥ هـ أمره بذلك ، وعين لهذه المهمة القاضي أبا عبد الله القضاعي وأبا خلف الوراق (١) .

وهناك موظفون المكتبات ويختلفون باختلاف المكتبة ما اذا كانت صغيرة أو كبيرة خاصة أوعامة ، وهذا الاختلاف يشمل انواع الوظائف وعدد الموظفين ، ومع هذا فهناك وظائف قل أن خلت منها ذات شأن في العالم الاسلامي .

ويدور الحديث عن هؤلاء الموظفين وهم : ١ - الخازن (أمين المكتبة)
٢ - المترجمون . ٣ - النساخ ، ٤ - المجلدون ، المناولون .
وكانت الاوقاف هي المصدر الذي ينفق منه على المكتبات وما يلزمها ، ويشمل ذلك ترميم البناء ومد المكتبة بالكتب الجديدة ودفن رواتب الموظفين وغير ذلك .

وأنواع المكتبات ثلاثة : (أ) مكتبات عامة (ب) مكتبات بين

(١) اخبار الحكماء : ٤٤٠ .

العامة والخاصة (ج) مكتبات خاصة .

وأول ما انفثت المكتبات العامة في المساجد وفي المدارس لتكون في متناول الدارسين والوافدين والطلاب للعلم ، وقد كانت المكتبات من هذا النوع كثيرة جداً بحيث لا يخلو مسجد أو مدرسة من مجموعة من الكتب التي يرجع إليها الطلاب والباحثون . ومن المكتبات العامة :

١ - (بيت الحكمة) التي يرجع تأسيسها إلى هارون الرشيد .

٢ - (المكتبة الحيدرية) بالنجف ، ولا تزال موجودة حتى الوقت الحاضر .

٣ - (مكتبة ابن سوار) بالبصرة ، وأسسها أبو علي بن سوار الكاتب ، وهو من رجال عضد الدولة .

٤ - (خزانة سابور) وأنشأها أبو نصر سابور بن اردشير المتوفى : ٤١٦ هـ .

٥ - (خزانة كتب الوقف بمسجد الزيدي) وهو أبو الحسن علي بن أحمد المتوفى ببغداد سنة ٥٧٥ هـ .

٦ - (دار الحكمة بالقاهرة) التي أنشأها الحاكم بأمر الله الفاطمي بالقاهرة .

٧ - (مكتبات المدارس) وقلما خلت مدرسة من المدارس التي انتشرت في العراق وخراسان وسوريا ومصر من مكتبة تتبعها مزودة بمجموعة من الكتب ضخمة أو صغيرة تبعاً لمكانة المدرسة وللأوقاف عليها . وأما المكتبات بين العامة والخاصة فإنها لم تكن عامة لأن دخولها لم يكن مسموحاً به لجميع طبقات الناس ، ولم تكن خاصة لأن أصحابها لم يفشئوها لتكون لهم فقط ، حيث كان ينقصهم الميل للاطلاع أو الوقت

الذي بمضونه في القراءة والدرس . انها مكتبات انشأها الخلفاء والملوك تقرباً للعلم ، وتظاهراً على انهم من اهله ، وجعلوا دخولها مباحاً لطبقة خاصة من الناس ، وكان الدخول اليها يحتاج الى اذن خاص ومن المكتبات بين العامة والخاصة :

- ١ - (مكتبة الناصر لدين الله) التي أنشأها الناصر لدين الله العباسي ، الذي حكم من سنة ٥٧٥ هـ الى سنة ٦٢٢ هـ .
- ٢ - (مكتبة المعتصم بالله) وهو آخر الخلفاء العباسيين ، تولى الخلافة سنة ٦٤٠ هـ وقتله المغول عقب سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ .
- ٣ - (مكتبة الخلفاء الفاطميين) في مصر .

واما المكتبات الخاصة التي أنشأها العلماء والادباء لاستعمالهم الخاص ، وهذا النوع كثير جداً ، اذ كان من النادر جداً أن تجد طالماً أو أديباً دون أن تكون له مكتبة يرجع اليها في دراسته واطلاعه . ومن المكتبات الخاصة .

- ١ - (مكتبة الفتح بن خاقان) وقد أنشأها الفتح بن خاقان وزير المتوكل العباسي ، وقد قتل مع المتوكل في سامراء سنة ٢٤٧ هـ (١) .
- ٢ - (مكتبة حنين بن اسحاق) المتوفى سنة ٢٦٤ هـ ، وكان أبرز الاطباء والمترجمين على عهد المأمون .

- ٣ - (مكتبة ابن الخشاب) المتوفى سنة ٥٦٧ هـ ، وهو عبد الله ابن أحمد الخشاب البغدادي ، كان من أعلم الناس بكلام العرب .
- ٤ - (مكتبة الموفق بن المطران) المتوفى سنة ٥٨٧ هـ ، وكان طبيباً دمشقياً حاد الذهن فصيح اللسان ، خدم بطببه الملك الناصر

(١) الطقطقي : ٣ .

صلاح الدين (١) .

٥ - (مكتبة جمال الدين القفطي) وهو الوزير جمال الدين ابو الحسن ،

ولد بمصر وأقام بحلب ، وهو يجيد علوم اللغة والنحو ، وهو الذي أنشأ
المسكينة توفي سنة ٦٤٦ هـ وأوصى بكتبه للناصر صاحب حلب .

٦ - (مكتبة المبشر بن فانك) وهو الامير أبو الوفاء المبشر بن

فانك من أعيان أمراء مصر ، توفي في نهاية القرن الخامس .

٧ - (مكتبة افرائيم الزقان) توفي حوالي سنة ٥٠٠ هـ وكان من

أطباء مصر المعدودين .

٨ - (مكتبة عماد الدين الاصفهاني) . الي هنا ينتهي ما اخترناه

كما ذكره شلبي عن تاريخ حياة المكتبات الاسلامية وتأسيسها واهتمام
المسلمين بها مما يرجع ذلك الى اهتمامهم بالكتب والمؤلفات (٢) .

أما شأنية المكتبات في العصر الحاضر (قرن العشرين الميلادي)

و (قرن الرابع عشر الهجري) فقد بلغت المكتبات منتهى الاعتبار والاهتمام من

جانبي الحكومات والاهلين ، وهي منحصرة في أربعة أقسام (المكتبات

الحكومية العامة) و (المكتبات الحكومية الخاصة) و (المكتبات

الاهلية العامة) و (المكتبات الاهلية الخاصة) .

وحيث أنها مصدر من مصادر الثقافة العامة التي لها الشأن والاهمية

في جميع أدوار الحياة العالمية ، وهي تنمو وتزداد رقياً وكثرة بتقدم

الثقافة والوعي العلمي ، لذلك فهي في دور الارتقاء والتصاعد في العدد

والكثرة ، إذ بها قوام اعتبار الدول والحكومات ، مما تستفيد من

(١) طبقات الأطباء : ١٧٥/٢ .

(٢) تاريخ التربية الاسلامية : ١١٣ - ١٧٠ .

مكونات محتوياتها من العلوم والفنون المودعة في بطون المؤلفات والكتب ، كما وان طلاب العلم من الباحثين والمقربين مما لاغنى لهم عنها ، فهي المركز الحساس في الحكومات والاهلين .

وان الباحث في إحصاء المكتبات وبيان أعداد محتوياتها من الكتب المطبوعة والخطية وبيان تاريخ انشائها وكذلك البلدان الموجودة فيها المكتبات ، فان الخوض في هذا الموضوع مما يتطلب جانباً كبيراً من الوقت ، اضافة الى السعي وراء المصادر المتكفلة لذلك ، من قبيل الرجوع الى دليل المعارف العلمية في كل دولة وجمهورية عربية أو أوربية ، غربية أو شرقية ، مع أن الدول والحكومات والجمهوريات هي في عداد الآلاف كثيرة ، فلو أريد البحث والتنقيب حسب ما يتطلبه المؤلف لاحتاج الى وقت مما يسم تأليف موسوعة أو دائرة معارف تتضمن عشرات المجلدات ، واليك نموذج لما نوهنا عنه .
(المكتبات العامة والخاصة في العراق) .

يقول مؤلف (دليل الجمهورية العراقية) لسنة ١٩٦٠ ميلادي ؛ أخذ عدد المكتبات في العراق يتكاثر بعد الحرب العالمية الاولى ، فقد انشيء في اكثر بلدانه مكتبات عامة ومكتبات أخرى في الكليات والمدارس والمعاهد والمتاحف والجمعيات ودواوين الدولة ، أما المكتبات الخاصة فقد بلغ عددها اليوم أضعاف ما كانت عليه قبل أربعين سنة ، ولن يتأني لنا في هذه العجالة أن نتبسط في هذا الموضوع المتشعب الاطراف ، وانما سنحاول أن نضع بين أيدي القراء إلمامة سريعة باصناف المكتبات القائمة في أنحاء الجمهورية العراقية ، نضمناها احصاءات حديثة استقينها بعضها من وزارة المعارف ، وفوائد توصلنا اليها في أثناء تتبعنا

لاحوال المكتبات المختلفة ، واليك ما يلي :

١ - (المكتبات الحكومية العامة)

بلغ عددها في نهاية سنة ١٩٦٠ (٦٥) مكتبة ، وفي مركز كل مكتبة « مركزية » عامة ، أما سائر المكتبات العامة ففي الاقضية والنواحي ، ان جميع هذه المكتبات يشرف على ادارتها وتنسيقها والانفاق عليها وزارة المعارف والادارات المحلية في الالوية ، باستثناء المكتبة المركزية العامة في بغداد ، فانها ترتبط بوزارة المعارف وحدها .

وقد صدر في العهد الجمهوري « نظام المكتبات العامة رقم (٤) لسنة ١٩٦٠ » المنشور في الوقائع العراقية ، بمددها المرقم ٢٩ والمؤرخ ١٨ كانون الثاني ١٩٦٠ ، وهو أول نظام يصدر بهذا الشأن ، وقد نصت المادة الاولى من هذا النظام على ما يأتي : « تكون وزارة المعارف مسؤولة عن توجيه وتنظيم المكتبات العامة في العراق ، وضمان تقدمها من النواحي الفنية والتربوية التالية .

١ - التنظيم الفني للادارة ، التصنيف ، الفهرسة ، شؤون المطالمة والاستمارة ، تصميم السجلات والاستمارات والوازم المكتبية الاخرى ، وتنظيم الجرد السنوي .

٢ - اعداد الموظفين فنياً وتربوياً لادارة المكتبات العامة ، وتوزيعهم على الالوية حسب مقتضى الحاجة .

٣ - المصادقة على تصميم ابذية المكتبات .

٤ - الاطلاع على ما يشتري ويهدى الى المكتبة من كتب

ومجلات وجرائد .

٥ - التفتيش الفني من قبل مديرية المكتبات في وزارة المعارف .

وانصت المادة الثانية منه على ما يأتي : « تكون الادارة المحلية
مسؤولة عن القضايا التالية :

١ - تهيئة أبنية المكتبات العامة وفق التصاميم التي تصادق عليها وزارة
المعارف .

٢ - تجهيز المكتبات العامة بالسكتب والصحف والمجلات ، بعد موافقة
اللجنة المركزية لانتقاء الكتب في ديوان وزارة المعارف .

٣ - تجهيز المكتبات العامة باللائث والوازم المكتبية وكل ما تحتاجه
من نفقات للنشاط المكتبي ، بما في ذلك رواتب الموظفين والمستخدمين .

٤ - الاشراف المالي والاداري .

ثم ذكر صاحب الدليل العراقي . جدول لاسماء المكتبات العامة وعدد
مجلداتها ونحن في غنى عن ذلك لضيق مجال الموضوع .

٢ - (المكتبات الحكومية الخاصة) .

(المكتبات المدرسية) ازداد عدد هذه المكتبات في السنوات
الاخيرة ازدياداً كبيراً حتى أصبح على النحو المذكور أدناه :

مكتبات المدارس الابتدائية عددها ٢٧٣٤ ، مكتبات المدارس
المتوسطة عددها ٢١٦ ، مكتبات المدارس الثانوية والاعدادية عددها ١١٠ ،
مكتبات دور المعلمين والمعلمات عددها ٣٠ ، وهناك مكتبات مدارس
مرتبطة بديوان وزارة المعارف عددها ١٥ ، وهناك مكتبات دواوين
الدولة ومؤسساتها العلمية عددها ٣٥ ، ولدينا مكتبات جامعة بغداد
عددها ١٩ ، وكل هذه المكتبات المنوه عنها تحت عدد ٢ هي من المكتبات
الحكومية الخاصة .

٣ - (المكتبات الاهلية العامة) عددها ٤٥ .

٤ - (المكتبات الاهلية الخاصة) يقول مؤلف (الدليل) :
هي من الكثرة بحيث يتعذر علينا معها وصفها جميعاً في مثل هذا الفصل ،
لذلك رأينا أن نقتصر على ذكر ما اشتمل منها على ثلاثة آلاف مجلد
فاكثر ، وقد بلغ عددها ٥١ مكتبة (١) .

ونتيجة الاحصاء في عدد المكتبات في العراق في سنة ١٩٦٠
على نحو التقريب ، الحكومية ، والاهلية ، العامة ، والخاصة يبلغ - ٦٥٩ ،
ولو أريد الاستقصاء والتبصير في معرفة المكتبات الأهلية التي تبلغ
الألف مجلد فما فوق لكان يزداد عدد الاحصاء مضاعفاً ، ولو أضيف
هذا العدد الى اعداد مكتبات الدول العربية ، كالجهورية العربية المتحدة وغيرها
لازداد العدد أضغافاً ، وكذلك لو أضيف الى هذين المدين اعداد
مكتبات الدول العظمى الغربية (كبريطانيا) و (الولايات المتحدة
و (المانيا) و (فرنسا) و (الروس) و (الصين) و (اليابان) و (تركيا)
وأمثال هذه الدول ، لبلغ عدد المكتبات الى عشرات الآلاف أو عدد
الملايين ، فلو أريد البحث والتنقيب عن تاريخ كل مكتبة مع احصاء
ما فيها من المطبوعات والمخطوطات ، وبيان كيفية بلوغها ذلك العدد ،
وبيان ادارة شؤونها وما ينفق عليها من المال ، وغير ذلك من متعلقات
كل مكتبة ، لكان ذلك - كما سبق أن قلنا - يستتبع اخراج
دائرة معارف تتكون من عشرات المجلدات ، ولكن نكتفي بما ذكرناه
خوف الاسهاب في القول والتطويل في الكلام ، مما يؤدي الى الخروج
عن الموضوع وهذه صورة نموذجية عن المكتبات .

(١) دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠ : ٥٣٦ .

المطالعة الثانية

في الأمثال السائرة المشتملة على القصص الغابرة

بسم الله الرحمن الرحيم

(ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا)

(من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين)

(النور : ٣٤)

نريد بهذه المطالعة ، تدوين بعض الأمثال العربية التي قبلت في مناسباتها ، التي كانت سبباً لمضربها في العصر الجاهلي أو العصر الاسلامي صراعين في الاختيار من الكتب المؤلفة في ذلك ، سواء منها خصوص المتناول لذكر الأمثال فقط كالميداني في كتابه (بجم الأمثال) والفضل ابن سلمة في كتابه (الفاجر) ، أو الأهم من ذلك بأن كانت الأمثال مدرجة في ضمن بعض مواضع الكتاب ، كمثل كتاب (عقد الفريد) لابن عبدربه ، حيث أن موضوعه يتعلق بالادب والتاريخ والقصص ، وذكر الامثال مدرج في الضمن ، وكمثل كتاب (نهاية الأرب) لشهاب الدين الزويري .

ونحن قد اخترنا من تلك ومن هذه بعض الامثال العربية المتضمنة لبعض القصص التاريخية ، متوخين ذكر المناسبة التي من أجلها قيل ذلك للتل ، لنعرف من وراء تلك القصة ، الحياة الاجتماعية والفردية التي طبعت عليها الامة العربية في العصور السالفة ، ولأجل أن نقف على خبرة طبائع بعض جماعات النوع البشري في تلك الظروف الماضية والازمنة الغابرة ، فان الطبائع والفرائض التي بنى عليها الهيكل الانساني عند انقائه بشراً سوياً ، فبرزت صورة (هيولاه) الى عالم الفطرة والوجود ، فان تلك الفرائض لا تتغير ولا تغد عما انشأت عليه وتكونت منه ، مهما مرت آلاف السنين والأعوام ، ومهما اصطدمت ببعض الملابس المتفاعلة التي جاءت منحدرة في مجرى حياة الانسان ، كمثل مفعول تطورات الزمن التي هي آخذة في كل يوم الى التبدل والتغير ، من جراء حياة الحضارة (والتمدن الحديث) وانها قد غيرت في المجموعة البشرية بعض الفروق والمادات والسير الاجتماعية والفردية ، ومع هذا كله فالبشر لم يتغير من حيث النشأة

والتكوين وان تغير من حيث الاتجاهات في شئون حياته المنزلية والخارجية
وان هذه الفروق التي تبرز في بعض انواع البشر ، فأما هي تتميز
من خلال مفاهيم الحياة عند كل أمة من الامم ، وتبدو من وراء ما يتوصل
اليه بعض البشر من معرفة اسرار هذا الوجود .

ولاجل ذلك ما نجده في هذه الشعوب الكثيرة والدول الكبيرة ،
من اختلاف العادات والميول والاتجاهات والسير في الحياة .

وهذا كله من جراء التعمق في معرفة اسرار الحياة الكونية ، ولذا نرى
أن لكل شعب من الشعوب أقوال حكيمة أصبحت مثلاً سائراً عندهم ،
وحديثاً ممتعاً فيما بينهم .

وقد ألف الكاتب الانكليزي (سلوين شامبيون) كتاباً في الامثال
العالمية ، باللغة الانكليزية ، ومن هذا نعرف ونحس بأن اخلاق الشعوب
والامم تتجلى وتنكشف من خلال امثالها المأثورة ، فان الامثال قسرات
وسمات واضحة بيّنة ، وصورة ظاهرة يرتسم بها وجه الامة ويعرف
اتجاهها بها ، فهي وصف ضمني لوسائل حياتها ولطرق معيشتها .

بل الامثال فوق ما وصفناها ، فانها تكشف القناع عن نفسية الشعوب
وترفع الحجاب لمعرفة طبائع الامم ، فتبرز نفسية الانسان في صفاتها
الابتدائية وفطرتها الاولى .

وتعتبر الامثال من اصدق الوسائل الادبية في التعبير ، ولهذا نجد
ترحاباً من الامم والشعوب على اختلاف افرادها من حيث الثقافة والدين ،
ومن حيث النزعة والمبدأ ، ومن حيث طرق التعميش في الحياة ، فهي
تصادف ملتقى رحباً انسانياً من جميع الطبقات ، فالمثل في الصين يضرب
ويلقى فتسممه في وسط افريقيا ، والمثل يقال في وسط الجزيرة العربية

فتجد ما يائس له أو يكون في موقعه في أطراف أوروبا ، فهذا مما يوضح لكل أحد بصدق المثل ، وانه تعبير عن الإنسان بصفته انسانا ، وان اختلف بما اختلف فيه .

ومن هنا يتجلى ويتضح السبب الذى يجعلنا نجهد وراء المثل ، فلا نعرف قائمه فى اغلب الاحيان ، ذلك انه صدر في وقت ما ثم تناقلته الالسن غير عابئين بمن قاله ، لانهم يحسون صدهاء فى نفوسهم ويجدون أثره منطوية عليه قلوبهم ، فكان كل واحد منهم قاله .

وكثيراً ما يحز بك أمر ، أو يهبط عليك سرور ، أو تدهش لحادث فتجد نفسك لا شعورياً تنطق بالمثل ، فكأنما تذكرت طبيعتك الانسانية ، فكان موقفك هذا يشبه موقف صاحبك الذى يتمثل به ، أو صاحبك الذى ضربه مثلاً ، وان لفظه هذا هو الذى يعبر عنك ويشفى جواك ، ويحكى منطويات نفسك .

والامثال فى كل أمة ، قديمة قدم وسائل التعبير الادبية فيها ، بل هي من أقدم هذه الوسائل ، ولامتنا العربية امثالها الموهلة فى القدم ، والتي تعبر تعبيراً صادقا عن الانسان حينما كان فى صحرائه الواسعة ، وعندما كان يتحلى بثقافته المحدودة .

ولاجل أن نستكشف العقلية العربية فى كل أدوارها ومدى حياتها الطويلة الطريق ، فقد اخترنا مجموعة من امثالها المدونة لنعرف فيها حكمة العرب وخلاصة تجاربهم فى الحياة ، ولعلنا نجد كما يجده القارىء ، الوأم والاتصادق فى الطبع العربي الكريم ، مهما تقدمت الاعوام وفضلت بينهما سنين والايام ، فانك عربي وانساني ، فكل منكما يرجع الى أصله ، وانما مجموعة بشرية لازالت عند المناسبة ترجع إلى الالتأم مع شاكلته وشكله ،

فان حياة الماضين عبرة لحياة الباقين ، وسيرة الاوائل تذكرة واعتبار
للاواخر ، كما يقول الشاعر العربي :

ما أنت إلا مثل سائر يعرفه الحاضر والغابر

وقبل الخوض في صميم المطالعة الثانية رغبت في الاشارة الى
فأدتين لما لهما من المماس والتماق في ذلك : (الفائدة الاولى) تتناول تعداد
المؤلفات التي دونت في الامثال حسب ماوقفت عليه من المصادر أو
وجدته مطبوعاً ، مع ذكر المؤلفين وسنة الطباعة ، ونريد بتلك المؤلفات
مايشمل المدون منها في الامثال فقط أو ما كانت الامثال مدرجة في
ضمنها وفي بعض فصولها أو في بعض ابوابها . (الفائدة الثانية) في تعريف
المثل عند علماء اللغة واعلام الادب .

أما الحديث (عن الفائدة الاولى) فنقول : أن الميداني صاحب
(مجمع الامثال) المعروف ، المشتهر كتابه بين القراء والمطالعين لم يكن أول
من الف في هذا الفن ، فقد سبقه اليه كثيرون ، ولم يكن آخر من أدلى
بدلوه فيه فقد جاء بعده كثيرون ، واليك من هؤلاء وأولئك ما يأتي :

(١) - ابراهيم بن سفيان الزياتي النحوي اللغوي الشاعر ، المتوفى
سنة ٢٤٩ هـ . له كتاب الامثال :

« معجم الادباء : ١ / ٦٢ . فهرست ابن النديم : ٨٦ »

(٢) - ابراهيم بن محمد بن نبطويه كان عالماً بالعربية واللغة والحديث
المتوفى سنة ٣٢٣ هـ له كتاب الامثال ، وكتاب أمثال القرآن :

« معجم الادباء : ١ / ٣٠٧ »

(٣) - ابراهيم الكفعمي المتوفى سنة ٩٠٥ هـ له نهاية الارب في

أمثال العرب . « الذريعة : ٢ / ٣٤٦ »

(٤) - أبو العباس أحمد بن يحيى ، ثعلب المتوفى سنة ٢٩١ هـ
له كتاب الامثال .

« فهرست ابن النديم : ١١٠ »

(٥) - أحمد بن اسماعيل أبو علي بن عبد الله البجلي القمي الملقب
بسكة ، استاذ ابي الفضل بن العميد . له كتاب الامثال .

« الذريعة : ٢ / ٣٤٦ »

(٦) - أحمد بن عبد الله الكوز كمناني النجفي . له كتاب روضة
الامثال ، وهو في امثال القرآن الكريم :

« الذريعة : ٢ / ٣٤٧ »

(٧) - أحمد تيمور . له الامثال العامية في مصر : طبع في

القاهرة سنة ١٣٦٨ هـ

(٨) - أحمد بن محمد بن عرب شاه المتوفى سنة ٨٥٤ هـ . له كتاب
فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء على نسق كلية ودمنة . طبع في مدينة
(بن) سنة ١٨٣٢ م . وحدير بالذكر أن كلية ودمنة رغم أنه قصص على
لسان الحيوانات ، فإنه مليء بالامثال ، ولکننا لانستطيع أن نقول أنها
أمثال عربية ، وإنما هي معربة ، وأما كتاب ابن عرب شاه فهو الذي
نستطيع أن نقول : أنه من كتب الامثال العربية .

(٩) - ارنست برتو الفرنسي : له رسالة في الامثال العربية ، طبع

في (جوتنجن) سنة ١٨٣٦ .

(١٠) - الصحاح اسماعيل بن عباد . له كتاب الامثال السائرة من

شعر أبي الطيب المتنبي طبع في بيروت سنة ١٩٥٠ .

(١١) - أنيس فريحة . له كتاب الامثال العامية اللبنانية ، طبع في لبنان سنة ١٩٥٣ .

(١٢) - أحمد بن أبي عبد الله بن محمد البرقي . له كتاب الامثال

« معجم الادباء : ٢ / ٣٠ »

(١٣) - أحمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم الميداني المتوفي سنة

٥١٨ هـ له كتاب جامع الامثال المعروف بمعجم الامثال وطبع مراراً .

« معجم الادباء : ٢ / ١٠٦ »

(١٤) - الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري أبو أحمد الغوي

المتوفي سنة ٣٨٢ هـ . له كتاب الحكم والامثال :

« معجم الادباء : ٣ / ١٢٦ »

(١٥) - الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري أبو هلال . له

كتاب جهرة الامثال .

« معجم الادباء : ٣ / ١٣٥ »

وفي كشف الظنون ص ١٠٨٦ : ذكر الميداني أن العسكري صنّف

كتاباً برأسه لضرب الامثال من الكلام النبوي .

(١٦) - الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرضي ، عاش الى

قرب سنة ٣٦٠ هـ له كتاب أمثال النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

« فهرست ابن النديم : ٢٢٠ ، معجم الادباء : ٣ / ١٤٠ »

(١٧) - أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري . له كتاب

الآيات السائرة .

« فهرست ابن النديم : ١١٧ »

(١٨) - الحسن بن محمد بن جعفر الزافقي ، المعروف بالخالم النحوي ، أحد كبار النحاة ، كان اماماً في اللغة والنحو والأدب ، وله شعر توفي سنة ٣٨٨ هـ له كتاب الامثال .

« الذريعة : ٢ / ٣٤٦ »

(١٩) - حمزة بن الحسن الاصفهاني ، له كتاب الامثال على أفضل ويدخل فيه الامثلة الشعرية والنثرية ، وكتاب الامثال الصادرة عن بيوت الشعراء :

« فهرست ابن النديم : ١٩٩ ، وفي كشف الظنون : ١٦٨ ، سماه

الامثال الصادرة عن بيوت الشعراء »

(٢٠) - سعدان بن المبارك أبو عثمان المكفوف مولى عائكة

مولاة المهدي امرأة المعلى بن أيوب بن طريف .

« فهرست ابن النديم : ١٠٥ »

(٢١) - سعيد بن اوس بن ثابت أبو زيد الانصاري الخزرجي

البصري النحوي اللغوي الامام الاديب ، المتوفى سنة ٢١٥ هـ . له كتاب الامثال .

« معجم الادباء : ٤ / ٢٣٨ »

(٢٢) - سليمان بن بنين بن خلف الدقيقي المصري النحوي

العروضي الاديب العلامة ، المتوفى سنة ٦١٣ هـ له كتاب الاقوال العربية في الامثال النبوية :

« معجم الادباء : ٤ / ٢٥٠ »

(٢٣) - صحار بن العباس العبدى ، أحد النسابين الخطباء في ايام

معاوية . له كتاب الامثال :

« فهرست ابن النديم : ١٣٢ »

(٢٤) - أبو عكرمة طامر بن عمران الضبي . له كتاب أمثال العرب مخطوط بدار الكتب .

(٢٥) - أبو الممائل : أعرابي اسمه عبد الله بن خلود مولى جعفر ابن سليمان ، توفي سنة ٢٤٠ هـ . له كتاب الابيات السائرة .

« فهرست ابن النديم : ٧٢ »

(٢٦) - أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، المتوفى سنة ٢٧٦ هـ له كتاب حكم الامثال .

« فهرست ابن النديم : ١١٥ »

(٢٧) - عبد الملك بن قريب الاصمعي ، المتوفى سنة ٢١٦ هـ له كتاب الامثال .

« فهرست ابن النديم : ٨٢ »

(٢٨) - عبيد بن سرية ويقال ابن سارية ، ويقال ابن شرية الجرهمي ، عمر في الجاهلية والاسلام وأدرك معاوية . له كتاب الامثال .

« معجم الادباء : ١٠ / ٥ »

(٢٩) - أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي . له كتاب الامثال

« معجم الادباء : ٥ / ٢٠٩ »

(٣٠) - علاقة بن كرسم الكلبي ، كان في أيام يزيد بن معاوية له كتاب الامثال .

« معجم الادباء : ٥ / ٦٦ »

(٣١) - أبو الحسن علي بن محمد المدائني ، المتوفى سنة ٢١٥ هـ .
له كتاب المتمثلين وكتاب من تمثّل بشعر في مرضه ، وكتاب من وقف
على قبر فتمثّل بشعر ، وكتاب من بلغه موت رجل فتمثّل بشعر أو كلام
(فهرست ابن النديم : ١٥١ ، معجم الادباء : ٥ / ٣٠٩)
(٣٢) - أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي الشافعي ،
المتوفى سنة ٤٥٠ هـ . له كتاب امثال القرآن .

(كشف الظنون : ١٦٨)

(٣٣) - علي بن زيد البيهقي ، المتوفى سنة ٥٦٥ هـ . له غرر الامثال
« معجم الادباء : ٥ / ٢٠٨ ، وكتاب مجامع الامثال وبدائع
الأقوال اربع مجلدات ٢١٢ »

(٣٤) - عمرو بن بحر الجاحظ ، المتوفى سنة ٢٥٥ هـ . له كتاب
الامثال ، وكتاب التمثيل .

« معجم الادباء : ٦ / ٧٧ »

(٣٥) - ابو المنهال عيينة بن المنهال أحد الرواة . له كتاب
الامثال السائرة ، او الايات السائرة .

« فهرست ابن النديم : ٧٢ ، ١٥٧ »

(٣٦) - أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٣ هـ . له
كتاب الامثال السائرة .

« فهرست ابن النديم : ١٠٦ ، معجم الادباء : ٦ / ١٦٦ ،

طبع في الجوائب باسم أمثال العرب في سنة ١٣٠٢ »

(٢٧) - أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار الانباري ، المتوفى

سنة ١٣٠٥ هـ له كتاب الامثال .

« فهرست ابن النديم : ١١٢ ، معجم الادباء : ١٩٦/٦ »

(٣٨) - محمد بن زياد المعروف بابن الاعرابي ، المتوفى سنة ٢٣٠ هـ .

له كتاب تفسير الامثال .

« معجم الادباء : ٧ / ٨ »

(٢٩) - أبو جعفر محمد بن حبيب ، المتوفى بسامراء سنة

٢٤٥ هـ . له كتاب الامثال على أفضل ويسمى المنمق .

« فهرست ابن النديم : ١٥٥ ، معجم الادباء : ٤٧٥/٦ »

(٤٠) - أبو علي محمد بن أحمد بن الجنيد الاسكافي ، المتوفى

سنة ٣٨١ هـ . له كتاب أمثال القرآن .

« فهرست ابن النديم : ٥٨ ، الدررمة : ٣٤٧/٢ »

(٤١) - أبو عبد الرحمن محمد بن حسين السلمي النيسابوري ،

المتوفى سنة ٤٠٦ هـ . له كتاب أمثال القرآن .

« كشف الظنون : ١٦٨ »

(٤٢) - محمد بن محمد بن سليمان . له كتاب أمثال الصوفية .

« كشف الظنون : ١٦٨ »

(٤٣) - محمد العبوري . له كتاب الامثال العامية في نجد .

(طبع في دار أحياء الكتب العربية ١٩٦٠)

(٤٤) - أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى جار الله ، المتوفى

سنة ٥٣٨ هـ . له كتاب سوائر الامثال ، وكتاب المستقصى في الامثال ،

وكتاب ديوان التمثيل ، وكتاب الكلم النوابع . طبع في باريس سنة

- ١٨٧٩ ، كطبع كتاب المستقصى في حيدر آباد - الهند سنة ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م
 (معجم الادباء : ١٥١ / ٧)
- (٤٥) - محمود بن عمر الباجورى . له كتاب امثال المتكلمين من
 عوام المصريين .
 (طبع في الشرفية سنة ١٣١١)
- (٤٦) - مراد فرج المحامي . له كتاب امثال سليمان بالعربية والعبرية
 (طبع بالاسكندرية سنة ١٩٣٨)
- (٤٧) - أبو عبيدة معمر بن المثنى ، المتوفى سنة ٢٠٨ هـ . له
 كتاب الامثال السائرة .
 (فهرست ابن النديم : ٧٩ ، معجم الادباء : ١٦٩ / ٧)
- (٤٨) - المفضل بن محمد الضبي . له كتاب الامثال .
 (معجم الادباء : ١٧٣ / ٧ ، فهرست ابن النديم : ١٠٢)
 طبع في الجواثب سنة ١٣٠٠ ، وفي القاهرة سنة ١٣٢٧ .
- (٤٩) - نعوم شقير . له كتاب امثال العوام في مصر والسودان
 والشام ، طبع في المعارف سنة ١٣٠٢ .
- (٥٠) - أبو يوسف يعقوب بن اسحاق بن السكيت المتوفى سنة
 ٢٤٣ هـ . له كتاب الامثال .
- (معجم الادباء : ٣٠٠ ، فهرست ابن النديم : ١٨ ، الذريعة ٢ / ٢٤٦)
- (٥١) - الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد البر النعمري القرطبي
 المتوفى سنة ٤٦٣ هـ . له كتاب الامثال السائرة والايات النادرة .
 (مخطوط بدار الكتب)

(٥٢) - يوسف توما البستاني . له كتاب امثال الشرق والغرب .
(طبع في مصر : سنة ١٩١٢)

(٥٣) - أبو عبد الرحمن يونس بن حميد الضبي ، المتوفى سنة
٨٢٠ هـ . كتاب الأمثال .

(فهرست ابن النديم : ٦٣ ، معجم الادباء : ٣١٢)

(٥٤) - الامام علي بن أبي طالب عليه السلام . طبع كتاب باسم
امثال الامام علي (ع) .

(طبع في الجوايب سنة ١٣٠٢)

(٥٥) - لقمان الحكيم . امثال لقمان الحكيم ، طبع في باريس
سنة ١٨٤٧ .

(٥٦) - محمد عبد الغنى حسن ، عبد السلام العشرى لها كتاب
من امثال العرب ، طبع في القاهرة سنة ١٩٥٨ .

(٥٧) - أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم الكوفي ، المتوفى
سنة ٢٩١ هـ . له كتاب الفاخر في الامثال .

(معجم الادباء : ٧ / ١٧٠ ، فهرست ابن النديم : ٧٣ ، بغية
الوطاة : ٣٩٦ ، مراتب النحويين لابي الطيب اللغوى : ٩٧ طبقات
المفسرين : ٣٢١ ، طبع في مدينة ليدن سنة ١٩١٥ باشراف
واستخراج المستشرق سالس انبروس استورى الانكليزى ، وطبع
في مصر سنة ١٣٨٠ - ١٩٦٠ تحقيق عبد الحلیم الطحاوى وحرارة
محمد على النجار .)

(٥٨) - شهاب الدين أحمد بن عبد ربه الاندلسى المتوفى سنة

له كتاب . (العقد الفريد طبع مراراً والموجود عند نايطبع مصر سنة ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٥ ، قد أفرد المؤلف فصلاً خاصاً للامثال في الجزء الثاني من الكتاب . (٥٩) - شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النوميروى المتوفى سنة ٧٣٣ هـ . له كتاب نهاية الارب في فنون الادب ، عقد فصلاً خاصاً في الامثال في الجزء الثالث .

(طبع مصر : ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٤)

(٦٠) - كتاب الامثال . لم يعرف اسم مؤلفه ، ويستظهر ناشر الكتاب أنه من اعلام القرن السادس .

(طبع في حيدر آباد سنة ١٣٥١ هـ)

(٦١) - جلال الحنفى المعاصر . له كتاب الامثال البغدادية ، طبع في بغداد سنة ١٣٨٢ - ١٩٦٢ .

(٦٢) - الأب لويس شيخو اليسوعى المعاصر له كتاب مجانى للادب في حدائق العرب ، أعد له باباً خاصاً في الامثال ١٠٠/٢٩٩ / ٤٠٦٢/٥٤/٥٤١١٠/١٠٠٠ . طبع في المطبعة الكاثوليكية - بيروت سنة ١٩٥٤ .

(٦٣) - شهاب الدين محمد بن أحمد أبى الفتح الابشيهى المولود في سنة ٧٩٠ هـ . المتوفى في سنة ٨٥٠ هـ . له كتاب المستطرف في كل فن مستطرف ، فيه باب يتضمن جملة من الامثال في الجزء الاول منه ، طبع في مصر في سنة ١٣٦١ هـ - ١٩٤٣ .

(٦٤) - ابن الانبارى . له كتاب في الامثال ، يقول صاحب كتاب مفتاح السعادة انه من عداد الكتب النافعة في الامثال .

(مفتاح السعادة : ١/٢١٩)

(٦٥) - الاسفراينى . له كتاب مجمع الامثال ، ويقول عنه صاحب

كتاب مفتاح السعادة انه كتاب عظيم جامع جداً ، وقد عرفت الاسفرايفي .

(مفتاح السعادة : ١ / ٢١٩)

(٦٦) - الشبي . له كتاب أمثال الامثال .

(مفتاح السعادة : ١ / ٢١٩)

(٦٧) - ابو يعقوب يوسف النحوي . له كتاب صغير الحجم

كثير النفع ممتع فيه اثنا عشرة هامشا ؛

(مفتاح السعادة : ١ - ٢١٩)

(٦٨) - ابو منصور عبد الملك الثعالبي ، المتوفى سنة ٣٥٠ هـ -

٤٢٩ . له كتاب التمثيل والمحاضرة ، المطبوع سنة ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م

(٦٩) - السيد محمود شكري الآلوسي المتوفى سنة ١٩٢٤ له كتاب

امثال العوام في مدينة السلام : فعلا من محتويات مكتبة المتحف العراقي

قسم المخطوطات في المستنصرية . رقم ١٧٩٨ .

(٧٠) - الاب اهتاس ماري الكرملي المتوفى سنة ١٩٤٧ له

كتاب مجموعة الامثال ، فعلا من مخطوطات المستنصرية رقم ٩١٠ .

(٧١) - عبد اللطيف ثنيان المتوفى سنة ١٩٤٤ له كتاب امثال العوام

في دار السلام وهي في مكتبة كوركيس عواد .

(٧٢) - يوسف غنيمة المتوفى ، سنة ١٩٥٠ ، له فصل خاص في الامثال

نشرته (مجلة المشرق البيروتية ٩ - ٢٩٧)

(٧٣) - عبود الشالجي ، له مجموعة من الامثال البغدادية وقد

شرح مقداراً منها .

(٧٤) - رزوق عيسى المتوفى سنة ١٩٣٩ نشرت له مجلة لغة العرب

في بعض اعدادها يسيراً من الامثال قد شرحها شرحاً موجزاً .

(٧٥) - محمد سعيد آل مصطفى الخليل ، المتوفى سنة ١٩٢٧ م

وقد اشتهر بالتتبع لامثال العامة وتخريج الفاظهم وكان يعنى بمقابلتها على النصوص القرآنية ولم يطلع على مجموعه له في هذا الموضوع .

(الامثال البغدادية ١ / ١٠)

(٧٦) - ابو الحسن على بن الفضل الطالقاني (من صدر المئة الخامسة)

له امثال العامة في بغداد .

(الامثال البغدادية : ١ / ٤)

وأما الحديث (عن الفائدة الثانية) في تعريف المثل عند علماء

اللغة ، وأعلام الادب .

(١) - قال المبرد المتوفى سنة ٢٨٥ هـ ببغداد : المثل مأخوذ من

المثال ، وهو قول سائر يشبه به حال الثاني بالاول ، والاصل فيه التشبيه فقولهم مثل بين يديه - اذا انتصب - معناه اشبه الصورة المنتصبة ، و« فلان أمثل من فلان » اى اشبه بماله من الفضل .

(بجمع الامثال : ١ / ٥ ، نهاية الارب : ٣ - ٢)

(٢) - وقال ابن السكيت المتوفى سنة ٢٤٤ هـ . المثل لفظ يخالف

لفظ المضروب له ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ ، شبهوه بالمثال الذي يعمل عليه غيره .

(بجمع الامثال : ١ - ٦ ، نهاية الارب : ٣ - ٢)

(٣) - وقال ابراهيم النظام - كان في أيام هارون الرشيد - مجتمع

في المثل اربعة لا تجتمع في غيره من الكلام : ايجاز اللفظ ، واصابة المعنى وحسن التشبيه ، وجودة الكناية ، فهو نهاية البلاغة .

(بجمع الامثال : ٦ / ١ ، نهاية الارب : ٢ / ٣)

(٤) وقال ابن المقفم الذي قتل سنة ١٤٦ هـ - : اذا جعل الكلام مثلاً كان

أوضح للمنطق ، وأتق للسمع ، وأوسع لشعوب الحديث .

(بجمع الامثال : ٦ / ١ ، نهاية الارب : ٢ / ٣)

(٥) - وقال صاحب كشف الظنون تحت عنوان (علم ضروريات الامثال)

قال الميداني : إن عقود الامثال يحكم بأنها عديعة اشباه وامثال ، تتحلى بفرائدها صدور المحافل والمحاضر ، وتتسلى بشواردها قلوب البادى والمحاضر ، وتقيد أو ابدعها في بطون الدفاتر والصحائف ، وتطير نواهيها في رؤوس الشواهد وظهور التنايف ، ويحوج الخطيب والشاعر الى إدماجها وادراجها ، لاشتمالها على اساليب الحسن والجمال ، وكفاها جلاله قدر أن كتاب الله سبحانه وتعالى لم يعرض وشاحها ، وان كلام نبيه صلى الله وآله وسلم لم يخجل في ايراده واصداره من مثل يحوز قصب السبق في حلبة الایجاز ، وامثال هذه الامثال في التزليل كثيرة ، وأما الكلام النبوى من هذا الفن فقد صنّف العسكري فيه كتاباً برأسه من أوله الى آخره ، ومن المعلوم أن الادب سلم الى معرفة العلوم به يتوصل الى الوقوف عليها ، ومنه يتوقع الوصول اليها ، غير أن له مسالك ومدارج ولتحصيله مراق وممارج ، وان اعلى تلك المراق واقصاها وأوعر تلك المسالك واعصاها هذه الامثال الواردة من كل مرتضع در القصاحة يافعاً ووليداً ، فنطق بما يسر المعبر عنها حبواً في ارتقاء معارج البلاغة ولهذا السبب خفى أكثرها وظهر أقلها ، ومن حام حول حماها علم أن

دون الوصول اليها خرط القماد ، وان لاوقوف عليها إلا للسكامل العتاد
كالسلف الماضين الذين نظعوا من شملها ماتشئت وجمعوا من أمرها ماتفرق
فلم يبقوا في قوس الاحسان منزعا .

(كشف الظنون : ١٠٨٦ ، مجمع الامثال : ١ / ١)

(٦) - وقال المفضل بن سلمة في تعريف كتابه الفاخر في الامثال :
هذا كتاب معاني مايجري على ألسن العامة في امثالهم ومحاورتهم من
كلام العرب ، وهم لا يدرون معنى مايتكلمون به من ذلك ، فيبيناه من
وجوه على اختلاف العلماء في تفسيره ، ليكون من نظر في هذا الكتاب
عالما بما يجرى من لفظه ويدور في كلامه ، وبالله التوفيق .

(الفاخر : ١)

(٨) - وقال شهاب الدين أحمد بن عبد ربه الاندلسي : ونحن
قائلون - بعون الله وتوفيقه - في الامثال التي هي وشى الكلام ،
وجوهر اللفظ ، وحلى المعاني ، التي تخيرتها العرب ، وقدمتها العجم ،
ونطق بها كل زمان ، وعلى كل لسان ، فهي أبقى من الشعر ، واشرف
من الخطابة ، لم يسر شيء مسيرها ، ولا عم عمومها ، حتى قيل
« أسير من مثل » .

(العقد الفريد : ٢ / ٥٩)

(٧) - وقال أحمد بن مصطفى - المعروف - بطاش كبرى زادة المتوفى
سنة ٩٦٢ هـ تحت عنوان (علم الامثال) : وهذا من فروع علم اللغة
وهو معرفة الالفاظ الصادرة من البليغ المشتهرة بين الاقوام بخصوص
الفاظها وهيئاتها وموردها ، وسبب ورودها وقائلها وزمانها ومكانها ،
لئلا يقع الغلط عند استعمالها في مضاربتها ، وهي المواضع والمقامات المشبهة

بمواردها ، ولا بد للمعاني تلك الالفاظ من غرابة ، ولألفاظها من فصاحة
وبلاغة ، وموضوعه الالفاظ المذكورة من حيث ورودها في مواردها
وتعيين مضاربيها بالنوع ، ومبادئه مقدمات حاصلة بالتواتر من ألفاظ
الثقات ، وأما غرضه ومنفعته فغنيان عن البيان ، فإن الامثال اشد
ما يحتاج اليه المنشئ والشاعر ، لانها تكسو الكلام حلة التزين وترقيه اعلى
درجات التحسين .

(مفتاح السعادة : ١ / ٢١٩) .

(٩) وقال صاحب كتاب جواهر البلاغة : الامثال هي عبارة موجزة
مأثورة يشبهه الناس بها جديد أحوالهم بقديمتها ، وهي نوعان حقيقية
وفرضية ، فالحقيقية هي ما حدث موردها في الوجود ، والفرضية ما لم
يحدث موردها في الوجود ، وإنما اخترعت على لسان حيوان أو غيره ،
وليس مثل مورد ، وهو الحالة القديمة التي قيل فيها لأول مرة ، ولكل
مثل مضرب ، وهو الحالة الجديدة التي استعير لها .

وكما تكون الامثال ثراً تكون شمراً ، وتضرب كما وردت دون
تغيير في لفظها ، وللامثال الحقيقية اسباب ونتائج تفيد المجتمع الانساني
منها ، كونها مرآة صقيلة للمواعظ والمبر ، ومنها كونها مقياساً لرقى الامة ولسان
اخلاقها ، ومنها ربط الماضي بالحاضر ، ومنها كونها مجموعة نفيسة من
السلف الى الخلف ، أما الامثال الفرضية فهي عظة للعاقل ومسلاة للجاهل
ولا يسمى القول مثلاً الا إذا سار وذاع بين الناس جميعاً .

(جواهر البلاغة : ٣٤٩)

(١٠) .. وقال صاحب كتاب جواهر الأدب تحت عنوان (الفن
الثالث في الامثال) : المثل عبارة عن تأليف لاحقيقة له في الظاهر ،

وقد ضمن باطنه الحكم الشافية ، وهي مفترضة ممكنة ، ومخترعة مستحيلة ، ومختلفة .

(فالامثال المفترضة الممكنة) هي مانسب فيها النطق والعمل

الى عاقل .

(والمخترعة المستحيلة) ماجات على ألسن الحيوانات والجمادات ،

فيمزى لها النطق والعمل ، لارشاد الانسان .

(والمختلفة) مادار فيها الكلام أو العمل بين الناطق وغير الناطق .

وشروط المثل اربعة : « الاول » ان تكون روايته خالية من

كل تعقيد ، ليفضى المقصود منه الى ذهن السامع . « الثاني » أن لا يكون

مسهباً مملأ . « الثالث » ان يبهج السامع بطلاوته ، ويفكه فكرته ، بهزل

كلامه وابتكار معانيه ، ويضبط عقله في فهم الرواية المختلفة وفض مشكلها

« الرابع » أن يورد بصورة محتملة .

وفوائد المثل حجة : منها نزهة البال وترويح الخاطر : ومنها استقصاء

الحكم ، وهي قديمة المهـد جداً ، ولا يعرف اسم أول من تكلم بها ،

وكما تكون نثراً تكون نظاماً .

« جواهر الأدب : ١ / ٢٨٧ »

(١١) - وقال الاب لويس معلوف : المثل القول السائر بين الناس

الممثل بمضربه ، أى الحالة الاصلية التي ورد فيها الكلام ، وألفاظ الامثال

لانفسير تذكيراً وتأنيناً وافراداً وتثنية وجمعاً ، بل ينظر فيها دائماً الى

مورد المثل ، أى أصله .

(المنجد : ٨٠١)

(١٢) - وقال سعيد الخوري اللبناني : المثل القول السائر ، أي الفاشي

الممثل بمضربه ، وهي الحالة المشبه بها التي اريدت بالكلام وبمورده ،
وهي الحالة الاصلية التي ورد فيها الكلام . والفاظ الامثال لانغير تذكيراً
وتأنيثاً وافراداً وتثنية وجمعاً ، بل ينظر فيها دائماً الى مورد المثل اي
اصله ، وقولهم « مثلاً » نصب على المصدرية ، اي امثل تمثيلاً ، فيكون
مابعدہ بياناً له ، أو بمقدر مضمر ، اي اضرب مثلاً ، فيكون بدلاً منه
وانما يذكر هذا عند ايراد المثل المخصوص .

(اقرب الموارد : ٢ / ١١٨٤)

(١٣) - وقال مؤلفو المعجم الوسيط : المثل جملة من القول
مقتطفة من كلام أو مرسله بذاتها ، تنقل عن ردت فيه الى مشابهه
بدون تغيير ، مثل « الصيف ضيعت اللبن » .

« المعجم الوسيط : ٢ / ٨٦٠ »

* * *

وقد اخترنا من تلك المجموعة السكثيرة العدد من الامثال العربية
عشرة امثال منها فقط ، لما فيها من القصص والعبير ، ولا تفوتنا المناسبة
فيما يقتضيه التعليق على المثل أو القصة ، والى القارئ ما يأتي منها :

(١) الدال على الخسيرة كفاعله

يروى في حديث عن النبي ﷺ كما عن الميداني ، والثعالبي ،
والنويري ، والسيوطي .

وقال المفضل بن سلمة : أول من قال ذلك الاجيج بن شنيف
اليربوعي ، وكان غدا يوما (اى خرج أول النهار) في طلب القنص ،
فعرض له عير (٢) فأكب عليه يطلبه ، وأمعن في ذلك حتى انتهى الى

(١) الدل : اسم فاعل من الدلالة ، وهي الارشاد والهداية ، ومنه
قوله تعالى - في الاخبار عن موت سليمان عليه وعلى نبينا وآله افضل
الصلاة والسلام - : [فلما قضينا عليه الموت مادهم على موته إلا دابة
الأرض تاكل منساته « اى عصاه » فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا
يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين] . (سبا : ١٤)

(٢) العير : بفتح العين : الحمار الوحشي والاهلي ، وفي المثل « ان ذهب
عير فعير في الرباط » يضرب في الرضا بالحاضر وترك الغائب ، وبالكسر
ما جلب عليه الطعام من قوافل الابل والبغال والحمير ومنه قوله تعالى : (وسئل
القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها وانا لصادقون) يوسف : ٨٣
وفي المثل : « لافي العير ولا في النفير » يضرب للرجل الصغير القدر
المستهان به ، والمراد به هنا في القصة الحمار الوحشي .

أرض موحشة لا يعرفها ، فكأنه انكرها وفتّر عن الطلب ، فبينما هو كذلك اذ رأى رجلاً قاعداً على أكمة أسود أزب (١) أمسى في الظلم ، وبين يديه فراش من ذهب وجوهر لم ير مثله ، فدنا منه اللجيج ليتناول مما بين يديه فلم يقدر على ذلك ، فقال للاعمى : يا هذا ما الذى أرى بين يديك أهولك أم لغيرك ؟ قال : وفيهم سؤالك عما لم يكسبك أياه كاسب ولم يهبه لك واهب ؟ قال : ان الذى أرى لعجب . قال له الاعمى : أعجب مما ترى سؤالك عما ليس لك ، اتعب أن يأخذ ابلك من شاء قتلك ؟ قال : ولاكن أخبرني أجواد فترجى أم بخيل فتقصى قال الاعمى : إنما يعطى الجواد ماله وليس هذا المال لى ، ولكنه لرجل لا بد أن يصل اليه . قال اللجيج : ومن الرجل ؟ قال : سعد بن خشم ابن شمام ، وهو فى حى بنى مالك بن هلال ، فأعدل عنى واطلب سعداً تصب جدا وعيشا رغدا ، فان الدال على الخير كفاعله ، فأرسلها مثلاً ، فأنصرف اللجيج لأهله ، وقد استطير فؤاده مما رأى ، فدخل خبائه ونعمس فنام مغموماً لا يدرى من سعد بن خشم ، فأتاه آت فى منامه فقال له ، يا لجيج إن شماما فى حى بنى شيبان من بنى محلم ، فهناك طاب غناك فقد أتاك فوق مناك ، فانبعث اللجيج من منامه فاستوى على راحلته فأتى بنى شيبان فسأل عن بنى محلم ثم سأل عن سعد بن خشم بن شمام ، فقيل له : هذا أبوه . فأتاه وهو عند خبائه فسلم عليه ثم سأله عن ابنه ، فقال : إنطلق يطلب اللجيج بن شليف اليربوعي ، وذلك أن آتياً اتاه فى المنام فقال له : ان لك مالا فى نواحي ارض بنى

(١) الازب بفتح الزاء : كثير الشعر ، ومنه « الزباء » صاحبة القصة المعروفة ، وتأتى انشاء الله تعالى .

يربوع لا يملعه الا اللجيج . فقال : أنا اللجيج ثم أدبر وهو يقول :

ايطلبني من قد عناني طلابه فياليتني ألقاك سعد بن خشرم

اتيت بنى يربوع ياسعد طالبي وقد جئت كي ألقاك آل محلم

ثم سار حتى دنا من معلمته ، فاستقبله سعد فقال له اللجيج : ايها الراكب هل لقيت سعد بن خشرم في حي يربوع ، قال : انا سعد ، فهل تدل علي اللجيج بن شنيف الربوعي ؟ قال : انا هو . وتساءلا فقال له اللجيج : اتيتك من ارض نائية اسرى مع السارية (١) لاخبرك بالداهية (٢) في ارض العالية . قال سعد : هات لأمك الخير (٣) اصدقني خبرك ، اتبع اثرك ، واسر تفرك (٤) وتحمّد سفرك . قال : أدلك على الرغبة (٥) ؟ قال سعد : الدال على الخير كفاءه ، فوافق قوله قول الاعمى ، فأخبره الخير ،

(١) السارية : مؤنث الساري ، وهي الجماعة من القوم تسرى بالليل كما في المثل « عند الصباح يحمّد القوم السرى » ، وهو مثل يضرب في احتمال المشقة رجاء الراحة .

(٢) الداهية : الامر المنكر العظيم .

(٣) « لأمك الخير » دماء كان متداولاً في لسان العرب السابقين ، وإنما خص الام بالدماء حيث قد انجبت به ، وبعكس هذا الدماء قولهم : « لأمك الهبل » اي التكل بفقد وادها .

(٤) النفر بفتح النون والفاء : الجماعة من الرجال من ثلاثة الى عشرة ، والمراد به هنا : اسرة الرجل ومن يتعصبون له .

(٥) الرغبة بفتح الراء وكسر الغين وفتح الباء : مؤنث الرغبة ، وهو الامر المرغوب فيه ، او العطاء الكثير ، وجمعها « رغائب »

فانطلقا حتى اتيا الرجل وهو قاعد مكانه ، فقال له اللجيج : هذا سم-د
ابن خشرم فاعطه ماله ولا تظلم (١) فقال له : نعم اقبض مالك ، فأقبلا
بالمال ، واعطى سعداً اللجيج من المال حكاه .

(مجمع الامثال : ١ / ٢٦٨ ، الفاخر : ١٤٣ ، التمثيل والمحاضرة : ٢٣)

(الجامع الصغير : ١ / ٥٧٣ ، نهاية الارب : ٣ / ٣)

(مايتبع المثل وقصته) اقول :

هكذا دون المفضل بن سلمة صاحب كتاب الفاخر في الامثال :
هذه القصة عند ذكره للمثل ، كما وأن الميداني ذكره في كتابه مجمع
الامثال واحال بيان القصة الى (الفاخر) ولم يذكر نصها ، وما عدا
المفضل بن سلمة ممن ذكر هذا المثل كالسيوطي في جامعه ، والنويري في
نهايته والثعالبي في التمثيل والمحاضرة ، والميداني في امثاله ، فان هؤلاء
دونوه حديثاً نبوياً .

ولأجل ذلك قد يخطر ببال بعض القراء في أنه حديث نبوي ،
أم هو مثل من الامثال العربية ، ونقول في الجواب عن ذلك : انه
لامانع من وصفه بكليهما ، لانني لم أستقص كتب الحديث التي تجمع
أحاديث الرسول ﷺ من طرق الشيعة أو طرق أبناء الجماعة ، لان التتبع
في طلب ذلك مما يحتاج الى زمان متسع ووقت كثير ، اضافة الى تحصيل
الفراغ من المشغولية ، وهذا كله عزيز المنال .

وعطفاً على ذلك صعوبة تحصيل موضع تدوين مثل هذا الحديث
لأن الغالب في كتب الاحاديث عندنا - وهي السكتب الاربعة ، وغيرها

(١) الظلم : وضع الشيء في غير موضعه ، اي هذا صاحب المال

فاعطه له ولا تعطه لغيره ، فتكون قد وضعت الشيء في غير موضعه .

كلاستبصار ، ولتهذيب ، ومن لا يحضره الفقيه ، والكافي - أن تدون الأحاديث فيها على نحو التبويب ، جريا على أبواب الفقه ، وليس فيها من الفهارس على حسب حروف الهجاء من الألف الى الياء ، حتى يسهل إخراج الحديث الذي يطلب .

ولقد عز علينا أن هذه الطبعة الجديدة في النجف، لمثل الكتب الأربعة السابقة ، قد فات الشارح هذه الفائدة ، وياحبذا لو كان ملتفتا الى مثل هذه الفضيلة التي نوه عنها بعض شراح كتب الأحاديث من طرق إبناء الجماعة والسنة ، راجع كتاب الجامع الصغير للسيوطي شرح محمد محي الدين عبد الحميد .

ومع هذا كله فنقول : لآمانع من كونه مثلاً عربياً ، ومن كونه حديثاً نبوياً ، وان الرسول الأعظم ﷺ قد استشهد به في بعض المناسبات لكونه كلاماً بليغاً ، أو أنه من باب توارد الخاطر ، كما يتفق ذلك في كلام البلغاء والفصحاء من الشعراء والخطباء ، وهذا ليس بعزيز فآتانا لآنلتزم بالاعتقاد بأن كلامه ﷺ لا بد وان يكون جميعه مرتجلاً ومستحدثاً غير مسبوق .

بل نقول : ان كلامه ﷺ كأحكامه التي شرعها بين عامة الناس فبعضها مرتجلاً غير مسبوق ، كمثل الصلاة على هذه الكيفية الخاصة ، بناءً على ثبوت الحقيقة الشرعية ، وان اريد من الصلاة المعنى اللغوي وهو مجرد الدعاء فتكون مسبوقه ومعروفة ، فكلامه (ص) من هذا القبيل ، فان البعض منه جديد مستحدث ، لان كلامه وكلام خلفائه الممصومين صلوات الله عليهم اجمعين فوق كلام المخلوقين ودون كلام الخالق سبحانه وتعالى والبعض الآخر منه يكون مسبوقاً كما نجد ذلك في استشهاداته بكلام

العرب وبأقوالهم عند المناسبة ، ولا مانع ولا ضير في ذلك .
وعلى أى حال ، فإن هذا المثل أو الحديث يتصف بصفتين : كونه
حديثاً نبوياً ، وكونه مثلاً عربياً .

ولأجل حسن أسلوبه وبلاغة الفاظه وسبكه قد ورد في مورد خاص
وفي قصة معينة ، ثم صار مثلاً متداولاً يستشهد به .

هذا ما يؤول إليه الكلام على المثل ، وأما نفس القصة التي ذكرها
صاحب كتاب الفاخر ، فإنها وإن كانت مدونة ومسطورة في مثل هذا
الكتاب الذي يعتبر من مصادر الأدب واللغة ، ومع ذلك فلنا متسع من
القول ومجال في المناقشة في صحتها ، فإنها تشبه القصص الخيالية ،
أو تقرب من قصص (الف ليلة وليلة) ، والذي دفعنا إلى تسجيلها
وتدوينها أنها قصة ترمز إلى بعض خصال العرب وصفاتهم التي كانوا
يتحلون بها من حسن الوفاء ، والجزاء على المعروف ، والمكافأة على
الفعل الجميل .

هذا أولاً ، وثانياً أنها دونت بمناسبة تدوين المثل أو الحديث ،
فأرفقناها بالذكر تيمناً بذكر حديثه (ص) ، أ كانت القصة واقعية ، أم
كانت من نوع الخيال بعد فرض صدور الحديث وصحته وتداول تدوينه
فيما اسلفناه من الكتب والمصادر .

انصراخاك وظالماً او مظلوماً

يروى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال هذا ، فقيل : يا رسول الله هذا ننصره مظلوماً ، فكيف ننصره ظالماً ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : ترده عن الظلم .

قال أبو عبيد : أما الحديث فهكذا ، وأما العرب فكان مذهبها في المثل نصرته على كل حال .

قال المفضل : أول من قال ذلك جندب بن العنبر بن تميم بن عمرو ، وكان رجلاً دميماً قاحشاً ، وكان شجاعاً ، وانه جلس هو وسعد بن زيد مناة يشربان ، فلما اخذ الشراب فيهما قال جندب لسعد وهو يمازحه : يا سعد لشرب لبن القاح (١) وطول النكاح ، وحسن المزاج ، احب اليك من الكفاح ودعس (٢) الرماح وركض الوقاح (٣) .

(١) القاح جمع مفردة « اللقحة » بالفتح ، وهي : الناقة الحلوب الغزيرة اللبن .

(٢) دعس بفتح الدال والعين : الطعن ، يقال : « دعس الرجل بالرمح » اي طعنه به .

(٣) حافر وقاح بالفتح : اي صلب ، وهذا كناية عن الخيل ، من باب تسمية الكل باسم جزئه .

قال سعد : كذبت ، والله اني لاعمل العامل ، وانحر البازل (١)
واسكت القائل .

قال جندب : انك لتعلم انك لو فزعت دعوتني عجلا ، وما ابتغيت
بي بدلا ، ول رأيتني بطلا . اركب العزيمة (٢) وانم الكريمة (٣) واحمى الحريمة (٤)
فغضب سعد وأنشأ يقول :

هل يسود الفتى اذا قبج الوح - وامسى قراه (٥) غير عتيد (٦)
واذا الناس في الندى (٧) رأوه ؛
فأجاب جندب :

ليس زين الفتى الجمال ولكن
زينه الضرب بالحسام التليد (٨)

(١) البازل : البعير الذي دخل في السنة التاسعة ، يقال له بازل لانشقاق
نابه بدخول تلك السنة .

(٢) العزيمة بفتح العين : الارادة المؤكدة ، يعني اذا عزمتم على
شيء فاني فاعله .

(٣) كريمة الرجل : ابنته ، جمعها كرائم ، اي انمي مهاب الجانب فلا
يتجاسر احد على بنافي بدون رضاي .

(٤) الحريمة : مؤنث الحرير ، وحرير الرجل : ما يحميمه ويقاتل
دونه ، ومنه سميت نساء الرجل بالحرير ، جمعه حرم واحرم واحاريم .

(٥) القرى بكسر القاف . ما يقدم للضيف .

(٦) العتيد بفتح العين وكسر التاء : المهيا والحاضر ومنه ، قوله تعالى
« ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد » .

(٧) الندى بفتح النون وتشديد الدال المكسورة : مجلس القوم ومجتمعهم .

(٨) التليد : القديم ، مقابل الطارف وهو الجديد ، يريد بذلك انه

صاحب حسام قديم ومعروف في العروب .

ان يملك الفتي فزين وإلا ربما ضن باليسير العتيد
قال سمد وكان (عائفا) (١) : أما والذي احلف به لتأسرنك
ظمينة (٢) بين المرينة والدهينة ، ولقد أخبرني طبري أنه لايفكك غيري
فقال جنذب : كلا ، انك جبان ، تكره الطعان ، وتحب
القيان (٣) فتفرقا على ذلك فغيرا (٤) زمانا .

ثم ان جنذباً خرج على فرس له يطلب القنص ، فأتى على أمة
لبني تميم يقال أن أصلها من جرهم ، فقال لها : لتمكنني مسرورة ،
أو تقهرين مجبورة ، قالت : مهلا ، فان المره من نوكة (٥) يشرب من
سقاء لم يوكه (٦) فنزل اليها عن فرسه مدلا (٧) فلما دنا منها قبضت
على يديه بيد واحدة ، فما زالت تمصرها حتى صار لا يستطيع أن يحركها
ثم كتفتة بعنان فرسه ، وراحت به مع غنمها ، وهي تحذو به وتقول :
لأتأمن بعدها الولائد (٨) فسوف تلقى بأسلا (٩) موارد
وحية تضحى لحي راصدا

-
- (١) العائف : المتكهن الذي يعمل العياقة ، اي زجر الطير تفائلا
وتشائما ، ويأتي تفصيله فيما يتبع المثل .
(٢) الظمينة : المرأة .
(٣) القيان جمع قينة ، وهي المغنية .
(٤) اي مكنا زمانا .
(٥) النوك بالفتح وقد يضم : اللحم .
(٦) الوكاه ككتاب : رباط القرية وغيرها كالوطاء والاكيس والصره
(٧) المدل بضم الميم وتشديد الدال واللام : الواثق بنفسه وعدته ومنه المدل
بالشجاعة والجرىء (٨) الولائد جمع وليدة مؤنث الوليد ، وهو الطفل .
(٩) الباسل : الاسد ، جمعه البواسل .

قال : فر بسعد في أبله فقال : ياسعد اغثنى . قال سعد : أن
الجبان لا يغيث . فقال جندب :

يا ايها المرء الكريم المشكوم أنصر اخاك ظالماً أو مظلوما
فأقبل اليه سعد فأطلقه ثم قال : لولا أن يقال قتل امرأة لقتلتك
قالت كلا ! لم يكن ليكذب طيرك ، ويصدق غيرك . قال : صدقت.
قال اليبداني : قوله : « أنصر أخاك ظالماً » يجوز أن يكون ظالماً أو مظلوما
حالين من قوله اخاك ، ويجوز أن يكونا حالين من الضمير المستكن في
الامر ، يعنى انصره ظالماً ان كنت خصمه أو مظلوماً من جهة خصمه
أى لا تسلمه في أى حال كنت .

« مجمع الامثال : ٢ / ٣٣٤ ، الفاخر : ١٤٧ ، التمثيل والمحاضرة : ٢٨ »

(كتاب الامثال : ٢٢ ، بلوغ الارب : ٣ / ٣١٦)

قال المؤلف (ما يتبع المثل وقصته) وفي ذلك فصول :

الفصل الاول

في بيان ما ترمز اليه القصة

نقول : إن هذه القصة تعطينا صورة من صور حياة العرب
السابقين ، وما كانوا عليه من الصفات والمزايا والخصال ، التي جبلوا
عليها ، ونشأوا على منهاجها ، والسير على منوالها .

ومن تلك الصفات المحمودة هي النجدة ونصرة الصديق ، فان المراد
بالأخ في المثل هو الصديق ار الاعم منه ومن الاخ النحبي ، وجبلتهم
على نصرة الصديق بأي نحو كانت ، وبأي سبيل وصفت ، وعلى أي حال كان
الصديق .

ولا يمنع من ابراز هذه الصفة وظهور اثرها في الخارج ما وقع بين الصديقين جندب بن العنبر، وسعد بن زيد من المشاجرة والمفاخرة كما لم يمنهما ما صدر من جندب من الهفوة والغلط ، مما يعد من المنافيات لنواميس الاجتماع وما لا يرتضيه العقل السليم ، وهو الجرأة على الاعراض المقدسة ، بل ان تلك السيئة تعتبر ولا تزال من الاخطاء الغير المغتفرة بنظر نواميس العرب والشرع المقدس ، الذي من جرائمها ما يؤدي الى سفك الدماء وقتل النفوس .

ولكن مع هذا كله فان سعداً لما رأى صديقه في أسر امرأة فقد شان عليه ذلك ، كما وقد اظهر التدم جندب مما صدر منه من المفاخرة مع صديقه سعد ، ومن صدور تلك الغلطة الاخلاقية التاموسية ، لذلك قد استنجد بسعد ، فهنا لك ثارت الحمية العربية في نفس صديقه ، وابت عليه غيرته بأن يكون مثل هذا أبداً ، فانقذ صديقه من الأصر وحاول قتل المرأة الآسرة ، لولا العار بقتل النساء .

وياحبذا مثل هذه الصفة التي رغب الشارع المقدس فيها وفي امثالها - اذا لم تخرج عن الحدود الشرعية - وقد وردت الاخبار الكثيرة في نصرة الصديق واغاثة الرفيق ، واي صفة هي احسن منها بعد أن كان البشر تربطه روابط اجتماعية بين افراده ، وهذه من ابرز خصال الافراد ليرتبط بعضهم ببعض ، ليكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضهم بعضاً .

ولا ريب بأن العقل الفطري وحكمة الشارع المقدس بوجود الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، تتجلى بنصرة الاخ والصديق ، بصرفه عن ظلم من يريد ظلمه ، وبدفع الظلم عنه لو أراد أحد ايصال السوء اليه ، وهذه تعتبر من مكارم الاخلاق التي كانت العرب السابقين

مرصوفين بها ، وقد امضاها الشارع المقدس وأمر بالاختذ بها والسير على منهاجها .

ونحن لا ننكر من وجود خصال عند العرب القدامى مما يندى منها جبين الانسانية من القتل والنهب والغارات وغير ذلك ، ولكن هذه الصفة التي ترضى اليها القصة المنطوية على المثل السائر هي محبوبة ومرغوبة عند الشارع والعقل والاجتماع .

ولكن بالاسف الشديد أن توغل الأمم الغربية في الشعوب العربية قد سلب منها جميع تلك العادات الجميلة ، وغرس في نفوسهم العادات الغربية واخلاعات التمدنية ، فأصبحت خصالها السابقة المحمودة خيراً من اخبار كان ، ولأجل عدم التمسك بتلك الصفات التي تمتاز بها الامة العربية قد ضاعت المقاييس الاجتماعية فيما بينهم .

وهذا النبي العربي الصادق الامين (ص) ينادي بأعلى صوته : « انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » .

وان ابرز صفات الاخلاق المحمودة نصره الصديق لصديقه ، خصوصا اذا تصفوا بالاخوة الاسلامية ، فما احسن تعاليم الاسلام وما أقبح المسلمين الذين ساروا بركاب تعاليم الغرب والدول الكافرة .

الفصل الثاني

في بيان بعض ما اختص به العرب السابقين من العلوم والمعارف ومن تلك العلوم ما اشتملت عليه القصة من علم « العيافة » بقوله : قال سعد - وكان (عائفاً) - والمراد به علم العيافة ، واليك ما يحدثنا بعض المؤرخين عن هذا العلم حيث يقول : مؤلف بلوغ الأرب : ومن علوم العرب - علم القيافة والعيافة -
اعلم أن القيافة على قسمين : قيافة الاثر ويقال لها العيافة ، وقيافة البشر :

أما العيافة فهو علم باحث عن تتبع آثار الاقدام والاحفاف والحوافر في المقابلة للاثر ، وهي التي تكون في تربة حرة يتشكل بشكل القدم ، وتقع هذا العلم بين ، اذ القائف يجد بهذا العلم الفار من الناس ، والضال من الحيوان ، بتتبع آثارها وقوائمها بقوة الباصرة وقوة الخيال والحافظة ، حتى يحكى أن بعضهم يفرق بين اثر قدم الشاب والشيخ ، وقدم الرجل والمرأة ، والبكر والثيب .

وأما قيافة البشر فهي الاستدلال بهيئات اعضاء الشخصين على المشاركة والاتحاد بينهما في النسب والولادة وفي سائر احوالهما واخلاقهما وقد فسرها أبو القاسم الاصفهاني في كتاب الذريعة بتفسير اوجز فقال : والقيافة ضربان : أحدهما بتتبع اثر الاقدام والاستدلال به على السالكين ، والثاني الاستدلال بهيئة الانسان وشكله على نسبته .
وخص الاستدلال بالقيافة البشرية من العرب (بنو مدلج) وهم

قبيلة من كنانة ، و (بنو هلب) وهم بطن من الأزد ، وذلك لمناسبة طبيعية حاصلة فيهم لا يتعلم .

قال الاصفهاني : خص الله تعالى بذلك العرب ليكون سبباً لارتداع نسائهم عما يورث ثلب نسبهم ، وخبث حسبيهم ، وفساد بذورهم وزروعهم صيانةً للنسبة ، ولأجل حفظه تعالى نسبهم بذلك قال تعالى : (وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) أي ليعرف بعضكم بعضاً بمعرفة اصله - انتهى وحصول هذا العلم بالحدس والتخمين لا بالاستدلال واليقين ، ولا يحصل بالمدارسه والتعليم ، فلذا لم يصنف فيه مصنف لا حادث ولا قديم (١) .

- (١) وقفت على بعض الكتب المدونة في علم الفراسة وما يتبعها من العلوم التي كانت معروفة عند قبائل العرب السابقين وهي مايلي :
- ١ - تذكرة اولى الالباب تأليف داود الانطاكي
 - ٢ - المستطرف تأليف الابشيبي
 - ٣ - العقد الفريد تأليف ابن عبد ربه الاندلسي
 - ٤ - قراء الوجه تأليف محمد محمد الحريري
 - ٥ - خلاصة السياسة في علم الفراسة تأليف محمد الصادق بن احمد على
 - ٦ - علم الفراسة الحديث تأليف جرجي زيدان
 - ٧ - التنبؤ بالغيب تأليف الدكتور توفيق الطويل
 - ٨ - الاحلام والفراسة تأليف ابن سلام
 - ٩ - مفتاح الشخصيات تأليف فرجينيا كايس
 - ١٠ - لغة الايدي تأليف محمد محمد جعفر
 - ١١ - زهرة الطرف تأليف حنا اسعد فهمي
 - ١٢ - الزهر الورد في فراسة الكف وقراءة الايدي تأليف محمد فرج بيومي

والقيافة اليوم موجودة في بعض قبائل عرب نجد ، ويقال انهم (بنو مرة) وهم اعلم الناس بها ، وقد نقل الثقات ممن سافر الى بلاد نجد أن كثيراً منهم يرى الأثر فيقول : هذا اثر فلان وفلان ، وهذا أثر بمير فلان وفلان ، وهذا أثر اناس لم يطأوا الارض الفلانية ، وهؤلاء اناس قدموا من كذا وكذا ولم يخلوا بشيء منها .

وسمعت أن اعرابياً اتبع أثر حمار له سرقة الاصوص حتى دخل الحلة من أرض العراق ، وهو ينشده حتى أوقفه أثره عليه من بين آثار حمير لأحمى .

وإذا نظروا الى عدة أشخاص الحقوا الابن بأبيه ، والأخ بأخيه والقريب بقريبه ، وميزوا الاجنبي إذا كان بينهم ، وأهل مكة فيهم ما يقارب هؤلاء ، فترى كثيراً منهم يميز بين العراقي والشامي ، والمصري والمدني ، والعربي والمجمي ولو لم يكن بزيه وهيئته ، وفي هذا الباب حكايات لولا تواترها لحكم عليها بما يقرب من الاستحالة .

(بلوغ الارب : ٣ / ٢٦١ ، مفتاح السعادة : ١ / ٢٨٩ ، كشف
الظنون : ١١٨١)

تأليف نجيب اندى
تأليف عبد الرزاق الشبخلى
(المؤلف)

١٣ - علم قراءة اليد
١٤ - علم الكف والفراسة

الفصل الثالث

في بيان علم الزجر والتفاؤل عند العرب ، كما اشارت اليه القصة بقول سمد : « ولقد اخبرني طيرى أنه لايفكك غيري » وقول المرأة لما هم سمد بقلها فاستعابه فانصرف عنها : « كلا لم يكن ليكذب طيرك » والظاهر أن الزجر هو نوع من الكهانة والعيافة ، وقيل أنها قسم للكهانة لانوع منها ، وقيل أن الزجر والعيافة متراد فان : ولا بأس بذكر ماوقفنا عليه من كلام اللغويين وأرباب التاريخ في ذلك : قال علماء اللغة في معنى عاف يعيف عيافة ، الطير أي زجرها فتشامم أو تقامل بطيرانها .

ويقول : فريد وجدي في دائرة المعارف : عاف الطير يعيفها عيافة زجرها وتقامل باسمائها وبمهابطها وباصواتها أو تشامم منها ، وهي عادة كانت عند العرب واليونانيين وغيرهم ، والمعانف اسم فاعل ، وهو المتكهن بالطير أو غيرها ، ولا يستعاف إلا من علم وجرب وعرف .

وقد أبطل ذلك كله الشارع المقدس (بحديث الرفع) المتفق عليه عند العامة والخاصة ، ولأجل الاحاطة بيمض الفوائد التاريخية وما عليه الامة العربية في الزمان السالف لذلك نذكر شرطاً من ذلك معتمدين على بعض المصادر ، واليك مايلي :

قال صاحب كتاب بلوغ الارب : قال ابن القيم في كتاب مفتاح دار السعادة عند الكلام على اصحاب الطير السانح ، والبارح ، والقعيد والناطق : وأصل هذا أن العرب كانوا يزجرون الطير والوحش ويشيرونها

فا تيامن منها واخذ ذات اليمين سموه سانحا ، وما تياسر منها سموه
بارحا ، وما استقبل منها فهو الناطح ، وما جاءهم من خلفهم فهو القعيد
فن العرب من يتشاهم بالبارح لانه لا يمكن رميه الا أن ينحرف
اليه ويبترك بالسائح ، ومنهم من يرى خلاف ذلك .

قال المدائني : سألت رؤبة بن المعجاج (١) ما السائح ؟ قال : ما ولاك
ميامنه ؟ قال قلت : فما البارح ؟ قال : ما ولاك مياسره ؟ قال : والذي
يجيء من قدامك فهو الناطح والنطيطح ، والذي يجيء من خلفك فهو
القاعد والقعيد .

ونقل عن المفضل الضبي (٢) أن البارح ما يأتيك من اليمين يريد
يسارك ، والسائح ما يأتيك من اليسار فيمر على اليمين ، وأما اختلفوا
في مراتبها ومذاهبها ، لأنها خواطر وحدوس وتخمينات لا أصل لها ،
فن تبرك بشيء مدحه ومن تشاهم به ذمه . وفي النهاية لأبن الاثير ،
الزجر للظير هو التيمن والتشاؤم بهما والتفاؤل بطيرانها كالسائح والبارح
(بلوغ الأرب : ٣ / ٣٤٢)

(١) رؤبة بن عبد الله المعجاج بن رؤبة التميمي السعدي : مات سنة
١٤٥ هـ - ٧٦٢ م وكان من الفصحاء المشهورين ، من مخضرمي الدولتين
الاموية والعباسية ، كان اكثر مقامه في البصرة ، واخذ عنه اعيان اهل
اللغة ، وكانوا يحتجون بشعره ويقولون بامامته في اللغة ، مات في البادية
وقد اسن ، وله ديوان رجز مطبوع . وقال الخليل حين موته : دفنا
الشعر واللغة والفصاحة . « الاعلام : ٦٢ / ٣ »

(٢) المفضل الضبي : صاحب كتاب المفضليات في الشعر والادب ، طبع

في مصر سنة ١٣٦١ هـ - ١٩٤٢ م

(أقول) : وقد اشتهر جماعة من العرب بالعميافة والزجر ، وكانوا يدينون بها ويأخذون بمعاملها ويرتبون عليها الآثار ، وكانوا يحكمون بين الناس على طبقها وموازينها ، وقد تعرضوا لها بالمدح والثناء في اشعارهم واقوالهم وحكاياتهم وقصصهم ، وهناك جماعة أخرى منهم قد أعابوها وذموها ، وتعرضوا بالذم لها باشعارهم ومختلف أقوالهم ، ونحن نتعرض الى بعض من اشتهر بالتدين بها ، ثم ننبهه بذكر من ذمها واطاب الأخذ بها . (أما من اشتهر بها) فهم جماعة كثيرون :

منهم - (عراف اليمامة) وهو رياح كحيلية طيب ، أو كاهن من اهل اليمامة ، قيل هو المعنى بقول عروة بن حزام العذري :

أقول لعراف اليمامة داوئي فانك ان ابرأتني لطيب

(بلوغ الارب : ٣ / ٣١٠ ، الاعلام : ٣ / ٦٦)

ومنهم - (الابلق الاسدي)

(بلوغ الارب : ٣ / ٣١٣)

ومنهم - (الاجلح)

(بلوغ الارب : ٢ / ٣١٣)

ومنهم - (عروة بن يزيد)

(بلوغ الارب : ٣ / ٣١٣)

ومنهم - (حسل بن عامر) بن عميرة الهمداني

(بلوغ الارب : ٣ / ٣١٣)

ومنهم : (أبو ذؤيب الهذلي الشاعر) وهو خويلد بن خالد بن

محرت من بني هذيل بن مدركة من مضر ، شاعر فحل مخضرم ادرك الجاهلية والاسلام ، وسكن المدينة واشترك في الغزو والفتوح ، وطاش

الى أيام عثمان فخرج جند عبد الله بن أبي سرح الى افريقيه سنة ٢٦
غازياً فشهد فتح افريقية ، وعاد مع عبد الله بن الزبير وجماعة يحملون
بشرى الفتح الى عثمان ، فلما كانوا بمصر مات أبو ذؤيب فيها ، وقيل
مات بافريقية سنة ٢٧ هـ - ٦٤٨ م وله قصيدته المشهورة في رثاء ولده وهي
من الشعر الخالد في الرثاء ، مطلعها : « أمن المنون وريها تتوجع »
(بلوغ الأرب : ٣ / ٣١٤ ، الكنى والالقب : ١ / ٧١ ، الاعلام :
٢ / ٣٧٣)

ومنهم : (جابر بن عمرو المازني)

(بلوغ الأرب : ٣ / ١٦٠)

ومنهم : جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم ، وهو صاحب القصة
التي كانت سبباً لمضرب المثل « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً »
(بلوغ الأرب : ٣ / ٣١٦)

ومنهم : (مرة الاسدي)

« بلوغ الأرب : ٣ / ٣١٨ »

وأما جماعة العرب الذين اعابوها وذموها بأقوالهم وبأشعارهم
فهم كثيرون :

منهم : (ضابيه بن الحرث) وقد قال في ذلك :

وما عاجلات الطير تدني من الفتى نجاحاً ولا عن ريشه يخيب
ورب امور لا تضيرك ضيرة وللقلب من مخشائنه وجيب (١)
ولا خير فيمن لا يوطن نفسه على نائبات الدهر حين تنوب
(بلوغ الأرب : ٣ / ٣١٩)

(١) الوجيب : الخفقان .

ومنهم : (الرقش) وهو شاعر قديم ومن شعره :
 ولقد غدوت وكنت لا اغدو على واق وحاتم (١)
 فاذا الأشائم كالأيا من والأيا من كالأشائم
 وكذلك لاخير ولا شر على أحد بدائم
 لايمعك من بناء الـ خير تمقاد التمام (٢)
 قد خط ذلك في السطو ر الأوليات القدام
 (بلوغ الارب : ٣ / ٢٢٠)

ومنهم (جهم الهذلي) وفي ذلك يقول من أبيات يرد بها على
 العائفين في زجر الطير :

يظنان ظناً مرة يخطأ أنه واخرى على بعض الذي يصفان
 قضى الله أن لا يعلم الغيب غيره ففى أي أمر الله يمتريان (٣)
 ومنهم (ضابيه من حارث البرجمي) حيث يقول في شعره :
 وما أنا من يزجر الطير همه اصاح غراب ام تعرض ثعلب
 (بلوغ الارب : ٣ / ٣٢٠)

(أقول) : كيف ساغ لصاحب بلوغ الأرب أن ينسب هذا
 البيت وما بعده الى ضابيه، والحال أن البيتين من محتويات إحدى قصائد الكميت

(١) الواقى : طائر ضخم الراس يصطاد العصافير . والحاتم : الغراب
 الاسود وغراب البين ، وهو احمر المنقار والرجلين ، وسمي حاتماً لانه يحتم
 بالفراق اي يحكم ويقضى بالفراق .

(٢) التمام جمع « تيممة » وهي خرزة رقطاء تنظم في السير ثم يعقد
 في عنق الصبي تعوده من العين ، فاذا كبر قطعت عنه .
 (٣) امترى فيه : شك .

ابن زيد الاسدي المتوفي سنة ١٢٦ هـ المعروفة بالهاشميات ، ومن تلك القصائد قصيدته المشتملة على البيتين ، وهي قوله :

طربت وما شوقا الى البيض اطرب ولا لعمبا مني وذو الشوق يلعب
ولم يلهمني دار ولا رسم منزل ولم يتطربني بنان مخضب
ولا أنا بمن يزجر الطير همه أصاح غراب أم تعرض ثعلب
ولا السانحات البارحات عشية أمر سليم القرن أم مرّ اعضب
ولكن الى أهل الفضائل والنهي وخير بني حواء والخير يطلب
إلى آخر القصيدة المشتملة على مائة وثمانية وثلاثين بيتا ، وأن نسبة الهاشميات التي منها هذه القصيدة المشتملة على البيتين ، الى الكميت كنسبة قصيدة «قفانكي» الى امرئ القيس وهي من المعلقات الصعبة .
ومع هذه الشهرة بين الأديباء والمؤرخين كيف فأت ذلك على صاحب بلوغ الأرب ، وإن الشراح للقصائد الهاشميات لم يتعرضوا لذكر هذين البيتين وأنها من غير القصيدة ، أو أنها من باب التضمين كما هو المتعارف عند الشعراء ، ولم يتعرضوا لنسبتها الى غير الكميت ، واننا لم نعثر على مصدر يبرر نسبة البيتين الى ضاىء لنبرر موقف الألوسي .

ومن راجع كتب المعاجم المشتملة على ترجمة الكميت او راجع الكتب الادبية المتعرضة لقصائد الكميت يتكشف لديه عدم صحة النسبة . ولتمام الفائدة والوقوف على صحة ما نقول راجع شرح الهاشميات بقلم محمد محمود الرافعي الطبعة الثالثة ، في مصر سنة ١٣٣٠ ١٩١٢ م

ومنهم : (لييد الشاعر) حيث يقول :

لعمرك ماتدري الطوارق بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله صانع
(بلوغ الأرب : ٣ / ٣٢٠)

ومنهم : (الرصاص الكلابي) وهو الذي يقول - وقيل لخيثم بن عدي -
وجدت اباك الخير بجرأ بنجدة بناها له مجدأ اشم قاقم (١)
وليس بهيباب اذا شد رحله يقول عدأني اليوم واق وحاتم
ولكنه يمضي على ذاك مقدماً اذا صد عن تلك الهناة الخثارم (٢)
(بلوغ الارب : ٣ / ٣٢١)

ومنهم (النابغة الذبياني الشاعر المعروف) وهو القائل :
يلاحظ طيرة أبدأ زياد لتخيره وما فيها خبير
أقام كأن لقمان بن عاد أشار له بحكمته مشير
تعلم أنه لا طير إلا على متطير وهو الثبور
بلى شيء يوافق بمض شيء احايينا وباطله كثير
ومن حديثه : أنه قد خرج هو وزياد بن سيار يريدان الغزو
فرأى زياد جرادة فقال : حرب ذات ألوان . فرجع ومضى النابغة ،
ولما رجع غاماً قال الايات .

(بلوغ الارب : ٣ / ٣٢١)

(أقول) ان الكلام في الزجر ، والغال ، والقيافة ، والعرافة ،
والعيافة ، والسكهاة ، والفراسة ، كل ذلك قد وقع في كثير من كلام العرب واشعارهم
وقصصهم ، ومن تتبع تاريخهم يقف على شيء وأسم من ذلك ، وهذا
مما يدل على اختصاصهم بجملة من المعارف والعلوم ، وأمتازهم بها دون
بقية الامم ، مما يكشف عن ذكائهم وفطنتهم .

- (١) بحر اسم رجل ، والمحاطب ابنه مسعود . والاشم : السيد ذو الانفة
والقهاقم بضم القافين : السيد .
(٢) الخثارم كعلابط : الرجل المنطير .

وهذه المعارف من المواهب الآلهية والفيوضات الربانية التي خص بها الأمة العربية بحسب ما اقتضته المصلحة الاجتماعية لهم ، بحسب عقولهم وعاداتهم ومحيطهم ، وقد جبلوا على الاخذ بتلك المعارف نهجاً على سيرة محيطهم وعاداتهم ، كما جبلوا على الشجاعة والكرم والاباء والغيرة والشمم . وكما جبلوا على الغزو ، والنهب والغارات ، والسلب ، وشرب المسكرات والقمار ، والملاهي التي كانت متخذة عندهم فهم يجمعون بين الخصال الحميدة النادرة الوجود وبين الخصال الذميمة .

ومن خصالهم الذميمة الاخذ بهذه المعارف التي ليس لها أساس في الاصول العلمية ، وليست مأخوذة من قواعد عقلانية حسية ، بل هي من الاستحسانات والحدسيات ، لذلك وردت الاخبار الكثيرة والآيات الشريفة في النهي عن التدين بها أو الاخذ بآثارها ، لانها من البدع الجاهلية التي لا تبني على القواعد الشرعية ، لذلك قد أبطلها الشارع المقدس ونهى عن التمسك بها ، ومن راجع الاخبار في هذا الباب يقف على الواقع المنشود .

ان اخاك من و اساك (١)

أول من قال ذلك خزيم بن نوفل الهمداني ، وذلك ان النعمان بن ثواب العبدي ، ثم الشني كان له بنون ثلاثة : سعد، وسعيد، وساعدة : وكان أبوم ذا شرف وحكمة ، وكان يوصي بنيه ويحملهم على أدبه ، اما ابنه سعد فكان شجاعا بطلاً من شياطين العرب لا يقيم اسبيله ولم تفته طلبته قط ، ولم يفر عن قرن ، وأما سعيد فكان يشبه أباه في شرفه وسؤدده . وأما ساعدة فكان صاحب شراب وندامى (٢) واخوان .

فلما رأى الشيخ حال بنيه دعا سعداً - وكان صاحب حرب - فقال: يا بني ان الصارم يغبو (٣) والجواد يكبو (٤) والأثر يعفو (٥) ، فاذا شهدت

(١) يقال : « آسيت فلانا بمالي او غيره » اذا جعلته اسوة لك ، وواسيت : لغة فيه ضعيفة بنوها على يواسى . ومعنى المثل ان اخاك حقيقة من قدمك وآثرك على نفسه . يضرب في الحث على مراعاة الاخوان .
(مجمع الامثال : ١ / ٧٢)

(٢) الندامى : جمع ندمان ، وهو كالمفرد ، والمراد به الرفيق على الشرب

(٣) نبا السيف ينبو : كل فلم يقطع .

(٤) كبا يكبو لوجهه : انكب على وجهه .

(٥) عفا الأثر : درس وبلى وإمحي .

حرباً فرأيت نارها تستمر ، وبطلها يخطر (١) وبحرها يزخر، وضعيفها ينصر،
 وجبانها يجسر ، فأقلل المكث والانتظار ، فان الفرار غير طار ، اذا لم تكن
 طالب نأر ، فأما ينصرون هم ، واياك أن تكون صيد رماحها ، ونطيح نطاحها
 وقال لابنه سعيد وكان جواداً : يابني لا يبخل الجواد ، فأبذل الطارف
 والتلاد (٢) وأقلل التلاح ، تذكر عند السباح ، وابل اخوانك ، فان وفيهم
 قليل ، واصنع المعروف عند محتمله .

وقال لابنه ساعده - وكان صاحب شراب- : يابني إن كثرة الشراب
 تفسد القلب ، وتقلل الكسب ، وتجدد الوب ، فأبصر نديك ، واحم
 حريمك ، واعن غريمك ، واعلم ان الظلم القامح ، خير من الري الفاضح (٣)
 وعليك بالقصد فان فيه بلاغاً .

ثم ان أباهم التمان بن ثواب توفي ، فقال ابنه سعيد- وكان جواداً
 سيداً- : لا آخذن بوصية أبي ولأبلون اخواني وثقاتي في نفسي ، فعمد الى
 كبش فذبحه ، ثم وضعه في ناحية خبائه ، وغشاه ثوباً ، ثم دعا بعض ثقاته
 فقال : يافلان ان أخاك من وفي لك بمهده ، وحاطك برفده (٤) ونصرك
 بوده . قال : صدقت فهل حدث أمر؟ قال : نعم انى قتلت فلاناً ، وهو الذي
 تراه في ناحية الخباء ، ولا بد من التعاون عليه حتى يوارى ، فما عندك؟

(١) الاخطار : الاشراف على الملكة .

(٢) الطارف من المال : المستحدث ، وهو ضد التالذ .

(٣) الظلم القامح : الشديد والمعنى : العطش الشاق خير من ري يفضح

صاحبه « اللسان ، مادة قح » .

(٤) الرفد بكسر الراء : العطاء .

قال : يالها سوءة (١) وقعت فيها: قال : فاني أريد أن تعينني عليه حتى اغيبه
قال : لست لك في هذا بصاحب ، فتركه وخرج .

فبعث الى آخر من ثقاته ، فأخبره بذلك وسأله معوانته ، فرد عليه مثل

ذلك ، حتى بعث الى عدد منهم ، كلهم يرد عليه مثل جواب الاول .

ثم بعث الى رجل من اخوانه يقال له (خزيم بن نوفل) ، فلما اتاه

قال له : يا خزيم مالي عندك ؟ قال : مايسرك ، وماذاك ؟ قال : اني قتلت فلانا

وهو الذي تراه مسجى . قال : أيسر خطب ، فتريد ماذا ؟ قال : أريد أن

تعينني حتى اغيبه . قال : هان ما فزعت فيه الى أخيك ، وغلام لسعيد قائم معها

فقال له خزيم : هل اطلم على هذا الامر أحد غير غلامك هذا ؟ قال : لا . قال :

انظر ماتقول . قال : ما قات الاحقأ ، فأهوى خزيم الى غلامه فضربه بالسيف

فقتله ، وقال : ليس عبد بأخ لك فأرسلها مثلاً ، وارتاع سعيد وفزع لقتل

غلامه فقال : ويحك ! ما صنعت ؟ وجعل يلومه فقال خزيم : « ان أخاك من

آسأك » ، فأرسلها مثلاً .

قال سعيد : فاني أردت تجربتك ، ثم كشف له عن الكبش وخبره بما

لقي من اخوانه وثقاته وماردوا عليه ، فقال خزيم : « سبق السيف العذل »

فذهبت مثلاً (٢) .

(مجمع الامثال : ٧٢/١ ، قصص العرب : ١٥٤/١ .)

« قال المؤلف » (ما يتبع المثل وقصته) ويتضمن فصلاً واحداً اقتطفناه من المحاولة

التجريبية التي قام بها سعيد بن النعمان بن ثابت (بطل القصة) التي كانت سبباً

لمضرب المثل ، وكان ذلك من أجل تنفيذ وصية أبيه ، فأراد ان يختبر أصدقائه .

(١) السوأة : بفتح السين جمعها سوءآت : الفاحشة ، والحلة القبيحة .

(٢) العذل : اللوم ، ويضرب لما قد فات .

وقرناؤه وزملاءه ، ليقف على الصديق الذي يحق له صداقته .

وهذه المحاولة أعطته صورة حاكية لبعض صفات الاصدقاء ، التي عبر عنها
المثل ، وهي المواساة أو المؤاساة ، فالمواساة هي المشاركة والمشاركة في
الافراح والانراح والسرور والضراء ، والمؤاساة هي الايثار على النفس .
وهاتان الصفتان من ابرز مظاهر صفات الصداقة ، وان كانت صفة
الايثار أعظم شأنًا وأجل مكانة ، وهي قليلة الوجود فيما بين الاصدقاء ،
ونادرة الحصول فيما بين الزملاء .

ولقد أشار القرآن المجيد الى سمو هذه الصفة ، وان الذي يتحلى
بها في عداد الطبقة الراقية من الايمان والمنزل السامي الرفيع ، قال سبحانه
وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ
لَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ
خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوَقِّ شِئْنًا فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

وهذه المحاولة الاختبارية ، التي قام بها صاحب هذه القصة ، ينبغي
أن يقوم بها كل انسان في دور حياته ليقم على التجربة التي تعطيه
الوقوف على الصديق الذي يختاره لصداقته ، فليس كل صديق صدوق في
صداقته ، ولماذا يجب بحكم العقل ونظر المجتمع اختبار الزملاء والرفقاء ،
حيث ان البشر كما عرفه علماء - علم الميزان والمنطق - هو الحيوان الناطق
بمعنى انه منشأ من القوة العاقلة والادراك ، ومن غريزة العاطفة الحيوانية ،
فان هداه عقله الى طريق الرشاد وغلب رشده قوة طاقته ، فهو من اظهر
أفراد البشر الكامل ، بل هو من أفضل المخلوقات الناطقة حتى الملائكة
المقربين ، لامتياز غلبة عقله على قوة شهوته ، بخلاف الملك فهو لا يحمل إلا

صفة روحانية فقط فهو لا يتصف بقوة الشهوة ولا بغلبة العاطفة ، لذلك كان الانسان الذي يقهر قوته العاطفية بسبب عقله وادراكه هو أفضل منه منزلة وأسمى منه مكانة . لقيامه بهذا الجهاد النفسي المقدس الذي أدى الى اندحار الغرائز الحيوانية امام سلطان عقله المرشد ، بخلاف الملائكة فهم روحانيون غير مبتلين بمثل هذا الجهاد ، فليست لهم ميزة هذا الانسان وصرحت الاخبار بذلك كثيراً ، بخلاف ما لو هيمنت على الانسان شهوته الحيوانية وغرائزه الجسمية ، فراح ضحية ميوله العاطفي نحو الم لذات والشهوات فيكون مصداق الآية الكريمة ﴿ انهم كالانعام بل هم أضل سبيلاً ﴾ ومن اجل ان البشر يختلف كاختلاف الزروع والنباتات والكمائنات والسوائل ، فان بعض النبات يكون غذاءاً وبمضه يكون دواءً . وثالثاً يكون داءاً وسماً قاتلاً ، وكذلك الكمائنات فان بعض السوائل كمثل الزلال من الماء الذي فيه حياة كل شيء كما يقول تعالى : ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾ وبمضه يكون مالحاً وبمضه يكون سماً قاتلاً ، فهذه الجهات الموجودة في النبات والسوائل هي بينها موجودة في صفات البشر ، من الحسن والقبح ، ومن المدح والذم ، والضرر والنفع .

نعم قد تدفع الحاجة الملحة بالانسان الى اتخاذ الاصدقاء والاخوان فلا بد من اختبارهم ، كما أشار اليه الامام الحسن عليه السلام في موعظته لجنادة بن أبي أمية ، حيث قال عليه السلام : « وان نازعتك الى صحبة الرجال حاجة ، فأصحب من اذا صحبته زانك ، واذا خدمته صانك ، واذا أردت معونته أعانك ، وان قلت صدق قولك ، وان صلت شدّ صولك (١) وان مددت

(١) صال يصول صولة : الجولة والحملة في الحرب ، يريد انه يأخذ

بعضدك فيشد صولتك في الشدائد .

يدك بفضل مدّها ، وان بدت منك ثلمة سترها ، وان رأى منك حسنة عدّها ، وان سألته أعطاك ، وان سكتّ عنه ابتداك ، وان نزلت بك احدى الملمات واساك ، من لا تأتيك منه البوائق (١) ولا تختلف عليك منه الطرائق ، ولا يخذلنك عند الحقائق ، واذا تنازعتما منقسماً آتراك (٢) » وان هذه القصة التي بأيدينا ، وأمام القراء هي وليدة احدى التجارب التي أريد بها معرفة الصديق الحقيقي ، وكل انسان في هذه الحياة لا بد وان تمر عليه أو مرت عليه في ايام حياته بعض الحوادث التي تمكنه من معرفة الصديق وتمييز الرفقاء والخلطاء ، فأحاط خبرة بمعرفة الصادق منهم بصداقته ، من الكاذب .

ولربما ينقلب الصديق عدواً لك في بعض الظروف ، أو ينقلب العدو صديقاً حميماً ، كما أشار الشعراء الحكماء الى هذه الجهة ، حيث يقول الاديب :

احذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرة

فلربما انقلب الصديق الى العدو فكان أعرف بالمضرة

وان موضوع الصداقة وما يعتبر في اتخاذ الاخوان من الشروط قد تعرضت له الاحاديث ، ونظقت به الاخبار ، وذكرته العلماء والفلاسفة والحكماء ، في أقوالهم ووصاياهم ومواعظهم ، ونظمت فيه الشعراء القصائد الحكيمية والاشعار الكثيرة الاجتماعية .

ومن راجع كتب الاخلاق والاجتماع ، وكذلك كتب الاديب

(١) البوائق : جمع بائقة الداهية والشر ، يقال « رفعت عنك بائقة

فلان » اي غائلته وشره ، يريد انه يدفع عنه الظلم والشر والأذى .

(٢) اعيان الشيعة ٤/٨٥ .

يجدها مملوءة بذكر الاصدقاء والاخوان ، وفيها من ذكر محاسنهم أو
مما يبهيم الشيء الكثير ، وقد اطلعت على شطر كبير من المؤلفات المدونة
في خصوص موضوع اتخاذ الاصدقاء .

ونحن لانريد الاطباب في ذلك ، لأنه يؤدي الى اخراج مؤلف
خاص في ذلك ، بل نكتفي بالاشارة الى لمحة من لمحات الصداقة ، مما نوه
عنها بعض الحكماء أو الشعراء .

والحاجة الى الاصدقاء واتخاذ الخلان مما لا يختص بها بعض البشر دون
بعض ، بل كل انسان على وجه البسيطة هو محتاج الى اتخاذ الاصدقاء ،
بحسب شأنه ، وبحسب محيطه ومجتمعه ، وبحسب حاجته وعلاقته مع
مجتمعه ، فان الانسان كما قيل : (مدني بالطبع) بمعنى انه بحسب خلقته
وطبيعته ونشأته ، هو محتاج الى الغير والغير محتاج اليه ، كما سبق منا
ذكر ذلك في بعض الفوائد من المطالعة الاولى .

وقد يمزى السبب في تكوين تلك العلاقات بين البشر ، هو
الذي أدى الى ايجاد الصداقة بين أفراد الانسان في بعض الاحايين ،
حيث ان المجموعة البشرية - على اختلاف الانواع والاشكال والملل والمذاهب
والألسن والالوان - له روابط اجتماعية تربط ما بين هذه الافراد المختلفة
بحسب تبادل المصالح الضرورية في الحياة المحتاج اليها كل انسان ، بل
كل مخلوق محتاج الى التعميش والحياة ، فان الانسان مهما أتى من المعرفة
والمواهب ، ومهما بلغ من الرفعة والشأن فهو مفتقر لابناء جنسه ، من
حيث التعيش والتكسب والعلم والتعلم .

ولذلك صوّر علماء الاجتماع الحياة بمجموعها - كالعامة - التي تشيد
ولا ريب بأن انشاء العمارة مما يحتاج الى المهندس والبناء والحداد والنجار

والمهندس مثلاً محتاج الى الدرس والتعلم ، والبناء والنجار محتاجان الى آلات البناء والنجارة وهكذا ، ومن المجموع تتكون المهارة .
وبالنتيجة ان الحاجات الضرورية المفتقر اليها البشر هي التي توجد تلك الروابط ، التي منها تتولد العلاقات ، وقد يؤدي بعض تلك العلاقات الى الصداقة والرفقة .

وصاحب الرسالة الاسلامية الصادق الامين نبي الرحمة ﷺ حيث كانت رسالته إلهية لذلك كانت مجموعة خلقية شاملة للمعاد والمعاش فهي تهدف الى الدين والى الحياة معاً ، فهي رسالة دقيقة اخلاقية ، لذلك فان النبي ﷺ لا يريد من البشر أن يكون منطوياً على نفسه قابلاً في بيته متجرداً للدين والعبادة فقط ، فان مثل هذا البشر يكون شاذاً وممقوتاً في المجتمع ، ومثل هذا يكون عالة وكلا على أفراد النوع الانساني ومن أجل ذلك صرح القرآن الكريم بالسمي وراء الرزق بحسب شأن الانسان ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور ﴾ (١)
وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « انى لاكره الرجل جالساً في بيته فاعراً (٢) فاه يقول يارب ارزقني » .

ومن سير حياة الانبياء السابقين وأحاط بمعرفة بحياة سيد المرسلين وخاتم النبيين وأهل بيته الطاهرين المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، يعرف انهم كانوا يزاولون التكسب والاعمال التجارية أو الزراعية ، وبمضهم كان يملك المواشي والغنم .

(١) الملك : ١٥ .

(٢) ففر فاه بفتح الفاء والغين والراء : فتحه .

هذا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام كان يملك
قطيعاً من الغنم ، فكان يتميش به ، كما قال تعالى حاكياً لذلك ﴿ وَمَا تَلَكَ
بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾ قال هي عصاي أتوكأُ عليها وأهش بها غنمي ولي فيها
مآرب أخرى ﴿ (١) .

وهذا داود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام كان يتجر ببيع
الدروع ، كما نسبت الدروع اليه بهذه المناسبة ، وقيل (دروع داودية)
قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لَتَحْمِضَنَّكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ
أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنْ فَضْلِنَا يَا جِبَالِ أَوِّبِي
مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾ (٣) .

وكان النبي ﷺ يزاول التجارة والكسب ، وقصة اتجاره بأموال
خديجة (رض) مشهورة ومعروفة بين المؤرخين واصحاب السير ، وكذلك الائمة
عليهم السلام .

وهذه من حكمه تعالى لاجل أن ينتفع البشر بعباده من بعض ،
ويتصل بعباده ببعض ، ولجل هذه الحكمة الاجتماعية لم يوكل أمر تميمش
أنبيائه وأوصيائهم الى التناول من بيت المال ، ولو تناولوا من بيت المال
موارد تميمشهم وما يحتاجون اليه لكان ذلك سائغاً مباحاً لهم ، بل صرف
المال عليهم من أطيب موارد صرفه ، وليكن الفلسفة الآلهية والحكمة
الربانية ارادت اظهار كرامة انبيائه صلوات الله عليهم أجمعين وانه ليس
لأحد المنة عليهم ، لذلك فهم كانوا يعيشون بكدهم وبكسبهم .

(١) طه ١٧ - ١٨ .

(٢) الانبياء : ٨١ .

(٣) سبأ : ١١ .

وهناك حكمة أخرى - كما قلنا - وهي الناحية الاجتماعية التي من أجلها تكوّن النوع الانساني ، وهي اختلاط بعضه ببعض لبيان أن البشر بعضهم محتاج الى بعضه الآخر ، في جميع شؤون الحياة العملية والمادية والاجتماعية ، كما قال تعالى ﴿ يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر واثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله سميع خبير ﴾ (١) وقد يستغنى من هذه الحكمة الألهية طالب علم أهل البيت عليهم السلام - وهو علم الفقه - حيث وردت الاخبار الكثيرة بأن الرزق يسمى خلف طالب العلم لأجل أن لا ينشغل عن طلب العلم بالاكتساب .

ولو أمكنه الجمع لكان أفضل ، كما ذكرنا بالنسبة الى بعض العلماء السابقين الذين كانوا يمارسون التكسب والتجارة مع فرض أنهم علماء أعلام وعلى كل حال فنعمود قائمين أنه من أجل تلك العوامل والروابط المتكونة بين أفراد النوع الانساني قد يؤدي ذلك الى الصداقة ، لذلك جاءت الاحاديث والابخار من النبي صلى الله عليه وآله والأئمة (ع) والعلماء والحكماء بأخذ الاصدقاء الذين يتصفون بالصفات التي تدفع بالإنسان الى الخير والسعادة ، لا الى الشر والشقاوة .

ولماذا اعتبروا في الصديق الصفات الكمالية ؟ لأن القرين يتكيف بصفات قرينه مهما كانت صفته . لذلك كانت صفة الألفة أول درجة الصداقة ، قال تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾ (٢) .

(١) الحجرات : ١٤ . (٢) آل عمران : ١٠٤ .

ونحن لا نريد التعمق في موضوع الصداقة، وما يعتبر فيهما من الشروط، وذلك
 المناسبات والقصص في ذلك، ولا سير الاحاديث وال اخبار في ذلك،
 ولا بيان المؤلفات المدونة في ذلك، بل نشير الى بعض ما يتعلق بالصداقة
 لأن القصة قد اشتملت على المؤاساة والمواساة، وهما من أبرز مظاهر الصداقة
 والى القاري، بعض الشيء :

قال رسول الله ﷺ : « من أراد الله به خيراً رزقه خليلاً صالحاً
 ان نسي ذكره وان ذكره أعاده » وقال ﷺ « ما استفاد امرؤ مسلم فائدة
 بمد فائدة الاسلام مثل أخ يستفيده في الله » (١)

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « الاخوان صنفان : اخوان الثقة ،
 واخوان المكاشرة . فاما اخوان الثقة فهم كالكف والجناح والاهل والمال
 فاذا كنت من أخيك على ثقة فابذل له مالك ويدك ووصاف من صافاه
 وطاد من عاداه ، واكتم سره وأعنه ، واظهر منه الحسن ، واعلم أيها
 السائل انهم أقل من الكبريت الاحمر ، وأما اخوان المكاشرة ، فانك تصيب
 منهم لذتك ، ولا تقطعن ذلك منهم ، ولا تطلبن ما وراء ذلك من ضميرهم
 وابذل لهم ما بذلوا لك من طلاقة الوجه وحلاوة اللسان » (٢) .

وقال أمير المؤمنين في وصيته لولده الامام الحسن (عليه السلام) : « اجمل
 نفسك مع أخيك عند صرمة (٣) على الصلة ، وعند صدوده على اللطف
 والمقاربة ، وعند جموده على البذل ، وعند تباعده على الدنو ، وعند شدته
 على اللين ، وعند جرمه على الاعتذار ، حتى كأنك له عبد وكأنه ذو

(١) كيف تكسب الاصدقاء : ١٥ .

(٢) كيف تكسب الاصدقاء : ١٣٠ .

(٣) الصرم بفتح الصاد وسكون الراء : القطع والمهجران

نعمة عليك ، واياك ان تضع ذلك في غير موضعه ، أو أن تفعله بغير أهله ، لاتتخذن عدو صديقك صديقاً فتعادي صديقك ، ولا تعمل بالخديمة فانها خلق اللثيم ، واحض اخاك النصيحة ، حسنة كانت أو قبيحة ، وساعده على كل حال وزل معه حيث زال ، ولا تطلب مجازاة أخيك ولو حثاً (١) التراب بفيك ، وخذ على عدوك بالفضل فانه احلى للظفر ، وتجرع الغيظ فاني لم ارجع أحملي منها عاقبة ولا ألد مغبة (٢) ولا تصرم (٣) أخاك على ارتياب ، ولا تقطعه دون استيماب ، ولن لمن غالظك ، فانه يوشك أن يلين لك ما اقبح القطيعة بعد الصلاة ، والجفاء بعد الاياه ، والعداوة بعد المودة ، والخيانة لمن ائتمنتك ، وخلف الظن لمن ارتجأك ، والغدر بمن استأمن اليك ، وان أردت قطيعة أخيك فاستبق له من نفسك بقية يرجع اليها ان بدا ذلك له يوماً ، ومن ظن بك خيراً فصدق ظنه ، ولا تضيعن حق اخيك اتكلاً على ما بينك وبينه ، فانه ليس بأخ من أضمت حقه ، ولا يكن أهلك أشقى الخلق بك ، ولا ترغبن فيمن زهد فيك ، ولا تزهدن فيمن رغب اليك اذا كان للخلطة موضعاً ولا يكونن أخوك أقوى على قطيعتك منك على صلته ، ولا يكونن على الاساءة أقوى منك على الاحسان ، ولا على البخل أقوى منك على البذل ، ولا على التقصير أقوى منك على الفضل ، ولا يكبرن عليك ظلم من ظلمك ، فانه يعضى في مضرتة ونفعك ، وليس جزاء من سرك أن تسوءه (٤) .

(١) حثا التراب : رماه .

(٢) المغبة : العاقبة .

(٣) لا تصرم : لا تقطع .

(٤) نهج البلاغة : ٣/٤ ، البحار : ٥٧/١٧ ، كيف تكسب الاصدقاء ١٣٧

قيل لأبن السماك (١) أي الاخوان أحق ببقاء المودة؟ قال : الوافر
دينه ، الوافي عقله ، الذي لا يملك على القرب ، ولا يفساك على البعد ،
إن دنوت منه داناك ، وان بعدت عنه راعاك ، وان استمنت به عضدك
وان احتجت اليه رفدك ، وتكون مودة فعله اكثر من مودة قوله (٢)
وقيل لخالد بن صفوان (٣) : أي اخوانك أحب اليك؟ قال:الذي

(١) « السماك » بفتح السين المهملة والميم المشددة وبعد الالف كاف :
النسبة الى بيع السمك وصيده ، وابن السماك هو ابو العباس محمد بن صبيح
مولى بني عجل الكوفي الزاهد المشهور ، كان حسن الكلام وصاحب مواظ
جمع كلامه وحفظ ، وهو كوفي قدم بغداد زمن الرشيد ودخل عليه فقال
له: عظمي. ثم دعا الرشيد بماء ليشربه ، فقال: ناشدتك الله لو منعك الله
من شربه ماكنت فاعلا؟ قال: كنت افديه بنصف ملكي. قال: فاشرب ، فلما
شرب قال ناشدتك الله لو منعك الله من خروجه ماكنت فاعلا؟ قال
كنت افتيه بنصف ملكي قال: ان ملكا يفتدى به شربة ماء لخليق ان
لاينافس عليه ، ثم رجم الى الكوفة وتوفى سنة ١٨٣ هـ .

(الكنى والالقب : ٣٠٥ | ١)

(٢) المستطرف : ١ - ١١٩ .

(٣) خالد بن صفوان بن عمرو بن الاهثم التميمي المنقري من فصحاء
العرب المشهورين ، كان يجالس عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك
وله معها اخبار ، ولد ونشأ بالبصرة ، وكان ايسر اهلها مالا ولم يتزوج ،
له كلمات سائرة ، عاش الى خلافة السفاح وحظي عنده ، جمع كلامه في
كتاب كان يرمى بالبخل وكف بصره ومات ، سنة ١٣٣ هـ .

(الاعلام : ٢ - ٣٣٨)

يسد خلتي ، ويفغر زآتي ، ويقيل عثري (١) .

وقال آخر : من لا يؤاخي إلا من لا عيب فيه قل صديقه ، ومن لم يرض من صديقه الا بإثارة على نفسه دام سخطه ، ومن عاتب على كل ذنب ضاع عتبه وكثر تعبه (٢) .

وقال جمال الدين الدمشقي (٣): ترفض صداقة من اشتهر بالبخل، ومن اشتهر بالنيمة والثلب والسفه ، ومن عرف بالكبرياء والخفة والطيش وعدم حفظ السر، أو اشتهر بحب الهذر والهذيان والتهتك والخلاعة والكسل ، ولا يقبل في التأخي من أصيب بخلل في عقله ، أو شذوذ في أفكاره ، حتى لا نسقط آداب الاخوان وعلومهم ، ولا يكون بين افرادهم واحد لاخير للانسانية والعمران منه .

وقال حكيم : احذر مواخاة من يجعلك اكبر همه ويؤثر ان لا يخفى

(١) المستطرف : ١٢٠ | ١ .

(٢) المستطرف : ١٢٠ | ١ .

(٣) جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق ، من سلالة الحسين السبط ، إمام الشام في عصره علما بالدين وتضلعا في فنون الادب ، مولده ووفاته في دمشق ، كان سلفي العقيدة لا يقول بالتقليد ، انتدبه الحكومة للرحلة والقاء الدروس العامة في القرى والبلاد السورية ، ثم رحل الى مصر وزار المدينة ، ولما طاد آتهم حسدته بتأسيس مذهب جديد في الدين سموه المذهب « الجمالي » فقبضت عليه الحكومة فرد للتهمة فاخلى سبيله ، واعتذر اليه والي دمشق ، فانقطع في منزله للتصنيف والقاء الدروس الخاصة والعامة ، وله من المؤلفات اثنان وسبعون مصنفا واغلبها مطبوع ، ولد سنة ١٢٨٣ هـ ١٨٦٦ م ، وتوفي سنة ١٣٣٢ هـ ١٩١٤ م .

(الاعلام : ١٣١ | ٢)

عليه شيء من امرك ، فانه يتبعك ويأسرك .

وقال الأمام الغزالي : اذا طلبت رفيقاً ليكون شريكك في التعلم وصاحبك في أسر دينك ودنياك ، فراع فيه الشروط التي يصلح بها للأخوة والصدقة ، وهي خمس :

(الاولى) العقل ، فلا خير في صحبة الاحمق ، فالى الوحشة والقطيعة يرجع آخرها ، وأخس أحواله أن يضرك وهو يريد أن ينفعمك ، والعدو العاقل خير من الصديق الاحمق الجاهل .

(الثانية) حسن الخلق ، فلا تصحب من ساء خلقه ، وهو من لا يملك نفسه عند الغضب والشهوة .

(الثالثة) الصلاح ، فلا تصحب فاسقاً ، فان من لا يخاف الله لا تؤمن غوائله ، بل يتغير بتغير الاعراض والاحوال ، ومشاهدة الفسق والمعصية على الدوام تزيل عن القلب كراهية المعصية وتهون عليه أمرها .

(الرابعة) لا تصحب حريصاً ، فصحبة الحريص على الدنيا سم قاتل ، لان الطباع مجبولة على التشبه والاقتران ، بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري .

(الخامسة) الصدق ، فلا تصحب كذاباً ، فانك منه على غرور ، فانه مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب .

وقال بعضهم : المختارون من الاصدقاء أهل العلم والدين والحكمة والعقل ليفيدوه ويقووا قوة تميزه وعلمه ، وأهل شرف يستعان بجاههم في الملعات ، وأهل ثروة يستعان بهم في لم السمات ، وأهل محادثة طيبة في خلواته يفزع لهم عند كربه والضجر من أعماله . وأما أصدقاء الظاهر فيذبغي مجاملتهم والاحسان اليهم ، وكتهان الاسرار عنهم واخفاء الاحوال

الخاصة عنهم ، وترك تحديثهم بنعمة .

وقال آخر : معاشره الاصدقاء لاتتم إلا بالمؤانسة والمداخلة ، ولا بد في ذلك من المزاح المستعذب والاحاديث المستطابة والفكاهة المحبوبة ، التي تطلقها الشريفة ويقدرها العقل حتى لا يتجاوزها الى الاسراف فيها ، ولا يقصر عنها تهاوناً بها ، فانها اذا خرجت الى جانب الزيادة سميت مجوناً وفسقاً وخلاعة وما اشبهها من أسماء الذم ، والى جانب النقصان سميت مذماً وحبوساً وشكاسة وما اشبهها من أسماء الذم أيضاً ، والمتوسط بينهما هو الظريف الذي يوصف بالهشاشة والطلاقة وحسن العشرة ويعرض من الصعوبة في وجود هذا الوسط ما يعرض في سائر الفضائل الخلقية .

وقال حكيم : متى حصل لك صديق يلزمك أن تكثر مراعاته وتبالغ في تفقده ، ولا تستهينن باليسير من حقه عند مهم يعرض له او حادث يحدث به ، فأما ما في أوقات الرخاء فينبغي ان تلقاه بالوجه الطلق ، واخلق الرحب وان تظهر له في عينك وحركاتك وهشاشتك وارتياحك عند مشاهدته اياك ما يزداد به كل يوم ، وفي كل حال ثقة بمودتك وسكونا الى غيبك ويرى السرور في جميع أعضائك التي يظهر السرور فيها اذا لقيك ، وان اصابته نكبة أو لحقته مصيبة او عثر به الدهر ، كيف تكون مؤاساتك له بنفسك ومالك ، وكيف يظهر له تفقدك ومراعاتك ولا تفتظرن به أن يسألك تصريحاً أو تعريضاً ، بل اطلع على قلبه واسبق الى ما في نفسه وشاركه في مضمض ما لحقه ليخفف عنه ، وان بلغت مرتبة من السلطان والغنى فأغض اخوانك فيها من غير امتنان ولا تطاول ، فان رأيت من يحتشمك آئئذ فأجذبه اليك واختلط به وابرأ بذلك من الكبر والصلاف ثم احذر المرء مع صديقك خاصة وان كان واجباً ان تحذره مع كل

أحد ، فان ممارسة الصديق تقتلع المودة من أصلها ، لأنها سبب التباين
وقبح أثره لا يخفى ، فلا يقف مع المراء محبة ولا يرجى به الفة . نعم
ينبغي أن يكون كل مرآة لأخيه ينصح بعضهم بعضاً ويرشد كل أخاه
الى سبل الكمال ولا يكتفم نقد ما يراه نقصاً ، فمن تبادل النقد في ساحة
المودة على بساط الصفاء يكون الكمال ، وينبغي أن لا تؤاخذ صديقك
المخلص بالتقصير ، ولا تجازيه عليه ولا تعاتبه عتاباً مفرطاً ، وادم ملاحظته
وتمهد أشيائه واهد ماتستهسئمه اليه ، واجتهد في الاكثار من الاصدقاء
فان الصديق زين المرء وعضده وناصره ومذبح فضائله (١) قال الشاعر :

وما المرء إلا باخوانه كما يقبض الكف بالمعصم
ولا خير في الكف مقطوعة ولا خير في الماعدا لأخضم

وقال أمير المؤمنين عليه السلام :

عليك باخوان الصفاء فانهم عماد إذا استنجدتهم وظهور
وان قليلا الف خل وصاحب وان عدواً واحداً لكثير
وقال آخر :

إن اخاك الصديق من يسمي معك ومن يضر نفسه لينفمك
ومن اذاريب الزمان صدعك شتت فيك شمله ليجممك
وقال آخر :

وليس اخي من ودني بلسانه وليكن أخي من ودني وهو غائب
ومن ماله مالي اذا كنت معدماً ومالي له ان أعوزته النوائب
وقال أبو تمام :

من لي بانسان اذا أغضبته وجهلت كان الحلم رد جوابه

(١) جوامع الآداب : ٤٢

وإذا صبوت الى المدام شربت من أخلاقه وسكرت من آدابه
وتراه يصغي للحديث بطرفه وبقلبه ولعله أدرى به (١)
وقال ابن الاعرابي :

لعمرك ما مال الفتى بذخيرة ولكن اخوان الثقات النخائر
وكتب الفضل بن سيار الى الفضل بن سهل :

يا أبا العباس أي ناصح لك والنصح لذي الود كبير
لا تمدن ليوم صالح إن اخوانك في الخير كثير
وليكن للشرا ما اعددتهم أن يوم الشر صعب قظير
هذه السوق التي آملها يا أبا العباس والعمر قصير
وقال أمير المؤمنين عليه السلام :

أخوك الذي إن أحوجتك مائة من الدهر لم يرح لها الدهر واجما
وليس أخوك الحق من أن تشعبت عليك أمور ظل يلحاك لأنما
وقال العتابي :

تود عدوي ثم تزعم أنني صديقك ان الرأي عنك لعازب
وليس أخي من ودني رأي عينه ولكن أخي من صدقته المغايب (٢)
وقال آخر :

إذا المره لا يركاك إلا تكلفا فدعه ولا تكثر عليه التأسفا
ففي الناس ابدال وفي الترك راحة وفي القلب صبر للحبيب ولوجفا
فما كل من تهواه يهواه قلبه ولا كل من صافيته لك قد صفا
إذا لم يكن صفو الوداد طيبة فلا خير في ود يجيء تكلفا

(١) المستطرف : ١١٩/١ . عيون الاخبار : ١١/٣

(٢) عيون الأخبار : ٦١/٣ .

ولاخير في خل يخون خليله ويلقاه من بعد المودة بلخيفا
سلام على الدنيا اذا لم يكن بها صديق صدوق صادق الوعد منصفا (١)
وقال آخر :

صاف الكرام بغير من صافيته من كان ذا أدب وكان ظريفا
واحذر مؤاخذة اللئيم فإنه يبدي القبيح وينكر المعروفا
ان الكريم وان تضعض حاله فأخلق منه لا يزال شريفا
والناس مثل دراهم قلبتها فأصبت منها فضة وزيوفا
وقال آخر :

أخو الفسق لا يفررك منه تودد فكل حبال الفاسقين مهين (٢)
وصاحب اذا ما كنت يوما مصاحبا أبا ثقة بالغيب منك أمين
وقال آخر :

اجعل قرينك من رضيت فعاله واحذر مقارنة اللئيم الشائن (٣)
كم من قرين شائن لقرينه ومهجن منه لكل محاسن (٤)

(١) جواهر الادب : ٤٨٤/٢ •

(٢) المهين : الحقير الضعيف .

(٣) الشين ضد الزين : العيب .

(٤) جواهر الأدب : ٤٨٥/٢ •

رَبِّ اخْ لَكَ لَمْ تَلِدْهُ اَمَك. (١)

يروى هذا المثل للقاهن بن عاد (٢) ، وذلك انه اقبل ذات يوم فبينما هو يسير اذ اصابه عطش ، فهجم على مظلة (٣) في فنائها امرأة

(١) قلل الميدان : يعنى به الصديق ، فانه ربما اربى في الشفقة على الاخ من الاب والام . وقلل ايضا عند شرح قولهم في المثل « رب ابن عمه ليس بابن عم » هذا يحتمل معنيين: احدهما ان يكون شكاية من الاقرب اي رب ابن عم لا ينصرك ولا ينفعك فيكون كأنه ليس بابن عم والثاني ان يريد رب انسان من الاجانب يهتم بشأنك ويستحي من خذلانك ، فهو ابن عم معنى وان لم يكن ابن عم نسباً ، ومثله في احتمال المعنيين قولهم (رب اخ لك لم تلده امك) .

(مجمع الأمثال : ١/٣٠٢-٣٠٦)

(٢) لقاهن بن عاد بن ملطاط ، من بنى وائل من حمير: معمر جاهلي قديم ، من ملوك [حمير] في اليمن يلقب بالرائش الاكبر . زعم اصحاب الأساطير انه عاش عمر سبعة سنين مبالغة في طول حياته ، وهو غير لقاهن الحكيم المذكور في القرآن .

(الاعلام : ١٠٨/٦)

(٣) المظلة بفتح الميم وكسرها وفتح الظاء الحياء الكبير .

تلاعب رجلاً ، فاستسقى لقمان ، فقالت المرأة : اللبنة تبغى أم الماء ؟ قال لقمان : أيها كان ولا عداء ، فذهبت مثلاً . قالت المرأة : أما اللبنة فخلقت وأما الماء فأمامك . قال لقمان : المنع كان أوجز ، فذهبت مثلاً .

قال : فبينما هو كذلك اذ نظر الى صبي في البيت يبكي فلا يكثر له ويستسقى فلا يسقى ، فقال : إن لم يكن لكم في هذا الصبي حاجة دفتموه اليّ فكفيلته . فقالت المرأة : ذاك الى هانيء ، وهانيء زوجها . فقال لقمان : وهانيء من العدد ؟ فذهبت كلمته مثلاً . ثم قال لها : من هذا الشاب الى جنبك فقد علمته ليس ببعك ؟ قالت : هذا أخي . قال لقمان : رب أخ لم تلده أمك (١) ، فذهبت مثلاً .

ثم نظر الى أثر زوجها في قتل الشعر فعرف في قتله شعر البناء أنه أعرس (٢) فقال : نكحت الاعيسر أمه ، لو يعلم العلم لطل غمه ، فذهبت مثلاً ، فذعرت المرأة من قوله ذعراً شديداً ، فمرضت عليه الطعام والشراب ، فأبى وقال : المبيت على الطوى (٣) حتى تنال به كريم المثوى خير من اتيان مالا تهوى ، فذهبت مثلاً .

(١) وقفت على بعض المصادر الذي ينسب هذا المثل الى كلام امير المؤمنين (ع) ولا مانع ان يكون ذلك مثلاً عربياً قد استشهد به الامير عليه السلام او من باب توارد الخاطر او غير ذلك .

(كيف تكسب الاصدقاء : ١٥)

(المؤلف)

(٢) الاعسر : الذي يعمل بشماله .

(٣) الطوى : الجوع .

ثم مضى حتى اذا كان مع العشاء اذا هو برجل يسوق ابله وهو
يرنجز ويقول :

روحي الى الحبي فان نفسي رهينة فيهم بخير عرس
حسانة المقلّة ذات أنس لا يشتري اليوم لها بأمس
فعرّف لقمان صوته ولم يره ، فهتف به : يا هانيء ، يا هانيء . فقال :
ما بالاك ؟ فقال :

ياذا البجاد الحلكه والزوجة المشترکه
عش رويداً أبلـكـه لست لمن ليست لكه
فذهبت مثلاً . قال هانيء . نور نور ، لله أبوك . قال لقمان :
علي التنوير وعليك التغيير ، ان كان عندك نكير ، كل امرئ في بيته
أمير ، فذهبت مثلاً .

ثم قال : اني سررت وبني أوام (١) فدفعت الى بيت فاذا أنا بامرأتك
تغازل رجلاً ، فسألته عنها ، فزعمته أخاها ، ولو كان أخاها ، لجلي عن نفسه
وكفاها الكلام .

فقال هانيء : وكيف علمت أن المنزل منزلي والمرأة امرأتي ؟ قال :
عرفت عقائق هذه النوق في البناء ، وبوهدة الخلية في الفناء ، وسقب هذه
الناب ، وأثر يدك في الاطناب .

قال : صدقتني فداك أبي وأمي ، وكذبتني نفسي ، فما الرأي ؟ قال
هل لك علم ؟ قال : نعم بشأني . قال لقمان : كل امرئ بشأنه عليهم ،
فذهبت مثلاً .

قال له هانيء : هل بقيت بعد هذه ؟ قال لقمان : نعم . قال :

(١) الاوام بضم الهمزة المعطش .

وما هو ؟ قال : تحمي نفسك ، وتحفظ عرسك . قال هاني : افعل . قال لقمان . من يفعل الخير يجحد الخير ، فذهبت مثلاً .
ثم قال : الرأي أن تقلب الظهر بطناً والبطن ظهراً ، حتى يستبين لك الامرُ أسراً . قال : أفلا اعجلها بكية توردها المنية . فقال لقمان :
آخر الدواء الكي ، فأرسلها مثلاً .
ثم انطلق الرجل ، حتى أتى امرأته فقص عليها القصة ، وسل سيفه فلم يزل يضربها به حتى بردت .

(جمع الأمثال : ٢٩١/١)

قال المؤلف ﴿ ما يتبع المثل وقصته ﴾ وفيه فصل واحد ، وهو بيان ما ترصن اليه القصة التي كانت سبباً لمضرب المثل ، فنقول :
سبق منا التنبيه على أننا نحاول اختيار بعض الامثال العربية المنطوية على بعض القصص التاريخية للامة العربية في العصور الصالحة ، ليعرف من وراء ذلك ما كانت عليه من الصفات والمزايا والمخالفات الفردية أو العادات الاجتماعية التي كانت مألوفة عندها ، وهي سائرة على منوالها لتكون درساً وعبرة ، فان تاريخ السابقين عبرة لحياة اللاحقين .

وان هذه القصة التي بين أيدي القراء هي صورة حاكية لبعض مساجيا الأمة العربية ، التي كانت نفوسهم مجبولة عليها ومطبوعة على الأخذ بآثارها ، وهي صفة الغيرة والحمية ، فان دنس الأعراض عندهم من الأخطاء الغير المغتفرة ، ولا يكاد يتحملها أحد منهم ، ولذلك جاء الشرع الشريف لرعاية لهذه المقدسات الاربع : الدين ، والنفس ، والعرض ، والمال .

وهذه تختلف مراتبها في الاسبقية والتقديم بحسب اختلاف الموارد وماتقتضيه المصلحة الشرعية ، والعقلية ، والاجتماعية ، كل ذلك لأجل حفظ

نظام المجتمع . لذلك يجب الدفاع عن تلك المقدسات ، والذي يقتل في سبيلها يعتبر شهيداً .

وان دنس العرض عند العرب مما يعد وصمة باقية ، مما توصم به الأسرة والقبيلة ، وهذه الغريزة من الغيرة وصفة الحمية ، والمحافظة على الاعراض من الصفات المتأصلة في الأسر العربية ، والقبائل والعشائر ، في المدن وفي الأرياف ، ومحبولة عليها طباعهم جيلا بعد جيل ، وقبيلاً بعد قبيل .

ونحن لانريد ان نتحدث عن صفة الغيرة والحمية،الموجودة في القبائل العربية ، من حيث ما يحدث من جرائمها من القتل وغيره ، من جهة الحكم بصحتها أو فسادها ، وان قتل المرأة المتهمه بارتكاب الدنس ،مما يؤدي الى العار والشنار لو لم تقتل ، وهل أن ذلك القتل على طبق الموازين الشرعية ، أم ان ذلك لايجوز شرعاً ؟

فان اقامة الحدود الشرعية ، لها شروط واعتبارات ، كاقامة البيئات والبراهين عند الامام المعصوم عليه السلام أو من يقوم مقامه من النائب الخاص أو العام المبسوط اليد ، فلنسا بصدد ذلك كله ، فان هذا موكول الى عمله من كتب الفقهاء والعلماء ، من أبواب الحدود والتعزيرات .

بل إننا نتكلم في هذه القصة المشتتة على المثل السائر ، من حيث أن هذه السجية العربية مما تنبئ عن تقديسهم للاعراض والنواميس الخلقية لأجل حفظ الاسر وعدم اختلاط بعضها ببعض ، من حيث الاصلاب والارحام ، فان عدم رعاية ذلك مما يؤول الى تفسخ المجموعة البشرية ، وفقد النظام السائد ، وهذا يرجع الى الهرج والهوس في نظم الحياة ، وهذا ما لايرتضيه العقل ولا الشرع المقدس .

وهذه الجهة من احدى جهات حكم الشرع بتحريم الزنا ، زيادة على قبحه من حيث ذاته ، لأنه يؤدي الى تفسخ الاخلاق وعدم النزاهة في النفوس والطباع وما يحدث من جرائمه من الحوادث الفظيعة والفتن الكثيرة . وقد صرح القرآن الكريم بما في هذا العمل من الفحش والخيانة ووجوب إقامة الحد من الرجم أو القتل ، أو الضرب بالسياط بالمقدار المحدد في الشرع ، قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بها رافة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين * الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ﴾ (١) .

وقد نطقت به أيضاً الاحاديث النبوية والابخار عن الأئمة عليهم السلام وكل هذا موكول الى محله من كتب الاخبار والكتب الفقهية الاستدلالية ، ولو أردنا التتبع في كتب التاريخ وغيرها لوقفنا على الشيء الكثير من القصص والحكايات والحوادث المتعلقة بهذا الموضوع ، ولو جمعت لكانت سفراً كبيراً .

كل ذلك مما يسجل للامة العربية اليد البيضاء في هذا السبيل ، ونحن لانريد الاسهاب والتطويل في هذا المجال ، بل نكتفي بهذه الصفحة وان هذه السجية التي امتازت بها قبائل العرب وعشائهم وبيوتاتهم وأسرمهم هي سركرة في نفوسهم ، ونحن لا نمنع من وجودها في غير الامم العربية ، ولكنها ليست بهذا التركيز والامتياز ، وان اطوار الحياة التي مرت على جميع أنواع البشر ، وتبدل الاخلاق والمعادات - الفردية

والاجتماعية - التي شملت جميع الناس ، وهذا التطور والتبدل انما جاء من قبل انفاس الاجانب والدخلاء بين جماعة العرب والمسلمين ، كل هذا لم يغير من تلك الصفة المنطبعة عليها نفوسهم .

ومن سبر حياة قبائل العرب في مصر الذي بين أيدينا (القرن العشرين الميلادي) يجدها صورة انعكاسية تحكي ما عليه قبائلهم السابقة ، لم يعرض عليها أي تغيير ولا تبديل من حيث هذه السجية .

وياحبذا لو ان بقية العادات والخلق السامية التي كانوا محبوبين عليها لم تتأثر بهذا التيار الجارف ، وهو التمدن المزيف الذي قضى على كثير من الخلق الطيبة التي كانت شعاراً عندهم يمتازون به دون غيرهم .

إنَّ عبدَناظرَه قريبٌ

أي لمنتظره ، يقال : نظرتَه أي انتظرته .
وأول من قال ذلك قراد بن أجدع ، وذلك أن النعمان بن المنذر
خرج يتصيد على فرسه اليعموم ، فأجراه على أثر عير (١) ، فذهب به
الفرس في الارض ولم يقدر عليه ، وانفرد عن أصحابه ، وأخذته السماء (٢)
فطلب ملجأ يلجأ اليه فدفح الى بناء (٣) فاذا فيه رجل من طيء . يقال
له (حنظلة) ومعه امرأة له ، فقال لها : هل من مأوى ؟ فقال حنظلة : نعم
فخرج اليه فأنزله ، ولم يكن للطائي غير شاة وهو لا يعرف النعمان
فقال لامرأته : أرى رجلا ذا هيئة وما اخلقه أن يكون شريفاً خطيراً

-
- (١) المير بفتح العين وسكون الياء : الحمار الاهلي والوحشي ،
وقد غلب على الوحشي .
(٢) المراد من السماء هنا المطر ، أي اخذه المطر ، كما يقول الشاعر :
إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وان كانوا غضابا
(٣) البناء : البيت .

فا الحيلة ؟ قالت : عندي شيء من طحين كنت ادخرته ، فأذبح الشاة لا تأخذن من الطحين ملة (١) .

قال : فأخرجت المرأة الدقيق فخبزت منه ملة ، وقام الطائي الى شاته فأحتلبها ثم ذبحها فأخذ من لحمها مرقة مضيرة (٢) واطعمه من لحمها وسقاه من لبنها ، واحتال له شراباً فسقاه ، وجعل يحذنه بقية ليلته ، فلما أصبح النعمان لبس ثيابه وركب فرسه ، ثم قال : يا أخا طيء اطلب ثوابك ، أنا الملك النعمان . قال : افعل انشاء الله .

ثم لحق الخليل فضى نحو الحيرة ، ومكث الطائي بمد ذلك زماناً حتى أصابته نكبة وجهد وساءت حاله ، فقالت له امرأته : لو أتيت الملك لأحسن اليك ، فأقبل حتى انتهى الحيرة فوافق يوم بؤس النعمان (٣)

(١) الملة بفتح الميم واللام المشددة : الجمر ، وخبز الملة الذي يتخذ منه ، وهذا نوع من انواع الخبز الذي تستعمله العشائر في الارياف قبل اتخاذ التناير ، ولا يزال هذا الخبز موجوداً .

(٢) مرقة مضيرة طعام يطبخ باللبن المضر ، اي اللبن الحامض .

(٣) قال ياقوت الحموي في مادة (غري) ان الغريين بظاهر الكوفة

بناها المنذر بن امرئ القيس بن ماء السماء ، وكان السبب في ذلك انه كان له نديمان من بني اسد يقال لأحدهما خالد بن نضلة والآخر عمر بن مسعود ، فتملا فراجعا الملك ليلة في بعض كلامه ، فأمر وهو سكران فحفر لهما حفيرتان في ظهر الكوفة ودفنهما حينئذ ، فلما أصبح استدأهما فأخبر بالذي امضاه فيهما ، فغمه ذلك وقصد حفرتها وامر ببناء طربالين عليها وهما صومعتان ، فقال المنذر ما انا بملك ان خالف الناس امرئ ، لا يمر احد من وفود العرب إلا يبنها وجعل لهما في السنة يوم بؤس ويوم نعيم يذبح في يوم بؤسه كل من يلقاه ويفري بدمه الطربالين ، فان—

فأذا هو واقف في خيله في السلاح ، فلما نظر اليه النعمان عرفه ، وساءه مكانه ، فوقف الطائي المزلول به بين يدي النعمان ، فقال له : أنت الطائي المزلول به ؟ قال : نعم . قال : أفلا جئت في غير هذا اليوم ؟ قال : أبيت اللعن (١) وما كان علمي بهذا اليوم ؟ قال والله لو سرح لي في هذا اليوم «قابوس» ابني لم اجد بدأ من قتله ، فأطلب حاجتك من الدنيا وسل ما بذاك فانك مقتول . قال : أبيت اللعن ! وما اصنع بالدنيا بعد نفسي ؟ قال النعمان : انه لا سبيل اليها . قال : فان كان لا بد فأجلني حتى ألم (٢) بأهلي فأوصي اليهم واهي ، حلهم ثم انصرف اليك . قال النعمان : فأقم لي كفيلا بمواظتك .

فالتفت الطائي الى شريك بن عمر بن قيس من بني شيبان ، وكان يكنى أبا الحو غزان ، وكان صاحب الردافة (٣) وهو يجنب النعمان ، فقال له :

— رفعت له الوحش طلبتها الخيل وان رفم طائر ارسل اليه الجوارح حتى يذبح مايعن ويطلبان بدمه ، ولبت برهة من الدهر . . . الى آخر القصة .
وقيل ان القصة هي منسوبة للنعمان آخر المناذرة ، وان الغريين ينسبان له كما ذكر ذلك الميداني .

(المؤلف)

(١) تستعمل هذه الجملة عند العرب السابقين في مقام مخاطبة السلاطين والملوك ، وهي غاية المدح والثناء ، حيث يراد بها ان المخاطب قد كمل عن النقائص والعيوب ، فهو آب عن اللعن ، يعني الهجاء والذم .

(٢) ألم بالقوم او على القوم اتاهم فنزل بهم وزارهم زيارة غير طويلة .

(٣) الردافة اسم منصب نيابة الملك ، من ارداف الملوك في زمن الجاهلية ، حيث كان يوصف بها جلس الملك ، لانه كان يشرب بعد الملك ، ويقوم مقامه زمن الغزو ، وكان اذا حادت كتيبة الملك يأخذ الرباع ، اي ربع الغنيمة .

ياشريك يا بن عمرو هل من الموت محاله
ياأنا كل مضاف ياأنا من لا أخاله
ياأنا النعمان فكّ اليوم ضيفاً قد أتى له
طالما عالج كرب الموت لا ينعم باله

فأبى شريك أن يتكفّل به ، فوثب إليه رجل من كلب يقال له
قراد بن اجدع ، فقال للنعمان : أبيت اللعن هو عليّ . قال النعمان :
أفعلت ؟ قال : نعم فضمّنه اياه ثم أمر للطائي بمخسمة ناقة .

فضى الطائي الى أهله ، وجعل الأجل حولاً من يومه ذلك الى
مثل ذلك اليوم من قابل ، فلما حال عليه الحول وبقي من الأجل يوم
قال النعمان لقراد : ما اراك إلا هالكا غداً : فقال قراد :

فان يك صدر هذا اليوم وليّ فان غداً لناظره قريب

فلما اصبح النعمان ركب في خيله ورجله متمسكاً كما كان يفعل حتى أتى
الغريّين فوقف بينهما ، واخرج معه قراداً وأمر بقتله ، فقال له وزراؤه :
ليس لك أن تقتله حتى يستوفي يومه ، فتركه .

وكان النعمان يشتهي أن يقتل قراداً ليفت الطائي من القتل ، فلما
كادت الشمس تخب (١) وقراد قائم مجرد في أزار على النطع والسياف الى
جنبه ، أقبلت امرأته وهي تقول :

أيا عين بكى لي قراد بن اجدعا رهيناً لقتل لا رهيناً مودعا

أنته المنايا بغتة دون قومه فأمسى أسيراً حاضر البيت أضرباً

فبينما هم كذلك إذ رفع لهم شخص من بعيد ، وقد أمر النعمان
بقتل قراد ، فقيل له : ليس لك أن تقتله حتى يأتيك الشخص فتعلم من

(١) وجبت الشمس : غابت .

هو، فكف حتى انتهى اليهم الرجل ، فأذا هو الطائي ، فلما نظر اليه
النعمان شق عليه مجيئه ، فقال له : ما حملك على الرجوع بعد افلاتك
من القتل ؟ قال : الوفاء . قال : وما دطاك الى الوفاء ؟ قال ديني . قال
النعمان : وما دينك ؟ قال : النصرانية . قال النعمان : فأعرضها علي ، فعرضها
عليه ، فتنصر النعمان وأهل الحيرة أجمعون ، وكان قبيل ذلك على دين
العرب ، فترك القتل منذ ذلك اليوم ، وابطل تلك السنة ، وأمر بهدم
الغريين ، وعفا عن قراد والطائي ، وقال : والله ما ادري أيها أوفى وأكرم
أهذا الذي نجما القتل فماد أم هذا الذي ضمنه ؟ والله لا أكون الأم
الثلاثة ، فأنشد الطائي يقول :

ما كنت أخلف ظنه بعد الذي أسدى إلي من الفعال الخالي
ولقد دعيتي للخلاف ضلالي فأبيت غير تمجدي وفمالي
أبي امرؤ مني الوفاء سجية وجزاه كل مكارم بذال
وقال أيضاً يمدح قراداً :

ألا إنها يسمو الى المجد والملا مخاريق أمثال القراد بن أجدما
فأنهم الاخيار من رهط تبعها (١) فأنهم الاخيار من رهط تبعها (١)
(مجمع الامثال : ٧٠/١ ، من أمثال العرب : ٣٣ ، المقدم الفريد للملك

(السعيد : ٨٧)

قال المؤلف : ﴿ ما يتبع المثل وقصته ﴾ وفي ذلك فصول :

(١) تبع لقب ملوك اليمن .

الفصل الاول

في سجية الكرم واطعام الضيف عند العرب

وقد أخذنا هذا الفصل من قيام الطائي بذبح شاته التي لا يملك غيرها لأجل أن يكون قائماً باداء واجب الضيافة ، في حين انه لم يعرف النعمان بن المنذر ، وهذه السجية مركزة في نفوس العرب السابقين ، والقصص والحكايات في ذلك كثيرة جداً ، وهذه الصفة لاتزال موجودة فعلاً ، وان كانت هي أقل مرتبة مما كانت عليه في العصور السالفة ، خصوصاً عند القبائل وابناء العشائر في الارياف وخارج البلدان (وفيه زبدتان):

(الزبدة الأولى)

في الضيافة واکرام الضيف ، واليك ماورد في القرآن الكريم . قال تعالى : ﴿ وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بنائي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ ونبئهم عن ضيف ابراهيم ﴾ (٢)

وقال تعالى : ﴿ قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون ﴾ (٣)

(١) هود: ٧٨ .

(٢) الحجر: ٥١ .

(٣) الحجر: ٦٨ .

وقال تعالى : ﴿ فانطلقا حتى اذا اتيا أهل قرية استطمأ أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لتخذت عليه أجراً ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ هل أتيتك حديث ضيف ابراهيم المكرمين ﴾ (٢)
وقال تعالى : ﴿ ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر ﴾ (٣)

وقد اخترنا بعض الأحاديث النبوية والأخبار الواردة عن الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين ، الدالة على كرامة الضيف عند الله تعالى :
قال رسول الله ﷺ : الضيف اذا دخل بيت المؤمن دخل معه الف بركة والف رحمة ، ويكتب الله تعالى لصاحب المنزل بكل لقمة يأكلها الضيف حجة وعمرة .

وقال رسول الله ﷺ : يا على اذا جاءك الضيف فاعلم ان الله قد منّ عليك اذ بعثه اليك ليغفر لك ذنبك .

وقال رسول الله ﷺ : يا على اكرم الضيف ، فان الضيف اذا نزل يقوم نزل معه رزقه ، واذا ارتحل ارتحل بذنوب أهل البيت فيلقيا في البحر
وقال أمير المؤمنين عليه السلام : ما من مؤمن يحب الضيف إلا ويقوم من قبره ووجهه كالقمر ليلة البدر ، فينظر أهل الجمع فيقولون : ما هذا إلا نبي مرسل ؟ فيقول ملك : هذا مؤمن يحب الضيف ويكرم الضيف .

وقال عليه السلام : البهاشة على وجه الضيف أحب عند الله تعالى من

(١) الكهف: ٧٩ .

(٢) الذاريات: ٢٥ .

(٣) القمر: ٣٨ .

عبادة مائة نبي ، ومن اكرم ضيفه فهو معي ومع ابراهيم في الجنة .
وقال عليه السلام : الضيف دليل الجنة من لم يكرم الضيف فليس مني .
وقال عليه السلام : من اكرم الضيف فكأنما اكرم سبعين نبيا ، ومن أنفق
على الضيف درهما فكأنها أنفق ألف ألف دينار في سبيل الله تعالى .
وقال عليه السلام : مامن مؤمن يسمع بهمس الضيف ويفرح بذلك لإغفرت
له خطاياه وان كانت مطبقة بين السماء والأرض .

وقال عليه السلام : اذا أراد الله تعالى بقوم خيراً أهدى اليهم هدية .
قالوا : وما تلك الهدية ؟ قال : ينزل الضيف برزقه ويرتحل بذنوب
أهل البيت .

وقال عليه السلام : ان الضيف وأرباب المنزل ان كانوا جماعة يأتون الصراط
ويأخذ كل واحد منهم بصاحبه يجوزون الصراط أسرع من البرق اللامع
وان لم يكن منهم من له عمل يجوز به الصراط يأمر الله تعالى الملك
الموكل بنفقة الضيف أن يأخذ بيدهم ويجوز بهم الصراط ولو كانوا مائة الف
وفي رواية : ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال : اني أحسن الوضوء
واقيم الصلاة وآتى الزكاة في وقتها واقرى الضيف طيبة بها نفسي . فقال
رسول الله صلى الله عليه وآله : ما لجنهم عليك سبيل ، ان الله تعالى قد برأك من
الصح ان كنت كذلك .

وهناك أحاديث نبوية وأخبار عن الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين
في آداب الضيافة والضيف :

قال عليه السلام : إن من حق المسلم الواجب على أخيه اجابة دعوته وان من
أعجز المعجز رجلا دعاه أخوه الى طعامه فتركه من غير علة .
وقال عليه السلام : اذا دخل عليك أخوك فأعرض عليه الطعام ، والأولى

أن تحضره من غير ان تخبره كما فعل ابراهيم النبي ﷺ باضيافه في قوله تعالى : ﴿ فراغ الى أهله فجاء بمجل سمين ﴾ أي فذهب الى أهله في خفية من أضيافه حذراً من أن يكفوه أو يصيروه منتظرين ، فان لم يأكل فأعرض عليه الماء ، فان لم يشرب فأعرض عليه الوضوء أو ما يغسل به وجهه ويديه .

وعن محمد الجعفري عن أبيه قال : إن رسول الله ﷺ كان في بعض مغازيه ، فر به ركب وهو يصلي فوققوا على أصحاب رسول الله (ص) وسألوهم عن رسول الله ودعوا واثنوا وقالوا: لولا اناعمال لا نتظرنا رسول الله ﷺ فأقرؤه منا السلام ومضوا . فأقبل رسول الله ﷺ مغضباً ثم قال لهم : يقف عليكم الركب ويسألونكم عني ويلفوني السلام ولا تعرضون عليهم الغداء ليعز على قوم فيهم خليلي جعفر أن يجوزوه حتى يتغدوا عنده .
وفي خبر : ان السخي يأكل من طعام الناس ليأكلوا من طعامه .
وفي خبر : من أكل طعاماً لم يدع اليه فاعا اكل قطعة من النار .
وعن الصادق عليه السلام قال : اذا دعى أحدكم الى طعام فلا يستبعن ولده ، فانه ان فعل اكل حراماً ودخل غاصباً .

وعن الرضا عن آبائه عن علي عليه السلام أنه دطاه رجل فقال له علي : أن تضمن لي ثلاث خصال : لا تدخل علينا شيئاً من خارج ، ولا تدخر عنا شيئاً في البيت ، ولا تجحف بالعيال . قال: ذلك لك، فأجابه علي عليه السلام الى ذلك .

وقال عليه السلام لفاطمة عليها السلام : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه .

وفي خبر : اكرموا الضيف ولو كان كافراً .

(ومن آداب الضيافة) اجادة الطعام واكثراره للضيف مع الامكان
قال رجل : كان أبو عبد الله عليه السلام ربما يطعمنا الفرائي والابخصة (١)
ثم أطعمنا الخبز والزيت . فقيل له : لو دبرت أمرك حتى يعتدل ؟ فقال:
انما تتدبر بأمر الله اذا وسع علينا وسعنا وان قتر قترنا .

وقال أبو حمزة الثمالي : دخلت على علي بن الحسين عليه السلام ، فدعا بمرقة
فطرحت فقعدت عليها ثم أتيت بمائدة لم أر مثلها . فقال لي : كل . فقلت
مالك لا تأكل ؟ فقال : اني صائم ، فلما كان الليل أتى بخل وزيت فأفطر
عليه ولم يؤت بشيء من الطعام الذي قرب الي ، وقال : اعمل طعاماً
وتنوق (٢) وادع عليه أصحابك .

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : ليس في الضيافة واطعام المؤمنين سرف .
(ومن آداب الضيافة) أن يخدمه بنفسه تأسياً بأمر المؤمنين عليهم السلام
وابراهيم الخليل عليه السلام ، وأن لا يستخدمه بل يمنعه إذا أراد قال : عليه السلام
من التضعيف ترك المكافأة ، ومن الجفا استخدام الضيف .

وروى أن رجلاً قال : نزل بأبي الحسن الرضا عليه السلام ضيف وكان
جالساً عنده يخدمه في بعض الليل ، فتغير السراج فد الرجل يده اليه
ليصلحه فزبره أبو الحسن عليه السلام ثم بادر بنفسه فأصلحه ، ثم قال : انا

(١) في الحديث ذكر الخبيص والخبيصة: هو طعام معمول من التمر
والزبيب والسمن ، فعيل بمعنى مفعول، ويجمع على اخبيصة ، ومنه الحديث
ربما اطعمنا ابو عبد الله [ع] الفرائي والابخصة، وخبيصت الشيء خبيصاً
من باب ضرب خلطته، والخبصة بكسر الميم مايعمل به الخبيص .

(مجمع البحرين مادة خبيص: ٣٤٤)

(٢) تنوق في مطعمه تجود فيه .

قوم لا تستخدم أضيافنا .

(ومن آداب الضيافة) ماروي أن رسول الله ﷺ كان إذا اكل مع الأضياف أو هو مع أهله طعاماً كان أول من يضع يده وآخر من يرفها لياً كل القوم ، وقال ﷺ : ان الزائر إذا زار المزور فأكل معه التي عنه الحشمة وإذا لم يأكل معه ينقبض قليلا .

وقال الفضل بن يونس : أتى في منزلي يوماً فدخل علي الخادم فقال : ان بالباب رجلاً يكنى بأبي الحسن يسمى موسى بن جعفر (ع) . فقلت يا غلام ان كان الذي أتوهم فأنت حر لوجه الله تعالى . قال : فبادرت اليه فاذا أنا به ﷺ فقلت : انزل ياسيدي ، فنزل ودخل المجلس فذهبت لأرفعه في صدر البيت فقال لي : يا فضل صاحب المنزل أحق بصدر البيت إلا أن يكون في القوم رجل يكون من بني هاشم . فقلت : فأنت إذا جعلت فداك ثم قلت : جعلني الله فداك انه قد حضر طعام لأصحابنا فان رأيت . فقال يا فضل ان الناس يقولون ان هذا طعام الفجأة وهم يكرهونه ، أما اني لا أرى فيه بأساً ، فامرت الغلام فاتى بالطعام فدنا منه فقال الحمد لله الذي جعل لكل شيء حداً . فقلت : جعلت فداك فا حد هذا ؟ فقال : أن يبدأ رب البيت لكي ينبسط الأضياف - الحديث .

وقال رسول الله ﷺ : ثلاثة أن يعلمن المؤمن كانت له زيادة في عمره وبقاء النعمة عليه ، تطويله في ركوعه وسجوده وصلاته ، وتطويله لجلوسه على طعامه اذا أطمع على مائدة .

وفي المسالك يستحب أن يبدأ صاحب البيت بغسل يده ، ثم يبدأ بعده بمن على يمينه ، ثم يدور عليهم في الغسلة الأولى ، وفي الثانية يبدأ بمن على يساره كذلك .

وقال عليه السلام إذا نزل بكم الضيف فأعينوه ، وإذا ارتحل فلا تعينوه فانه من النذالة ، وزودوه فانه من السخاء .

وقال عليه السلام : من حق الضيف ان تمشي معه فتخرجه من حريمك الى الباب .

وقال عليه السلام : الضيافة أول يوم والثاني والثالث ، وما بعد ذلك فانها صدقة يتصدق بها عليه .

وقال الباقر عليه السلام : اذا دخل أحدكم على أخيه في بيته فليقدم حيث يأمره صاحب البيت ، فان الرجل أعرف بعورة بيته من الداخل عليه .

(لآلئ الأخبار : ٢ / ٣٣٥ ، ٣ / ٦٦٦)

قيل لابراهيم الخليل عليه السلام : بم اتخذك الله خليلا ؟ قال : بثلاث : ماخيرت بين شيئين إلا اخترت الذي لله تعالى على غيره ، ولا اهتمت بما تكفل لي به ، ولا تفديت ولا تعشيت إلا مع الضيف .

وقيل لبعض الكرماء : كيف اكتسبت مكارم الأخلاق والتأدب مع الأضياف ؟ قال : كانت الاسفار تجوجني الى أن أفد على الناس ، فما استحسنته من اخلاقهم اتبعته وما استقبهته اجتنبته .

وقالت العرب : تمام الضيافة الطلاقة عند أول وهلة ، واطالة الحديث عند المؤاكلة .

وقال علي بن الحسين عليهما السلام : من تمام الروعة خدمة الرجل ضيفه كما خدمهم أبونا ابراهيم الخليل عليه السلام بنفسه واهله ، اما سمعت قول الله عزوجل ﴿ وامرأته قائمة ﴾ .

(المستطرف : ١ / ١٨١)

وقال جمال الدمشقي في كتابه جوامع الآداب تحت عنوان (آداب الضيف) :

يلزم الحضور في الوقت المعين له ، والجلوس مع من يليق به ، وموافقة المضيف والمشي مع رغبته ، وان لا يمنعه من شيء اراد إحضاره ، ولا يتطلع الى ناحية الحريم وجهة الباب رغبة في مجيء الطعام ، وبما يعاب على الضيف أخذ ولده الصغير ، وكثرة الأكل بالشره ، وجرف الطعام من نواحي الوعاء ، وابتلاعه بصوت يسمع ، ونقض الأصابع ، واعادة بعض مايطعمه الى الوعاء ، والبهت في وجوه الآكلين ، وجذب اللحم بعنف ، وغمس يده فيه ، والتطفل بتوزيعه على الآكلين ، ونقل الطعام من وطاء الى غيره يخلطه معه إلا لصحفة لديه ، ومزاحمة الجالسين ، والتأمر على من يصف الصحون بالتقديم والتأخير ، وعلى المضيف بمضايقته في فكره ، والتكاسل بالنهوض الى الطعام ، والتشاغل عمن ينهضه اليه ، والتشبع لدى الحضور تصنعاً ، والتأفف مما يرغب فيه غيره ، واطالة الحديث والماء يصب على يديه ، وسؤال صاحب الدار عن داره وعمارته ولومه على مايراه قصر في هندستها ، واخبار من لم يدع من صديق المضيف بالدعوة ، واستمجاله باحضار الطعام ، وشكوى الجوع ، وأن يطلب ممن يدعوه أن يدعو صديقه ، وان يدعو من يحب بغير اذن داعيه ، أو يتطفل بغير دعوة ، وهو أقبح الخلال لما فيه من تعريض النفس للأهانة والخزي والعار ، وان يحدث بما كان من كلام فقيه خيانة من حضر ، والغفلة عن كون المجلس بالأمانة .

ويقول أيضاً تحت عنوان (أدب المضيف) :

أن يستقبل ضيفه بطلاقة وجه ، وسن ضحك ، وترحيب بالغ ،

ولقى مبهج ، ويحدثهم بلذيد المحادثة ، وغرائب النوادر ، وان لا يخبرهم بها يفزعهم ، وان يكتهم ماينو به مدة حضورهم ، وان يفتظروهم قبل الميعاد ، ولا يملهم بالغبية عنهم ، ولا يضجرهم بتأخير الطعام ، وان يخدمهم ويقوم عليهم ، ويظهر لهم سعة الحال ، ويطيل الحديث عند مؤاكلاتهم ، ويظهر رغبته في الطعام أمامهم تجسيراً لهم ، وان لا يمسك عن تأكيد الدعوة بأدنى اعتذار ، فيكون كالمُنْتَظَر لذلك أو المنساق في دعواه ، ولا ينام قبلهم ، ولا يشكو الزمان وضيق الحال بحضورهم ، ويسمر معهم ، ولا يغضب على خادم أمامهم ولا يعبس بوجهه ، ولا يفخم طعامه ولا يمدح طابخه ، ولا ينوه بندرة وجوده ، أو اغلاء سعره او الانفراد بعمله ، فان ذلك دناءة وامارة الشح ، وان لا يفتخر أحداً ولا يشتمه لديهم ، وان لا يزعج عند استئذنانهم ويتروع لفرأقهم ، ويسير معهم الى الباب ، ومما يمتنع عليه تجنب الاسراف ، فلا يسيء التصرف ويقتل نفسه حباً في المفاخرة .

(جوامع الآداب : ٦٠-٦١)

واليك ما قيل في ذلك الشعر :

قال حاتم الطائي مخاطباً غلامه يسار وكان إذا اشتد البرد وقلب الشتاء
فيأمره فيوقد النار في بقاع من الأرض لينظر اليها من أضل الطريق ليلا :

أوقد فان الليل ليل قر (١) والريح ياوقد ريح صر

عل يرى نارك من يمر إن جلبت ضيفاً فانت حر

(عقد الفريد : ١٤٥/١)

وقال أيضاً :

أضاحك ضيفي قبل انزال رحله ويخصب عندي والهمل جديب

(١) ليل قر - بفتح القاف الرءاء مع التشديد - : اي ليل بارد .

وما لخصب للأضياف أن يكثر القرى ولكنما وجه الكريم خصيب
(عقد الفريد : ١١٨/١)

(قال المؤلف) ونسب ابن قتيبة البيتين الى الخزيمي .
(عيون الأخبار : ٢٣٩/٣)

وقال شمس الدين البدوي :

قراك وارمته لديك المصالح
وقل مرحباً اهلاً ويوم مبارك
عجولا ولا تبخل بها هو هالك
تداوله زيد وعمرو ومالك
فكيف بمن يأتي به وهو ضاحك
(المستطرف : ١٨٢/١)

إذا المرء وافي منزلاً منك قاصداً
فكن باسماً في وجهه متهللاً
وقدم له ما تستطيع من القرى
فقد قيل بيت سالف متقدم
بشاشة وجه المرء خير من القرى

وقال حاتم الطائي :

إذا ما اتاني بين ناري ومجزري
وابذل معروفني له دون منكري
(المستطرف : ١٨٢/١)

سلي الطارق المعتر يا أم مالك
أأبسط وجهي إنه أول القرى

وقال الآخر :

شيء كطارقة الضيوف النزل
ضيفاً له والضيف ربّ المنزل
(المستطرف : ١٨٢/١)

الله يعلم إنه ماسرني
مازلت بالترحيب حتى خلتنني

وقال الآخر :

يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا
نحن الضيوف وأنت ربّ المنزل
وقال سيف الدولة بن حمدان :

نحن سواء فيه والطارق (١)
إلا الذي حرمه الخالق

ونشبهه بالبشر من وجه ضاحك
(المستطرف : ١/١٨٢)

وأوتر بازاد الرفيق على نفسي
واجعل ستر الليل من دونه لبسي
إذا ضمني يوماً إلى صدره رمسي

إذا غدف الستر البخيل المواكل
على ثقة مني بها انا فأعل
لي النفس إلا ان تصان الحلائل

وما في إلا تلك من شيمة العبد

ولم يليني عنه الغزال المقنع
وتعلم نفسي إنه سوف يهجم

واليه قبلي تنزل القدر

منزلنا رجب لمن زارنا
وكل ما فيه حلال له
وقال طاصم بن وائل :

وانا لنقرى الضيف قبل نزوله

وقال الآخر :

أبيت خميص البطن عريان طاوياً
وامنحه فرشي واقترش الثرى
حذار أحاديث المحافل في غد
وقال ارطاة بن سهية :

واني لقوام إلى الضيف موهناً
دعا فأجابته كلاب كثيرة
وما دون ضيفي من تلاد نحوزه
وقال دعبل :

واني لعبد الضيف من غير ذلة
وقال الآخر :

لحافي لحاف الضيف والبيت بيته
أحدثه ان الحديث من القرى
وقال مسكين الدارمي :

ناري ونار الجار واحدة

(١) الطارق : الآتي ليلاً ، جمعه طراق واطراق ، ويريد به
هنا الضيف .

ماضر جاراً لي اجاوره ألا يكون لبابه ستر
(عيون الأخبار : ٢٣٩/٣)

وقال عتبية بن بيجر المازني من بني الحارث بن كعب :
ومستنبح بات الصدى يستتيهه إلى كل صوت فهو في الرحل جانح (١)
فقلت لأهلي : ما بغام مطيئة وسار اضافته الكلاب النواجح (٢)
فقالوا : غريب طارق طوحت به متون الفيافي والخطوب الطوارح (٣)

(١) المستنبح ! من يطلب نباح الكلب ليستهدى بذلك في طريقه ،
والصدى الطائر الذي يصبح بالليل ، واكثر مايقولون فيه : انه ذكر اليوم
وجمه اصداء ، وقد يوقعون الصدى على ضرب من الجنادب ضرب من الجراد
يصبح بالليل والنهار « ويستتيهه » هو يستفعل من تاهيته : اذا ضل . والجانح المائل .
(٢) البغام قطع مد الصوت بالحنين ، و اضافته جاوبته . ، والمعنى
فقلت ما هذا البغام الذي اسمع ومن هذا الساري الذي اضافته الكلاب .
(٣) قال التبريزي شارح ديوان الحماسة كان يجب ان يقول « والخطوب
المطوحات » في الجمع بالألف والتاء لأنه اسم فاعل من طوح مطوح ، ولكنه اخرج
الطوائح على حذف الزيادة من الفعل ومثله قوله تعالى « وارسلنا الرياح
لواقح » لأن اصله ان يجبي . ملاقح او ملقحات لكونها ملقحة للاشجار
والفعل منه ألقح ، فأخرج على حذف الزوائد فصار لقح ولواقح وكذلك
الطوائح قياسه ان يكون اذا عدل عن الجمع بالتاء مطاوح . وارتفع «غريب»
على انه خبر ابتداء محذوف ، كانه قال هو غريب طارق ، ومعنى طوحت به
حملته على المهالك والطائح المهالك - انتهى .
(قال المؤلف) وفي رواية جواهر الأدب « والخطوب الطوائح »
ولعلمها روايتان . والمتن : الصلب من الارض والفيافي جمع فيفاة ، وهي المكان
المستوى او المغارة لآماء فيها .

فقت ولم اجشم مكاني ولم تقم مع النفس علات البخيل الفواضح (١)
وناديت شبلا فاستجاب وربها ضمنا قرى عشر لمن لا نصافح (٢)
فقام أبو ضيف كريم كأنه وقد جدد من فرط الفكاهة مازح (٣)
إلى جذم مال قد نهكنا سوامه واعراضنا فيه بواق صحائف (٤)

(١) الجنوم اصله الصاق الصدر بالأرض ولزومها ، ويستعمل كثيراً في الطير والسباع والجنان الشخص منه اشتق وقوله « لم تقم مع النفس علات البخيل » يريد ان نفسي لما تهيأت للاضافة لم تقم معها العلات التي تفضح اربابها .

(٢) يريد بشبل ابنه . قال ابو العلاء : اشبه ماروي في هذا البيت « قرى عشر لمن لانصافح » بفتح العين ، اي عشر ليال لمن ليس له بيننا وبينه مصادقة توجب مصافحة ، وبمض الناس يضم العين وله وجه ، اي ربما ضمنا قرى عشر اموالنا لمن لا نعرف ، وقد يمكن ان يكون عشر جمع عشير وهو الذي يعاشره من الغرباء او يكون من عشيرته ، مثل ما يقال صديق وصدق وكريم وكرم . وقوله « لمن لانصافح » يجوز ان يكون من المصافحة المعروفة ، ويجوز ان يكون من صفحت الناس : اي نظرت في احوالهم .

(٣) عنى بأبي ضيف نفسه ، وارتفع « مازح » على انه خبر كأن ، وموضع « وقد جد » موضع الحال ، كأنه قال يشابه المازح من فرط الصباية وهو جاد ، ويقال « فاكهته بلمح الكلام » وهي الفاكهة .

(٤) الجذم : الأصل ، و« نهكنا سوامه » اي اثرتنا في السائمة من المال بما عودناها من النحر ، من قولهم نهكنا المرض : اذا اضر به . والسوام الأبل الراعية ، وجملة « الى جذم » مرتبط بـ « قام » في البيت قبله ، والمعنى فقت الى الأبل التي انفذنا السوام منها في الضيافة وحمل الديات مع تقاء عرضنا .

جعلناه دون الدم حتى كأنه إذا عد مال المكثرين المنائح (١)
لنا حمد ارباب المثين ولا يرى الى بيتنا مال مع الليل رائج (٢)
(بلوغ الأرب : ٤٧/١ ، جواهر الأدب : ١٠/٢)

وقال الآخر :

وما أنا بالساعي الى أم عاصم لا ضربها اني اذاً لجهول (٣)
لك البيت إلا فينة تحسنيها اذا حان من ضيف علي نزول (٤)

وقال الآخر :

وإنا لمشأؤون بين رحالنا الى الضيف منا لاحف ومنيم (٥)
فذو الحلم منا جاهل دون ضيفه وذو الجهل منا حقه للثيم

وقال الآخر :

ومستفبح تستكشط الريح ثوبه ليسقط عنه وهو بالثوب معصم (٦)

(١) المنائح : جمع منيحة ، وهي الناقة او الشاة تدفع الى الجار لينتفع بلبنها مادام بها لبن ، فاذا انقطع لبنها ردت ، وقوله « جعلناه دون الدم » يريد صيرناه دون الدم .

(٢) يعني انها على قلتها باركة بالفناء للحتوف لا تبلغ ان تصير سارحة ورأحة ، ولكن لنا حمد ارباب الأبل الكثيرة لجودنا وكرمنا .

(٣) قوله « وما أنا بالساعي » كأنه رأى انساناً يضرب امرأته ويحول بينها وبين تديرها دارها ، نفى عن نفسه مثل ذلك بفعله المتناهي في الجهل .

(٤) الفينة : الوقت .

(٥) اي يلبسه اللحف . ومنيم : اي يحده حتى ينام .

(٦) كشط واستكشط بمعنى واحد كمعجب واستمعجب ، واصل الكشط

للبعير وان استعمل في غيره ، والجلد يقال له الكشاط ، والمعصم والمستمعصم واحد وهو المستمسك بالشيء .

عوى في سواد الليل بعد اعتصافه
 فجأوبه مستقسم الصوت للقرى
 يكاد إذا ما ابصر الضيف مقبلا
 وقال الآخر .

ومستفبح بعد الهدوء دعوته
 بشقراء مثل الفجر ذاك وقودها (٤)
 فقلت له اهلا وسهلا ومرحبا
 بموقد نار محمد من يرودها
 نصبتنا له جوفاء ذات ضبابة
 من الدم مبطانا طويلا ركودها (٥)
 فان شئت اتويناك في الحى مكرما
 وان شئت بلغناك ارضا تريدها (٦)

- (١) الاعتساف : الأخذ في الطريق على غير هداية . وإنما يقال « ليفزع نوم » لأنهم اذا انتهوا لصوته اجابوه وتلقوه اورفوا النار له .
- (٢) قوله : « له عند اتيان المهين مطعم » يعني سعة عيش السكلب فيما ينحر للضيف والمهين الأضياف ، يقال هب من نومه واهبيه .
- (٣) اي يكاد السكلب يكلم الضيف حبا له اذا اقبل على محمته .
- (٤) « بعد الهدوء » اي بعد قطعة من الليل يهدأ فيها الناس ، وشقراء نار شبهها بالفجر لأرتفاعها وانتشارها . وقوله : « ذاك وقودها » اي متقد ايقادها ، وهذا من باب جنونك مجنون وشعرك شاعر ومعنى دوائه الى النار إلهابه اياها ليبصر ضوءها فيجيه اليها .
- (٥) جوفاء : اي قدراً واسعة الجوف كثير الاخذ ، والضبابة : ما يتعقب المطر من الظلمة الرقيقة والسحاب الرقيق ، وذكر ههنا من باب المثل . والدم : السود وركودها : لبثها على النار لعظمها وكثرة اللحم فيها .
- (٦) يقول ان اردت الإقامة اقم مكرما معظما ، وان اردت التوجه في مقصدك بلغناك مقرك .

وقال الآخر :

ومستنجح تهوى مساقط رأسه الى كل شخص فهو للسمع اصورا (١)
يصفقه انف من الريح بارد ونكباء ليل من جهادى وصرصر (٢)
حبيب الى كلب الكريم مناخه بغيض الى الكوما ، والكلب ابصر (٣)
حضأت له ناري فابصر ضوءها وما كاد لولا حضأة النار يبصر (٤)
دعته بغير اسم هلم الى القرى فأسرى يروع الأرض والنار تزهرو (٥)
فلما اضاءت شخصه قات مرحباً هلم وللصالحين بالنار ابشروا (٦)

(١) المساقط جمع مسقط ، ويريد به المصدر ، اي يميل رأسه الى كل

شخص يقدره انسانا ليلتجىء اليه لأنه ضل الطريق . والأصورا المائل .

(٢) يصفقه يضربه ، والأنف من الريح ؛ اولها ، والنكباء : كل ريح تهب

بين ريحين من الرياح الاربع ، والصرصر الريح الباردة .

(٣) الكوما ؛ الناقة العظيمة السنام ، وابصر بمعنى اعلم من بصر القلب

لابصر العين ؛ معناه ان كلب الرجل الكريم يحب الضيف لياكل من طعامه

وان ناقتة تكره الضيف لأنه ينحرها له .

(٤) حضأت له ناري : اي رفعتها له ليستدل بها ، ولولا رفعها له

ما كان يبصر الطريق ولا بهتدي .

(٥) يروع الأرض : اي يقطعها بخطو واسع وحركة سريعة ، ويقال

بعت ابوع بوعاً من هذا الباب ، وفرس بيع : واسع الخطو « والنار تزهرو »

الواو واو الحال ، وتزهرو : تضيء في صعود .

(٦) اي لما دنا مني وتراآى لي شخصه بضوء النار تلقفته بالترحيب

وقلت لمن حول النار من المصطلين ومن الاهل والحول استبشروا بالضيف

وقوله « مرحباً » تسليم عليه ، « وهلم » امر بالدنو له ، فكأنه استأنف —

فجاء ومحمود القرى يستفزه اليها وداعي الليل بالصبح يصفر (١)
تأخرت حتى لم تكذ تصطفى القرى على اهله والحق لا يتأخر (٢)
وقت بنصل السيف والبرك هاجد بهازره والموت بالسيف ينظر (٣)
فأعضضته الطولى سناماً وخيرها بلاءاً وخير الخير ما يتخير (٤)
فأوفضن عنها وهي ترغو حشاشة بذى نفسها والسيف عريان أحمر (٥)
فباتت رحاب جونة من لحامها وفوها بما في جوفها يتغرغر (٦)

— بعد التسليم بهذا الكلام ولم يجمعها اللفظ به في حالة واحدة .

(١) يستفزه : اي يستحنه ، وداعي الليل : ما يصوت بالسحر مثل

الديك وغيره ، والصفير : كل صوت يمتد مع رقة .

(٢) اي قلت للضيف تأخرت حتى كاد غيرك يسبق الى القرى فينال

صفوة القرى اي خياره دونك ، ولكن حق الضيف لا يؤخر عنه
بتأخر حضوره .

(٣) البرك بفتح الباء : الأبل ، والهاجد : النائم ، والبهازر جمع بهزرة ،

وهي الناقة العظيمة .

(٤) « فأعضضته الطولى » أي جعلت السيف يعضها ، والطرلى موشة

الاطول ، وخيرها بلاء : أي واحسنها نعمة . ومن نعمة الناقة أن تكون
كريمة الأولاد غزيرة اللبن سريعة السير وغير ذلك من الصفات الحمودة فيها
ومعناه انه نحر من الأبل اطولها سناماً واطيبها لحماً واكرمها عنده منزلة .

(٥) « فأوفضن عنها » اي تفرقن بسرعة ، واصل الايفاض الاسراع ،

وترغو من الرغاء : اي تصوت ، والحشاشة : بقية الروح ، وبذى نفسها :
اي بخالصتها نفسها وعريان أحمر : اي مجرد من غمده متلطح بدم الناقة .

(٦) الرحاب : الواسعة ، واراد بها القدر . والجونة السوداء ، ومن —

وقال مضر بن ربيعي :

واني لادعو الضيف بالضوء بعدما كسى الارض نضاح الجليد وجامده (١)
لأكرمه إن الكرامة حقه ومثلان عندي قربه وتباعده
أبيت اعشيه السديف وائني بها نال حتى يترك الحبي حامده (٢)

وقال حماس بن ثامل :

ومستنجح في لج ليل دعوته بمشبوقة في رأس صمد مقابل (٣)
وقلت له : اقبل فانك راشد وان على النار الندى وابن ثامل (٤)

وقال النخعي ويقال انها لرجل من باهلة :

وداع دعا بعد الهدوء كأنما يقاتل أهوال السرى وتقاتله (٥)

— لحامها خبر بانك كقولك انت مني ، وفوها اي فها ، ويتفرغر اي يصوت من شدة غليانها ويسيل بما فيها على النار .

(١) دعوة الضيف بالضوء : هي ان العرب كانوا يوقدون النار في اعالي الجبال ليراها المارة ويأتوها فيضيفوهم ويكرموهم . والنضاح الرشاش ، والجليد ما يسقط على الارض من الندى فيجمد لبرد الهواء .

(٢) السديف : شحم السنام وقوله « وائني بما نال » الخ . يريد ان اقترح علي شيئاً اعده نعمة يستوجب مني حمداً وشكراً عليها وذلك له طول مقامه الى ان يفارقني .

(٣) المستنجح : من يطلب نباح الكلب ليهتدي بذلك في طريقه ولج الليل معظم ظلمته ، واصله لمعظم الماء والمشبوقة النار المضرمة والصمد ، الجبل والارض المرتفعة .

(٤) راشد اي مهتد ، والندى ، الجود .

(٥) الهدوء السكون ، والسرى السير ليلاً ، وقوله « كأنما يقاتل » الخ —

دعا باتسماً شبه الجنون وما به
فلما سمعت الصوت ناديت نحوه
فأبرزت ناري ثم انقبت ضوءها
فلما رأني كبر الله وحده
فقلت له : أهلاً وسهلاً ومرحباً
وقمت الى برك هجان أعده
بأبيض خطت نعله حيث ادركت
جنون ولكن كيد امر يحاوله (١)
بصوت كريم الجد حلو شمائله (٢)
واخرجت كلبي وهو في البيت داخله (٣)
وبشر قلبا كان جماً بلابله (٤)
رشدت ولم اقعده اليه اسائله (٥)
لوجبة حق نازل أنا فأعله (٦)
من الارض لم تخطل علي شمائله (٧)

— يريد ان الحال باغ به حدأ رأى فيه احوال السرى تغالبه عن نفسه
ويصارعها عنها ويدفعها .

- (١) البائس هو الذي نزلت به شدة ، والمراد به الكلب ، والكيد
الحيلة، ويحاوله يطالب دفعه والخلاص منه .
- (٢) حلو شمائله اي اخلاقه كريمة .
- (٣) انقبت ضوءها انرته ، والأنتقاب الانارة وهو ، في البيت مبتدأ
وخبير، و « داخله » خبر ثان .
- (٤) جماً بلابله اي همومه كثيرة .
- (٥) اي وجدت اهلاً وسهلاً وسعة، ورشدت اهتديت .
- (٦) البرك اسم جمع لما يبرك من الأبل، والهجان كرائم الأبل، ووجبة
الحق نزوله .
- (٧) بأبيض متملق بقوله « قمت » في البيت قبله، والابيض السيف ونعل
السيف ما تكون في اسفل غمده من حديد او غيره من المعادن، ولم تخطل اي
لم تضطرب ولم تظل وحمائل السيف علاقته .

فحال قليلا واتقانى بخيره
 بقرم هجان مصعب كان فحلا
 فخر وضيف القوم في نصف ساقه
 بذلك اوصانى ابي وبمثله
 وقال شريح بن الاحوص :

ومستبج يبغي المبيت ودونه
 رفعت له ناري فلما اهتدى بها
 من الليل سجعنا ظلمة وستورها
 زجرت كلابي ان يهرّ عقورها (٤)
 بليلة صدق غاب عنها شرورها (٥)
 وقال المرار الفقعسي :

(١) فاعل « جال » حائد على البرك المتقدم ذكره . والنبي الشحم
 والكاهل ما بين الكتفين .

(٢) القرم : الجمل الشاب وهو بدل من خيره في البيت قبله ، والمصعب
 الفحل الكريم الذي لا يتبدل في العوارض بل يقصر على الضراب والضمير في
 فحلا راجع الى البرك فيما تقدم ، والفري الظهر ، وشق بازله : طلع سنه وهو سن
 يطلع للجبال في السنة التاسعة من اعمارها .

(٣) فخر : اي فسقط ، والوظيف مستدق الذراع ، والعقال :
 ما يعقل ويربط به من جبل ونحوه ، ولا ينشط : اي لا يحل .

(٤) اراد ان لا يهره الكلب اذا صوت ، وموضع قوله « ان يهر »
 نصب على البدل من كلابي .

(٥) انتصب عقب على الطرف ، واصلها ان يتعاقب اثنان على بعير ،
 فاذا ركب احدهما مشى الآخر ، ثم كثر استعماله فاجرى مجرى النوبة والفرصة

- آليت لا اخفي اذا الليل جنفي
 فيا موقدي نارى ارفعاها لعلها
 وماذا علينا ان يواجه نارنا
 إذا قال : من انتم ليعرف اهلها
 فبتنا بخير من كرامة ضيفنا
 وقال جابر بن حيان :
- فلن يقسموا مالي بنيّ واخوتى
 اهين لهم مالي واعلم اني
 وما وجد الاضياف فيما ينوبهم
 وقال لييد بن مالك فى مملته :
- سنا النار عن سار ولا متفور (١)
 تضيء لسار آخر الليل مقتر (٢)
 كريم الحيا شاحب المتحسر (٣)
 رفعت له باسمي ولم اتنكر
 وبتنا نهيه طعمه غير ميسر (٤)

- (١) آليت : حلفت ، وجنة الليل : ستره ، والسنا : الضوء ، والساري
 المسافر ليلا .
- (٢) المقتر : البائس المقتر .
- (٣) شاحب المتحسر : اى متغير ما يبدو منه كالوجه واليد والرجل
 وانما شحب لتعب السفر .
- (٤) الطعم : الطعام ، والميسر : القهار .
- (٥) يقول ان اقتسم مالي اولادي فلن يقسموا ما تفردت به من
 خلق كريم وفعل جميل اعدهما لزوارى .
- (٦) علات الزمان : مكارهه وشدائده ، وجعل نفسه ابا للضياف
 لأنه يخنو عليهم حنو الأب ، وهذا على طاعتهم فى تسمية المضيف ابا المتوى
 اى ابو الضيف .

- وجزور ايسار دعوت لحتفها
 ادعو بهن لعافر او مطفل
 فالضيف والجار الجنيب كأنما
 تأتي الى الاطناب كل رذية
 ويكلون اذا الرياح تناوحت
- بمغالق متشابه أجسامها (١)
 بذلت لخيران الجميع لحامها (٢)
 هبطا تبالة مخصبا اهضامها (٣)
 مثل البلية قالص اهدامها (٤)
 خلجا تمد شوارعا ايتامها (٥)
- « بلوغ الاب : ٤٧/١ - ٧٢ »

ونحن نكتفي بهادونه في الزبدة الاولى فيما يتعلق بالضيافة والضيف
 ولو اردنا ان نستعرض لذكر الحكايات والقصص المتعلقة بهذا الموضوع
 لأدى ذلك الى اخراج سفر مستقل .

- (١) المغالق : سهام الميسر، سميت بها لأن بها يغلِق الخطر من قولهم
 غلق الرهن يغلِق غلقاً اذا لم يوجد له تخلص وفكالك .
- (٢) العافر : التي لاتلد، والمطفل التي معها ولدها، والاحام جمع لحم .
- (٣) الجنيب : القريب ، وتبالة : واد مخصب من اودية اليمن
 والمضم المطمئن من الارض ، والجمع الاءضام والهضوم .
- (٤) الاطناب : جبال البيت واحدا طناب . والرذية : الناقة التي
 ترذى في السفر اي تخلف لفرط هزالها وكلالها والجمع الرذايا . استعارة
 للفقرية . والبلية : الناقة التي تشد على قبر صاحبها حتى تموت والجمع
 البلايا والاهدام : الاخلاق من الثياب واحدا هدم وقلوصها قصرها .
- (٥) تناوحت تقابلت، ومنه قولهم « الجبلان متناوحتان » اي متقابلان
 ومنه النوائح لتقابلهن . والخلج جمع خليج ، وهو نهر صغير يخلج من نهر
 كبير او من بحر، والخلج الجذب وتمد تزداد وشرع في الماء خاضه .

(الزبدة الثانية)

في مسجبة المكرم عند العرب وذكر من اشتهر بهذه الصفة منهم وما قيل في ذلك من الشعر والنثر ، وفي بعض الاحاديث والأخبار عن الرسول الاعظم وأهل بيته صلوات الله عليهم اجمعين .

(اما ما قيل في ذلك من الشعر) فأليك ما يأتي :

قال الخطيئة الشاعر المعروف :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس
وقال الآخر :

اسعد بمالك في الحياة فأعما يبقى خلافك مصلح او مفسد
فاذا جمعت لمفسد لم يغنسه وأخو الصلاح قليله يتزيد
وقال الآخر :

لا تبخنان بدنياً وهي مقبلة فليس ينقصها التبذير والسرف
وان توات فأحرى ان يجود بها فالحمد منها إذا ما ادبرت خلف
وقال محمود الوراق :

من ظن بالله خيراً جاد مبتدئاً والبخل من سوء ظن المرء بالله
وقال ابن صرحة الانصاري :

أوصيكم بالله أول وهلة واحسابكم والبر بالله أول
وان قومكم سادوا فلا تحسدوهم وان كنتم اهل السيادة فاعدلوا
وان انتم اعوزتمو فتمغفوا وان كان فضل المال فيكم فافضلوا
وانشد عبد الله بن عباس :

أن المكارم كلها حسن والبذل احسن ذلك الحسن
كم طرف بي لست أعرفه ومخير عني ولم يرني

يأتيهم خبري وان بعدت
اني لحر المال ممتهن (١)
داري وبوعد عنهم وطني
ولحر عرضي غير ممتهن
وانشد عبد العزيز بن مروان لابن عباس رضي الله تعالى عنهما:

اذا طارقات الهم ضاجعت الفتى
وباكرنى فى حاجة لم يجد لها
فرجت بمالي همه عن خناقة
وكان له فضل علي بظنه
وقال الآخر:

ألا تراني وقد قطعتنى عدلا
ألا يكن ورق (٣) يوما اراح به
لايعدم السائلون الخير افعله
ماذا من الفضل بين البخل والجود
للخاطبين فاني لين العود
أما نوالا واما حسن مردود
(العقد الفريد: ١/١١٤-١١٦)

وقال عبد الله بن جدطان:

اني وان لم ينل مالي مداختي
وهاب ما ملكت كفي من المال (٤)

(١) امتهن الشيء احتقره وابتذله .

(٢) اعتكر الليل : اشتد سواده .

(٣) قوله « الا يكن ورق » : يريد المال وضره مثلا . ويقال :

اتى فلان يخبط ماعنده ، والاختباط ضرب الشجر ليسقط الورق لناكله
السائبة ، فجعل طالب الرزق مثل الخباط .

(٤) وفي بلوغ الأرب : بدل مداختي : مدى خلقي ، وبدل وهاب :

فياض ، وبدل حيث انفقه : ريث اتلفه ، ولم ينسب البيتين الى شاعر معين .

(بلوغ الأرب : ١/٦٩)

لأحبس المال الا حيث افقه ولا يغيرني حال الى حال
وقال الآخر :

وعد من الرحمن فضلا ونعمة
ولا تمنعن ذا حاجة جاء راغباً
عليك إذا ماجاه للخير طالب
فانك لا تدري متى انت راغب
وقال الآخر :

لا تكثري في الجود لا نمتي
كفي فاست بحامل ابدأ
واذا بخلت فاكثري لومي
ماعشت هم غد الى يومي
وقال أبو الفياض الطبري :

والعز ضيف لا يراه بربعه
والجود أعلى كعب كعب قبلنا
من لا يرى بذل التلاد تلادا
ففى جواداً يوم مات جوادا

(المستطرف : ١/١٦٢ - ١٦٤)

(قال المؤلف) واني احفظ بيتين مفصولين لسيد الشهداء الامام

الحسين عليه السلام :

اذا جادت بك الدنيا فجد بها
فلا الجود يفنيها اذا هي اقبلت
على الناس طراً قبل ان تنفلت
ولا البخل يبقيها اذا هي وات
وقال سالم بن قحطان العنبري :

لا تمذليني في العطاء ويسري
فاني لا تبكي علي افالها
لكل بعير جاء طالبه حبلاً (١)
إذا شبع من روض أوطانها بقل (٢)

(١) يسري : اي هبشي واعدى .

(٢) افالها : صغارها ، الواحد افيل ، وفي معناه قولان : احدها ان

الابل بهائم لا تهتم لي اذا مت بل ترتع وتشبع فتوتي عندها وموت من لا ينجرها
سواء ، والآخر ان ابلي لا تبكي بعد موتي بل تفرح بموتي لاني انجرها —

فلم ار مثل الأبل مالا لمقتن ولا مثل أيام الحقوق لها سبلا (١)
 (وخبر هذه الايات) ان سالم بن قحطان اتاه أخو امرأته فاعطاه
 بعيراً من ابله وقال لأمرأته: هاتي جبلا يقرن به ما اعطيناه الى بعيره ،
 ثم اعطاه بعيراً آخر وقال: هاتي جبلا ، ثم اعطاه ثالثاً فقال: هاتي جبلا ،
 فقالت ما بقي عندي جبل . فقال علي الجبل ، وعليك الجبل ، فرمت اليه
 بنحارها وقالت: اجعله جبلا لبعضها ، فانشأ يقول لا تمذليني الى آخر
 الأبيات ، فأجابته امرأته :

حلقت يمينا يا ابن قحوان بالذي تكفل بالارزاق في السهل والجبل
 تزال حبال محصدرات اعدھا لها ما مشى منها على خفه حمل (٢)
 فاعط ولا تبخل لمن جاء طالباً فعندي لهم خطم وقد زاحت العليل (٣)
 (بلوغ الأرب : ١ / ٥١)

وقال الآخر :

سأقدح من قدري نصيباً لجاراتي وان كان ما فيها كفافاً على اهلي (٤)

— فاذا مت فلعله يأخذها من لا ينحرها .

(١) المقتن : الذي يقتنى المال ، ونفس المال المدخر يسمى قنوة .

(٢) تزال اي ماتزال ، وجاز حذفها لدلالة اليمين عليها .

(٣) الحطام بكسر الحاء كل ما وضع في انف البعير ليقاد به ، وقد زاحت

العلل ، اي الموانع ، بمعنى زالت وازحتها ازلتها .

(٤) القدح الغرف ، والكفاف ما يكف الانسان عن السؤال ، ويكون على

قدر حاجته لا يزيد عنها ولا ينقص .

إذا انت لم تشرك رفيقك في الذي يكون قليلا لم تشاركه في الفضل (١)

وقال عمر بن الأهتم :

ذريني فان الشح يام هيثم

ذريني وحطلي في هواي فاني

ذريني فاني ذو فعال تهمني

وكل كريم يتقي الدم بالقرى

لممرك ماضات بلاد بأهلها

وقال سوادة اليربوعي :

(١) الفضل مازاد عن الحاجة ، ومثل هذا البيت قول المقنع الكندي

ليس العطاء من الفضول سماحة حتى تجود ومالديك قليل

(٢) ذريني على كرمي ، فان الشح يزين للإنسان العذر الكاذب

والعلل الباطلة ، فكأنه يسرق كل اخلاقه الحميدة .

(٣) حطلي في هواي : اي ساعديني على الجود ، والزاي : الزائد ،

وشفيق ومشفق والشفقة عطف مع خوف ، ولهذا لا يوصف الله تعالى بالشفقة ،

(٤) يغشي رزؤها : اي يغشائي رزؤها ، فحذف المفعول ، ومعنى الرزء

هنا اصابة الناس من ماله وانتفاعهم به ، ومنه يقال « هو يرزأ » اذا كان

سخياً ينال الناس افضاله .

(٥) القرى : طعام الضيافة ، ومعناه ان كل كريم يبذل ماله دون عرضه

ويتبع سبيل الحق ويسلك طريقه ليستوجب المدح والشكر .

(٦) تضيق : اي تضيق بهم ، فحذف ذلك لأن ماتقدمه يدل عليه ،

ومعناه ان ارض الله واسعة لم تضق على امريء وانما تضيق اخلاق

الرجال وصدورهم .

ألا بكرت مي علي تلمني تقول ألا اهلكت من انت طائله
ذريتي فان البخل لا يخلد الفتى ولا يهلك المعروف من هو فاعله
وقال الآخر :

ومايك في من عيب فاني جبان السكاب مهزول الفصيل (١)
وقال المثلث بن رباح المري (٢) :

بكر العواذل بالسواد يلمني جهلا يقلن ألا ترى ما تصنع (٣)
افنيت مالك في السفاه وأما أمر السفاهة ما أمرتك اجمع (٤)
وقتور ناجية وضمت بقفرة والطيير غاشية العوافي وقع (٥)

(١) جبان السكاب : اي كلبي جبان وفصيلي مهزول . وأما قال « جبان
الكلب » لأنه تعود ان يسالم الطراق لثلاث تنأذى به الضيوف اذا وردوا ، وقال
« مهزول الفصيل » لأنه يؤثر بلبن امه غيره او تنجر عنه .
(٢) شاعر جاهلي ، وهو الذي التجأ بالحصين بن الحمام المري لما قتل
حباشة الذي كان جوار الحرث بن ظالم ، فاجاره الحصين وغرم عنه دية القتل ،
هذا وقال دعبل : ان هذه الآيات لشبيب بن البرصاء .
(هامش بلوغ الاثر : ٦١ | ١)

(٣) إنما قال « بكر العواذل » لأن فساق العرب تشرب ليلا وتسكرو تهب ، فاذا
اصبحت لامها من اراد لوها على ذلك بالسواد قبل الاسفار ، وقوله « الاتري »
اي اي شيء تصنع .

(٤) السفاه والسفاهة : الحفة والطيش ، ومعناه قالت لي العواذل ضيقت
مالك في السفاهة وليس بي سفاهة وإنما السفاهة ماقلته من عذلي ولومي .
(٥) وقتور مجرور به بمقدرة ، والقتور : جمع قتر وهو خشب الرحل
والناجية : الناقة القوية السريعة . والعوافي : الطير ، جمع عافية ، من قولهم عفاء
واعتفاه : اذا طلب معروفه .

بمهند ذي حليلة جردته يرى الأصم من الطعام ويقطع (١)
 لتتوب نائبة فتعلم اني ممن يفر على الثناء فيخضع
 اني مقسم ما ملكت فجاءل اجراً لآخرة ودنياً تنفع
 وقال يزيد بن الجهم الهلالي الحميد بن ثور :

لقد أمرت بالبخل أم محمد فقلت لها حتى على البخل أحمداً
 فاني امرؤ عودت نفسي عادة وكل امريء جار على ماتعودا
 أحين بداني الرأس شيب واقبلت الى بنو عيلان مثنى وموحدا (٢)
 رجوت سقاطى واعتلالي ونبوتى وراءك عني طالقاً وارحلي غدا (٣)

(بلوغ الأرب : ١ / ٦٠-٦٩)

﴿ وأما ما قيل في سجية المكرم ﴾ من الكلام المأثور من الاحاديث
 والأخبار والأقوال فهو ما يأتي :

قال كسرى انوشروان : عليكم بأهل السخاء والشجاعة فانهم أهل
 حسن الظن بالله تعالى ، ولو ان أهل البخل لم يدخل عليهم من ضرر بخلمهم

(١) بمهند متعلق بقوله « وضعت بقفرة » ومعناه عوقبت ، والمراد
 بالحليلة دم الناقصة الذي تلطخ به السيف جعله كالحليلة له . ويبري : يقطع
 والاصم : مالميس بأجوف ، فاذا قطع السيف الأصم فهو المعجوف اقطع ،
 ومعناه انه عرقب الناقصة بسيف ماض .

(٢) مثنى : معدول عن اثنين ، وموحد معدول عن واحد واحد .

(٣) السقاط : ان لا يفعل الانسان فعل الكرام وان لا يذهب مذهبهم
 ولا يسلك طريقهم ، والاعتلال التعلل واراد بالنبوة البعد ، وقوله « وراءك
 عني » اي ابعدني عني . وطالقاً انتصب على الحال من قوله « وراءك » ولم يقل
 طالقة لأنه اخرج مخرج النسب .

ومذمة الناس لهم ، واطباق القلوب على بغضهم ، إلا سوء ظنهم بربهم في الخلف لكان عظيماً .

وقال بعض الحكماء : الجواد من جاد بهاله وصان عن مال غيره .
وقيل لعمر (١) بن عبيد ما الكرم ؟ فقال :
أن تكون بهالك متبرعاً وعن مال غيرك متورعاً .

ويقال مراتب السخاء ثلاثة : سخاء ، وجود ، وإيثار ، فالسخاء اعطاء الأقل وامساك الأكثر ، والجود اعطاء الأكثر وامساك الأقل ، والإيثار اعطاء الكل من غير امساك شيء ، وهو اشرف درجات الكرم ، وبه استحقوا ثناء الله عز وجل في قوله تعالى :

﴿ وَيُؤْتُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (٢)

وقال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام لا يتم المعروف إلا بثلاثة : تفجيئه ، وتصغيره ،

(١) عمرو بن عبيد بن باب التميمي بالولاء ، ابو عثمان البصري ، شيخ المعتزلة في عصره وفتيها ، واحد الزهاد المشهورين ، وكان جده من سبي فارس ، وكان ابوه نسا جاً ثم شرطياً للحجاج في البصرة ، واشتهر عمرو بعلمه وزهده ، واخباره مع المنصور العباسي وغيره مشهورة معروفة ؟ وفيه قال المنصور « كلتم طالب صيد غير عمرو بن عبيد » ، له رسائل وخطب وكتب منها « التفسير » و « الرد على القدرية » توفي بمران (قرب مكة) ورثاه المنصور ولم يسمع بخليفة رثى من دونه سواه ، وفي العلماء من يراه مبتدعاً . قال يحيى بن معين : كان من الدهرية الذين يقولون إنما الناس مثل الزرع . ولد سنة ٨٠ هـ وتوفي سنة ١٤٤ هـ الموافق لسنة ٦٩٩ م - ٧٦١ م .
(الأعلام : ٢٥٢/٥)

(٢) الحشر : ٩ .

وستره ، الجود زكاة السمادة ، والأيثار على النفس موجب لاسم الكرم ، ولا يستحي من بذل القليل فان الحرمان أقل منه .

وقال علي بن الحسين عليه السلام : الكريم يبتهج بفضله واللميم يفتخر بماله .
وقال عليه السلام ايضاً : أيها الناس من جاد ساد ، ومن يخل رذل ، وان أجود الناس من أعطى من لا يرجوه .

وقيل لعبد الله بن جعفر: انك قد أسرفت في بذل المال ؟ قال: ان الله عز وجل قد عودني بمادة ان يتفضل علي وعودته أن أتفضل على عباده ، واخاف أن اقطع العادة فيقطع عني .

وقال أبو ذر رحمه الله تعالى : لك في مالك شريكان الحدثان والوارث فان استطعت أن لا تكون الخمس الشركاء فأفعل .

وقال بزر جهر : إذا أقبلت عليك الدنيا فانفق منها فانها لا تنفي ، واذا أدبرت فانفق منها فانها لا تبقى .

وقال اكثم بن صيفي حكيم العرب في وصيته لقومه : ذلوا أخلاقكم للمطاب ، وقودوها الى المحامد ، وعلموها المكارم ، ولا تقيموها على خلق تدمونه من غيركم ، وصلوا من رغب اليكم ، وتحلوا بالجود يكسبكم المحبة ، ولا تعتقدوا البخل تتمجلوا الفقر .

وقال المأمون لمحمد بن عباد المهلي (١) انك متلاف . قال : منع الجود سوء ظن بالمعبود ، قال الله تعالى : ﴿ وما أنفقتم من شيء فهو

(١) محمد بن عباد بن حبيب المهلي امير البصرة في زمن المأمون العباسي توفي فيها وهو من ابناء المهلب بن ابي صفرة ، وكان من اكابر الاعضاء جواداً ممدحاً . وقال المبرد كان سيد اهل البصرة اجمعين توفي سنة ٢١٦هـ - ٨٣١م .

(الاعلام : ٥٠/٧)

يخلفه وهو خير الرازقين ﴿ (١) .

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي : لو لم يكن في الكرم إلا انه
صفة من صفات الله تعالى تسمى بها فهو الكريم عز وجل .

(العقد الفريد : ١١٥/١ ، نهاية الارب : ٣/٢٠٤)

وقال رسول الله ﷺ : من ايقن بالخلف سخت نفسه بالنفقة ، قال

الله عز وجل : ﴿ ما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ﴾ .

وقال رسول الله ﷺ : من أدى ما افترض الله تعالى عليه فهو

أسخى الناس .

وقال رسول الله ﷺ : ما محق الاسلام محق الشح شيء . ثم قال : ان

لهذا الشح ديباً كديب النمل وشعباً كشعب الشرك .

وسمع أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً يقول : الشحيح أعذر من الظالم . فقال

له : كذبت ، إن الظالم قد يتوب ويستغفر ويرد الظلامة على أهلها ، والشحيح

إذا شح منع الزكاة والصدقة وصلة الرحم واقراء الضيف والنفقة في سبيل

الله عز وجل وابواب البر ، وحرام على الجنة ان يدخلها شحيح .

وقال رسول الله ﷺ : ليس البخيل من ادى الزكاة المفروضة من

ماله واعطى النائبة في قومه ، أما البخيل حق البخيل من لم يؤد الزكاة

المفروضة من ماله ولم يعط النائبة في قومه ، وهو يبذر فيما سوى ذلك .

وقال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : خياركم سمحاًؤكم ، وشراركم

بخلاؤكم ، ومن خالص الايمان البر بالأخوان والسعي في حوائجهم ، وإن

البار بالأخوان ليحببه الرحمن ، وفي ذلك مرغمة للشيطان وتزحزح عن

النيران ودخول الجنان . ثم قال لجليل : أخبر بهذا غرر أصحابك . قلت

(١) سبأ ٣٩ .

جعلت فداك من غرر اصحابي ؟ قال : هم البارون بالاءخوان في العسر واليسر . ثم قال : يا جميل اما ان صاحب الكثير يهون عليه ذلك ، وقدمدح الله عز وجل في ذلك صاحب القليل فقال في كتابه ﴿ ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ .
وقال عليه السلام : شاب سخي مرهق في الذنوب أحب الى الله عز وجل من شيخ عابد بخيل .

وروي : أن الله عز وجل أوحى الى موسى عليه السلام أن لا تقتل السامري فانه سخي .

وقال الصادق عليه السلام : من يضمن لي اربعة بأربعة آيات في الجنة : اتق ولا تحف فقراً ، وانصف الناس من نفسك ، وافش السلام في العالم واترك المرء (١) وان كنت محمقاً .

وقال الصادق عليه السلام : في قول الله عز وجل : ﴿ كذلك يريد الله أعمالهم حسرات عليهم ﴾ (٢) قال : هو الرجل يدع ماله لا ينفقه في طاعة الله عز وجل بخلا ثم يموت فيدعه لمن يعمل فيه بطاعة الله عز وجل أو بمصيبة الله تعالى ، فان عمل فيه بطاعة الله تعالى رآه في ميزان غيره فرآه حسرة وقد كان المال له ، وان كان عمله فيه بمصيبة الله عز وجل قواه بذلك المال حتى عمل به في مصيبة الله عز وجل .

وروي عن الفضل بن أبي قررة السمندي انه قال : قال لي ابو عبدالله الصادق عليه السلام : أتدري من الشحيح ؟ قلت : هو البخيل . فقال : الشحيح أشد من البخيل ، ان البخيل يبخل بما في يده والشحيح يشح بما في ايدي

(١) المرء بكسر الميم الجدل والنزاع .

(٢) البقرة : ١٦٧ .

الناس وعلى مافي يده ، حتى لا يرى في أيدي الناس شيئاً إلا تمنى أن يكون له
بالحل والحرام ، ولا يقنع بها رزقه الله عز وجل .

وقال الصادق عليه السلام : المنجيات اطعام الطعام ، وافشاء السلام ، والصلاة
بالليل والناس نيام ، .

وقال الصادق عليه السلام : ضمنت لمن اقتصد أن لا يفتقر ، وقال عز وجل
﴿ يسألونك ماذا ينفقون قل العفو ﴾ والعفو الوسط ، وقال الله عز وجل :
﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ﴾
والقوام الوسط .

وقال أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام : ما عال امرؤ في اقتصاد .

(من لا يحضره الفقيه ، الطبعة الرابعة : ٢ / ٣٣)

﴿وأما من اشتهر من العرب ﴾ بصفة الكرم ، حتى ضرب المثل بكرمه
وجوده ، ونريد بهؤلاء العرب المتصفين بهذه الصفة الممتازين بهذه السجية
(غير صاحب الدعوة الاسلامية الرسول الأعظم وأهل بيته المعصومين
صلوات الله عليهم أجمعين) ، لأننا معاشر الشيعة ندين معتقدين بأنهم
الصفوة المنتجة من خلقه تعالى ، فهم بيت النبوة ، وموضع الرسالة المقدسة
ومعدن الرحمة ، وخزان العلم ، ومنتهى الحلم ، وأصول الكرم والسخاء ،
وقادة الأمم الى الخير ، وهم أئمة الهدى ، ومصابيح الدجى ، واعلام التقى ،
وذووا النهي ، وأولوا الحجى ، وهم المثل الأعلى ، والخلفاء الراشدون
في ارض الله تعالى ، والحجج الظاهرة على بريته ، وقولهم الفصل ، ومنطقهم
الصواب والحق ، لأن منصب النبوة والامامة ، من المناصب الألهية التي
منحها البارئ تعالى لتلك الصفوة الطاهرة ، ولازم تلك المناصب أن يتحلى صاحبها

بجميع صفات الكمال الجسمية والعقلية ، لأنهم أفضل المخلوقين ، فهم كما قال شاعرهم :

هم النور نور الله جل جلاله هم التين والزيتون والشفم والوتر
وكا قال أبو نؤاس :

مطهرون نقيات ثيابهم تنلى الصلاة عليهم اينما ذكروا
لذلك فنحن بصدد ذكر كرماء العرب الذين هم من سائر الناس ،
ولكنهم قد اتصفوا بصفة كمال قد اكتسبتهم المدح والثناء وسجل لهم
التاريخ أطيب الأثر ، حتى صاروا مضرِباً للمثل في السخاء والكرم .
وهم على فريقين : فريق اشتهر بالجود والسخاء وضرب المثل بكرمه
من عرب الجاهلية ، وبمضهم قد ادرك الاسلام واسلم وحسن اسلامه .
وفريق آخر اشتهر بالكرم من المسادين . اما الفريق الأول فهم :

(١) حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي :

حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني ، ابو عدي (١)
فارس ، شاعر ، جواد ، جاهلي . يضرب المثل بجوده .
كان من اهل نجد ، وزار الشام فتزوج مارية بنت حجر الغسانية ،
ومات في عوارض (جبل في بلاد طيء) .
قال ياقوت : وقبر حاتم عليه شعره كثير ، ضاع معظمه ، وبقي منه

(١) عدي هو الذي يقول فيه رؤية الشاعر :
بأبه اقتدى عدي في الكرم ومن يشابهه أبه فا ظلم

«ديوان - ط -» صغير (١) واخباره وفيرة متفرقة في كتب الادب والتاريخ ، وأرخوا وفاته في السنة الثامنة بعد مولد النبي ﷺ . (توفي في سنة ٤٦ ق ه الموافق سنة ٥٧٨ م) .

(الأعلام : ١٥١/٢ ، تهذيب ابن عساكر : ٤٢٠/٣ -
٤٢٩ ، تاريخ الخميس : ٢٥٥/١ ، الشعر والشعراء ٧٠ ،
خزانة الادب : ٤٩٤/١ ، ١٦٤/٢ ، شرح مقامات
الحريري : ٣٣٢/٢ ، نهاية الارب : ٢٠٨/٣ ، العقد
الفريد : ١٤٥/١ ، المستطرف : ١٦٩/١ ، بلوغ الأرب
٧٢/١ ، وتوجد ترجمته في دوائر المعارف للبستاني ،
وفريد وجدي ، والأسلامية ، ومجمع الأمثال : ١٨٢/١) .

(٢) هرم بن سنان المري : «٢»

هرم بن سنان بن أبي حارثة المري ، من مرة بن عوف بن ذبيان :

(١) اخرجت مطبعة دار صادر في بيروت ديوان شعره ، بقلم كرم البستاني في

سنة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م .

(٢) وسنان والد هرم هو الذي يقول فيه وفي بنيه زهير بن ابي سلمى :

قوم ابوهم سنان حين تذبذبهم طابوا وطاب من الاولاد ما ولدوا
لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم بأولهم او مجدهم قعدوا
جن اذا فزعوا انس اذا امنوا مرزؤن بها ليل اذا قصدوا
محسدون على ما كان من نعم لا ينزع الله منهم ماله حسدوا

(العقد الفريد : ١٤٧/١ ، بلوغ الأرب : ٨٥/١)

من أجداد العرب في الجاهلية ، يضرب به المثل ، وهو ممدوح بن زهير بن أبي سلمى ، اشتهر هو وابن عمه « الحارث بن عوف بن أبي حارثة » بدخولهما في الإصلاح بين عبس ، وذبيان .

قال الحارث بن عوف - في قصة أوردتها الاصفهاني - « ٠٠ نفرجنا حتى أتينا القوم ، فشيننا بينهم بالصلح ، فاصطلموا على أن يحتسبوا القتلى فيؤخذ الفضل ممن هو عليه ، فحملنا عنهم الديات ، فكانت ثلاثة آلاف بعير ، في ثلاث سنين » .

وقال فيها زهير قصيدته التي أولها :

أمن أمّ أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالتسلم
ومات هرم قبل الاسلام ، في أرض لبني أسد يقال لها (رزاء)
وهو متوجه الى النعمان .

ووفدت بفته على عمر بن الخطاب في خلافته ، فقال لها : مالذي أعطى أبوك زهيراً حتى قابله من المديح بما قد سار فيه ؟ فقالت : ما أعطى هرم زهيراً قد نسي ! قال : ولكن ما أعطاكم زهير لا ينسى ! (وكانت وفاته بعد سنة ٢٦ هـ - ٦٤٧ م) .

(الاعلام : ٧٧/٩ ، نهاية الأرب : ٣١٠/٣ ، العقد الفريد :

١/١٤٦ ، بلوغ الأرب : ١/٨٤) .

(٣) كعب بن مامة الأيادي :

كعب بن مامة بن عمرو بن ثعلبة الأيادي ، أبو دؤاد : كريم ، جاهلي ، يضرب به المثل في حسن الجوار ، فيقال : « أجود من كعب

ابن مامة « و « جار كجار أبي دؤاد » .

وهو صاحب القصة المشهورة في الأيثار بقوله « اسق أخاك النجري »
ولا بأس بذكرها :

روي أنه خرج في ركب فيهم رجل من النجر بن قاسط ، فضلوا
عن الطريق ، فتصافنوا ماءهم ، وهو أن يطرح في الكعب حصاة ، ثم
يصب فيه من الماء بقدر ما ينمر الحصاة فيشرب كل انسان بقدر واحد
فقمعدوا للشرب ، فلما دار الكعب فأنتهى الى كعب ، أبصر النجري يحدد
النظر اليه فأثره بمائه ، وقال للساقى : « اسق أخاك النجري » فشرب
النجري نصيب كعب ، ذلك اليوم من الماء ، ثم نزلوا من غدم المنزل
الآخر ، فتصافنوا ببقية مائهم ، فنظر اليهم النجري كمنظرة أمسه ، فقال
كعب كقوله أمس ، وارتحل القوم ، وقالوا : ياكعب ارتحل . فلم تكن به
قوة للنهوض ، فلما يسوا منه خيلوا عليه بثوب يمنعه من السبع ان يأكله
وتركوه مكانه ففاض ، وقال فيه حبيب :

يجود بالنفس اذ صن البخيل بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود
(بلوغ الأرب : ٨١/١ ، العقد الفريد : ١٤٧/١ ، الأعلام : ٨٥/٦)

(٤) أوس بن حارثة بن لام الطائي :

كان أوس هذا ممن يضرب به المثل في الكرم والجود ، ويقال له
(ابن سعدى) قال جرير :

وما كعب بن مامة وابن سمدي بأجود منك يا عمر الجوادا (١)
 وقال العباس المبرد : أوس بن حارثة بن لام الطائي ، كان سيداً
 مقدماً ، وفد هو وحاتم بن عبد الله الطائي على عمرو بن هند ، وأبوه
 المنذر بن المنذر بن ماء السماء ، فدعا أوساً فقال له : أأنت أفضل أم
 حاتم ؟ فقال : أبيت اللعن لو ملكني حاتم وولدي ولحيتي لو هبنا في غداة
 واحدة ثم دعا حاتماً فقال له : أأنت أفضل أم أوس ؟ فقال : أبيت اللعن
 انها ذكرت بأوس ولأحد ولده أفضل مني

وكان النعمان بن المنذر دعا بحلة وعنده وفود العرب من كل حي ،
 فقال : احضروا في غد فاني ملبس هذه الحلة أكرمهم فحضر القوم جميعاً إلا
 أوساً فقيل له : لم تخلفت ؟ فقال : ان كان المراد غيري فأجل الأشياء
 أن لا اكون حاضراً ، وان كنت المراد فسأطلب ويعرف مكاني ، فلما جلس
 النعمان لم ير أوساً فقال : اذهبوا الى أوس . فقالوا له : احضر آمننا مما خفت ،
 فحضر فألبسه الحلة ، فحسده قوم من أهله فقالوا للحطيفة : اهجه ولاك
 ثلاثمائة ناقة . قال الحطيفة : كيف اهجو رجلا لا أرى في بيتي انا ناك ولا مالا
 إلا من عنده ؟ ثم قال :

كيف الهجاه وما تنفك صالحة من آل لام بظهر الغيب تأتيني
 ثم هجاه احد بني أسد اسمه ابن ابي خازم واخذ الابل ، وغاز
 عليها أوس واكتسحها ، فجعل ابن ابي خازم يستجير باحياء العرب ، فيقال له
 قد أجرناك إلا من اوس ، ثم ظفر به وأراد احراقه وقتله ، فأشارت عليه
 أمه بان يعفو عنه فعفى عنه واكرمه .

(بلوغ الأرب : ١ / ٨٢)

(١) ديوان جرير : ١٣٥ من قصيدة يمدح بها عمر بن عبد العزيز .

(٥) عبد الله بن حبيب العنبري :

كان يضرب به المثل في الجود ، فيقولون « اقرى من آكل الخبز » وهو أحد بني سمرة ، وسمي آكل الخبز لأنه كان لا يأكل التمر ولا يرغب في اللبن ، وكان سيد بني العنبر في زمانه ، وهم اذا افتخروا قالوا منا آكل الخبز ، ومنا مجير الطير ، وهو ثور بن شحمة العنبري . وتلقبهم له بآكل الخبز لأن الخبز عندهم ممدوح بنفسه .

وذكر ابو عبيدة ان هوزة بن علي الحنفي (١) دخل على كسرى ابرويز فقال له : أي أولادك أحب اليك ؟ فقال : الصغير حتى يكبر ، والغائب حتى يقدم ، والمرضى حتى يبرأ . قال : ما غذاؤك ببلدك ؟ قال : الخبز . فقال كسرى : هذا عقل الخبز لا عقل اللبن والتمر ، فصار عندهم ممدوحاً كما صار ما يناسبه بعض المناسبة ممدوحاً ، وهو الفالوذج (٢) لأنه اشرف

(١) هوزة بن علي بن ثمامة بن عمرو الحنفي من بني حنيفة ، من بكر بن وائل ، صاحب اليمامة (بنجد) وشاعر بني حنيفة وخطيبها قبل الاسلام وفي العهد النبوي . وفيه يقول الاعشي (ميمون) قصيدته التي اولها « بانت سعاد وامسى حبلىها انقطعا » . وكان ممن يزور كسرى في المهمات ، ويقال له « ذوالتاج » قال ابن الاثير دخل على كسرى فاعجب به فدعا بعقد من در ، فعقد على رأسه فسمي ذو التاج (مات في سنة ٥٨ هـ - ٦٣٠ م) .

(الاعلام : ١١١/٩)

(٢) الفالوذج حلواء تعمل من الدقيق والماء والاعسل .

طعام وقم اليهم ، ولم يطعم الناس هذا الطعام احد من العرب إلا عبد الله بن جدعان « كما يأتي ذكره بمد هذا » فدحه أمية بن الصلت بذلك فقال :

الى رده من الشيزي ملاء لباب البر يملك بالشهاد (١)

ولهم الثريد وهو في اشرافهم عام ، وغلب عليه هاشم حين هشم الخبز لقومه ، فدح به فقال الشاعر .

عمرو الملا هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف

(مجمع الأمثال . ١٨٢/٢ ، بلوغ الأرب . ١٨٦/١)

(٦) عبد الله بن جدعان التيمي :

عبد الله بن جدعان التيمي القرشي ، أحد الأجواد المشهورين في الجاهلية ، أدرك النبي ﷺ قبل النبوة ، وكانت له جفنة يأكل منها الطعام القائم والراكب ، فوقع فيها صبي فغرق ، وهو الذي خاطبه أمية بن أبي الصلت بأبيات اشتمر منها قوله :

أذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك ؟ ان شيمتك الحياء

له أخبار كثيرة أورد الاصفهاني في اغانيه وغيره بعضها متفرقة ، وسماه اليقموبي بين حكام العرب في الجاهلية .

(١) الردحة سترة تكون في مؤخر البيت او قطعة تزداد فيه ، والرداح الخفيفة العظيمة ، والشيزي خشت اسود يعمل منه القصاع ، ولباب البر لباب الحنطة .

ومن خبره أنه كان في ابتداء أمره صعلوكا (١) ترب الديدن ، وكان مع ذلك شريراً ، فاتكا ، لا يزال يجني الجنايات فيعقل عنه أبوه وقومه ، حتى ابغضه عشيرته ونفاه أبوه ، وحلف لا يؤويه ابداً ، فخرج في شعاب (٢) مكة حائراً نائراً يتمنى الموت ان ينزل به ، فرأى شقاً في جبل فظن أن فيه حية ، فتمرض للشق يريد أن يكون فيه ما يقتله فيستريح فلم ير شيئاً فدخل فيه فاذا فيه ثعبان عظيم ، له عينان تقدان كالسراجين فحمل عليه الثعبان فأفرج له فانساب عنه مستديراً بدارة عند بيت ثم خطا خطوة أخرى ، فصفر به الثعبان فأقبل اليه كالسهم فأفرج له فانساب عنه ، فوقف ينظر اليه يفكر في أمره ، فوقع في نفسه أنه مصنوع فأمسكه بيديه ، فاذا هو مصنوع من ذهب وعيناه ياقوتتان فكسره وأخذ عينيه ودخل البيت فاذا جثث طوال على سرر لم ير مثلهم طولاً وعظماً ، وعند رؤوسهم لوح من فضة فيه تاريخهم ، واذا بهم رجال من ملوك جرهم وآخرهم موتاً الحارث بن مضاحق صاحب العذبة الطويلة ، واذا عليهم ثياب من وشي لا يمس منها شيء إلا انتثر كالهباء (٣) من طول الزمان ، مكتوب في اللوح عظام .

قال ابن هشام : كان اللوح من رخام ، وكان فيه : انا نقيلة بن عبد المدان بن الخشرم بن عبد ياليل بن جرهم بن قحطان بن نبي الله هود عليه السلام

- (١) الصعلوك بالضم الفقير ، جمعه صعاليك وصعالك ، وصعاليك العرب لصوصهم وفقراؤهم . والترب الذي لا مال له .
- (٢) الشعاب بالكسر جمع شعب الطريق في الجبل .
- (٣) الهباء بالمد دقاق التراب ، والشيء المنبث الذي يرى في ضوء الشمس وليس له مس ولا يرى في الظل .

عشت من العمر خمسمائة عام ، وقطعت غور الارض ظاهرها وباطنها ، في طلب الثروة والمجد والملك ، فلم يكن ذلك ينجيني من الموت ، وتحتته مكتوب :

قد قطعت البلاد في طلب الترة
وسريت البلاد قفراً لقفرة
فأصاب الردى بنات فؤادي
فأنقضت مدنى واقصر جهلى
ودفعت السفاه بالحلم لما
صاح هل ريت او سمعت براع

وة والمجد قاصر الاثواب (١)
بقناة وقوة واكتساب
بسهام من المنايا صياب
واستراحت عواذلى من عتابى
نزل الشيب في محل الشباب
ردفى الضرع ماقرى فى الحلاب (٢)

واذا في وسط البيت كوم عظيم من الياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة والزبرجد ، فأخذ منه ما أخذ ، ثم علم على الشق بعلامة ، واغلق بابه بالحجارة وارسل الى أبيه بالمال الذي خرج به منه يسترضيه ويستعطفه ووصل عشيرته كلهم فسادهم ، وجعل ينفق من ذلك الكنز ويطعم الناس ويفعل المعروف ، وكانت له جفنة يأكلها منها القائم والراكب لعظماها ، بل يأكل منها الراكب على البعير .

وفي غريب الحديث لابن قتيبة أن رسول الله ﷺ قال : كنت استظل بظل جفنة عبد الله بن جدعان صكة عمي ، يعنى في الهاجرة .
وسميت الهاجرة (٣) صكة عمي لخبر ذكره أبو حنيفة في الأناوء ،

(١) قالص الأثواب اي قصير الثياب ، يقال قالص الثوب بعد الغسل اي انزوى
(٢) ريت اصله رأيت خففت بحذف الهمزة ، والحلاب بالكسر اناء يخلب فيه ، والضرع لذات الظلف كالثدي للمرأة والجمع ضروع كفلس وفلوس وقرى ، اجتمع .

(٣) الهاجرة والهجير : مؤنث الهاجر ، والمراد بذلك شدة الحر ، —

وهو أن عمياً رجل من عدوان ، وقيل من اباد ، وكان فقيه العرب في الجاهلية ، فقدم في قومه معتمراً أو حاجاً ، فلما كان على مرحلتين من مكة قال لقومه وهم في وسط الظهيرة : من اتى مكة غداً في مثل هذا الوقت كان له أجر عمرتين ، فصكوا الأبل صكةً شديدة حتى أتوا مكة من الغداة ، وعمي تصغير أعمى على الترخيم ، فسميت الظهيرة صكةً عمي ، وروي ان ابن جدعان ممن حرم الحمر في الجاهلية بعد ان كان بها مغرماً (١) وذلك انه سكر ليلة فصار يمد يديه ويقبض على ضوء القمر ليأخذه ، فضحك منه جلساؤه ، فأخبر بذلك حين صبحها ، فحلف أن لا يشربها ابداً .

ولما كبر وهم أراد بنو تميم أن يمنعوه من تبذير ماله ولاجموه في العطاء ، فكان يدعو الرجل فإذا دنا منه لطمه لطمه خفيفة ثم يقول له قم فانشد لطمتك واطلب ديتها ، فإذا فعل ذلك أعطته بنو تميم من مال ابن جدعان .

(بلوغ الأرب: ١/٨٧ ، الأعلام: ٤/٢٠٤ ، الكنى والألقاب: ١/٢٢٨)

(٧) قيس بن سعد الأنصاري :

قيس بن سعد بن عبادة بن دليم الأنصاري الخزرجي المدني ،

— وهو نصف النهار في القيظ ، او من عند زوال الشمس الى العصر لأن

الناس يسكنون في بيوتهم كأنهم قد تهاجروا ، وجمعها هاجرات وهو اجر .

(١) المغرأ بالشيء : المولع به من حيث لا يحمله عليه حامل والذي

يحبه حباً شديداً ، من باب غري يغري غراء .

والصحابي : من دهاة العرب ذوى الرأي والنجدة فى الحرب ، واحد الأجواد المشهورين ، كان شريف قومه غير مدافع ، ومن بيت سيادتهم ، وكان يحمل راية الانصار مع النبي ﷺ ويلى أموره .

وفى البخاري انه كان بين يدي النبي ﷺ بمنزلة الشرطى من الأمير وصحب علياً فى خلافته فاستتمله على مصر سنة ٣٦ - ٣٧ هـ وعزل بمحمد بن أبى بكر ، وعاد الى علي فكان على مقدمته يوم صفين ، ثم كان مع الحسين بن علي عليهما السلام حتى صالح معاوية ، (على ماهو المدون فى كتب التاريخ فى كيفية صلحه لمعاوية) فرجع الى المدينة وتوفى بها فى آخر خلافة معاوية .

وكان من اطول الناس ومن أجملهم ، وكتب معاوية الى قيس يدعوه ويمنيه ، فكتب اليه قيس « لا والله لا تلقانى ابداً إلا وبينى وبينك الرمح » فكتب اليه معاوية : « أما بعد فأنا أنت يهودي ابن يهودي تشقى نفسك وتقتلها فيما ليس لك فان ظهر أحب الفريقين اليك نبذك وعزلك ، وان ظهر ابغضهما اليك نكل بك وقتلك ، وقد كان أبوك أوتر غير قوسه ورعى غير غرضه ، واكثر الحز واطأ الفصّل فخذله قومه وادركه يومه ، فأت بحوران طريداً غريباً والسلام » .

فكتب اليه قيس بن سعد بن عبادة : « أما انت وثن ابن وثن من هذه الاوثان ، دخلت فى الاسلام كرهاً ، وأقت عليه فرقاً ، وخرجت منه طوعاً ولم يجعل الله لك فيه نصيباً ، لم تتقدم باسلامك ، ولم يحدث نفاقك ولم تنزل حرباً لله تعالى ورسوله (ص) ، وحزباً من احزاب المشركين ، فأنت عدو الله ورسوله (ص) والمؤمنين من عباده ، وذكرت ابى ولعمري ما اوتر إلا قوسه ، ولا رعى إلا غرضه ، وزعمت انى يهودي بن يهودى ، ولقد علمت وعلمان ان ابى من

أنصار الدين الذي خرجت منه ، ومن اعداء الدين الذي دخلت فيه وصرت
اليه والسلام » .

قيل له : هل رأيت قط أسخى منك ؟ قال : نعم نزلنا بالبادية على
امرأة فخرها زوجها فقالت : انه نزل بك ضيفان ، فجاه بناقته فمحرها ،
وقال : شأنكم . فلما جاء الغد جاء بأخرى ونحرها ، وقال : شأنكم . فقالت : ما اكلنا
من التي نحرنا البارحة إلا اليسير . فقال : اني لا اطعم اضيائي الغاب (١)
فأقننا عنده أياماً والسماء تمطر وهو يفعل كذلك ، فلما أردنا الرحيل وضعنا
في بيته مائة دينار ، وقلنا للمرأة : اعتذري لنا منه ومضيفنا ، فلما متم (٢)
النهار اذا رجل يصيح خلفنا قفوا ايها الركب اللثام أعطيتمونا عن القرى (٣)
ثم انه لحقنا وقال : لتأخذنها وإلا اطعنتكم برححي ، فأخذناها وانصرف ،
وتوفي سنة ٦٠ هـ - ٦٨٠ م .

(بلوغ الأرب : ١ / ٩٠ ، الاعلام : ٦ / ٥٦ ، اعيان الشيعة : ٤٣ / ٢٧)

(٨) عبدة الكلية :

وهي امرأة من العرب كانت مذكورة بالسخاء ، روى عنها انه مر
بها رجل من اهل الشام فقال : هل من لبن يباع ؟ فقالت : انك للثيم واقرب

-
- (١) يقال « غب الطعام والتمر يغب فهو غاب » : بات ليلة فسد او
لم يفسد ، وخص بعضهم اللحم وقيل غب الطعام . تغيرت رائحته .
(٢) متع النهار اي ارتفع .
(٣) الضيافة .

عهد بقوم لثام ، هل يبيع الرسل (١) كريم ، أو يمنعه إلا للثيم . أنا
لندع الكوم (٢) لأضيافنا تكوس (٣) اذا عكف الدهر الضروس ، ونفلي
اللحم غريضاً (٤) ونهينه نضيجا (٥) .

(بلوغ الأرب : ٩١/١)

(٩) قتادة بن مسلمة الحنفي :

وكان من أسخياء العرب ومن مشاهيرهم في الكرم ، وبه يضرب
المثل في الجود . وكان يسمى غيث الضريك ، وقالوا : هو « أقرى
من غيث الضريك » .

(بلوغ الأرب : ٩١/١ ، مجمع الأمثال : ١٢٧/٢)

* * *

وأما الفريق الثاني من الكرماء : فقال ابن عبد ربه الأندلسي : أجواد أهل
الاسلام أحد عشر رجلاً في عصر واحد ، لم يكن قبلهم ولا بعدهم مثلهم ، فأجواد
الحجاز ثلاثة في عصر واحد : عبيد الله بن العباس ، وعبد الله بن جعفر
وسعيد بن العاص . وأجواد البصرة خمسة في عصر واحد ، وهم

(١) الرسل بالكسر : اللبن .

(٢) الكوم : القطعة من الأبل .

(٣) كأس البعير : اذا مشى على ثلاث قوائم وهو معرّقب .

(٤) الغريض : الطري .

(٥) يقال نضج اللحم نضجاً : اذا ادرك ، فهو نضيج .

عبدالله بن عامر بن كرز ، وعبيد الله بن أبي بكرة مولى رسول الله
ﷺ ، ومسلم بن زياد ، وعبيد الله بن معمر القرشي ثم التميمي ،
وطلحة الطلحات وهو طلحة بن عبدالله بن خلف الخزاعي ، وفيه يقول
عبدالله بن قيس الرقيات :

نصر الله أعظماً دفنوها بسجستان طلحة الطلحات (١)

كان لا يحرم الخليل ولا يه تل بالبخل طيب العذرات (٢)

وأجواد أهل الكوفة ثلاثة في عصر واحد ، وهم : عقاب بن
ورقاء الرياحي ، وأسماء بن خارجة الفزاري ، وعكرمة بن ربعي الهامبي
- انتهى . واليك طرفاً من تراجمهم :

(١) « سجستان » بكسر اوله وثانيه وسين اخرى مهملة وتاء مثناة
من فوق وآخرة نون : هي ناحية كبيرة وولاية واسعة ، وبينها وبين
هراة ثمانون فرسخاً ، وهي جنوبي هراة ، وارضها كلها رملية سبخة ،
والرياح فيها لا تسكن ابداً ولا تزال شديدة تدبر رحيمهم ، وهي حارة ،
ولا يقع بها الثلج ، وبها نخيل ، وهي ارض سهلة لا يرى فيها جبل ،
وبها كثير من الخوارج .

(معجم البلدان : ٣٧٥)

(٢) « العذرات » بفتح العين وكسر الذال : جمع مفردة عذرة .
هو اردأ ما يخرج من الطعام فيرمى به ، يقول : اردأ الطعام الذي
يرمى به حيث لا يؤكل ، هو منك طيب .

(١٠) عبيدالله بن عباس :

عبيدالله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشي ، أبو محمد :
كان أصغر من أخيه عبدالله بسنة . رأى النبي ﷺ ولم يرو عنه شيئاً
واستعمله علي (عليه السلام) على اليمن فحجج بالناس سنة ٢٦ - ٢٧ هـ ، وكان
على مقدمة جيش الحسن بن علي (عليه السلام) في حربه مع معاوية ، ومات
بالمدينة ، وكان سخياً جواداً ينحر كل يوم جزوراً .

قيل هو أول من وضع الموائد على الطرق ، وفيه يقول أحد
شعراء المدينة من أبيات :

وأنت ربيع لليتامى وعصمة إذا المحل من جو السماء تطلعا
هذا ما أورده الزركلي في اعلامه . وقال ابن عبد ربه في ترجمته :
ومن جوده أنه أول من فطر جيرانه ، وأول من وضع الموائد على
الطرق ، وأول من حيا على طعامه ، وفيه يقول شاعر المدينة :

وفي السنة الشهباء أطعمت حامضاً وحلواً ولحمًا تامكا وممزا (١)
وأنت ربيع لليتامى وعصمة إذا المحل من جو السماء تطلعا
ومن جوده أنه أتاه رجل وهو بفناء داره ، فقام بين يديه ،
فقال : يا بن عباس إن لي عندك يداً وقد احتجت إليها ، فصعد به
بصره وصوبه فلم يعرفه ، ثم قال له : ما يدك عندنا ؟ قال : رأيتك
واقفاً بززم وغلامك يمتح (٢) لك من مائها والشمس قد صهرتك

(١) السنة الشهباء : المجذبة التي لا خضرة فيها ولا مطر .

(٢) يمتح : أي يستخرج .

فضللتك بطرف ردائي حتى شربت قال : اني لأذكر ذلك ، وأنه يتردد بين خاطري وفكري ، ثم قال لقيمه : ما عندك ؟ قال : مائتا دينار وعشرة آلاف درهم . قال : ادفعها اليه وما أراها تفي بحق يده عندنا . قال : فأعطاه ثلاثين ألفاً . فقال له الرجل : والله لو لم يكن لاسماعيل ولد غيرك لكان فيه ما كفاه فكيف وقد ولد سيد الأولين والآخريين محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم شفعتك به وبأبيك .

ومن جوده أن معاوية بن أبي سفيان أهدى اليه - وهو عنده بالشام - من هدايا الفيروز حللاً كثيرة ومسكا وآنية من ذهب وفضة ، ووجهها مع حاجبه ، فلما وضعها بين يديه نظر الى الحاجب وهو ينظر اليها ، فقال : هل في نفسك منها شيء ؟ قال : نعم والله إن في نفسي منها ما كان في نفس يعقوب من يوسف عليه السلام . فضحك عبيد الله وقال : فشأنك بها فهي لك . قال : جعلت فداك أخاف أن يبلغ ذلك معاوية فيجد (١) علي . قال : فأختمها بخاتمك وادفعها الى الخازن فإذا حان خروجها حملها اليك ليلاً . فقال الحاجب : والله لهذه الحيلة في الكرم اكثر من الكرم ، ولوددت اني لا أموت حتى أراك مكانه - يعني معاوية - فظن عبيد الله أنها مكيدة به قال : دع عنك هذا الكلام

(١) وجد بفتح حروفه الثلاثة : اي غضب ، فاذا تعدت بعلى تكون بمعنى غضب ، وتأتني بمعنى اصاب الشيء . وادركه وظفر به بعد ذهابه ، كما يقال « وجدت الضالة » ، وتأتني بمعنى علم فتكون من افعال القلوب فتنصب مفعولين ، ومصدرها الوجود نحو « وجدت كلامك صادقا » ، وتأتني بمعنى احبه حباً شديداً اذا تعدت بالباء كما يقال « وجدت بفلان » ، وتأتني بمعنى حزن له اذا تعدت باللام .

فأنا قوم نبي بما وعدنا ولا تنقض ما أكدنا .

وقد ذكر الأندلسي في ترجمته قصصاً كثيرة ، فيما يتعلق بكرمه
وقد آثرنا الاختصار بالاكتفاء بما أسلفناه من أخباره .

وقال صاحب تنقيح المقال في ترجمته : عدّه ابن عبد البر وابن
مندة وأبو نعيم من أصحاب رسول الله ﷺ ، وعدّه الشيخ الطوسي
في رجاله من أصحاب الحسن ، وقد لحق معاوية - انتهى .

وقال الكشي : إن الحسن عليه السلام لما قتل أبوه عليه السلام
خرج في شوال من الكوفة الى قتال معاوية ، فالتقوا بكمسكر
- والصواب مسكن - وهو موضع في غربي الأنبار ، وقاتله ستة أشهر
وكان الحسن عليه السلام جعل ابن عمه عبيد الله بن العباس على مقدمته
فبعث اليه معاوية بمائة الف درهم فرّ بالراية ولحق معاوية وبقي العسكر
بلا قائد ولا رئيس ، فقام قيس بن سعد بن عبادة فخطب الناس وقال :
أيها الناس لا يهولنكم ذهاب عبيد الله هذا ، فإن هذا وأباه لم يأتيا
قط بخير ، وقام بأمر الناس ، ووثب أهل عسكر الحسن بالحسن عليه السلام في
شهر ربيع الأول فانتهبوا فسطاطه وأخذوا متاعه ، وطعنه ابن بشير
الأسدي في خصرته فرّده جريحاً الى المدائن حتى تحصن فيها عند عم
المختار بن ابي عبيدة - انتهى .

ولد سنة ١ هـ الموافق ٦٢٢ م ومات سنة ٨٧ هـ الموافق ٧٠٦ م .

(الأعلام : ٤/٣٤٩ ، المقد الفريد : ١/١٤٨ تنقيح المقال : ٢/٢٣٩) .

(١١) عبدالله بن جعفر :

عبدالله بن جعفر بن أبي طالب بن عبدالمطلب الهاشمي القرشي : صحابي ، ولد بأرض الحبشة لما هاجر أبواه اليها ، وهو أول من ولد بها من المسلمين ، وأتى البصرة والكوفة والشام ، وكان كريماً يسمى « بحر الجود » وللشعراء فيه مدائح ، وكان احد الامراء في جيش علي عليه السلام يوم « صفين » ومات بالمدينة - انتهى ما يقوله الزركلي في أعلامه .

وقال صاحب تنقيح المقال في ترجمته : عدّه الشيخ من أصحاب رسول الله (ص) ، وكذلك قال ابن عبد البر ، وابن مندة ، وابو نعيم وابن الأثير ، وصرح العلامة في الخلاصة بذلك وعقبه بقوله : كان جليلاً قليل الرواية ، وعدّه الشيخ من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ثم عدّه من أصحاب الحسن عليه السلام ، وهو من أصحاب الحسين عليه السلام ، حيث واساه بولده عون ومحمد وعبدالله ، فقد قتلوا مع الحسين يوم الطف حيث كان جعفر معذوراً من الخروج مع الحسين عليه السلام ، وعاش في زمان السجادة عليه السلام وقد شهد مع عمه أمير المؤمنين عليه السلام يوم صفين ، ونهاه والحسن والحسين عليهما السلام والعباس بن ابي ربيعة ، وعبدالله بن عباس ، أن يباشروا حرباً ، « ضناً بهم على الفتل لمصالح خفية .

ولعبد الله بن جعفر مع معاوية مواقف مشهورة ، منها ما نذكره عن المدائني قال : دخل علي معاوية وعنده ابن العاص ، فنال الامين

ابن الاثير من علي عليه السلام جهاراً غير ساتر له ، فالتمع (١) لون عبدالله واعتراه إفكل (٢) وقال له : من لا أم لك ، ثم نزل من السرير وحسر (٣) عن ذراعيه وقال لمعاوية : حتى م نتجرع غيظك ، ونصبر على مكروه قولك ، وسيء أدبك ، وذميم أخلاقك ، هبلتك الهبول (٤) أما يزعرك ذمام المجال عن الفذع لجليسك ؟ أما والله لو عطفتك عواهر الارحام ، أو حاميت على سهمك في الاسلام ، لما ارعيت بني الاماء أعراض قومك ، فلا يدعونك تصويب ما فرط من خطاك ، في سفك دماء المسلمين ، ومحاربة أمير المؤمنين عليه السلام ، الى التماذي فيما قد وضع لك للصواب في خلافه . فأقسم عليه معاوية أن يجلس ، وجعل يترضاه ويسكن غضبه ، وقال له فيما قال : أنت ابن ذي الجفاحين ، وسيد بني هاشم . فقال : كلا بل سيد بني هاشم حسن وحسين عليها السلام لا ينازعها في ذلك أحد .

ولعبد الله هذا أقاصيص في الكرم هي أشهر من أن تذكر ، لا تكاد تجد ذكره في كتاب إلا مقروناً بشيء من ذلك ، أدناه مارواه في الخصال مسنداً عن ابى عبدالله عليه السلام قال : ان رجلا مر

(١) إلتمع لونه : ذهب وتغير .

(٢) الأفكل : بفتح الألف وسكون الفاء وفتح الكاف : الرعدة ،

يقال « اخذه افكل » إذا ارتعد من خوف او برد .

(٣) حسر : اي كشف .

(٤) الهبول بفتح الهاء : المرأة الشكول ، وهو دعاء عليه بالموت ،

وكان ذلك الدعاء مستعملاً في كلام العرب ، ومنه قولهم « هبلتك امك »

اي افكلت بموتك .

بثمان بن عفان وهو قاعد على باب المسجد ، فسأله فأمر له بخمسة دراهم ، فقال له الرجل : ارشدني . فقال دونك الفئة الذين ترى - وأوماً بيده الى ناحية المسجد وفيها الحسن والحسين (ع) وعبدالله ابن جعفر - ففضى الرجل نحوهم حتى سلم عليهم وسأطهم ، فقال له الحسن : يا هذا إن المسألة لا تحل إلا في احدى ثلاثة : دم مفجع ، أو دين مفزع ، أو فقر مدقع (١) ففي أيها تسأل ؟ فقال : في واحدة من هذه الثلاثة ، فأمر له الحسن عليه السلام بخمسين ديناراً ، وأمر له الحسين عليه السلام بتسعة وأربعين ديناراً ، وأمر له عبدالله بن جعفر بثمانية وأربعين ديناراً . فانصرف الرجل ومر بثمان فقال له : ما صنعت ؟ قال : مررت بك فسألتك فأمرت لي بما أمرت ، فلم تسألني فيما أسأل ، وان صاحب الوفرة (٢) قال لي : فيهم تسأل ؟ ثم ذكر السؤال والجواب الى أن قال : فقال عثمان : ومن لك بمثل أولئك فطموا العلم ، وجازوا الخير والحكمة ؟ وأمه اسماء بنت عميس - انتهى .

قال ابن عبد ربه الأندلسي : ومن جود عبدالله بن جعفر ان عبدالرحمن بن ابي عمار ، دخل على نخاس (٣) يمرض قياناً له ، فعلق بواحدة منهن ، فشهّر بذكرها، حتى مشى اليه عطاء ، وطاووس ، ومجاهد ، يعذلونه ، فكان جوابه ان قال :

يلومني فيك اقوام اجالسهم فا ابالي اطار اللوم ام وقعا

-
- (١) دقع الرجل - بفتح الدال وكسر القاف وفتح العين - دقماً : رضي بالدون من المعيشة وساء احتمال له للفقر ولصق بالتراب ذلاً وفقراً .
- (٢) الوفرة : ما سال من الشعر على الاذنين .
- (٣) النخاس بتشديد الحاء : يباع الرقيق .

فأتتهى خبره الى عبدالله بن جعفر ، فلم يكن له هم غيره ، فحج
فبث الى مولى الجارية فاشتراها منه بأربمئى الف درهم ، وأمر قيّمة
جواريه أن تزينا وتحمليها ففعلت ، وبلغ للناس قدومه فدخلوا عليه
فقال : مالي لا أرى ابن ابي عمار زارنا ، فأخبر الشيخ فأتاه مسلماً ،
فلما أراد أن يتهض استجلسه ثم قال : ما فعل حب فلانة ؟ قال : فى
اللحم ، والدم والمخ والعصب . قال : أتعرفها لو رأيتها ؟ قال : لو أدخلت
الجنة لم انكرها ، فأمر بها عبدالله أن تخرج اليه وقال له : إنما اشتريتها
لك ، والله ما دنوت منها ، فشأنك بها مباركا لك فيها . فلما ولى قال :
يا غلام اجعل معه مائة الف درهم ينعم بها معها . قال : فبكى عبدالرحمن
فرحاً ، وقال : يا أهل البيت لقد خصكم الله بشرف ما خص به أحداً
قبلكم من صلب آدم ، فتهنئتم بهذه النعمة ، وبورك لكم بها .
ومن جوده ايضاً انه أعطى امرأة سألته مالا عظيماً ، فقيل له :
إنها لا تعرفك وكان يرضيها اليسير ، قال : أن كان يرضيها اليسير فأي
لا أرضى إلا بالكثير ، وان كانت لا تعرفني فانا أعرف نفسي .
ولد سنة ١ هـ الموافق ٦٢٢ م وتوفى سنة ٨٠ هـ الموافق ٧٠٠ م .
(الأعلام : ٤/٢٠٤ ، المقصد الفريد : ١/١٥٠ ، تنقيح المقال : ٢/١٧٣) .

(١٢) سعيد بن العاص :

قال الزركلي في أعلامه : سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص

ابن أمية ، الأموي القرشي ؛ صحابي ، من الاصراء الولاية الفاتحين ،
 ربي في حجر عمر بن الخطاب ، وولاه عثمان الكوفة وهو شاب ، فلما
 بلغها خطب في أهلها ، فذهبهم الى الشقاق ، والخلاف ، فشكوه الى
 عثمان ، فاستدعاه الى المدينة ، فأقام فيها الى أن كانت الثورة عليه ،
 فدافع سميده عنه وقاتل دونه الى أن قتل عثمان ، فخرج الى مكة
 فأقام الى أن ولي معاوية الخلافة ، فعهد اليه بولاية المدينة ، فتولاها
 الى أن مات ، وهو فاتح طبرستان ، اعتزل فتمتة الجمل وصفين ، وكان قويا
 وفيه تجبر وشدة ، سخيا ، فصيحاً - انتهى .

ويقول صاحب تنقيح المقال في ترجمته ناقلا عن الاصابة : انه
 من اشرف قریش واجوادهم وفصحائهم ، وهو احد الذين كتبوا المصحف
 لعثمان - انتهى .

قال ابن عبد ربه الأندلسي : ومن جود سعيد بن العاص أنه
 مرض وهو بالشام فعاده معاوية ومعه شرحبيل بن السمط ، ومسلم بن عقبة
 المري ، ويزيد بن شجرة الزهري ، فلما نظر سعيد الى معاوية وثب عن
 صدر مجلسه إعظاماً لمعاوية ، فقال له معاوية : أقسمت عليك أبا عثمان
 أن لا تتحرك ، فقد ضمنت بالعمة ، فسقط فتبادر معاوية نحوه حتى
 حنا عليه وأخذ بيده ، فأقعدته على فراشه وقعد معه وجمل يسائله عن
 علته ومنامه وغذائه ، ويصف له ما ينبغي أن يتوقاه وأطال القعود معه
 فلما خرج التفت الى شرحبيل بن السمط ويزيد بن شجرة فقال : هل
 رأيتما خللا في مال ابى عثمان ؟ فقالا : ما رأينا شيئا ننكر ، فقال
 لمسلم بن عقبة : ما تقول ؟ قال : ورأيت . قال : ماذا ؟ قال :
 رأيت على حشمه ومواليه ثيابا وسخة ، ورأيت صحن داره غير مكنوس

ورأيت التجار يخاضمون قهرمانه (١). قال : صدقت كل ذلك قد رأيت ، فوجه اليه مع مسلم بثلاثمائة الف ، فسبق رسول يبشره بها ويخبره بما كان ، فغضب سعيد وقال للرسول : إن صاحبك ظن أنه احسن فأساء ، وتأول فأخطأ ، فأما وسخ ثياب الحشم فمن كثرة حرركته اتسخ ثوبه ، وأما كدس الدار فليست اخلاقنا اخلاق من جعل داره سرآته وتزينه لبسه ، ومعروفه عطره ، ثم لا يبالي بمن مات هزلا من ذى لحمة أو حرمة ، وأما منازعة التجار قهرمانى فمن كثرة حوائجهم وبئمه وشرائه ، لم يجد بدأ من أن يكون ظلماً أو مظلوماً ، وأما المال الذي أمر به الامير معاوية فوصلته كل ذي رحم قاطعة ، وهناه كرامته المنعم بها علي ، وقد قبلناه ، وأمرنا لصاحبك منه بمائة الف ، ولشرجيل ابن السمط بمثلها ، وليزيد بن شجرة بمثلها ، وفي سعة الله وبسط يد الأمير ما عليه معولنا . فركب مسلم بن عقبة الى معاوية فأعلمه ، فقال : صدق ابن عمي فيما قال ، واخطأت فيما انتهيت اليه فأجعل نصيبك من المال لروح بن زنباع عقوبة لك ، فإنه من جنى جنابة عوقب بمثلها ، كما انه من فعل خيراً كوفى عليه .

ومن جوده ايضا : ان معاوية كان يديل بينه وبين مروان بن الحكم في ولاية المدينة ، فكان مروان يقارضه ، فلما دخل على معاوية قال له : كيف تركت أبا عبدالملك - يعني مروان ؟ قال : تركته منفذاً لامرك ، مصلحاً لعملك . قال معاوية : إنه كصاحب الخبزة كفى انضاجها فأكلها . قال : كلا يا امير ، انه من قوم لا يأكلون إلا ما حصدوا ، ولا يحصدون إلا ما زرعو ، قال : فما الذي باعد بينك وبينه ؟ قال :

(١) القهرمان : الوكيل او امين الدخل .

خفته على شرفي ، وخافني على مثله . قال : فأبي شيء كان له عندك ؟
قال : اسوأه حضراً وأسره غالباً . قال : يا أبا عثمان تركتنا في هذه
الحروب ؟ قال : حملت الثقل وكفيت الحزم . قال : فما ابطأ بك ؟ قال :
غناؤك عني ابطأني عنك ، وكنت قريباً لو دعوت لأجبنك ولو أمرت
لأطمنك . قال : ذلك ظناً بك . فأقبل معاوية على أهل الشام فقال :
يا أهل الشام هؤلاء قومي وهذا كلامهم ، ثم قال : أخبرني عن مالك
فقد نبئت أنك تتعري فيه . قال : يا أمير لنا مال يخرج لنا منه فضل
فاذا كان ما خرج قليلاً انفقناه على قتلته ، وإن كان كثيراً فكذلك ،
غير أنا لا ندخر منه شيئاً عن معسر ولا طالب ولا محتل ، ولا نصتأثر
منه بفائدة لحم ، ولا مزعة شحم . قال : فكيف يدوم لك هذا ؟ قال :
من السنة نصفها . قال : فما تصنع في باقيها ؟ قال : نجد من يسلفنا
ويسارع إلى معاملتنا . قال : ما أحد أحوج إلى ما يصلح من شأنه
منك . قال : إن شأنا لصلح يا أمير ، ولو زدت في مالي مثله ما كنت
إلا بمثل هذا الحال ، فأمر له معاوية بمخمسين الف درهم قال : اشتر
بها ضيعة تمينك على مروأتك . فقال سعيد : بل اشترى بها حمداً
وذكرأً باقياً أطعم بها الجامع ، وازوج بها الایم ، وافك بها العاني ،
واواسي بها الصديق ، واصلح بها حال الجار ، فلم تأت عليه ثلاثة أشهر
عنده منها درهم ، فقال معاوية : ما فضيلة بمد الإيمان بالله هي في الذكر ،
ولا أنبه في الشرف من الجود ، وحسبك إن الله تبارك وتعالى جعل
الجود آخر صفاته .

ومن جوده أيضاً ما حكاه الأصمعي ، قال : كان سعيد بن العاص

يصر معه سمارة (١) الى أن ينقضي حين من الليل ، فانصرف عنه القوم ليلاً ، ورجل قاعد لم يقم ، فأمر سعيد باطفاء الشمعة ، وقال : طبعتك يافتي ؟ فذكر ان عليه ديناً أربعة آلاف درهم ، فأمر له بها ، وكان اطفأؤه للشمعة أكثر من عطائه .

ولد سنة ٥٣ الموافق ٦٣٤ م ، وتوفي سنة ٥٩ هـ الموافق ٦٧٩ م .
(الأعلام: ٣/١٤٤٨ ، المقصد الفريد: ١/١٥٠ ، تنقيح المقال ٢٤/٢٧) .

(١٣) عبيد الله بن أبي بكره :

ومن جوده أنه أولى اليه رجل بجرمة ، فأمر له بمائة الف درهم ، فقال : أصلحك الله ما وصلاني أحد بمثلها قط ، ولقد قطعت لساني عن شكر غيرك ، وما رأيت الدنيا في يد أحد أحسن منها في يدك ، ولولا أنت لم تبق لها بهجة إلا أظلمت ، ولا نور إلا انطمس .

(المقصد الفريد : ١/١٥٢)

(١٤) عبيد الله بن معمر القرشي التيمي :

يقول الزركلي : عبيد الله بن معمر بن عثمان التيمي القرشي :

(١) يقال « سمر فلان » : اي لم ينم وتحدث ليلاً ، والسمر بالضم

جمع سمير ، وهو الذي يشاركك في السمر ، اي الحديث ليلاً .

أمير من القادة الشجعان الأشداء ، ومن أجواد قريش ، ولاء عثمان بن عفان قيادة جيش الفتح في اطراف اصطخر (١) ونشبت معارك استشهد في احداها ، وبلغ من قوته أنه كان يأخذ عظم البقر الشديد الذي لا يكسر إلا بالفؤوس فيكسره بيده ويأخذ منه - انتهى .

قال ابن عبد ربه الأندلسي : من جوده ان رجلا أتاه من أهل البصرة ، كانت له جارية نفيسة قد استأدبها بأنواع الأدب حتى برعت وفأقت في جميع ذلك ، ثم ان الدهر قعد بسيدها ومال عليه ، وقدم عبيدالله بن معمر البصرة من بعض وجوهه ، فقالت لسيدها : اني أرى ان اذكرك شيئاً استعجى منه إذ فيه جفاه مني ، غير انه يسهل ذلك على ما أرى من ضيق حالك ، وقلة مالك ، وزوال نعمتك ، وما أخافه عليك من الاحتياج ، وضيق الحال ، وهذا عبيد الله بن معمر قدم البصرة ، وقد علمت شرفه وفضله وسعة كفه وجود نفسه ، فلو أذنت لي فأصلحت من شأني ، ثم تقدمت بي اليه وعرضتني عليه هدية ، رجوت أن يأتيك من مكافأته ما يقلك الله به وينهضك انشاء الله .

قال : فبكي وجدأ عليها وجزعاً لفراقها ، ثم قال لها : لولا انك نطقت بهذا ما ابتدأتك به أبداً ، ثم نهض بها حتى اوقفها بين يدي عبيدالله ، فقال : أعزك الله هذه جارية ربيتها ورضيت بها لك فأقبلها

(١) « اصطخر » بالكسر وسكون الحاء المعجمة : بلدة من اقدم مدن فارس ، وبها كان مسكن ملك فارس حتى تحول اردشير الى جور . قيل اول من انشأها اصطخر بن طهمورث ملك الفرس ، وطهمورث عند الفرس بمنزلة آدم ، وبينها وبين شيراز اثنا عشر فرسخاً .

(معجم البلدان : ١ / ٢٧٥)

مني هدية ، فقال : مثلي لا يستهدي لمثلك ، فهل لك في بيعها فأجزل
 لك الثمن عليها حتى ترضى ؟ قال : الذي تراه . قال : يقنعك مني عشرة
 بدر في كل بدرة عشرة آلاف درهم ؟ قال : والله ياسيدي ما امتد
 أملي الى عشر ما ذكرت ، ولكن هذا فضلك المعروف وجودك المشهور
 فأمر عبيدالله باخراج المال حتى صار بين يدي الرجل وقبضه وقال
 للجارية : ادخلي الحجاب . فقال سيدها : اعزك الله او أذنت لي في
 وداعها ، قال : نعم ، فوقفت وقام ، وقال لها وعيناه تدمعان :

ابوح بحزن من فراقك موجع افاصي به ليلا يطيل تفكري
 ولولا قعود الدهر بي عنك لم يكن يفرقنا شيء سوى الموت فأعذري
 عليك سلام لا زيارة بيننا ولا وصل إلا ان يشاء ابن معمر

قال عبيدالله بن معمر : قد شئت ذلك فخذ جاريتك وبارك الله
 لك في المال ، فذهب بجاريتيه وماله فماد غنياً . توفي سنة ٢٩ هـ
 الموافق سنة ٦٥٠ م .

(المقد الفريد : ١/١٥٢ ، الأعلام : ٤/٣٥٥)

(١٥) الحكم بن حنطب :

قيل لنصيب بن رباح (١) : خرف شعرك يا أبا محجن . قال :

(١) نصيب بن رباح ، ابو محجن ، مولى عبدالعزيز بن مروان ،
 شاعر فحل مقدم في النسب والمدائح ، وكان عبداً اسود لراشد بن
 عبدالعزيز من كنانة من سكان البادية ، وانشأ ابياتاً بين يدي عبد العزيز -

لا ولكن خرف الكرم ، لقد رأيتني ومدحت الحكم بن حنطب فأعطاني
الف دينار وملقة ناقة واربعمائة شاة ، وسأل اعرابي الحكم بن حنطب
فأعطاه خمسمائة دينار ، فبكى الاعرابي فقال : ما يبكيك يا اعرابي لعلك
استقلت ما اعطيناك ؟ قال لا والله ولكني ابكي لما تأكل الأرض منك
ثم انشأ يقول :

وكان آدم حين حان وفاته اوصاك وهو يوجد بلحوباء (٢)
بينه أن ترطاهم فرعيتهم فكفيت آدم عيلة للأبناء
قال العتيبي : أخبرني رجل من أهل منبج (٣) قال : قدم علينا
الحكم بن حنطب وهو مملق فأغنانا . قال له : كيف اغناكم وهو مملق ؟
قال : علمنا المكارم فماد غنينا على فقيرنا .

(المقد الفريد : ١/١٥٣)

فاشتراه واعتقه ، وتنسك في آواخر عمره ، وله ترجمة مفصلة ذكرها
الزركلي ، وآثرنا الاقتصار في ذلك . توفي سنة ١٠٨ هـ الموافق ٧٢٦ م .

(الاعلام : ٨/٣٥٥)

(٢) الحوباء بفتح الحاء وسكون الواو : النفس ، وجمعها حوباوات .
(٣) منبج بالفتح ثم السكون وباء موحدة مكسورة وجيم
بعدها : بلدة قديمة بناها كسرى لما غلب على الشام ، وهي واسعة ذات
خيرات كثيرة وارزاق واسعة ، بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ وبينها وبين
حلب عشرة فراسخ .

(معجم البلدان : ٨/١٦٩)

(١٦) معن بن زائدة :

معن بن زائدة بن عبدالله بن مطر الشيباني ، ابو الوليد : من أشهر أجواد العرب ، وأحد الشجعان والفصحاء ، أدرك المصريين الأماوي والعباسي ، كان في الأول مكرماً يتنقل في الولايات ، فلما صار الامر الى بني العباس طلبه المنصور ، فاستتر وتغلغل في البادية ، حتى كان يوم الهاشمية ، وثار جماعة من أهل خراسان على المنصور وقتلوه ، فتقدم معن وقاتل بين يديه حتى افرج الناس عنه ، فحفظها له المنصور واكرمه وجعله في خواصه وولاه اليمن وسار اليها ، واوعث فيها - أي لقي صعوبات - ثم ولي سجستان ، فأقام فيها مدة وابتنى داراً ، فدخل عليه أناس في زي الفعالة (العمال) فقتلوه غيلة ، أخباره كثيرة معجبة وللشعراء فيه أماديح ومرثيات من عيون الشعر أو رد بعضها ابن خلكان والخطيب البغدادي - انتهى ما يقوله الزركلي .

ويقول ابن عبد ربه الاندلسي : وكان يقال فيه « حدث عن البحر ولا حرج وحدث عن معن ولا حرج » ، وأتاه رجل يسأله أن يحمله ، فقال : يا غلام اعطه فرساً وبرذوناً وبغلاً وعبيراً وبعيراً وجارية وقال : لو عرفت مركوباً غير هؤلاء لأعطيتك .

ولما قدم معن بن زائدة البصرة ، واجتمع اليه الناس ، أتاه مروان ابن ابي حفصة (١) فأخذ بعضادتي الباب ، فأنشد شعره الذي قاله فيه :

(١) مروان بن سليمان بن يحيى بن ابي حفصة يزيد : شاعر ، عالي -

فا أحجم الأعداء عنك تقية عليك ولكن لم يروا فيك مطعماً
 له راحتان الختف والجود فيها إني الله إلا أن يضرب وينفما
 انتهى . وقال النويري : روي عن معن بن زائدة قال : لما
 هربت من المنصور خرجت من باب حرب ، بعد أن أقت في الشمس
 أياماً ، وخففت لحيتي وعارضي ، ولبست جبة صوف غليظة ، وركبت جملاً
 وخرجت عليه لأمضي إلى البادية .

قال فتبعني اسود متقلد سيفاً ، حتى اذا غبت عن الحرس قبض
 على خطام الجمل فأناخه وقبض علي ، فقلت : ما شأنك ؟ فقال : انت
 بغية الأمير ، فقلت له : ومن أنا حتى يطلبني الأمير ؟ فقال : معن
 ابن زائدة . فقلت : يا هذا ! إني الله وأين أنا من معن ؟ فقال : دع
 هذا عنك ، فانا والله أعرف بك ، فقلت له : فان كانت القصة كما تقول
 فهذا جوهر حملته معي بأضعاف ما بذله المنصور لمن جاءه بي فخذ ولا
 تسفك دمي . فقال : هاته ، فأخرجته إليه ، فنظر إليه ساعة ، وقال :
 صدقت في قيمته ، لست قابله حتى أسألك عن شيء ، فان صدقتني
 اطلقتك . فقلت : قل . فقال : إن الناس قد وصفوك بالجود فأخبرني

= الطبقة . كان جده أبو حفصة مولى مروان بن الحكم اعتقه يوم الدار ،
 ونشأ مروان في العصر الأموي باليامة حيث منازل اهله ، وادرك زماً
 من العهد العباسي فقدم ببغداد ومدح المهدي والرشيد ومعن بن زائدة ،
 وجمع من الجوائز والهبات ثروة واسعة ، وكان رسم بني العباس ان يعطوه
 بكل بيت بمدحهم به الف درهم ، وكان يتقرب إلى الرشيد بهجاء العلوية .
 توفي ببغداد سنة ١٩٠ هـ الموافق سنة ٨٠٥ م .

(الأعلام : ٩٥/٨)

هل وهبت قط مالك كله ؟ قلت : لا . قال : فنصفه ؟ قلت : لا . قال :
فقله ؟ قلت : لا . حتى بلغ العشر فاستحييت وقلت : أنى أظن قد
فعلت هذا . فقال : ما ذاك بمظيم أنا والله راجل ، ورزقي على أبي جعفر
عشرون درهما ، وهذا الجواهر قيمته الف ديناراً وقد وهبته لك ،
ووهبتك لنفسك ولجودك المأثور بين الناس ، ولتعلم أن في الدنيا من
هو أجود منك ولا تمجيبك نفسك ، ولتحقرن بمد هذا كل شيء
تفعله ولا تتوقف من مكرمة ، ثم رعى بالعقد إلي ، وخلى خطام
الجل وانصرف . فقلت : يا هذا قد والله فضحتني ، ولسفك دمي أهون
علي مما فعلت فخذ ما دفعته إليك ، فاني عنه في غنى ، فضحك ثم قال :
أردت أن تكذبني في مقامي هذا ، فوالله لا آخذه ، ولا آخذ لمعروف
منأ ابداً ، ومضى فوالله لقد طلبته بمد أن أمنت ، وبذلت لمن جاني
به ماشاء ، فما عرفت له خبراً ، وكان الأرض ابتلعتة . وتوفي سنة ١٥١ هـ
الموافق سنة ٧٦٨ م .

(نهاية الأرب : ٣/٢١١ ، المعقد الفريد : ١/١٥٣ ، الاعلام : ٨/١٩٢)

(١٧) يزيد بن المهلب :

يزيد بن المهلب بن ابي صفرة الأزدي ، أبو خالد : أمير ، من
القادة الشجعان الأجواد . ولي خراسان بمد وفاة أبيه (سنة ٨٣ هـ)
فكث نحواً من ست سنين ، وعزله عبدالمك بن مروان برأي الحجاج

(أمير العراق في ذلك العهد) وكان الحجاج يخشى بأسه ، فلما تم عزله حبسه ، فهرب يزيد الى الشام . ولما أفضت الخلافة الى سليمان بن عبدالمك ولده العراق ثم خراسان ، فعاد اليها ، وافتتح جرجان وطبرستان ، ثم نقل الى امارة البصرة ، فأقام فيها الى أن استخلف عمر بن عبد العزيز ، فعزله وطلبه ، فنجى به الى الشام ، فحبسه بحلب .

ولما توفي عمر وثب غلمان يزيد ، فأخرجوه من السجن ، وسار الى البصرة فدخلها وغلب عليها (سنة ١٠١) ثم نشبت حروب بينه وبين أمير العراقيين مسلمة بن عبدالمك ، انتهت بمقتل يزيد في مكان يسمى « المقر » بين واسط وبغداد ، واخباره كثيرة وإياه عنى الفرزدق بقوله :
وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم خضوع الرقاب نواكس الأبصار
وكان من عاقبة أمره أن نابذ بني أمية الخلافة ، فقتل بعد حروب كثيرة مشهورة - انتهى ما يقوله الزركلي .

قال ابن عبد ربه : وكان هشام بن حسان إذا ذكره قال : والله ان كانت السفن لتجري في جوده ، وقيل له : مالك لا تبني داراً ؟ قال منزلي دار الامارة أو الحبس .

ولما أتى يزيد بن عبدالمك برأس يزيد بن المهلب نال منه بعض جلسائه فقال له : مه ان يزيد بن المهلب طلب جسيماً وركب عظيماً ومات كريماً . ودخل الفرزدق على يزيد بن المهلب في الحبس فأنشده :

صح في قيدك الساحة والمجد وفك العناية والأغلال
قال : أمدحني وأنا في هذه الحال ؟ قال : أصبتك رخيصاً فأشتريتك
فأمر له بمشرة آلاف .

وقال سليمان بن عبدالمك لموسى بن نصير : اغرم ديتك خمسين مرة ؟

قال : ليس عندي ما اغرم . قال : والله لتغرمن ديتك مائة مرة . قال
يزيد بن المهلب : أنا أغرمها عنه يا أمير . قال : اغرم ، فغرمها عنه
مائة الف .

وعن العتيبي قال : أخبرني عوانة قال : استعمل الوليد بن عبدالمك
عثمان بن حيان المري على المدينة ، وأمره بالغلظة على أهل الغنّة ، فلما
استخلف سليمان أخذه بالفي الف درهم ، فاجتمعت القيسية في ذلك ، فتحملوا
شطرها ، وضاقوا ذرعاً بالشرط الثاني : ووافق ذلك استعمال سليمان يزيد
ابن المهلب على العراق . فقال عمر بن هبيرة : عليكم يزيد بن المهلب ،
فألها أحد غيره ، فتحملوا الى يزيد وفيهم عمر بن هبيرة ، والقعقاع
ابن حبيب ، والهزبل بن زفر بن الحرث ، وانتهوا الى رواق يزيد ،
قال يحيى بن ائقل - وكان حاجباً ليزيد بن المهلب وكان رجلاً من
الأزد - : فاستأذن لهم ، فخرج يزيد الى الرواق فقربّ ورحب ، ثم دعا
بالغداء ، فأتوا بطعام ما أنكروا منه أكثر مما عرفوا . فلما تغدوا تكلم
عثمان بن حيان - وكان لسنّاً مفوهاً - وقال : زادك الله في توفيقك
أيها الأمير ، إن الوليد بن عبدالمك وجهى الى المدينة طاملاً عليها وأمرني
بالغلظة على أهل الغنّة والأخذ عليهم ، وإن سليمان أغرمنى غرمًا ، والله
ما يسمه مالي ولا تحمله طاقتي ، فأثيناك لتحمل من هذا المال ما خف
عليك ، وما بقى والله ثقيل علي . ثم تكلم كل منهم بما حضره وقد
اختصرنا كلامهم .

فقال يزيد بن المهلب : مرحباً بكم وأهلاً ، إن خير المال ما قضي
فيه الحقوق وجمت به المغارم ، وإنما لي من المال ما فضل عن اخواني ،

وأيم الله (١) لو علمت أن أحداً أملاًً بواجتكم منى لهديتكم اليه فأحتكموا
 واكثروا . فقال عثمان بن حيان : النصف أصلح الله الامير . قال :
 نعم وكرامة ، اغدوا على مالكم فنخذوه ، فشكروا له وقاموا فخرجوا
 فلما صاروا على باب السراذق قال عمر بن هبيرة : قبح الله رأيكم ، والله
 ما يبالي يزيد انصفها تحمل أم كلها ، فن لكم بالنصف الباقي ؟ قال القوم
 هذا والله الرأي ، وسمع يزيد مناجاتهم ، فقال لحاجبه : انظر يا يحيى
 إن كان بقى على القوم شيء فليرجعوا ، فرجعوا اليه ، وقالوا : أقلننا ؟
 قال : قد فعلت . قالوا : فان رأيت أن تحملها كلها فانت أهلها ، وان
 أبيت فإلها أحد غيرك . قال : قد فعلت .

وغدا يزيد بن المهلب الى سليمان ، فقال : يا أمير أتاني عثمان بن
 حيان وأصحابه . قال : أمسك في المال . قال : نعم . قال سليمان :
 والله لآخذنها منهم . قال يزيد : انى قد حملته . قال : فأده . قال
 يزيد : والله ما حملته إلا لأؤديه . ثم قال : يا أمير إن هذه
 الجمالة وان عظم خطيها فحمدها والله أعظم منها ، ويدي مبسوطة بيدك
 فأبسطها لسؤاها ، ثم غدا يزيد بالمال على الخزان فدفعه اليهم . فدخلوا
 على سليمان فأخبروه بقبض المال ، فقال : وقت يمين سليمان احمولوا الى
 أبي خالد ماله . فقال عدي بن الرقاع العاملي (٢) :

(١) ايمن الله : اسم وضع للقسم ، والتقدير « ايمن الله قسمي »
 وبمعناها « ايم الله » .

(٢) عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع ، من عاملة : شاعر
 كبير ، من اهل دمشق ، يكنى أبا داود . كان معاصراً لجريير ، مهاجياً
 له ، مقدماً عند بني امية ، مداحاً لهم ، خاصاً بالوليد بن عبد الملك . لقبه -

ولله عينا من رأى كهالة تحملها كبش العراق يزيد
وعن الأصمعي قال : قدم على يزيد بن المهلب قوم من قضاة
من بني حنيسة ، فقال رجل منهم :

والله ما ندري إذا ما فاتنا طلب اليك من الذي تتطلب
ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد أحداً سواك الى المكارم ينسب
فأصير لعادتنا التي عودتنا أولاً فارشدنا الى من نذهب
فأمر له بألف دينار ، فلما كان في العام المقبل وفد عليه فقال :
مالي أرى أبوابهم مهبورة وكأف بابك مجمع الأسواق
حابوك أم حابوك أم شاموا الندى بيدك فاجتمعوا من الآفاق
انى رأيتك للمكارم عاشقاً والمكرمات قليلة العشاق

فأمر له بعشرة آلاف درهم . ومرّ يزيد بن المهلب في طريق
البصرة بأعرابية فاهدت اليه عزراً فقبلها ، وقال لابنه معاوية : ما عندك
من نقعة ؟ قال : ثمانمائة درهم . قال : ادفعها اليها . قال : إنها
لا تعرفك ويرضيها اليسير . قال : إن كانت لا تعرفني فانا أعرف نفسي ،
وان كان يرضيها اليسير فانا لا ارض إلا بالكثير .

قال المؤلف : وتقل ابن عبدربه هذه المكرمة الأخيرة لعبدالله

ابن جعفر .

- ابن دريد في كتاب الاشتقاق بشاعر اهل الشام ، مات في دمشق ، وهو
صاحب البيت المشهور :

ترجي اغن كأن ابرة روقه قلم اصاب من الدواة مدادها

توفي نحو سنة ٩٥ هـ ، ٧١٤ م .

(الأعلام : ١٠ / ٥)

ولد يزيد بن المهلب سنة ٥٣ هـ ٦٧٣ م وتوفي سنة ١٠٢ هـ ٧٢٠ م .
(الأعلام : ٢٤٦/٩ ، العقد الفريد : ١ / ١٥٤)

(١٨) يزيد بن حاتم :

يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن ابي صفرة الازدي ،
ابو خالد : أمير من القادة الشجعان في العصر العبّاسي . ولي الديار
المصرية سنة ١٤٤ هـ للمنصور ، فكث سبغ سنين واربعة أشهر ، وصرفه
المنصور سنة ١٥٢ هـ ، ثم ولاه افريقية سنة ١٥٤ هـ ، فتوجه اليها
وقاتل الخوارج واستقر والياً بها خمس عشرة سنة وثلاثة اشهر ، قضى
في خلالها على كثير من فتن البربر وغيرهم . وكان جواداً ممدوحاً
شديد الشبه بجمده « المهلب » في الدهاء والشجاعة . وهو الذي يقول
فيه ربعة الرقي :

لستان ما بين اليزيديين في الندى يزيد سليم والأغر ابن حاتم

وتوفي بالقيروان (١) - انتهى ما يقوله الزركلي .

وقال ابن عبد ربه : كتب اليه رجل من العلماء يستوصله ، فبعث
اليه ثلاثين الف درهم ، وكتب اليه : أما بعد فقد بعثت اليك بثلاثين
الفاً لا اكثرها امتناناً ولا أقلها تجبراً ، ولا استئيمك عليها ثناء ، ولا
أقطع لك بها رجاء ، والسلام .

وكان ربعة الرقي قد قدم مصر فأتى يزيد بن حاتم السلمي فلم

(١) القيروان بفتح القاف وضم الراء . مدينة عظيمة بأفريقية .

يمطه شيئاً ، ثم عطف على يزيد بن حاتم فشفل عنه ببعض الامر ، فخرج وهو يقول :

اراني ولا كفران لله راجعاً
بمخفي حنين في نوال ابن حاتم (١)
فسأل عنه يزيد ، فأخبر أنه قد خرج وقال كذا ، وأنشد البيت :
فأرسل في طلبه فأتى به ، فقال : كيف قلت ؟ فأنشده البيت . فقال :
شغلنا عنك . ثم أمر بمخفيه فخلعتا من رجليه وملأنا مالا وقال : ارجع
بها بدلا من خفي حنين ، فقال فيه لما عزل عن مصر وولي مكانه يزيد
ابن حاتم :

بكى أهل مصر بالدموع السواجم غداة غدا منها الأغر ابن حاتم
وفيهما يقول :

لشطان ما بين اليزيديين في الندى يزيد سليم والأغر ابن حاتم
فهمّ القتي الأزدي اتلاف ماله وهمّ القتي القيسي جمع الدراهم
فلا يحسب التهمام انى هجوته ولكنني فضلت أهل المسكارم
وخرج اليه رجل من الشعراء يمدحه ، ولما بلغ مصر وجده قد
مات ، فقال فيه :

لئن مصر فأتني بما كنت ارتجي وأخلفني منها الذي كنت آمل
فا كل ما يخشى القتي بمصيبة ولا كل ما يرجو القتي وهو نائل

(١) اشار بقوله : « بمخفي حنين » الى المثل المعروف ، « رجع بمخفي حنين »
يضرب عند اليأس من الحاجة والرجوع بالحيلة ، ولهذا المثل قصة طريفة
ذكرها الميداني .

وما كان ينبغي لو اقيمتك سالماً وبين الغنى إلا ليال قلائل
توفي سنة ١٧٠ هـ الموافق ٧٨٧ م .

(الأعلام : ٢٣٠/٩ ، المقدم الفريد : ١٥٦/١)

(١٩) القاسم بن اسماعيل ، أبو دلف :

قال الزركلي : أبو دلف المعجلي القاسم بن عيسى بن ادريس بن
معقل من بني عجل بن لجيم : أمير الكرخ ، وسيد قومه ، وأحد
الأمرء الأجواد الشجعان الشعراء . قلده الرشيد العباسي أعمال
« الجبل » (١) ثم كان من قادة جيش المأمون ، وأخبار أدبه وشجاعته
كثيرة ، وللشعراء فيه أماديح ، وله مؤلفات ، منها « سياسة الملوك »
و « البراة والصيد » وهو من العلماء بصناعة الغناء ، يقول الشعر ويلحنه -
انتهى ما يقوله الزركلي .

قال ابن عبد ربه الاندلسي : وفيه يقول علي بن جبلة :

(١) الجبال جمع جبل : اسم علم للبلاد المعروفة اليوم باصطلاح المعجم
بالعراق ، وهي ما بين اصفهان الى زنجان ، وقزوين وهمدان والدينور
وقرميسين والري وما بين ذلك من البلاد الجبلية والسكرور العظيمة ، وتسمية
المعجم له بالعراق غلط ، والسبب في التسمية ان ملوك السلجوقية كان احدهم اذا ملك
العراق دخلت هذه البلاد في ملكه ، فكانوا يسمونه سلطان العراق .

(معجم البلدان : ٤٤/٣)

إنما الدنيا أبو دلف بين مبداه ومحضره
فإذا وليّ أبو دلف وآت الدنيا على أثره

وقال فيه رجل من شعراء الكوفة :

الله أجرى من الأرزاق أكثرها على العباد على كفي أبي دلف
بارى الرياح فأعطى وهي جارية حتى إذا وقعت أعطى ولم يقف
ما خط لا كتابه في صحيفته يوماً كما خط لاني سائر الصحف (١)

فأعطاه ثلاثين الفاً . ومدحه آخر فقال فيه :

يشبهه الرعد إذا الرعد رجف كأنه البرق إذا البرق خطف
كأنه الموت إذا الموت أذف تحمله الى الوغى الخيل القطف
إن سار سار المجد أو حلّ وقف انظر بيمينك الى أسنى الشرف
هل ناله بقدره أو بكلف خلق من الناس سوى أبي دلف
فأعطاه خمسين الفاً - انتهى . وتوفى ببغداد سنة ٢٢٦ هـ الموافق

سنة ٨٤٠ م .

(الأعلام : ١٣/٦ ، العقد الفريد : ١٥٦/١)

(١) اخذ هذا المعنى من قصيدة الفرزدق التي مدح بها الامام
زين العابدين علي بن الحسين عليها السلام بحضور هشام بن عبد الملك ، وهي
من عيون الشعر ومن افضلها ، ومطلعها قوله :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم
الى ان يقول :

ما قال لا قط إلا في تشهده لولا التشهد كانت لاؤه نعم

(٢٠) خالد بن عبدالله القسري :

خالد بن عبدالله بن يزيد بن أسد القسري ، من بجيلة ، أبو الهيثم : أمير المراقين ، وأحد خطباء العرب وأجوادهم ، يماي الاصل ، من أهل دمشق ، ولي مكة سنة ٨٩ هـ للوليد بن عبد الملك ، ثم ولاه هشام المراقين (الكوفة والبصرة) سنة ١٠٥ هـ ، فأقام بالكوفة وطالت مدته الى أن عزله هشام سنة ١٢٠ هـ وولي مكانه يوسف بن عمر الثقفي وأمره أن يحاسبه ، فسجنه يوسف وعذبه بالحيرة ، ثم قتله في أيام الوليد بن يزيد ، وكان خالد يرمى بالزندقة ، وللفرزدق هجاء فيه - انتهى ما يقوله الزركلي .

قال ابن عبد ربه الأندلسي : خالد بن عبدالله القسري ، هو الذي يقول فيه الشاعر :

الى خالد حتى انحن بخالد فنعم الفتى و نعم المؤمل
بيننا خالد بن عبدالله جالس في مظلة (١) له إذ نظر الى أعرابي
يحب (٢) به بعيره مقبلا نحوه ، فقال لحاجبه : إذا قدم فلا نحجبه ،
فلما قدم أدخله عليه فسلم وقال :

(١) المظلة بكسر الميم وفتحها وتشديد اللام : الكبير من الأجيبة ، وقد اطلقنا عند المولدين على ما يسمونه الشمسية .

(٢) خب بفتح الحاء والباء مع التشديد : اي راوح بين يديه ورجليه في عدوه ، اي قام على احدها مرة وعلى الاخرى مرة .

أصلحك الله قلّ ما بيدي فا اطيع العيال إذ كثروا
 اناخ دهر القى بكلّكله فأرسلوني اليك وانتظروا
 فقال خالد : أرسلوك وانتظروا ، والله لا تنزل حتى تنصرف اليهم
 بما يسمّونهم ، وأمر له بجائزة عظيمة وكسوة شريفة . ولد سنة ٥٦٦ هـ -
 ٦٨٦ م وتوفي سنة ١٢٦ هـ - ٧٤٣ م .
 (الأعلام : ٣٣٨/٢ ، المقد الفريد : ١/١٥٧)

(٢١) عدي بن حاتم الطائي :

عدي بن حاتم بن عبدالله بن سمد بن الحشرج الطائي ، أبو وهب
 وأبو طريف : أمير ، صحابي ، من الأجواد العقلاء ، كان رئيس طيء
 في الجاهلية والاسلام . وقام في حرب الردة بأعمال كبيرة حتى قال ابن
 الأثير : خير مولود في أرض طيء واعظمه بركة عليهم ، وكان اسلامه
 سنة ٩ هـ ، وشهد فتح العراق ، ثم سكن الكوفة وشهد الجمل وصفين
 والنهروان مع علي عليه السلام ، وفقئت عينه يوم صفين ، ومات بالكوفة .
 روى عنه المحدثون ٦٦ حديثاً ، وعاش اكثر من مئة سنة .
 وهو ابن حاتم الطائي الذي يضرب بجوده المثل - انتهى ما يقوله
 الزركلي .

ويقول ابن عبدربه الاندلسي : دخل عليه ابن دارة (١) فقال :

(١) سالم بن مسافع بن عقبة الجشمي الغطفاني ، المعروف بابن دارة
 شاعر مخضرم ، ادرك الجاهلية والاسلام ، نسبته الى امه « دارة » وهي
 من بني اسد . له « ديوان شعر » واشهر ابياته : « لا تأمنن فزارياً -

اني مدحتك . قال : أمسك حتى آتيك بمالي ، ثم امدحني على حسبه ،
فاني أكره أن لا أعطيك ثمن ما تقول لي : الف شاة والف درهم وثلاثة
اعبد وثلاث إماء وفرسي هذه حبس في سبيل الله ، فامدحني على حسب
ما أخبرتك ، فقال :

نحن قلوصي (١) في معد وإنا تلاقى الربيع في ديار بني ثعل
وابقى الليالي من عدي بن حاتم حساماً كنعنصل السيف سلّ من الخلل
ابوك جواد لا يشق غباره وأنت جواد ليس تعذر بالعلل
قال له عدي : أمسك لا يبلغ مالي أكثر من هذا - انتهى .

(قال المؤلف :) وعدي هذا هو الذي قال في مدحه رؤبة

ابن المجاج :

بأبه اقتدى عدي في الكرم ومن يشابه أبه فما ظلم
وقد استشهد ابن مالك في الفيته بهذا البيت في الأسماء الستة ،
وان أباً وأخاً وحماً لها استعمالان أحدهما عدم النقص بأن يقال « هذا
أبوك وأخوك وحموك » وهو الأفضح والأشهر ، والاستعمال الآخر
النقص ، بأن يقال : « جاءني ابك واخك وحمك » وهذا نادر ، وان

- خلوت به - البيت » وكان هجاءاً وبسبب ذلك ضربه زميل بن أم دينار
الفزاري قريب المدينة ، في خبر طويل . ومات من جرحه في المدينة في
خلافة عثمان ، مات ابن دارة نحو سنة ٣٠ هـ - ٦٥٠ م .

(الأعلام : ١١٦/٣)

(١) القلوص بفتح القاف وضم اللام : الشابة من الأبل ، جمعها قلائص

وقلاص ، وقلص .

ورد في بعض اللغات ، وعلى هذه اللغة ورد قول الشاعر « بأبه اقتدى
 - البيت » . والصحيح المشهور بأبيه الى آخر البيت :
 وعدي بفتح العين وكسر الدال وتشديدها مع الياء ، لغة ، القبيلة أو
 الجماعة من القوم يمدون القتال - انتهى .

قال صاحب تنقيح المقال : عدّه الشيخ الطوسي في رجاله من
 اصحاب رسول الله ﷺ ، وأخرى بزيادة الطائي من اصحاب امير المؤمنين
 عليه السلام ، وعدّه الكشي من السابقين الأولين الذين رجعوا الى
 أمير المؤمنين ﷺ ، وفد على النبي ﷺ سنة تسع في شعبان وقيل
 سنة عشر فأسلم وكان نصرانياً ، فحسن اسلامه وثبت عليه ولم يرتد (١)
 وثبت قوله معه ، وكان جواداً شريفاً في قومه ، معظماً عندهم وعند
 غيرهم ، حاضر الجواب ، وكان رسول الله ﷺ يكرمه إذا
 دخل عليه .

وحكي أنه كان يقول : ما دخل علي وقت الصلاة إلا وأنا
 مشتاق اليها ، سكن الكوفة وكان منحرفاً عن عثمان ، وكان يوم
 (الجمل) مع علي ﷺ وفتقت عينه وقتل ابنه محمد ، وشهد (صفين)
 أيضاً مع علي ﷺ وله بها مواقف شكرها له علي ﷺ ، وكانت

(١) اراد بذلك ما اشارت اليه الآية المباركة من قوله تعالى : ﴿ وما
 عهد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفأن مات او قتل انقلبتم على
 اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين ﴾
 فدلّت على ارتداد جماعة من المسلمين ، وان عدوا واصحابه ممن ثبتوا
 على الايمان .

راية قضاة وطيه معه ، وهو الأمير عليهم ، وصحب بمد علي عليه السلام
ولده الحسن عليه السلام وقام معه بالحرب ، وهو الذي ألبّ (١) على القتال
معه ولازمه الى زمان الصلح ، واني اعتبره على جانب عظيم من
الوثاقة والوجاهة ، مات بالسكوفة سنة ٦٨ هـ - ٦٨٧ م أيام المختار .
(الأعلام : ٨/٥ ، تنقيح المقال : ٢/٢٥٠ ، العقد الفريد : ١/١٥٧)

(١) ألب القوم بالتشديد : جمعهم وحرصهم .

الفصل الثاني

في ذكر سجية الوفاء التي اتصف بها الطائي الذي نزل النعمان بن منذر ضيفاً عنده ، حينما وفي بوعده وجاءه بمد عام ، وان هذه السجية والصفة ، من أبرز صفات العرب المحمودة ، لذلك يقول شاعر العلماء ، وعالم الشعراء ، المجاهد الكبير آية الله المرحوم السيد محمد سعيد الحبوبي في إحدى موشحاته مخاطباً العرب من حيث اتصافهم بهذه الصفة :

الوفا يا عرب - يا أهل الوفا - لا تخونوا عهد من لم يخن

لا تقولوا صدّ عنا وجفا عندكم روجي وعندني بدني (١)

والى القارىء الكريم ما نطق به القرآن المجيد من الآيات المقدسة في الوفاء ، وما نظم فيه شعراً ، وما قيل فيه نثراً ، وما دون فيه قصصاً ، وذكر من اشتهر بالوفاء من العرب حتى صار للمثل مضرباً .
(أما الآيات القرآنية) الواردة في الوفاء فهي :

قوله تعالى : ﴿ والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرون في البأساء

والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ .

(البقرة : ١٧٧)

(١) ديوان الحبوبي : ٣٤ .

وقوله تعالى : ﴿ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ﴾

(المؤمنون : ٨)

وقوله تعالى : ﴿ يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم
وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وأياي طارهبون ﴾ .

(البقرة : ٤٠)

وقوله تعالى : ﴿ بلى من أوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين ﴾

(آل عمران : ٧٦)

وقوله تعالى : ﴿ وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ﴾

(الأنعام : ١٥٢)

وقوله تعالى : ﴿ ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن
لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة
والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم
به وذلك هو الفوز العظيم ﴾ .

(التوبة : ١١١)

وقوله تعالى : ﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد
توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً ان الله يعلم ما تعملون ﴾ .

(النحل : ٩١)

وقوله تعالى : ﴿ والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون
ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم
سوء الدار ﴾ .

(الرعد : ٢٥)

وقوله تعالى : ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى

يبلغ أشده واوفوا بعهد الله إن العهد كان مستولاً ﴿ .

(الأَسْرَاءُ : ٣٤)

وقوله تعالى : ﴿ ثم ليقضوا تعهدهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا

بالبيت العتيق ﴾ .

(الحج : ٢٩)

وقوله تعالى : ﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق

أيديهم فمن نكث فإننا ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتیه
أجرًا عظيمًا ﴾ .

(الفتح : ١٠)

وقوله تعالى : ﴿ وإبراهيم الذي وفى ﴾ .

(النجم : ٣٧)

وقوله تعالى : ﴿ يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً ﴾ .

(الذهر : ٧)

(وأما ما نظم فيه شعراً) فهو ما يأتي :

قال أبو تمام :

إذا قلت في شيء نعم فأتته فإن نعم دين على الحر واجب
وإلا فقل لا تسترح وترح بها لئلا يقول الناس إنك كاذب
وقال الآخر :

ولقد وعدت وأنت أكرم واعد لا خير في وعد بغير تمام
أنعم علي بها وعدت تكرماً فالمطل يذهب بهجة الانعام
وقال الآخر :

لئن جمع الآفات فالبخل شرها وشر من البخل المواعيد والمطل

ولا خير في وعد اذا كان كاذباً ولا خير في قول إذا لم يكن فعل

(مجاني الأدب : ١١٠/٣)

ومدح بشار خالد بن برمك فأمر له بعشرين ألفاً ، فأبطأت عليه
فقال لقيامه : اقني حيث يمر فأقامه فر ، فأخذ بلجام بغلته وأنشأ يقول :

أظلت علينا منك يوماً سحابة أضاء لها برق واطلا رشاشها
فلا غيمها يجلي فيأبس طامع ولا غيمها يأتي فتروى عطاشها

فقال لا نبرح حتى تؤثني بها .

وقال الآخر :

تمجيل وعد المرء الكرومة تنشر عنه أطيب الذكر

والحر لا يطل معروفه ولا يليق المطل بالحر

وقال الآخر :

لعبدك وعد قد تقدم ذكره فأوله حمد وآخره شكر
وقد جمعت فيك المكارم كلها فالك عن تأخير مكرمة عذر

وقال الآخر :

وميعاد الكريم عليه دين فلا تزد الكريم على السلام

ينكره سلامك ما عليه ويعنيك السلام على الكلام

وقال الآخر :

شكاك لساني ثم أمسكت نصفه فنصف لساني بامتداحك ينطق
فان لم تنجز ما وعدت تركتني وبقي لساني بالمدمة مطلق

وقال الآخر :

بات لوعدك عيني غير راقدة والليل حي الدياجي منبت السحر

هذا وقد بت من وعد على ثقة فكيف لو بت من هجر على حذر

وقال الآخر :

سقى الله أطلال الوفاء بكفه فقد درست أعلامه ومنازله

وقال الآخر :

أشدد يدك بمن بلوت وفاءه إن الوفاء من الرجال عزيز

(المستطرف : ١٩٨/١)

وقال بعض الشعراء في أهل زمانه :

ذهب الوفاء ذهاب أمس الذاهب فالناس بين مخالف وموارب

يفشون بينهم المودة والصفاء وقلوبهم محشوة بمقارب

وقال زياد الأعجم :

لله درك من فتى لو كنت تفعل ما تقول

لا خير في كذب الجوا د وجبذا صدق البخيل

(مجانى الأدب : ١٠٤/٢)

ومن راجع كتب الأدب والتواريخ يجدها مملوءة بأشعار العرب

وحكاياتهم الدالة على اعتنائهم بالوفاء بالعهد ، وذمهم لصفة الغدر ،

واهتمامهم بأمر الصدق في القول ، وعدم نقض العهود ، وذم الغدر

والنقض لخلاف القول ، ونحن نكتفي بما ذكرناه من الشعر ، حذراً من

الاطناب والأسهاب المخل .

(وأما ما قيل في الوفاء نثراً) فهو ما يلي :

قالوا :

من اتخذ الوفاء شعاراً آمنه عقوبة الغادرين ، ومن

ارتدى برداء الغدر أبقى له سوء ذكر في الآخرين ، ومن عامل الناس

بالوفاء قولاً وفعلًا فقد استخدم أسنة الشاكرين .

وقالوا :

من غدر في عهده وأخلف في وعده ونقض عرى عقده «
فقد قضى على نفسه بخسة ارومته (١) وسوء عقيدته وقسلة مروءته ،
وترك له بين الناس ذكراً قبيحاً وسمعة سيئة ، وزهد الناس فيه وقررت
القلوب عنه .

(العقد الفريد للملك السعيد : ٩٤)

وقالوا :

من تحلى بالوفاء وتخلّى عن الجفاء فذلك من اخوان الصفاء .

وقالوا :

الوفاء ضالة كثير ناشدها ، قليل واجدها ، كما قيل : الوفاء من
شيم الكرام ، والغدر من خلائق اللئام .

وقالوا :

وعد الكريم نقد ، ووعد اللئيم تسويق .

وقال عمر بن الحارث :

كانوا في قديم الزمان يفعلون ولا يقولون ، ثم صاروا يقولون
ويفعلون ، ثم صاروا يقولون ولا يفعلون .

(جاني الأدب : ١٠٤/٢)

وقال رسول الله ﷺ لما سئل عن صفات المنافق : إذا طاهد
غدر ، فالوفاء من شيم النفوس الشريفة ، والأخلاق الكريمة ، والخلل
الحميدة ، يعظم صاحبه في العيون ، وتصديق فيه خطرات الظنون ، ويحل
بين الناس في رتب أهل الكرامة ، ويحل أن يقارن مواقف الندامة ،

(١) الأرومة : اصل الشجرة .

وأن ينصب له لواء الغدر يوم القيامة .

(العقد الفريد للملك الصميد : ٧٧، المستطرف : ١/١٩٨)

وقال رسول الله ﷺ :

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليوف إذا وعد .

وقال أبو عبدالله الصادق عليه السلام :

عدة المؤمن أخاه نذر لا كفارة له ، فمن أخلف فبخلف الله بدأ ،

ولمقته تعرض .

وفي خبر آخر عنه عليه السلام قال :

ثلاثة لم يجعل الله لأحد من الناس فيهن رخصة - وعدّ منها

الوفاء بالعهد .

(لثالثي الاخبار : ٢/٢٢٠)

وقيل :

إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ودوام عهده فانظر الى حنينه

الى أوطانه ، وتشوقه الى إخوانه ، وكثرة بكائه على ماضى من زمانه .

(المستطرف : ١/٢٠٣)

وقيل :

الوفاء من كرم السجايا ، والغدر من لؤم الطباع ، فن عرف بالوفاء

خصته القلوب بصدق الوداد وكسته الأئمن مطارف الاحقاد ، ومن عرف

بالغدر عومل بالمقت والابعاد ، واتسم باقمح السمات بين العباد .

(العقد الفريد للملك الصميد : ٩٣)

(وأما ما دون في الوفاء قصصاً وحكاية) فهو كثير ونحن قد اخترنا

بعض ما وقفنا عليه :

(١) منها (حكاية الشيخ الذي يبكي البرامكة) :

قال خادم المأمون العباسي : طلبني الخليفة المأمون ليلة وقد مضى من الليل ثلثه ، فقال لي : خذ معك فلاناً وفلاناً وسماها - أحدهما علي ابن محمد ، والآخر دينار الخادم - واذهب مسرعاً لما أقوله لك ، فانه قد بلغني أن شيخاً يحضر ليلاً الى دور البرامكة ، وينشد شعراً ويذكرهم ذكراً ويندبهم ويبكي عليهم ثم ينصرف ، فامض الآن أنت وعلي ودينار حتى تروا هذه الخرابات ، فاستتروا خلف بعض الجدران ، فاذا رأيتم الشيخ قد جاء وبكى وندب وأنشد شيئاً فأنتوني به .

قال : فأخذتها ومضينا حتى أتينا الخرابات ، وإذا نحن بفلام قد أتى ومعه بساط وكرسي حديد ، وإذا شيخ وسيم له جمال وعليه مهابة ووقار قد أقبل فجلس على الكرسي ، وجعل يبكي ويفتحب ويقول :

ولما رأيت السيف جندل جعفرأ ونادى مناد للخليفة في يحيي

بكيت على الدنيا وزاد تأسفي عليهم وقلت الآن لا تنفع الدنيا

مع أبيات أطالها ورددتها ، فلما فرغ قبضنا عليه وقلنا له : أجب

الأمير . ففزع فزعاً شديداً ، وقال : دعوني حتى أوصي وصية فأنى لا أوقن بعدها بحياة .

ثم تقدم الى بعض الدكاكين فاستفتح وأخذ ورقة وكتب فيها -

وصية ودفعها الى غلامه ، ثم سرنا به ، فلما مثل بين يدي المأمون زجره ، وقال له : من أنت وبماذا استوجبت البرامكة منك ما تفعله في

خرايب دورهم وما تقوله فيها ؟ قال الخادم : ونحن وقوف نسمع . فقال :
يا أمير ان للبرامكة عندي أيادي خطيرة ، أفتأذن لي أن أحدثك حديثي
معهم ؟ قال : قل .

قال : يا أمير أنا المنذر بن المغيرة من أولاد الملوك ، وقد زالت
عني نعمتي كما تزول عن الرجال ، فلما ركبي الدين واحتجت الى بيع
مسقط رأسي ورؤوس أهلي ، أشاروا علي بالخروج الى البرامكة ، فخرجت
من دمشق ومعني نيف وثلاثون امرأة وصديقاً وصديبة وليس معنا مايباع
ولا ما يوهب ، حتى دخلنا بغداد ونزلنا في بعض المساجد ، فدعوت
بثوبيات لي كنت قد أعددتها لاستمنح بها الناس ، فلبستها وخرجت
وتركتهم جياعاً لا شيء عندهم ، ودخلت شوارع بغداد أسأل عن
دور البرامكة ، فإذا أنا بمسجد مزخرف وفيه مائة شيخ بأحسن زي
وزينة وعلى الباب خادمان ، فطعمت في القوم وولجت المسجد وجلست
بين أيديهم وأنا أقدم وأوخر والعرق يسيل مني لأنها لم تكن صناعتي ،
وإذا بخادم قد أقبل فدعا القوم فقاموا وأنا معهم ، فدخلوا دار يحيى
ابن خالد ودخلت معهم ، وإذا يحيى جالس على دكة له في وسط بستان
فسلمنا وهو يعدنا مائة وواحداً وبين يديه عشرة من ولده ، وإذا غلام
أمرده عذاراه خداه ، قد أقبل من بعض المقاصير بين يديه مائة خادم
منطلقون في وسط كل خادم منطقة من ذهب يقرب وزنها من الف
مثقال ، ومع كل خادم ججرة من ذهب في كل ججرة قطعة من عود
كهيفة القمر وقد قرن بها مثلها من العنبر السلطاني ، فوضعه بين يدي
الغلام ، وجلس الغلام الى جنب يحيى .

ثم قال يحيى للقاضي : تكلم وزوج بنتي عائشة من ابن عمي هذا

نخطب القاضي وزوجه وشهد اولئك الجماعة ، وأقبلوا علينا بالنثار بينادق المسك والعنبر ، فالتقطت والله يا أمير مليء كمي ، فنظرت وإذا نحن في المكان ما بين يحيى والمشايع وولده واللام مائة واثنا عشر رجلا ، فخرج الينا مائة واثنا عشر خادماً ، مع كل خادم صينية من فضة عليها الف دينار ، فوضعوا بين يدي كل رجل منا صينية ، فرأيت القاضي والمشايع يصبون الدنانير في اكمامهم ويجعلون الصواني تحت آباطهم ويقوم الأول فالأول حتى بقيت وحدي بين يدي يحيى ، لا أجسر على أخذ الصينية فغمزني الخادم فجسرت وأخذتها وجعلت الذهب في كمي وأخذت الصينية في يدي وقت وجعلت ألتفت الى ورأى مخافة أن منع من الذهاب .

فبينما أنا كذلك في صحن الدار ويحيى يلحظني إذ قال للخادم : أتتني بذلك الرجل . فرددت اليه فأمر بصب الدنانير والصينية وما كان في كمي ثم أمرني بالجلوس فجلست ، فقال : بمن الرجل ؟ فقصصت عليه قصتي . فقال للخادم : اتتني بولدي موسى ، فأتى به فقال له : يا بني هذا رجل غريب نخذة اليك واحفظه بنفسك وبنعمتك ، فقبض موسى على يدي وأدخلني الى دار من دوره ، فأكرمني غاية الاكرام وأقت عنده يومي وليلي في ألد عيش وأتم سرور .

فلما أصبح دعا بأخيه العباس وقال : ان الوزير قد أمرني بالمطف على هذا الرجل وقد علمت اشتغالي في دار الأمير فأقبضه اليك واكرمه . ففعل ذلك وأكرمني غاية الاكرام ، فلما كان من الغد تسلمني أخوه احمد ، ثم لم أزل في يد القوم يتداولوني عشرة أيام لا أعرف خبر عيالي وصبياني أفي الأموات هم أم في الأحياء ، فلما كان اليوم الحادي عشر جاءني خادم ومعه جماعة من الخدم فقالوا لي : قم فأخرج

الى عيالك بسلام . فقلت : واويلاه سلبت مني الدنانير والصفية وأخرج
الى عيالي على هذه الحالة ﴿ انا لله وانا اليه راجعون ﴾ فرفع الستر الاول
ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع ، فلما رفع الخادم الستر الاخير قال لي :
مها كان لك من الخوانج طارفعها إليّ طاني مأمور بقضاء جميع ما تأمرني
به ، فلما رفع الستر رأيت جرة كالشمس حسناً ونوراً ، واستقبلني منها
رائحة الند والعود ونفحات المسك وإذا بصبياني وعيالي يتقبلون في الحرير
والديباج ، وحمل إلي الف الف درهم وعشرة آلاف دينار ومدشورين
بضيعتين وتلك الصيفية التي كنت أخذتها بما فيها من الدنانير والبناقد .

وأقت يا أمير مع البرامكة في دورهم ثلاث عشر سنة لا يعلم الناس
أمن البرامكة أنا أم رجل غريب اصطفوني ، فلما جاءت البلية ونزل بهم
من أمير المؤمنين الخليفة هارون الرشيد ما نزل أجدفني عمرو بن مسعدة والزمني
في هاتين الضيعتين من الخراج ما لا يفي دخلها به ، فلما تحامل علي
الدهر كنت في آواخر الليل أقصد خرابات القوم فأندبهم وأذكر حسن
صنيعهم الي وأشكرهم على احسانهم .

فقال المأمون : علي بعمرو بن مسعدة ، فلما اتى به قال له :
يا عمرو أتعرف هذا الرجل ؟ قال : نعم يا أمير هذا بعض صنائع البرامكة .
قال : كم أزمته في ضيعة ؟ قال : كذا وكذا . قال : رد له ما استأديته
منه في مدته ووقع له بها ليكونا له ولمقبه من بعده .

قال الخادم : فلما نحيب الرجل وبكاؤه ، فلما رأى المأمون كثرة
بكائه قال له : يا هذا قد احسنا لك فلم تبكي ؟ قال : يا أمير وهذا
ايضا من صنائع البرامكة ، إذ لو لم آت خراباتهم فأبكيهم وأندبهم حتى
اتصل خبري بالامير ففعل ما فعل فمن أين كنت اصل الى الامير ؟

قال ابراهيم بن ميمون : فلقد رأيت المأمون وقد دمت عيناه
وظهر عليه حزنه ، وقال : لعمرى هذا من صنائع البرامكة ، فعليم فابك
وايام فاشكر ولهم فأوف ولاحسانهم فاذا كر .

(العقد الفريد للملك الصعيد : ٨٨ ، المستطرف : ٢٠١/١)

(٢) ومنها حكاية المنصور مع رجل من بطانة هشام بن عبد الملك :

روي ان المنصور كان متطلماً الى الاحاطة بأمر الناس عموماً ،
والى معرفة أحوال بني امية خصوصاً ، فبلغه ان من مشايخ اهل الشام
شيخاً معروفاً ، وكان بطانة لهشام بن عبد الملك بن مروان ، فأرسل
اليه المنصور واحضره بين يديه وسأله عن تدبير هشام في حروبه مع الخوارج ،
فوصف له الشيخ ما دبر ، وقال : فعل رحمه الله كذا وكذا ودبر كذا وكذا
فقال له المنصور : قم عليك لعنة الله تطأ بساطي وترحم على عدوي .
فقال الرجل - وهو مؤل يربد الخروج - : ان نعمة عدوك لقلادة في
عنقي لا ينزعها إلا غاسلي . فلما سمعه المنصور قال : ردوه . فلما رجع
قال : يا امير ان اكثر الناس لثوماً من لم يجعل دعاه لمن احسن اليه
وتناه عليه وحمده المعروفه عنده وفاءاً له ، ولو امكنتني القدر واقدرتني
القضاء على الوفاء لهشام بأكثر من ذلك لوجدني الامير وافيّاً له به .
فقال له المنصور : ارجع يا شيخ الى تمام حديثك ، اشهد انك
نبيض حر وولد رشده .

ثم اقبل المنصور على حديثه الى ان فرغ ، فدعا المنصور بمال

وكسوة ، وقال : خذ هذا صلة منك ، فأخذ ذلك وقال : والله يا أمير ما بي من حاجة ، ولقد مات عني من كنت في ذكره فما احوجني الى وقوفي على باب أحد بعمه ، ولولا جلالة الامير ولزوم طاعته واشاري أمره لما لبست نعمة أحد بعمه . فقال المنصور : الله أنت لو لم يكن لقومك غيرك لكنت أبقيت لهم ذكراً مخلداً ومجدداً باقياً بوفاك لمن أحسن اليك . ثم أوصى المنصور برعاية اموره وقضاء حوائجه ، وصار يذكره في خلواته ويستحسن ما صدر منه .

(العقد الفريد للملك السعيد : ٨٧ ، المستطرف : ٢٠٤/١)

(٣) ومنها حكاية سليمان بن عبد الملك مع المرأة :

روي ان سليمان بن عبد الملك خرج ومعه يزيد بن المهلب في بعض جباين الشام (١) ، فاذا امرأة جالسة على قبر تبكي . قال سليمان : فرفعت البرقع عن وجهها فحكّت شمساً عن متون غمامة ، فوقفنا متحيرين ننظر اليها ، فقال لها يزيد بن المهلب : يا أمة الله هل لك في الأمير بملا ؟ فنظرت الينا ثم انشأت تقول :

فان تسألاني عن هواي فانه يحول بهذا القبر يا فتيتاني
واني لأستحييه والترب بيننا كما كنت أستحييه وهو يراني

(نهاية الأرب : ٣/٢٤٢ ، المستطرف : ٢٠٤/١)

(١) الجبابة بفتح الجيم والباء مع التشديد : المقبرة جمعها جبا بين .

(٤) ومنها حكاية هدبة بن الخشرم وزوجته (١) :

قال الراوي : لما قدم هدبة بن الخشرم للقتل بحضرة مروان ابن الحكم قالت زوجته : ان لهدبة عندي وديعة ، فأمله حتى آتيك

(١) هدبة بضم الهاء وفتح الباء : هو ابن خشرم بن كرز ، من بني عامر بن ثعلبة ، من سعد هذيل من قضاة ، شاعر فصيح مرتجل ، راوية من اهل بادية الحجاز (بين تبوك والمدينة) كنيته ابو عمير ، وهو القائل :
«عسى الكرب الذي امسيت فيه يكون وراة فرج قريب»

واكثر ما بقي من شعره ما قاله في اواخر حياته بعد ان قتل رجلا من بني رقاش ، من سعد هذيل اسمة « زيادة بن زيد » في خبر طويل خلاصته : إن زيادة كان شاعراً ايضاً ، وتهاجيا ، ثم تقاتلا ، فقتله هدبة وابتعد عن منازل قومه ، مخافة ان يقبض عليه والي المدينة (سعيد بن العاص) وارسل سعيد الى اهل هدبة فحبسهم بالمدينة . وبلغ هدبة ذلك فأقبل مستسلها واتخذ اهله ، وقي محبوسا ثلاث سنوات ، ثم حكم بتسليمه الى اهل المقتول ليقتصوا منه ، فاخرج من السجن وهو موثق بالحديد ، ودفع اليهم ، فقتلوه امام والي المدينة وجمهور من اهلها ، واطهر صبراً عجيباً حين قتل وار تجل في السجن وبين يدي قاتليه شعراً كثيراً . قال مروان بن ابي حفصة : كان هدبة اشعر الناس حين السجن الى ان اعيد منه . قتل نحو سنة ٥٠ هـ الموافق نحو سنة : ٦٧ م .

(الأعلام : ٦٩/٩)

بها . فقال : إسرعي فإن الناس قد كثروا ، وكان مروان قد جلس لهم بارزاً عن داره ، فضمت الى السوق وأتت الى قصاب ، فقالت : اعطني شفرتك وخذ هذين الدرهمين وأنا أردّها عليك ، فأخذتها وقربت من حائط وأرسلت مدحفتها على وجهها ثم جدعت انقها من أصله ، وقطعت شفيتها ، وردت الشفرة الى القصاب ثم أقبلت حتى دخلت بين الناس ، فقالت : أتراني ياهدبة متزوجة بعدما ترى ؟ فقال : الآن طابت نفسي بالموت ، فجزاك الله من حليلة وفيه خيراً .

(المستطرف : ١ / ٢٠٥)

(٥) ومنها حكاية الشابين مع قاتل أبيهما :

حكى أنه بينما كان عمر بن الخطاب جالساً في بعض الأيام وعنده اكابر الصحابة وأهل الرأي والأهابة ، إذ أقبل شاب من أحسن الشباب نظيف الأنواب يكتنفه شابان من أحسن الشباب ايضاً ، وقد جاذباه وسحباه وأوقفاه بين يدي عمر بن الخطاب ولبّياه ، فلما وقفوا بين يديه نظر اليها واليه ، فقالا : يا أيها الخليفة نحن اخوان شقيقان جديران باتباع الحق حقيقان ، كان لنا أب شيخ كبير حسن التدبير معظم في قبائله منزّه عن رذائله ، معروف بفضائله ، ربانا صغاراً وأولانا متناً غزيراً كما قيل في المعنى :

لنا والد لو كان في الناس مثله أب آخر اغنّام بالناقب
نفرج اليوم الى حديقة له يتزّه في اشجارها ويقتطف يانع اثمارها ،

فقتله هذا الشاب وعدل عن طريق الصواب ، فذسألك القصاص عما جناه
والحكّم فيه بما أمرك الله فيه .

قال الراوي : فنظر عمر الى الشاب وقال له : قد سمعت فما الجواب ؟
والغلام مع ذلك ثابت الجنان خال من الاستيحاء ، قد خلع ثياب الملع
ونزع لباس الجزع ، فتبسم عن مثل الجنان وتكلم بأفصح لسان ،
وحيا بكلمات حسان ، ثم قال : يا أمير لقد وعيا فيما ادعيا ، وصدقا
فيما نطقا ، واخيرا بما جرى ، وعبرا عما طرا ، وسأنتهي قصتي بين
يديك ، والامر فيها اليك :

اعلم اني عريم من العرب العرباء ، نبت في منازل البادية ،
وصبحت علي أسود السنين العادية ، فأقبلت الى ظاهر هذا البلد بالاهل
والمال والولد ، فأفضت بي بعض طرائقها الى المسير بين حدائقها بنياق
الي حبيبات علي عزيزات ، بينهن فحل كريم الاصل ، كثير الفسل مليح
الشكل حصن التناج ، يمشي بينهن كأنه ملك عليه تاج ، فذنت التوق
الى حديقة قد ظهر من الحائط شجرها فتناولتها بمشغرها فطردها عن تلك
الحديقة ، فاذا شيخ قد ظهر ، وتسور الحائط وزفر ، في يده اليمنى
حجر ، يتمادى كالليث اذا خطر ، فضرب الفحل بذلك الحجر فأصاب
مقتله وأباده ، فلما رأيت الفحل سقط لجنبه وانقلب ، توقدت في جرات
الغضب ، فتناولت ذلك الحجر بعينه فضربت به ، فكانت سبب حينه ،
ولقي سوء منقلبه ، والمرء مقتول بما قتل به ، بمد أن صاح صيحة
عظيمة ، وصرخ صرخة ألمية ، فأسرفت هاربا من مكاني ، فلم اكن
بأسرع من هذين الشابين فأمسكاني واحضرائني كما ترائي .

قال عمر : قد اعترفت بما اقترفت وتمعذر الخلاص ووجب القصاص

ولات حين مناص .

فقال الشاب : سمعاً وطوعاً لما حكم الامام ، ورضيت بما اقتضته
شريعة الاسلام ، ولكن لي أخ صغير كان له أب خبير ، خصه قبل
وفاته بمال جزيل وذهب جليل ، واحضره بين يدي ، وسلم أمره إلي ،
وأشهد الله علي ، وقال : هذا لأخيك عندك ، فاحفظه جهديك ،
فاتخذت لذلك مدفنأ ، ووضعته فيه ، ولا يعلم به أحد إلا أنا ، فلن
حكمت الآن بقتلي ذهب الذهب ، وكنت أنت السبب ، وطالبك الصغير
بحقه ، يوم يقضي الله بين خلقه ، وان انتظرتني ثلاثة أيام اقت من
يتولى أمر الغلام ، وعدت وافيأ بالذمام ، ولي من يضمنني على هذا
الكلام .

فأطرق عمر ساعة ثم نظر الى من حضر وقال : من يقوم على
ضمانه والموود الى مكانه ؟ قال : فنظر الغلام الى وجوه أهل المجلس
الناظرين ، وأشار الى أبي ذر دون الحاضرين ، وقال : هذا يكفلني ،
وهو الذي يضمنني . فقال عمر : أتضمنه يا أبا ذر على هذا الكلام ؟ قال :
نعم أضمنه الى ثلاثة أيام ، فرضي الشابان بضمان ابي ذر ، وأنظراه
ذلك القدر .

فلما انقضت مدة الامهال ، وكاد وقتها يزول أو زال ، حضر
الشابان الى مجلس عمر وأبو ذر قد حضر والحصم يفتظر . فقالا : أين
الغريم يا أبا ذر وكيف يرجع من قد فر ، فلا نبرح من مكاننا حتى تفي
بضماننا ؟ فقال أبو ذر : وحق الملك العلام ، ان انقضى تمام الايام ولم
يحضر الغلام وفيت بالضمان ، وأسلمت نفسي وبالله المستعان .

فقال عمر : والله ان تأخر الغلام لأمضين في ابي ذر ما اقتضته

شريعة الاسلام ، فهملت عبرات الحاضرين ورفضت زفرات الناظرين ، وعظم الضجيج وتزايد النشيج ، فعرض كبار الصحابة على الشابين أخذ الدية واغتنام الأئمية ، فأصرأ على عدم القبول وأبيا إلا الأخذ بشار المقتول .

فبينما الناس يموجون تلهفاً لما مرّ ، ويصيحون تأسفاً على أبي ذر ، إذ أقبل الغلام ووقف بين يدي الامام وسلم عليه بأتم سلام ، ووجهه يتهلل مشرقاً ويتكامل عرقاً ، وقال : قد اسلمت الصبي الى اخوالي ، وعرفتهم خفي احوالي ، واطلعتهم على مكان ماله واموالي ، ثم اقتحمت هاجرات الحر ووفيت وناه الحر الأغر .

فمجب الناس من صدقه ووفائه ، واقدامه على الموت واجترائه ، فقال : من غدر لم يعف عنه من قدر ، ومن وفى رحمه الطالب وعفا ، وتحققت ان الموت إذا حضر لم ينبج منه احتراس ، وبادرت كي لا يقال ذهب الوفاء من الناس .

فقال أبو ذر : والله يا أيها الخليفة لقد ضمنت هذا الغلام ولم أعرفه من أي قوم ، ولا رأيته قبل ذلك اليوم ، ولكنه نظر الى من حضر فقصدني ، وقال : هذا يضممني ، فلم استحسن رده وأبت المروءة أن تحيب قصده ، إذ ليس في اجابة القصد من بأس ، كي لا يقال : ذهب الفضل من الناس .

فقال الشابان عند ذلك : يا أمير قد وهبنا لهذا الغلام دم أبنينا ، فلتبدل وحشته بايناس كي لا يقال : ذهب المعروف من الناس .

فاستبشر الامام بالعمو عن الغلام ، وعجب من صدقه ووفائه ، واستغزر مروءة أبي ذر دون جلسائه ، واستحسن اعتماد الشابين في

اصطناع المعروف ، واثني عليها أحسن ثناء وتمثل بهذا البيت :
من يصنع الخير لم يعدم جوائزَه لا يذهب العرف بين الله والناس
ثم عرض عليها الخليفة أن يصرف لها من بيت المال دية ابيها ،
فقالا : يا أمير انما عفونا عنه ابتغاءاً لوجه الله ، ومن بيته كذا لا يتبع
احسانه مناً ولا أذى .

(مجانى الأدب : ٤ / ٢٣٠)

(قال المؤلف) : ما أشبه هذه القصة بقصة الطائي مع النعمان بن المنذر
في الوفاء التي بأيدينا قصتها ، وهي التي كانت سبباً لمضرب المثل وهو
قوله « إن غداً لناظره قريب » ، وضمان ابي ذر رضوان الله تعالى عليه
للغلام هنا كضمان قراد بن اجدع لحنظلة ووفائه هناك .

(٦) ومنها حكاية العباس صاحب شرطة المأمون ورجل من أهل دمشق:

روي أن العباس صاحب شرطة المأمون العباسي قال : دخلت الى
مجلس المأمون ببغداد وبين يديه رجل مكبل بالحديد ، فقال لي : يا عباس
خذ هذا اليك ، واستوثق منه واحفظه ولا يفتك وبكر به الي ، واحذر
عليه كل الحذر .

قال العباس : فدعوت جماعة حملوه ولم يقدر أن يتحرك ، فقلت
في نفسي مع هذه الوصية التي أوصاني بها الخليفة من الاحتفاظ به ما يجب
إلا أن يكون معي في بيتي ، فلما تركوه في مجلس لي في داري اخذت
أسأله عن قصته وحالته ومن أين هو ؟ فقال : أنا من دمشق . فقلت :

جزى الله دمشق وأهلها خيراً ، فمن أنت من أهلها ؟ قال : لا تزيد أن تسألني . فقلت له : أتعرف فلاناً ؟ فقال : ومن أين تعرف ذلك الرجل ؟ قلت : كانت لي معه قصة . قال : ما أنا ممن يعرفك خبره حتى تعرفني قضيتك معه .

فقلت : ويحك كنت مع بعض الولاة بدمشق فشغب أهلها وخرجوا علينا حتى ان الوالي تدلى في زنبيل من قصر حجاج فهرب هو وأصحابه وهربت في الجملة ، واني في بعض الدروب إذ أنا بناس يعدون خلفي فما زلت أعدو قدامهم وفتهم ، فررت بهذا الرجل الذي ذكرته لك وهو جالس على باب داره فقلت : أغثني أغاثك الله . فقال : لا بأس عليك ادخل الدار . فدخلت فقالت امرأته : ادخل الحجلة (١) فدخلتها وثبت الرجل على باب الدار ، فما شعرت إلا به وقد دخل الرجال معه يقولون : هو والله عندك . فقال : دونكم الدار ، ففتشوا الدار حتى لم يبق سوى الحجلة وامرأته فيها ، فقالوا : ههنا فصاحت بهم المرأة ونهرتهم فأنصرفوا ، وخرج الرجل ، فجلس على باب داره ساعة وأنا قائم ارجف في الحجلة خائف ، فقالت المرأة : اجلس لا بأس عليك ، فجلست فلم ألبث حتى دخل الرجل ، فقال : لا تخف قد صرف الله عنك شرهم وصرت الى الأمن والدعة انشاء الله تعالى . فقلت : جزاك الله خيراً .

ثم ما زال يماشرني أحسن معاشرة وأجملها يطعمني معه ، وافردني مكاناً من داره ولم يحوجني الى شيء ، وما يفتر عن تفقد حالي ، فدمت

(١) الحجلة بفتح الحاء والجيم : بيت يزين للعروس . الجمع حجال وحجل . وقولهم « المحجول لربات الحجال » معناه ان الخلاخيل للنساء .

عنده في أتم عيشة اربعة أشهر لا أظهر الى أن سكنت الفتنة وهدأت
وزال شرها وأثرها ، فقلت له : تأذن لي في الخروج حتى أتعرف بفلاني
فلملي أف منيهم على خبر أولهم أثر ؟ فأخذ علي الموائيق بالرجوع اليه
فخرجت وطلبت غاماني فلم أر لهم أثراً ، فرجعت اليه وأعلمته الخبر
وهو مع ذلك لا يعرفني ولا يعرف اسمي ولا يخاطبني إلا بالصكينة .
فقال لي : علام تعزم ؟ فقلت : قد عزمت على الشخصوس الى بغداد فان
القافلة بعد ثلاثة أيام تخرج ، وقد تفضلت علي هذه المدة ، ولك علي
عهد الله أني لا أنسى لك هذه اليد علي ولأ كافتنك بها مهما استطعت ،
واسألك أن تتم فعلك بأن تعطيني ما انفقته الى بغداد ، وألبسة الى أن
اصل الى موضعي ، فقال : يصنع الله خيراً . ثم قال لغلام له اسود :
أنمل الفرس الفلاني ، وتقدم الى من في داره باعداد سفرة ، فقلت في
نفسي : ما أشك في أنه يخرج الى ضيعة له أو ناحية من النواحي .

فوقعوا يومهم ذلك الى غد في كدّ وتعب ، فلما كان يوم خروج
القافلة جاني في السحر وقال : يا غلام قم فان القافلة تخرج الساعة وأكره
أن تنفرد عنها . فقلت في نفسي : ما اعطاني وما وثق بي ، ثم قت
فاذا هو وامرأته يحملان لي خفين جديدين ورائات معمولة وآلات
السفر ، ثم جاني بسيف ومنطقة فشدتها في وسطي ، ثم قدم بغلا تحمل
عليه صندوقين وفوقها مفرش ، ورفع الي نسخة ما في الصندوقين وفيها
خمسة آلاف درهم ، وقدم الي الفرس الذي انمله بسرجه ولجامه وقال :
اركب وهذا الغلام الأسود يخدمك ويعوق خيلك . وأقبل هو وامرأته
يمتذران من التقصير في أمرني ، وركب معي من يشيعني ، وانصرف
الى بغداد وأنا أتوقع خبره لأنني بمهدى له في مجازاته ومكافأته ، وتواصلت

خدمة باب الخليفة وأسفاره فلم أتفرغ لكثرة التنقل مع الخليفة من مكان الى مكان ، فلهذا أنا أسأل عنه .

فلما سمع الرجل الحديث قال : قد أمكنك الله تعالى من الوفاء له ومجازاته على فعله ومكافأته بصنعه بلا كلفة عليك ولا مؤنة تلزمك . فقلت : وكيف ذلك ؟ قال : أنا ذلك الرجل ، وأنا الضر الذي أنا فيه غير عليك ما عرفته مني . ثم لم يزل يذكر لي تفاصيل الأسباب وما يتعرف به الي حتى اثبت معرفته .

فما تمالكك أن قت وقبلت رأسه فقلت له : فما الذي أصارك الي ما أرى ؟ فقال : هاجت بدمشق فتنة مثل الفتنة التي كانت في أيامك ، فذهبت الي وبعث الخليفة بجيوش فاصلحوا البلد ، واخذت وضربت الي ان اشرفت على الموت وقيدت وبعث بي الي الخليفة ، وامري عنده غليظ وهو قاتلي لا محالة ، وقد اخرجت من اهلي بلا وصية ، وقد تبغني من غلمانى من ينصرف الي اهلي بخبري وهو نازل عند فلان ، فان رأيت ان تجعل من مكافأتك لي ان تبعث تحضره لي حتى أوصيه بما اريده واتقدم اليه بما يكون وصية مني لأهلي ، فان فعلت ذلك فقد جاوزت حد المكافأة وقت بوفائك بمهدك .

فقال العباس : يصنع الله خيراً . ثم احضر حداداً في الليل وأمره فخل قيوده ، وأزال ما كان عليه من انواع الانكال وادخله الي الحمام وألبسه من ثيابه ما يحتاج اليه ، ثم سير وأحضر غلامه ، فلما رآه جعل يبكي ويوصيه ، فاستدعى العباس نائبه وقال : علي بفرسي الفلاني والفرس الفلاني والبغل الفلاني والبغلة الفلانية حتى عد عشرة ثم من الصناديق عشرة ، والكسوة كذا وكذا ، ومن الطعام كذا

وكذا ، قال ذلك الرجل : واحضر لي بكرة عشرة آلاف درهم وكيساً فيه خمسة آلاف دينار ، وقال لنائبه في الشرطة بين يديه : خذهُ واعبر الى حدّ الأنبار . فقلت له : ان امري عظيم وذني عند الخليفة غليظ وان انت احتججت بأنى هربت بمث الخليفة في طلبي كل من في بابه فارد واقتل . فقال : لي انج بنفسك ودعني أدبر امري . فقلت : والله لا ابرح من بغداد حتى اعلم ما يكون من خبرك ، فان احتججت الى حضوري حضرت . فقال لصاحب أمره : ان كان الأمر على ما يقول فليكن في موضع كذا ، فان أنا سلمت في غداة غد أعلمه وان انا قتلت لكنت قد وقيتهُ بنفسِي كما وقأني بنفسه ، وانشدك الله ان لا يذهب من ماله ما قيمته درهم ويجتهد في اخراجه من بغداد .

قال الرجل : فاخذني صاحب الشرطة وصيرني في مكان أثق به وتفرغ العباس لنفسه فاغتسل وتحنط وتكفن .

قال العباس : فلم افرغ من صلاة الصبح إلا ورسل المأمون في طلبي يقولون : إن الخليفة يقول لك هات الرجل معك وقم .

قال : فأتيت الدار واذا بالمأمون جالس وعليه ثيابه امام فراشه قال : أين الرجل : فسكت . فقال : ويحك الرجل . فقلت : يا امير إسمع مني . فقال : اعطي الله عهداً انن ذكرت انه هرب لأضربن عنقك . فقلت : يا امير ما هرب واسمع حديثي وحديثه ثم انت اعلم وما تفعله في امري . قال : قل . فقلت : يا أمير كان من حديثي معه كذا وكذا وقصصت عليه القصة جميعها وعرفته اني اريد ان افني له واكافئه على ما فعل معي واعبر به الى جهة الأنبار وقلت : أنا وسيدي الأمير بين امرين إما ان يصفح عني فأكون قد وفيت وكافيت ووقيتهُ بنفسِي كما

وقاني بنفسه ، وإما ان يقتلني فقد تحنطت وها كفتي .
 فلما سمع المأمون الحديث قال : وبلك لا جزاك الله عن نفسك خيراً
 انه فعل بك ما فعل من غير معرفة وتكافئه بعد المعرفة والمهد بهذا
 لا غير ، ألا عرفتني خبره فكنا نكافئه عنك ولا تقصر في واثمك له .
 فقلت : يا أمير انه هاهنا قد حلف انه لا يبرح حتى يعرف سلامتي ، فان
 احتيج الى حضوره حضر . فقال المأمون : هذه منة أعظم من الأولى
 اذهب الآن اليه حتى تطيب نفسه وتسكن روعه وتبر به الي حتى اتولي
 مكافأته ، فصرت اليه وقلت له : ليزل خوفك ان الخليفة قال : كيت وكيت
 فقال : الحمد لله الذي لا يحمد على السراء والضراء سواه .

ثم قام وصلى ركعتين ثم وركب وجئنا ، فلما مثل بين يدي المأمون
 أقبل عليه وأدناه من مجلسه وحدثه حتى حضر الغداء ، فأكل معه
 وخلع عليه ، وعرض عليه أعمال دمشق فاستمعني ، فأمر له المأمون بعشرة
 افراس بسروجها ولجها وعشرة ابقال بالآنها وعشر بدر وعشر نخوت وعشر
 ممالك بدواهم ، وكتب الي العامل بدمشق بالوصية به واطلق خراجها ،
 وأمره بمكانبته بأحوال دمشق ، فصارت كتبه تصل الي المأمون ، وكلما
 وصلت خريطة (١) البريد وفيها كتابه ، يقول لي : يا عباس هذا كتاب
 صديقك .

(العقد الفريد للملك الصميد : ٧٩)

(١) الخريطة : وعاء من جلد او نحوه يشد على ما فيه وفي اصطلاح اهل
 العصر ما يرسم عليه سطح الكرة الارضية او جزء منه جمعها خرائط .

(٧) ومنها حكاية احمد اليتيم مع الملك خمارويه :

روي ان احمد بن طولون كان يرّبي من يطرح على الطرقات ،
ويقيم لهم الكوافل ، ويدرّ عليهم النفقات ، رغبة في الثواب وتقرباً
الى الله تعالى بهذه الأسباب .

فوجد عند سقايته عند المعافر طفلاً مطروحاً ، فالتقطه ورباه وسماه
باسمه احمد وشهره باليتيم ، فلما كبر ونشأ كان اكثر الناس ذكاهاً وفطنة
وأحسنهم رواءً وصورة ، فصار يرطاه ويعلمه وهو يعرف بأحمد اليتيم
فلما حضرت احمد بن طولون الوفاة أوصى ولده ابا الجيش خمارويه به
فأخذه اليه ، فبعد موت ابن طولون أحضره الامير ابو الجيش وقال له :
انت عندي بمكانة أرتاك بها ، ولكن طادقني أن آخذ العهد على كل من
اصرفه في شيء من اموري انه لا يخونني ، فعاهدته ثم حكاه في امواله
وقدمه في اشغاله .

فصار احمد اليتيم مشحوداً على المهام ، حاكماً على جميع الحاشية
الخاص والعام ، والامير أبو الجيش بن احمد بن طولون يحسن اليه
كلما رأى خدمته متصنفة بالنصح ومساغية متسمة بالنجاح ، فركن اليه
واعتمد في اسباب بيوته عليه .

فقال له يوماً : يا احمد امض الى الحجرة الفلانية ففي المجلس بحيث
اجلس سبعة جوهر نخيء بها ، فضى احمد فلما دخل الحجرة وجد
جارية من مغنيات الامير وحضاياه مسم حدث من الفراشين ممن هو من الامير

بمحل قريب ، فلما رأياه خرج الفتى فجات الجارية الى احمد وعرضت
نفسها عليه ودعته الى قضاء وطره ، فقال لها : معاذ الله ان اخون الامير
وقد احسن الي واخذ العهد علي .

ثم تركها وأخذ السبحة وانصرف الى الامير وسلم اليه السبحة ،
وبقيت الجارية شديدة الخوف من احمد لثلايذكر حالها للأمر ، فبقيت
أياماً ولم تجد من الأمير ما تنكره من اقباله ولا ظهر لها ما توهمته في
احمد من تسرعه في مقاله وانهاؤه حاله ، فاتفق ان الامير اشترى جارية
وقدمها على حضايها ، وغمرها بعطاياها ، واشتغل بها عن سواها ، واعرض
لشغفه بها عن كل من عنده حتى كاد لا يذكر جارية غيرها ولا يراها ،
وكان أولاً مشغولاً بتلك الجارية الجائرة الخائنة الخاترة الفاجرة .

فلما اعرض عنها اشتغلاً بالجديدة فهجر حضايا مقاصيره واقتصر
عليها في طويل تمنعه وقصيره ، وكانت تلك الأولى لحسنها متأمرة على
تأمره مطرحة حكم امره ، لا تخاف من وليه ولا نصيره ، فكبر عليها
اعراضه عنها ونسبت ذلك الى اطلاع احمد اليتيم اياه على ما كان منها .
فدخلت على الامير ، وقد ارتدت من الكآبة بجلباب مكرها ،
واجهشت بالبكاء بين يديه لأنهم كيدوا ونكروها ، وقالت : ان احمد اليتيم
راودني عن نفسي .

فلما سمع الامير ذلك استشاط غيظاً وهم في الحال بقتله ، ثم
عاوده حاكم عقله فتأني في فعله ، واستحضر خادماً يعتمد عليه وقال له :
إذا أرسلت اليك إنساناً ومعه طبق ذهب وقلت لك على لسانه : املاً
هذا الطبق مسكاً فأقتل ذلك الانسان واحمل رأسه في الطبق واحضره
مغطى .

ثم ان الامير أبا الجيـش جلس لشربه وحضر عنده ندماءؤه الخواص من شربه ، واحمد اليتيم واقف بين يديه آمناً في شربه جارياً على عادته فلما نمل الامير واخذ منه ما كان يتناوله قال له : يا احمد خذ هذا الطبق وامض به الى فلان الخادم ، وقل له يملأه مسكا . فأخذه احمد اليتيم ومضى ، واجتاز في مضيه بالمنين وباقي الندماء والخواص ، فقاموا اليه وسألوه الجلوس معهم ساعة فقال : أنا ماض في حاجة الامير أمرني باحضارها في هذا الطبق .

فقالوا : ارسل من ينوب عنك في احضارها وخذها وادخلها الى الأمير ، فأدار عينه فرأى الفتى الفراش الذي كان مع الجارية فأعطاه للطبق وقال : امض الى فلان الخادم وقل له : يقول لك الامير املأه مسكا ، فضى ذلك الفراش الي الخادم وذكر له ذلك فقتله وقطع رأسه وغسله وجمله في الطبق وغطاه وأقبل به وناوله لأحمد اليتيم وليس عنده علم من باطن الامر .

فلما دخل به على الامير كشفه وتأمله وقال : ما هذا ؟ فقص عليه خبره مع الندماء وقعوده مع المنين وسؤالهم له الجلوس معهم وما كان من انفاذه الطبق والرسالة مع الفراش ، وأنه لا علم له غير ما ذكره . قال : أفتعرف لهذا الفراش ذنباً يستوجب به ما قد جرى عليه ؟ فقال : أيها الامير ان الذي تم عليه بما ارتكبه من خيانتك ، وقد كنت رأيت الاعراض عن إعلام الامير بذلك ، وأخذ احمد يتحدث بما شاهده وما جرى له وحديث الجارية من أوله الى آخره ، فدعا الامير بتلك الجارية واستقرها فأقرت بصحة ما ذكره أحمد ، فأعطاه اياها وامره بقتلها ، ففعل وازدادت مكانته عنده وعلت منزلته لديه وضاعف احسانه

اليه ، وجعل ازمة جميع ما يتعلق به بيديه ، ولم يجعل لأحد من عظماء تلك الدولة حكماً يتسلط به عليه .

(العقد الفريد للملك الصميد : ٩١)

(٨) ومنها حكاية أحد الملوك مع زوجة غلامه فيروز :

حكى ان بعض الملوك طلع يوماً الى أعلى قصره يتفرج ، فلاحت منه التفاتة ، فرأى امرأة على سطح دار الى جنب قصره ، ولم ير الراؤن أحسن منها ، فالتفت الى بعض جواريه ، فقال : لمن هذه ؟ فقالت : يا مولاي هذه زوجة غلامك فيروز .

قال : فتزل الملك وقد خامره حبها وشغف بها ، فاستدعى بفيزوز وقال له : يا فيروز . قال : لبيك يا مولاي . قال : خذ هذا الكتاب وامنض به الى البلد الفلانية واثني بالجواب ، فأخذ فيروز الكتاب وتوجه الى منزله فوضع الكتاب تحت رأسه ، وجهر أمره وبات ليلته ، فلما أصبح ودّع أهله وسار طالباً لحاجة الملك ، ولم يعلم بما قد دبر الملك .

وأما الملك فانه لما توجه فيروز قام مسرعا وتوجه مختفياً الى دار فيروز ، فقرع الباب قرعا خفيفاً ، فقالت امرأة فيروز : من بالباب ؟ قال : أنا الملك سيد زوجك ، ففتحت له فدخل وجلس ، فقالت له : أرى مولانا اليوم عندنا . فقال : زائراً . فقالت : أعوذ بالله من هذه الزيارة ، وما أظن فيها خيراً . فقال : لها ويحك انني أنا الملك وسيد

زوجك وما أظنك عرفنتي . فقالت : بل عرفتك يا مولاي ، واقد علمت
انك الملك ، ولكن سبقتك الأوائل في قولهم :

سأترك ماء كم من غير ورد وذاك لكثرة الورد فيه
إذا سقط الذباب على طعام رفعت يدي ونفسي تشتميه
وتجتنب الأسود وورد ماء إذا كان السكلاب ولغن فيه
ويرتجم الكريم خميص بطن ولا يرضى مساهمة السفينه
وما أحسن يا مولاي قول الشاعر :

قل للذي شفه الغرام بنا وصاحب الغدر غير مصحوب
والله لا قال قائل أبداً قد أكل الليث فضلة الذيب

ثم قالت : أيها الملك تأتي الى موضع شرب كلبك تشرب منه .
قال : فاستحيا الملك من كلامها وخرج وتركها فتمسي نعليه في الدار .
هذا ما كان من الملك ، وأما كان من فيروز ، فإنه لما خرج وسار
تفقد الكتاب فلم يجده معه في رأسه ، فتذكر انه نسيه تحت فراشه ،
فرجع الى داره فوافق وصوله عقب خروج الملك من داره ، فوجد نعل
الملك في الدار ، فطاش عقله وعلم ان الملك لم يرسله في هذه السفارة إلا
لأمر يفعله ، فسكت ولم يبد كلاماً ، وأخذ الكتاب وسار الى حاجة
الملك فقضاها ثم عاد اليه ، فأنعم عليه بمائة دينار فضى فيروز الى السوق
واشترى بما يليق بالنساء وهياً هدية حسنة ، واتى الى زوجته ، فلم
عليها وقال لها : قومي الى زيارة بيت أبيك . قالت : وما ذاك ؟
قال : ان الملك أنعم علينا وأريد أن تظهرني لأهلك ذلك . قالت :
حياً وكرامة .

ثم قامت من ساعتها وتوجهت الى بيت أبيها ، وفرحوا بها وبما

جاءت به معها ، فأقامت عند أهلها مدة شهر فلم يذكرها زوجها ولا ألم بها ، فأثنى اليه أخوها وقال له : يا فيروز ، إما ان نخبرنا بسبب غضبك وإما أن تحاكننا الى الملك ، فقال : ان شئتم الحكم فافعلوا ، فإ تركت لها علي حقاً ، فطلبوه الى الحكم فأتى معهم ، وكان القاضي إذ ذاك عند الملك جالساً الى جانبه ، فقال أخو الصبية : أيد الله مولانا قاضي القضاة ، اني أجرت هذا الغلام بستاناً سالم الحيطان ببئر ماء معين عامرة واشجار مثمرة ، فأكل نمرة وهدم حيطانه واخرب بئره ، فالتفت القاضي الى فيروز وقال له : ما تقول يا غلام ؟ فقال فيروز : أيها القاضي قد تسلمت هذا البستان وسلمته اليه أحسن ما كان . فقال القاضي : هل سلم اليك البستان كما كان ؟ قال : نعم ولكن أريد منه السبب لرده . قال القاضي : ما قواك ؟ قال : والله يا مولاي ما رددت البستان كراهة فيه وانما جئت يوماً من الايام فوجدت فيه أثر الأسد ، فخفت أن يفتالني فخرمت دخول البستان اكراماً للأسد .

قال : وكان الملك متكئاً فاستوى جالساً وقال : يا فيروز ارجع الى بستانك آمناً مطمئناً فوالله ان الاسد دخل البستان ولم يؤثر فيه أثراً ولا النمس منه ورقاً ولا نمراً ولا شيئاً ، ولم يلبث فيه غير لحظة يسيرة وخرج من غير بأس ، والله ما رأيت مثل بستانك ولا أشد احترازاً من حيطانه على شجره .

قال : فرجع فيروز الى داره وردت زوجته ، ولم يعلم القاضي ولا غيره بشيء من ذلك . والله أعلم .

(المستطرف : ١ / ٤٤)

قال المؤلف : القصص والحكايات المتضمنة لما يحمله بعض البشر من

سجبة الوفاء واتصافه بها هي كثيرة ، وقد امتاز بهذه الصفة بعض العرب دون غيرهم من بقية الامم ، ومن سير التاريخ يتبع على الشيء الوافر من ذلك ، ونحن نكتفي بما دوناه من القصص لتكون عبرة واعتباراً ، فان حياة الماضين عبر للماضرين .

﴿ وأما من اشتهر بالوفاء من العرب حتى صار للمثل مضرباً ﴾ فهم :

(١) عوف بن محلم :

هو عوف بن محلم - بفتح الحاء وضم الميم وكسر اللام مع التشديد - ابن ذهل بن شيبان : من أشرف العرب في الجاهلية ، كان مطاعاً في قومه ، قوياً في عصبيته ، طلب منه الملك عمرو بن هند رجلاً كان قد أجاره ، فثمنه ، فقال الملك : « لا حرّ بوادي عوف » (١) أي لا سيد فيه يناوئه ، فسارت مثلاً .

وفيه المثل « أوفى من عوف بن محلم » (٢) لقصة أوردتها الميداني وكانت تضرب له قبة في عكاظ (٣) .

(١) مجمع الامثال : ٢٣٦/٢ .

(٢) مجمع الامثال : ٣٧٥/٢ .

(٣) عكاظ بضم العين وفتح الكاف مع الالف والظاء : سوق كانت

تجتمع فيه قبائل العرب فيتبايعون ويتفاخرون ويتناشدون ، وعكاظ يؤنث ويذكر .

كان من وفائه ان مروان القرظ (١) بن زنباع غزا بكر بن وائل
 فقصوا أثر جيشه ، فأسره رجل منهم وهو لا يعرفه فأتى به أمه ، فلما
 دخل عليها قالت له أمه : انك لتختال بأسيرك ، كأنك جئت بمروان
 القرظ ، فقال لها مروان : وما ترتجبن من مروان ؟ قالت : عظم فداؤه
 قال : وكم ترتجبن من فدائه . قالت : مائة بعير . قال مروان : ذلك
 لك طلى أن تؤدبني الى جماعة بن عوف بن محم .

والسبب في ذلك أن ليث بن مالك المسمى بالمتزوف شرطاً (٢)

(١) يضرب به المثل في العز فيقال : « اعز من مروان القرظ » .
 قال الميداني : كان يحمي القرظ ، وقيل بل سمي بذلك لانه كان يغزو
 اليمن وبها منابت القرظ .

وصف مروان هذا العنذر بن ماء السماء فاستوفده عليه فقال له :
 انت مع ما حبيت به من العز في قومك ، كيف علمك بهم ؟ فقال : ابيت
 اللعن انى ان لم اعلمهم لم اعلم غيرهم ، قال : ما تقول في عبس ؟ قال :
 رمح حديد ان لم تطعن به يطعنك . قال : ما تقول في فزارة ؟ قال : وادي
 يحمي ويمنع . قال : فما تقول في مرة ؟ قال : لا حر بوادي عوف .
 قال : فما تقول في اشجع ؟ قال : ليسوا بداعيك ولا بمحبيك . قال :
 فما تقول في عبدالله بن غطفان ؟ قال : صقور لا تصيد . قال : فما تقول
 في ثعلبة بن سعد ؟ قال : اصوات ولا انيس .

(٢) قال المجد في مادة (ض ر ط) : وفي المثل « اجبن من المتزوف
 شرطاً » ، وذلك ان نسوة لم يكن لهن رجل فزوجن احداهن رجلاً كان
 ينام الصبحة ، فاذا اتينه بصبوح قلن : قم فاصطبح . فيقول : لو نبهتني
 لعادية ، فلما رأين ذلك قال بعضهن : ان صاحبنا لشجاع فتعالين حتى -

لما مات أخذت بنو عبس سلبه وفرسه ، ثم مالوا الى خبائه فأخذوا أهله وسلبوا امرأته خماعة بنت عوف بن محلم ، وكان الذي أصابها عمرو بن قارب وذؤاب بن أسماء ، فسألها مروان القرظ : من أنت ؟ قالت : أنا خماعة بنت عوف بن محلم ، فأنزعتها من عمرو بن ذؤاب لأنه كان رئيس القوم ، وقال لها : غطي وجهك والله لا ينظر اليه عربي حتى أردك الى أبيك .

ووقع بينه وبين بنى عبس شر بسببها .

ويقال : ان مروان قال لعمرو وذؤاب : حكمانى في خماعة . قالوا : قد حكمتك يا أبا صهبان . قال : فأني اشتريتها منك بمائة من الأبل ، وضمها الى أهله حتى إذا دخل الشهر الحرام أحسن كسوتها واخدمها واكرمها وحملها الى عكاظ ، فلما انتهى بها الى منازل بني شيبان قال لها : هل تعرفين منازل قومك ومنزل أبيك ؟ فقالت : هذه منازل قومي وهذه قبة أبي . قال : فانطلقى الى أبيك . فانطلقت فحبرت بصنيع مروان ، فقال مروان فيما كان بينه وبين قومه في أمر خماعة وردھا الى أبيها :

رددت على عوف خماعة بعدما	خلاها ذؤاب غير خلوة خاطب
ولو غيرها كانت سبيئة رجمه	لجاء بها مقرونة بالذؤاب
ولكنه التى اليها حجابہ	رجاء الثواب أو حذار العواقب
فدافعت عنها ناشباً وقبيالة	وفارس يعبوب وعمرو بن قارب

— عمر به ، فأنتينه كما كن يأتينه فقال : لو لعادية نبهتني . فقلن هذه نواصي

الحليل ، فجعل يقول : الحليل الحليل ويضطر حتى مات . وقيل غير ذلك .

(هامش بلوغ الأرب : ١١ | ١٢٥)

ففاديتها لما تبين نصفها - بكوم المتالي والعشار الضوارب
صهايبة حمر العوانين والذرى مهارش امثال الصخور مصاعب
فى آيات مع هذه . قوله « تبين نصفها » أى انصافها . والكوم :
القطعة من الأبل . والمتالى : الذى يرسل المغنى بصوت رفيع .
والأصهب من الأبل : الذى يخالط بياضه حمرة ، وهو أن يحمر أعلى
الوبر ويبيض أجوافه . وجل صهايبى : أى أصهب اللون . والعوان :
النصف فى سنها من كل شيء . وذرى الشيء بالضم : أعاليه ، الواحدة
ذروة . فكانت هذه يداً لمروان عند خماعة فلهاذا قال : ذاك لك على
أن تؤدنى الى خماعة بنت عوف بن محلم .

قالت المرأة : ومن لى بمائة من الأبل ؟ فأخذ عوداً من الارض
فقال : هذا لك بها ، فضت به الى عوف بن محلم ، فبعث اليه عمرو
ابن هند أن يأتيه به . وكان عمرو وجد على مروان فى أمر فألى ان
لا يعفو عنه حتى يضع يده فى يده . فقال عوف حين جاءه الرسول :
قد أجارته ابنتى وليس اليه سبيل . فقال عمرو بن هند : قد آليت
أن لا أعفو عنه أو يضع يده فى يدي . قال عوف : يضع يده فى يدك
على أن تكون يدي بينها ، فأجابه عمرو بن هند الى ذلك .

فجاء عوف بمروان فأدخله عليه فوضع يده فى يده ووضع يده
بين أيديها فعفا عنه ، فقال عمرو : « لا حرّ بوادى عوف » فأرسلها مثلاً
أى لا سيد به يناويه . توفى نحو سنة ٤٥ ق ٥ - ٥٨٠ م .

(مجمع الأمثال: ٢/٢٧٥، بلوغ الأرب : ١/١٢٥، الاعلام : ٥/٢٧٨)

(٢) حنظلة بن عفراء :

حنظلة بن عفراء الطائي : هو صاحب القصة التي بأيدينا التي كانت سبباً لمضرب المثل « ان غداً لناظره قريب » فلا تستحسن الاعادة .

« المؤلف »

(٣) الحارث بن ظالم المري :

الحارث بن ظالم بن غيظ المري ، ابو ليلى : اشهر فتاك العرب في الجاهلية . نشأ يتيماً ، قتل ابوه وهو طفل ، وشب وفي نفسه أشياء من قاتل أبيه ، وآت اليه سيادة غطفان بعد مقتل زهير بن جذيمة ، ووفد على النعمان بن المنذر (ملك الحيرة) فالتقى بقاتل ابيه (جعفر ابن خالد سيد بني عامر) فتنازعا بين يدي النعمان ، فلما كان الليل اقبل الحارث على خالد وهو في ممبته فقتله ، وعلمت بذلك بنو عامر فجدت في طلب الحارث ، فعاد الى عشيرته من غطفان ، فهابوا شر بني عامر فلم يجموه ، فانصرف الى حاجب بن زرارة التميمي فجاه مدة ثم نجهم له ، (١) فلاحق بعروض الإمامة .

(١) يقال « تجهم له » بتشديد الجيم مع الهاء : اي استقبله بوجه

عبوس كربه .

وبلغه ان النعمان بعث الى جارات له فسيباهن ، فأتى حاضنة بن
 النعمان فأخذه منها وقتله ، فطلبه النعمان فلجأ الى بني شيبان فأووه قليلا
 ورحل فلاحق بطيء ، وكانت له في كل حي يأوي اليه حادثة ، وشاع
 خبره في القبائل ، فتصامت العرب شره ، ونشبت من أجله معارك كثيرة
 ورحل عن طيء فجاور بني دارم ، فحموه ، فغزاهم الأحوص (اخو خالد
 ابن جعفر العامري) فانهمز بنو دارم ، وانطلق الحارث فجعل يطوف
 في البلاد حتى أتى الشام ، فقتل في حوران .

وكان من وفائه أن عياض بن ديهث مرّ برعاء الحارث وهم يسقون
 فسقى فقصر رشاؤه (١) فاستعمار من ارشية الحارث فوصل رشاهه (٢)
 فأروى ابله ، فأغار عليه بعض حشم النعمان ، فأطردوا ابله فصاح : يا حار
 يا جراه ! فقال له الحارث : ومتى كنت جارك؟ قال : وصلت رشائي
 برشائك فسقيت ابلي ، فأغير عليها وذلك الماء في بطونها ، قال : جوار

(١) الرشا. بكسر الراء : الحبل عموماً او حبل الدلو ، جمعه ارشية .
 (٢) قال شارح رسالة ابن زيدون : كان ربيع العرب في رعاية الجوار
 ما هو اعجب العجب ، وذلك ان الانسان اذا لمس طنّب بيته طنّب بيت
 آخر لزمه حرمة الجوار والذمة ، واذا علق له دلو بدلوا آخر في بئر لزمه
 حرمة الجوار والذمة ، والى هاتين الفضيلتين اشار ابو تمام مخاطب
 ابن الزيات :

لي حرمة بك لولا ما رعيت وما	اوجبت من حقها ما خلنتها تجب
بلى لقد سلفت في جاهليتهم	للحق ليس كحقي نصره عجب
ان تعلق الدلو بالدلو الغريبة او	يلامس الطنب المستحصد الطنب

(هامش بلوغ الأرب : ١٣٣١)

ورب الكعبة . فأتى النعمان فقال : أبيت اللعن اغار حميمك على جاري عياض بن ديهث فأخذوا ابله وماله فأردده عليه .

فقال له النعمان : أفلا تعد ما وهى من اديمك - يريد ان الحارث قتل خالد بن جعفر بن كلاب في جوار أسود بن المندر .
فقال الحارث : « هل تعدون الحلية الى نفسي » فأرسلها مثلاً ،
أي انك لا تهلك إلا نفسي ان قتلها ، فتدبر النعمان كلمته فردّ على عياض أهله وماله .

وقال الفرزدق يضرب المثل لسليمان بن عبد الملك حين وفى ليزيد بن المهلب :
لعمري لقد أوفى وزاد وفاؤه على كل حال جار آل المهلب
كما كان أوفى إذ ينادى ابن ديهث وصرتمه كالمغنم المنتهب (١)
فقام أبو ليلى اليه ابن ظالم وكان متى ما يسئل السيف يضرب
هذا ما ذكره الميداني في أمثاله . وقال صاحب الأغاني : ان الحارث
ابن ظالم المري لما كان نزيلاً عند النعمان بن المندر أخذ مصدقاً للنعمان
ابلاً لأصراًة من بني مرة يقال لها ديهث ، فأتت الحارث فعلقت دلوها
بدلوها ، ومعهما بني لها . فقالت : يا أبا ليلى اني اتيتك مضامة . فقال :
إذا أورد القوم النعم فننادى بأعلى صوتك :

دعوت بالله ولم تراعي ذلك داعيك فنعم الداعي

وتلك ذود الحارث الكساعي يمشي لها بصارم قطاع

يشفي بها مجامع الصداع

(١) الصرمة بالكسر : القطعة من الابل ما بين العشرين الى الثلاثين
او الى الخمسين والاربعين ، او ما بين العشرة الى الاربعين ، او ما بين عشرة
الى بضع عشرة .

وخرج الحارث بن ظالم في أثرها وهو يقول :

أنا أبو ليلى وسيفي المعلوم كم قد أجزنا من حريب محروب (١)
وكم رددنا من سلب مسلوب وطعنة طعنتها بالمضبوب

ذاك جهيز الموت عند المكروب

ثم قال : لا يردن عليك ناقة ولا بعير تعرفينه إلا أخذته
ف فعلت ، ورأت لقوحاً لها يحملها حبشي . فقالت : يا أبا ليلى هذه لي .
قال الحبشي : كذبت . فقال الحارث : « است الخالب اعلم » (٢)
فصارت مثلاً .

قال أبو عبيدة : ففي ذلك يقول الفرزدق :

لعمري لقد أوفى وزاد وفاؤه على كل حال جار آل المهلب
إلى آخر الأبيات الثلاثة السابقة ، ثم ألحق هنا بيتاً رابعاً هو قوله :
وما كان جار غير دلو تعلقت بحبلين في مستحصد القدّ مكرب

قتل في حوران نحو سنة ٢٢ ق ٥ - ٦٠٠ م .

(بلوغ الأرب : ١/١٣٣ ، الأعلام : ٢/٢٥٧ ، مجمع الأمثال : ٢/٣٧٦)

(١) قال في القاموس : « المعلوم » سيف الحارث بن ظالم .

(٢) وفي رواية مجم الأمثال « است البائن اعلم » والبائن الذي

يكون عند حلب الناقة من جانبها الايسر ، ويقال للذي يكون من الجانب
الآخر المعلى والمستعلى ، وهو الذي يعلى العلبة الى الضرع ، والبائن الذي
يحلب ، وقيل بخلاف هذا . وللمثل قصة اخرى يذكرها الميداني عند ذكر المثل ،
يضرب لمن ولي امراً وصلي به ، فهو اعلم به ممن لم يمارسه ولم يصل به ،
وقيل يضرب لكل ما يتكر وشاهده حاضر .

(هامش بلوغ الأرب : ١/١٣٥)

(٤) أبو حنبل الطائي :

ومن حديثه ان امرأ القيس نزل به ومعه أهله وسلاحه وماله ،
ولأبي حنيفة امرأتان جدلية وتعلبية ، فقالت الجدلية : رزق أناك
الله به لازمة له عليك ولا عقد ولا جوار ، فأرى لك أن تأكله وتطعمه
قومك ، وقالت التعلبية : رجل تحرم بك واستجارك واختارك فأرى
لك أن تحفظه وتفي له .

فقام أبو حنبل الى جذعة من الغنم (١) فأحلبها وشرب لبنها ،
ثم مسح بطنه وحجل (٢) ثم قال :

لقد آليت أغدر في جداع وان منيت أمات الرباع

لأن الغدر في الاقوام عار وان الحر يجزى بالكراع

فقالت الجدلية - ورأت ساقه خميشتين - تالله ما رأيت كاليوم
ساق واق . فقال أبو حنبل : « هما ساقا غادر شر » فذهبت مثلاً .
وقوله : « منيت » أي ضعفت . والرباع جمع ربع كصرد ، وهو الفصيل
يفتج في الربيع ، وهو أول النتاج .

(بلوغ الأرب : ١/١٣٥ ، مجمع الامثال : ٢/٣٧٨)

(١) الجذع بفتح الجيم والذال : من الرجال الشاب الحدث ، ومن
الابل ما استكمل اربعة اعوام ودخل في السنة الخامسة ، ومن الحيل والبقر
ما استكمل سنتين ودخل في الثالثة ، ومن الضأن ما بلغ ثمانية اشهر او
تسعة ، جمعه جذاع وجذعان .

(٢) حجل بفتح الحاء والجيم : رفع رجلا ومشى متريثاً على الاخرى .

(٥) الحارث بن عباد :

الحارث بن عباد بن قيس بن ثعلبة البكري ، ابو منذر :
حكيم جاهلي . كان شجاعا من السادات ، شاعراً انتهت اليه إمرة بني
ضبيعة وهو شاب ، وفي أيامه كانت حرب « البسوس » فاعزل القتال
مع قبائل من بكر ، منها يشكر ، وعجل ، وقيس .

ثم أن المهلهل قتل ولدآ له اسمه بجير ، فثار الحارث ونادى بالحرب ،
وارتجل قصيدته المشهورة التي كرر فيها قوله « قربا مربط النعامة مني »
اكثر من خمسين مرة ، والنعامة فرسه ، فجأؤوه بها فجز ناصيتها وقطع
ذنبها - وهو أول من فعل ذلك من العرب فاتخذ سنة عند ارادة
الآخذ بالثأر - ونصرت به بكر على تغلب ، وأسر المهلهل فجز ناصيته
وأطلقه ، وأقسم أن لا يكف عن تغلب حتى تكلمه الأرض فيهم ،
فأدخلوا رجلا في سرب تحت الارض ومرّ به الحارث فأنشد الرجل :

أبا منذر أفنيت فاستبق بمضنا حنانيك بمض القمر أهون من بعض

ف قيل : برّ القسم ، واصطلحت بكر وتغلب وعمرّ الحارث طويلا

ومن حديثه في الوفاء أنه يقال : إنه كان اسر عدي بن ربيعة
في يوم قضة ولم يعرفه ، فقال له : داني على عدي بن ربيعة . فقال
له : ان أنا دلتك على عدي أتؤمنني ؟ قال : نعم . قال : فليضمن
ذلك عليك عوف بن محلم ، فأمره الحارث بن عباد فضمن له عوف أن
يؤمنه الحارث إذا دلّه على عدي . فقال عدي : أنا عدي بفلاه . وقال

الحارث في ذلك :

هلف نفسي على عدي وقد
اشعب للموت واحتوته اليدان (١)
توفي نحو سنة ٥٠ ق هـ - ٥٧٠ م .

(الاعلام: ١٥٧/٢ ، بلوغ الأرب: ١٣٦/٨ ، مجمع الامثال: ٣٧٨/٢)

(٦) السموأل الغساني :

السموأل بن غريفي بن عدياه الأزدي : شاعر جاهلي حكيم . من
سكان خيبر (في شمالي المدينة) كان يتنقل بينها وبين حصن له سماه
« الأبلق » ، أشهر شعره لاميته وهي من أجود الشعر ، وفي علمه
الأدب من ينسبها لعبد الملك بن عبدالرحيم الحارثي ، وله ديوان شعر
مطبوع صغير .

وهو الذي تنسب اليه قصة الوفاء مع امرئ القيس الشاعر ، وهي
ان امرأ القيس لما أراد الخروج الى قيصر استودع السموأل دروعاً
واحيحة بن الجلاح أيضاً دروعاً ، فلما مات امرؤ القيس غزاه ملك من
ملوك الشام فتحرز منه السموأل ، فأخذ الملك ابناً له وكان خارجاً من
من الحصن ، فصاح الملك بالسموأل ، فأشرف عليه ، فقال : هذا
ابنك في يدي وقد علمت ان امرأ القيس ابن حمي ومن عشيرتي وأنا
أحق بميراثه ، فان دفعت الي الدروع وإلا دبتحت ابنك .
قال : أجلني فأجله فجمع أهل بيته ونسأه فشاورهم ، فكل أشار

(١) اشعب للموت: اي مات او فارق فراقا لا يرجع .

عليه أن يدفع الدروع ويستنقذ ابنه .

فلما أصبح أشرف عليه فقال : ليس الى دغم الدروع سبيل ،
فاصنع ما أنت صانع فذبح الملك ابنه وهو مشرف ينظر اليه ، ثم انصرف
الملك بالخبيبة ، فوافى السموأل بالدروع الموسم ، فدفعها الى ورثة
امرى القيس ، وقال في ذلك :

وفيت بادرع الكندي اني اذا ما خان أقوام وفيت
وقالوا انه كئز رغب ولا والله أغدر ما مشيت
بنى طادياً حصناً منيعاً ووبراً كلما شئت استقيت
وقال الأعشى في ذلك :

شريح لا تركني بعدما علقته جبالك اليوم بعد القد اغفاري
كن كالسموأل إذ طاف الهمام به في جحفل كسواد الليل جرار (١)
خيرّه خطي خسف فقال له مها يقله فاني سامع جار
فشك غير طويل ثم قال له اذبح اسيرك اني مانع جاري
إن له خلفاً ان كنت قاتله وان قتلت كريماً غير عوار
وفي رواية الميداني بعد قوله : « كن كالسموأل اذ طاف الهمام

به » ، قوله :

بالأبلق الفرد من تياه منزله حصن حصين وجار غير غدار
إذ سامه خطي خسف فقال له مها تقله فاني سامع جار (١)
فقال غدر وثكل أنت بينها فأختر وما فيها حظ لمختار

(١) الهمام بضم الهاء كغراب : الملك العظيم الهمة . وجحفل كجعفر :

الجيش الكثير .

(٢) اي يا حارث . وفي رواية اخرى « جاري » .

فحك غير طويل ثم قال له
هذا له خلف ان كنت قاتله
فقال مقدمة إذ قام يقتله
أأقتل ابنك صبراً او تجيء به
فحك اوداجه والصدر في مضمض
واختار ادراعه أن لا يسب بها
وقال لا أشترى عاراً بمكرمة
والصبر منه قديماً شيمة خلق
والسموأل هذا هو الذي يقول في قصيدته الشهيرة :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
فكل رداء يرتديه جميل
وان هو لم يحمل على النفس ضيما
فليس الى حسن الثناء سبيل (١)
تعرنا أنا قليل عديدا
فقلت لها ان الكرام قليل
وما قل من كانت بقاياها مثلنا
شباب تسامى في العلى وكهول (٢)
وما ضرنا أنا قليل وجارنا
عزيز وجار الا كثيرين ذليل (٣)

(١) اي ان لم يصبر النفس على مكارها فلا سبيل الى اكتساب حسن الثناء ، وليس معنى الضيم الضيم الغير لهم ، لانهم يأنفون من ذلك ويعدونه تذلاً .

(٢) قوله « تسامى » اراد تتسامى ، فحذف احدى التائين ، وهذا كثير في كلامهم . والكهول جمع كهل : وهو الذي جاوز الثلاثين وخطه الشيب ، وقيل من بلغ الاربعين .

(٣) يجوز في ما ان تكون نافية ، والمعنى لم يضرنا ، ويجوز ان تكون استفهامية على طريق التقرير ، والمعنى اي شيء يضرنا .

لنا جبل يحتله من مجيره	منيع يرد الطرف وهو كليل (١)
رسا أصله تحت الثرى وسما به	الى النجم فرع لا يقال طويل (٢)
وانا لقوم ما نرى القتل سبة	إذا ما رأته عامر وسلول (٣)
يقرب حب الموت آجانا لنا	وتكرهه آجالهم فتطول
وما مات منا سيد حتف أنفه	ولا ظلّ منا حيث كان قتيل (٤)
تسيل على حدّ الطبات تفوسنا	وليس على غير الطبات تسيل (٥)
صفونا فلم نكدر واخلص مرنا	اناث اطابت حملنا وفحول (٦)
علونا الى خير الظهور ووطننا	لوقت الى خير البطون نزول (٧)

(١) قيل اراد بذكر الجبل العز والسمو، وقيل ان هذا الجبل هو حصن السماؤل الذي يقال له « الأبلق الفرد » يعني من دخل في جوارنا امتنع على طلابه .

(٢) يريد انه اثبت جبل في الارض واعلى طود عليها .

(٣) السبة : العار ، وعامر وسلول قبيلتان ، يقول : إذا حسب هؤلاء القتل عاراً عده عشيرتي فخراً .

(٤) يقال « مات فلان حتف انفه » اذا مات من غير قتل ولا ضرب ، ومعنى البيت أننا لا نموت على الفراش ولكن نقتل ودم القتل منا لا يذهب هدرأ .

(٥) الطبات جمع ظبة ، وهي حد السيف ، وقيل اراد بالطبات السيوف كلها ، فاضاف الحد اليها .

(٦) المراد بالمر هنا الأصل الجيد، ومعنى ذلك صفت انسانا فلم يشبها كدر .

(٧) يشير بذلك الى صريح نسر بهم وخلصه مما يحط بشرفهم .

فمنح كاه الأذن ما في نصابنا
ونفكر ان شئنا على الناس قولهم
إذا سيد مناخلا قام سيد
وما أخذت نار لنا دون طارق
وأيامنا مشهورة في عدونا
وأسيافنا في كل غرب ومشرق
معمودة أن لا تسل نصالها
سلي ان جهات الناس عنا وعنهم
فان بني الديان قطب لقومهم

كهام ولا فينا يمد بنجيل (١)
ولا ينكرون القول حين نقول
قؤول لما قال الكرام فعول
ولاذمنا في النازلين نزيل (٢)
لها غرر معلومة وحجول
بها من قراع الدار عين فلول (٣)
فتغمد حتى يستباح قبيل (٤)
فليس سواء عالم وجهول (٥)
تدور رحاهم حولهم ونجول (٦)

(١) يريد بقوله « كاه المزن » تشبيه صفاء انسابهم بصفاء ماء المطر والنصاب : الأصل ، والكهام : الكلليل الخلد ، وهو حجاز عن الضعيف هنا .

(٢) يشير بذلك الى انهم لكثرة كرمهم يدعون ايقاد نار الضيافة ولا يطفؤنها دون طارق ليل ، وانهم يثني عليهم كل نزيل .

(٣) القراع : المقارعة والمضاربة ، والدار عين : اصحاب الدروع ، والفلول جمع « فل » وهو الثلم في حد السيف .

(٤) القبيل : الجماعة من آباء شتى ، وجمعه قبل . والقبيلة : الجماعة من اب واحد ، وجمعها قبائل .

(٥) هذا البيت قد استشهد به شارح ألفية ابن مالك في جواز تقديم خبر ليس على اسمها ، وتقديره فليس عالم سواء وجهول .

(٦) القطب : الحديد الذي في الطبق الأسفل من الرحي يدور عليه -

توفي السموأل نحو سنة ٦٥ ق ٥ - ٥٦٠ م .

- (الأعلام : ٢٠٤/٣ ، بلوغ الأرب : ١٣٦/١ ، مجمع الأمثال : ٣٧٤/٢)
(آمالي القالي : ١/٢٦٩ ، الأغاني : ٦/٣١١ ، ٢٢/١٠٨ ، نفع الطيب :)
(١٣٢/٣ ، نهاية الأرب : ٣/٢٠٢ - ٢٤٠ ، شرح مقامات الحريري : ١/٣٩٠)
(المستطرف : ١/١٣٢) .

(٧) فكيهة بنت قتادة :

فكيهة بضم الفاء وفتح الكاف بمدها ياء وهاء مع تاء : بنت قتادة ابن مشنوء ، من بني مالك بن ضبيعة ، من قيس بن ثعلبة ، جاهلية اشتهرت بخبر لها مع « السليك بن السليكة » المداء الشاعر ، وكان فتاكاً من شياطين العرب .

وكانت فكيهة هذه خالة طرفة ، لان أم طرفة وردة بنت قتادة ، وكان من خبر وفائها أن السليك بن سليكة غزا بكر بن وائل فأبطأ ولم يجد غفلة يلتمسها ، فرأى القوم أثر قدم على الماء لم يعرفوها ، فكمنوا له وأملوه حتى ورد وشرب فامتلاً منها جوابه فعداً فأنقسه بطنه فوُلج قبة فكيهة فاستجار بها ، فأدخلته تحت دروعها ، فجأوا في

- الطبقة الأعلى منها ، والمعنى ان امر قبيلتهم لا يستقيم ولا يتم إلا بهم مثل الرحى لا يتم امرها إلا بالقطب ، والديان : هو يزيد ابن قطن بن زياد بن الحارث الاصفر .

أثره فوجدوه تحت ثوبها فانتزعوا خمارها ، فنادت اخوتها وولدها
فجاؤا عشرة ففهمهم عنه ، وفي ذلك يقول سليك :

لعممر أبيك والانباء تنمى لنعم الجمار اخت بني عوارا
عنيت بها فكيفه حين قامت لنصل الصيف وانتزعوا الخمارا
من الخفريات لم تفضح أخاها ولم ترفع لوالدها شنارا

(مجمع الأمثال : ٢/٣٧٨ ، بلوغ الأرب : ١/١٣٩ ، الأعلام : ٥/٣٦٢)

(٨) أم جميل :

هي من رهط ابي هريرة من دوس ، وهم من أهل السراة ، وكان
من خير وفائها أن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي قتل أبا زهير
الزهراني ، من ازد شنوءة ، وكان صهر ابي سفيان بن حرب ، فلما
بلغ ذلك قومه بالسراة وثبوا على ضرار بن الخطاب ليقتلوه فسعى حتى
دخل بيت أم جميل ، وعاذبها فضربه رجل منهم فوق ذباب السيف على
الباب ، فقامت في وجوههم فذبتهم ، ونادت قومها فنعوه لها ، فلما
قام صمر بن الخطاب ظنت أنه أخوه فأنته بالمدينة وقد عرف القصة ،
فقال : اني لست بأخيه إلا في الاسلام وهو غاز ، وقد عرفنا منتك
عليه ، فأعطاها على انها ابنة سبيل .

(مجمع الامثال : ٢/٣٧٧ ، بلوغ الارب : ١/١٣٩)

(٩) هانيء بن مسعود الشيباني :

ومن حديث وفائه ما جرى الى يوم ذي قار ، وكان من خبره أن النعمان بن المنذر لما خاف كسرى وعلم أنه لا بمنجا منه ولا ملجأ ، رأى أن يضع يده في يده ، فأودع ماله وأهله عند هانيء ، ثم أتى كسرى فقتله ، وأرسل الى هانيء يطالبه بوديعة النعمان ، وقال له : ان النعمان كان عاملي فابث الي بوديعة - وكانت الوديعة ثمانمائة درع وقيل ٤٠٠ درع - وان لم تبث الي بوديعة بعث اليك بمجنود تقتل المقاتلة وتسيي الذرية .

فبعث اليه هانيء : ان الذي بلغك باطل ، وان يكن الامر كما قيل فأنا أحد رجلين ، أما رجل استودع امانة فهو حقيق أن يردّها على من استودعه إياها ، ولن يسلم الخمر امانته ، أو رجل مكذوب عليه وليس ينبغي للملك أن يأخذه بقول عدو ، فبعث كسرى اليه الجنود وعقد لآياس بن قبيصة على جميع العرب ، وبعث معه السكتيبة الذهبية والاساورة (١) .

فلما التقوا قام هانيء بن مسعود وحرص قومه على القتال ، وجرى بينهم حروب كثيرة وانتصر هانيء وانهزمت الفرس ، وكانت وقعة مشهورة وكانت الممارك في بطحاء « ذي قار » ، وللشراء قصائد كثيرة في وصف ذلك اليوم .

(١) الاساورة جمع اسوار بالضم والكسر : وهو قائد الفرس .

ومما يحفظ من كلام هانئ في ذلك اليوم : يا قوم ! مهلك مقذور
خير من نجاه مغرور ، الحذر لا يدفع القدر ، والصبر من أسباب الظفر
المنية ولا الدنية ، والاعتقال الموت خير من استدباره ، جدوا فما من
الموت بدّ ، شدوا واستمدوا ، وإلا تشدوا تردوا .

(الأعلام : ٥٢/٩ ، نهاية الأرب : ٢٤١/٣)

الفصل الثالث

في مختصر تاريخ « الحيرة » طاصمة المناذرة وموجز تاريخ حياتهم : لاشتمال القصة على ذكر النعمان بن منذر أحد ملوك الحيرة .

« الحيرة »

كانت الحيرة على ثلاثة أميال من مكان الكوفة ، في موضع يقال له النجف على ضفة الفرات الغربية ، في حدود البادية بينها وبين العراق وتقع الآن في الجنوب الشرقي من مشهد الامام عليه السلام .
وقد اكثر العرب من تحليل اسمها بذلك من الحيرة والضلال ، لأن تبعاً لما بلغ موضع الحيرة - على ما يزعمون - ضل دليله ونحير .
وزعم آخرون ان مالكا لما نزلها جعلها حيراً - أي حظيرة أو بستاناً - وأقطعها قومه ، ثم صارت الحيرة .
وقال غيره : بل سميت الحيرة من الحوار ، أي البياض ، لبياض أبنيتها .

والحقيقة أن لفظها سرياني ، معناه الحصن أو المعقل حوله الخندق ، وهي والحيرة العربية من أصل واحد ، كما نرى من تقارب اللفظ والمعنى ، ولذلك كانوا يعرفونها بقولهم : « حيرة النمان ، أو « حيرة المنذر ، أي حصنه أو معقله على جاري المادة في انشاء المدن يومئذ . فكان الملك أو الامير يبني معقلا لنفسه وحاشيته ، ثم يبني الناس حوله ، فيتسع السكان بتوالي الازمان ويصير مدينة .

وعلى هذا النمط نشأت البصرة والكوفة والفسطاط (١) وبغداد وغيرها من المدن الاسلامية .

ومن هذا القبيل ما بناه الفساسنة على حدود البادية في شرقي حوران من المعقل لواء القصور ، فقد كان المراد ببناؤها حماية حدود المملكة من جهة البادية كما هو الغرض من حيرة العراق .

والحيرة المذكورة ما لبثت إلا قليلا حتى صارت مدينة فيها المنازل والقصور والحدايق والأنهار ، على حد قول الشاعر عاصم بن عمرو :

صبحنا الحيرة الروحاء خيلا ورجلا فوق أبناج الركاب
حضرنا في نواحيها قصورا مشرفة كاضرأس السكلاب

واشتهرت الحيرة بصحة هوائها لقربها من هواء البرية النقي ، حتى قالوا : « يوم وليلة في الحيرة خير من دواء سنة » .

وظلت الحيرة عامرة بعد الاسلام عدة أجيال ، وكان بجوارها قصران كبيران هما « الخورنق والسدير » كالقلاع ، والأول منها على مرتفع مشرف على الحيرة على نحو ميل في شرفها ، وسيأتي ذكرهما .

(١) الفسطاط: اول مدينة اختطها المسلمون في مصر بعد الفتح الاسلامي سنة ٦٢٩ هـ

(تاريخ الحضارة الاسلامية : ٢٤٠)

«سكان الحيرة»

لما كانت الحيرة على طرف العراق في الغرب وليس بمدنها غير البادية رغب فيها البدو ، فكان يؤمها البدوي لابتداء بعض الحاجيات ، ثم لا يلبث أن يقيم .

وكان يأتيها جماعات من مدن العراق والجزيرة ، فراراً من حكم أو تنحياً عن حمل ، كان يحدث أحدهم حدثاً في قومه أو تضيق به المعيشة في بلده فيخرج الى ريف العراق وينزل الحيرة ، ولذلك كان سكانها اخلاطاً من أمم شتى اكثرهم من العرب .

وقد قسمهم هشام الكلبي الى ثلاثة أقسام :

(أولاً) - تنوخ - من بقايا العرب الذين كانوا مع مالك بن فهم وجذيمة الأبرش ، وكانوا يسكنون المظال والبيوت من الشعر أو الوبر في غربي الفرات ما بين الحيرة والانبار وما فوقها .

(ثانياً) - العباد - وهم سكان الحيرة نفسها الذين نزلوا فيها وابتنوا المنازل لسكانها .

(ثالثاً) - الاحلاف - الذين لحقوا بأهل الحيرة ونزلوا فيهم ، وهم ليسوا من تنوخ سكان بيوت الشعر ولا من العباد .

ولم يقتصر أهل الحيرة على البلدة نفسها ، فقد كانت حولها مزارع يفلحها الزراع ومراع يرعى البدو فيها ماشيتهم ، وكانوا جميعاً يعتصمون في البلد في أوقات الخطر .

ويرجح أن هذا هو السبب البعيد لتقسيم أهل الحيرة الى ثلاث طوائف : هي تنوخ ، والعباد ، والاحلاف .

(فتنوخ) هم جماعات البدو الذين كانوا « ينيخون » حول البلد وعلى مقربة منها ، ويرجح انهم لم يكونوا قبيلة واحداً كما يفهم من النصوص ، بل اخلاطاً من عرب البحرين وعمان وبوادي الشام غالبهم من الاسماعيلية .

ويذهب ابن الكلبي الى أن تنوخ أصلهم من أولاد معد بن عدنان الذين سكنوا تهامة ثم هاجروا بطوناً شتى ، واجتمعوا بالبحرين وتحالفوا على التنوخ وهو المقام ، فصاروا يداً على الناس وضمهم اسم « تنوخ » .
ولابن اسحق رواية أخرى ، تذهب الى ان ربيعة بن نصر اللخمي هاجر بقومه ظم من اليمن خوفاً من غزو الأحباش لليمن ، وإن سابور ابن خرزاد ملك الفرس أسكنهم الحيرة .

وقد رجح بعضهم على ان « تنوخ » تعريب لاسم قبيلة عربية قديمة كانت تقيم في هذه النواحي ، ذكرها بطليموس في جغرافيته .
وقد انتقلت النصرانية الى جماعات العرب التي عرفت بتنوخ من الحيرة ، وكانت مدينة نصرانية من قديم الزمان ، وكان لها اسقف يحضر الجامع الدينية النصرانية ممثلاً لها .

(وأما العباد) فاسم يطلق على نصارى الحيرة نفسها دون غيرهم من نصارى العرب ، وقد أطلق الاسم تمييزاً لنصارى الحيرة عن من كان فيها من الوثنيين ، وقد يكون أصل الاسم عباد المسيح ، وهذا هو رأى « نولدكة » في تاريخ الساسانيين ، ورونشتاين في تاريخ اللخمين .

(وأما الاحلاف) فهم الذين نزلوا الحيرة أو ما حولها ولم يكونوا

عرباً أو عباداً ، وكان معظمهم من الفرس والنبط ، وقد كان بعض أولئك النبط يتحدون العربية برطانة ظاهرة ، وتأثرت عربية عرب الحيرة بهذه الرطانة .

وللعباد شأن في تأريخ العراق قبل الاسلام وبمده ، وقد اختلف الناس في حقيقتهم : فقال بعضهم أن المراد بهم نصارى الحيرة على الاجمال ، وهم في الاصل قبائل شتى من بطون العرب اجتمعوا على النصرانية في الحيرة ، وزادت اهمية النصرانية بعد أن تنصر ملوك الحيرة .

« ملوك الحيرة »

ملوك الحيرة ٢٢ ملكاً ، تولوا الملك ٣٦٤ سنة ، وكلهم من نسل عمرو بن عدي من آل نصر أو لحم ، إلا ستة من الدخلاء ، وهم : أوس بن قلام ، والحارث بن عمرو بن حجر الكندي ، وعلقمة بن يعفر وأياس بن قبيصة ، وفيشهرت ، وزادبة الفارسيان . وقصبة ملكهم جميعاً الحيرة ، واليك تاريخ حياة كل منهم على حدة :

(١) عمرو بن عدي : ملك « من سنة ٢٦٨-٢٨٨ م »

هو ابن عدي بن نصر من لحم ، تولى عدي شراب جذيمة الأرض في أثناء دولته وكان الجذيمة أخت اسمها رقاش . أحبت واحاتل في تزوجه ، وتواطأت معه على أن يسقي أخاها حتى يسكر ثم يخطبها ففعل فأجابته جذيمة وهو سكران فلما صحا ندمت فحقت عدي فهرب ،

ووضعت رقاش غلاماً جميلاً ، جاء به بعضهم الى جذيمة فأحبه لجماله وذكائه
وسماه عمراً ، ولما كان ما كان من أمر الزباء - كما يأتي - وقتلها جذيمة
قام ابن اخته عمرو المذكور مقامه ، وأخذ بثأر خاله بحيلة على يد رجل
من لحم اسمه قصير حتى قتلها ، واتخذ عمرو الحيرة منزلاً خاصاً به
وبأهل دولته في أوائل الدولة الساسانية ، فماصر سابور الاول ، والبهرامات
الثلاثة .

(٢) امرؤ القيس بن عمرو : ملك « من سنة ٢٨٨-٣٢٨ م »

هو امرؤ القيس الأول بن عمرو بن عدي ، ويسمونه البده ، وقد
اتسع سلطانه وطالت مدة حكمه ، وبالغ العرب فيها لجمها بمضرم مؤسس
سنة وبمض المائة ، وهي لا تزيد على أربعين سنة ، وامرؤ القيس هذا
أول من وقف للمقبون على اسمه من ملوك لحم منقوشاً على قبره وفيه
تاريخ وقاته ، وقد كتب على حجر مربع الشكل ، خمسة أسطر منقوشة
بالحرف البطني ، والاسان العربي الشمالي ، وفسرها باللغة العربية
الفصحى هو :

« هذا قبر امرؤ القيس بن عمرو ملك العرب كلهم
الذي تقلد الناج واخضع قبيلتي أسد وزار وملوكهم ،
وهزم مذحج الى اليوم وقاد الظفر الى أسوار نجران
مدينة شمر ، وأخضع معداً واستعمل بذيبيته على القبائل
وانابهم عنه لدى العرس والروم فلم يبلغ ملك مبلغه الى
اليوم توفي سنة ٢٢٣ في اليوم السابع من ايلول (سبتمبر)
وفق بنوه للسعادة » .

وامرؤ القيس المذكور يرجح أنه ملك الحيرة الذي نحن بصدده ،
لأننا لا نعرف ملكاً بهذا الاسم عاش نحو ذلك الزمان .
ويرى ... المسيو كليرمون جانوا المستشرق الفرنسي - ان لفظ
التاج كاف وحده للدلالة على علاقته بالفرس ، وان وجدوا قبره في
حوران وهي تابعة للروم ، لأن لقب « ذي التاج » من ألقاب
ملوك الحيرة .

وأما وجود قبره في حوران بعيداً عن الحيرة ، فلعل سببه ان
سلطته امتدت على قبائل العرب في بادية الشام والعراق ، وأقواها يومئذ
معد ، وأسد ، ونزار ، ومذحج .

ويظهر انه حارب شمر بهر عرش صاحب حمير وهو معاصر له ، وولي
أولاده على تلك الأعمال كما ذكر على قبره .

ويؤيد ذلك قول العرب « أن امرأ القيس كان عاملاً للفرس على
مذحج من ربيعة ومضر على سائر بادية العراق والجزيرة والحجاز »
ولعله جاء الى حوران في مهمة أو شأن وتوفى فيها فبنوا له قسراً
دفنوه فيه ، بنوا قبره في أرض رومانية وكتبوا عليها بالحرف النبطي
(قلم تلك الولاية) وأرخوه بتاريخها ، وهذا مما يدل على علائق ودية
كانت بينه وبين الشام .

وعاصر امرؤ القيس هذا من ملوك الفرس بهرام الثالث ، ونرسي ،
وهرمز بن نرسي ، وسابور ذا الاكتاف .

(٣) عمرو بن امرئ القيس : ملك « من سنة ٣٢٨-٣٧٧ م »

ولما توفى امرؤ القيس بن عمرو خلفه ابنه عمرو بن امرئ القيس

وأمه هند بنت كعب بن عمرو ، وطالت مدة حكمه نحو نصف قرن
فماصر ذا الاكتاف معظم حكمه ، ولا نعرف عنه شيئاً ، كأن أيامه
كانت أيام سلم ورجاء ، فلم يذكره التاريخ ، وأقل الناس ذكراً في التاريخ
أقربهم الى السمادة .

(٤) أوس بن قلام : ملك « من سنة ٣٧٧-٣٨٢ م »

هذا دخيل في دولة آل نصر ، ليس له نسب فيهم ، حكم خمس
سنين في أيام ازدشير بن سابور ، حتى قتله أحد بني نصر ، فعمادت
الحكومة اليهم .

(٥) امرؤ القيس بن عمرو بن امرئ القيس ملك « من سنة ٣٨٢-٤٠٣ م »

ويعرف بامرئ القيس البدن ، وهو محرق الأول ، لأنه أول من
طاقب بالنار . وحكم ٢١ سنة في أيام سابور بن سابور ، وبهرام بن
سابور ، ويزدجرد الأول . وليس لدينا من أخباره ما يستحق الذكر .

(٦) النعمان بن امرئ القيس الأعور السائح ملك « من سنة ٤٠٣-٤٣١ م »

هو من أشهر ملوك الحيرة ، حكم ٢٨ سنة طاصر فيها من ملوك
الفرس ، يزدجرد الأول ، وبهرام جور ، وكان من أشد ملوك العرب
نكاية بأعدائه ، وأبعدهم مغاراً ، غزا الشام مراراً ، واكثر من المصائب
في أهلها ، وسبي، وغنم ، وجند الجند على نظام عرف به .

وكان عنده من الجيش كتيبتان : احداهما مؤلفة من رجال الفرس
اسمها « الشهباء » ، والاخرى من تنوخ اسمها « دوسر » ، فكان يغزو

بها من لا يدين له من العرب ، وكان صارماً حلزماً ضابطاً للملكة ، واجتمع له من الاموال والرقيق والخول (١) ما لم يملكه أحد من ملوك الحيرة .

وكانت الحيرة على شاطئ الفرات ، والفرات يدنو من أطراف البر حتى يقرب من النجف ، فلما تبسط النعمان في العيش رأى أن يتخذ مجلساً طالياً يشرف منه على المدينة فأخذ « الخورنق » على مرتفع يشرف على النجف وما يليه ، من النخل والبساتين والجنان والأنهار ، مما يلي المغرب ، وعلى الفرات مما يلي المشرق ، فأعجبه ما رأى في البر من الخضرة والنور والانهار الجارية ولقاط السماء ورعى الأبل وصيّد الطيباء والأرانب ، وفي الفرات من الملاحين والغواصين وصيادي السمك ، وفي الحيرة من الاموال والخول من يموج فيها من رعيته ، ففكر في ذلك وقال في نفسه : « أي درك في هذا الذي قد ملكته اليوم ويملكه غداً غيري ، فبعث الى حجابته فنصاهم عن بابه ، فلما جن الليل التحف كسائه وساح في الارض فلم يره أحد ، وفيه يقول عدي بن يزيد يخاطب النعمان ابن المنذر الآتي ذكره :

وتدبر رب الخورنق إذ أشرف يوماً وللهدي تفكير

سره حاله وكثرة ما يملك والبحر معرضاً والسدير

فارعوى قلبه وقال : وما غبطة حي الى المات يصير ؟

وقد ذكروا من حديث بناء الخورنق ما هو مشهور متناقل ،

نعني حديث سنار الذي بناه وكيف قتله حتى لا يبني سواه .

وكان النعمان هذا زوجاً لابنة زهير بن قيس بن جذيمة من بني

عبس ، فأرسل الى حميه المذكور يستنزيهه بعض أولاده ، فأرسل ابنه

(١) الخول جمع خولي : العبيد والأماء وغيرهم من الحاشية .

شاساً فأكرمه النعمان وأعطاه مالا وطيباً ، فلما رجع شاس يريد قومه قتله في الطريق رباح بن الاشل الغنوي وأخذ ما كان معه ، وعلم أبوه فحمل عليهم ، فحصلت معركة عرفت بيوم - رحرحان - .

(٧) المنذر بن النعمان بن امرئ القيس ملك « من سنة ٤٣١-٤٧٣ » ،

ذكر بعض المؤرخين : أن هذا المنذر أمه هند بنت زيد مناة ابن زيد بن عمرو النمساني ، وأنه حكم ٤٤ سنة ، وذكر ملوك فارس الذين طهرهم وهم : بهرام جور بن يزدجرد الأثيم ، ويزدجرد بن بهرام ، وفيروز بن يزدجرد ومع ذلك فهم يقولون أنه تولى تربية بهرام جور ، دفعه إليه أبوه يزدجرد الأثيم ليربيه من الرضاعة فما بعدها ، فلما بلغ خمس سنين احضر له مؤدبين علموه الكتابة والرعي والفقه بطلب من بهرام بذلك ، واحضر له حكيماً من حكماء الفرس فوعى كل ما علمه ، فلما بلغ ١٢ سنة طاق معلميه ، فأمرهم المنذر بالانصراف ، واحضر معلمي الفروسية فأخذ عنهم كل ما ينبغي له ، ثم صرفهم وأمر فأحضرت خيل العرب للعباق ، فعلمه ركوب الخيل والرعي والصيد وغير ذلك ، فأقبل على اللهو والتلذذ ، فأتته أبوه وهو عند المنذر ، فتعاهد العطاء وأهل الشرف على أن لا يملكوا أحداً من ذرية يزدجرد ، لسوء سيرته ونشوء بهرام عند العرب وتخلقه بأخلاقهم ، فلكوا رجلاً من عقب اردشير بن بابك ، فاستنصر بهرام بالمنذر فنصره ورد إليه الملك بالسيف وأطاعه الجميع في حديث طويل ، ولكنه ظل على لهوه حتى طمع فيه ملك الترك فعاد إلى رشده وحاربهم وغلبهم .

وللمنذر هذا فضل على بهرام جور وعلى أبيه يزدجرد ، لانه أعانه

في حروب كثيرة ، ومن حملتها حرب مع الروم ، وذلك أن يزدجرد اضطهد النصارى في بلاده ، وجاراه ابنه بهرام جور ، فنهض الروم لنصرة النصارى - أو هي ذريعة للحرب طمعا في الفتح على عادة الطامعين من دول أوروبا في الشرق - ولا يزال ذلك رأيهم الى اليوم - فانتشبت الحرب بين الدولتين ، وحاصر الروم نصيبين ، فاستنصر بهرام المنذر فلباه ووعد ان يكتسح له سوريا ايضا ، وقد فعل وبانتم رجاله في النهب والقتل فلما بلغ خبر ذلك الى القسطنطينية وقع الرعب في قلوب الروم ، وعمدوا الى الصلاة والاستعاذة بالله من ذلك الاسد العربي .

ولو دخل الفرس عاصمة النصرانية يومئذ لتغير وجه اوربا ، كما تغير لما فتحها العثمانيون بعد ذلك بنيف وألف سنة ، ولكن أوربا نجت يومئذ باضطراب وقع في معسكر المنذر اضطره الى عقد الصلح ، وقد أصيب المنذر بخسارة كبرى عندما حاول عبور الفرات لنجدة الفرس أثناء حصارهم القسطنطينية ، فقد غرق من جيشه الف رجل .

(٨) الأسود بن المنذر بن النعمان ملك « من سنة ٤٧٣-٤٩٣ م »

اشتهر هذا الملك بمعركة حارب بها الفساسنة ، وأسر عدة من ملوكهم ، ثم أراد أن ينفو عنهم ، وكان له ابن عم اسمه ابو أذينة قد قتل آل غسان له أخاً في بعض الوظائف ، فقال أبو أذينة في ذلك قصيدة يغري بها الأسود على قتلهم مطلعها :

ما كلّ يوم ينال المرء ما طلبا ولا يسوغه المقدار ما وهبا (١)
واحزم الناس من ان فرصة عرضت لم يجعل السبب الموصول مقتضبا

(١) المقدار : القدر بالتحريك .

وانصف الناس في كل المواطن من
 وليس يظلمهم من راح يضرهم
 والعفو إلا عن الاكفاء مكرمة
 قتلت عمراً وتستيتي يزيد لقد
 لا تقطن ذنب الافعى وتركها
 هم جردوا السيف فأجعلهم له جزراً
 ان تعف عنهم تقول الناس كلهم
 وكان أحسن من ذا العفو لو هربوا
 هم أهلة غسان ومجدم
 واعرضوا بفداء واصفين لنا
 أيحلبون دماً منا ونحلبهم
 علام تقبل منهم فدية وهم
 سقى المعادين بالكأس الذي شربا
 بحد سيف به من قبلهم ضربا
 من قال غير الذي قد قلته كذبا
 رأيت رأياً يجز الويل والحربا
 ان كنت شهماً فالحق رأسها الذنبا
 واوقدوا النار فاجعلهم لها خطبا (١)
 لم يمف حلماً ولكن عفوه رهبا (٢)
 لكنهم انقوا من مثلك الهربا
 عال فان حاولوا ملكا فلا عجبا
 خيلا وابلا يروق المعجم والعربا
 رسلا لقد شرفونا في الوري حلبا (٣)
 لا فضة قبلوا منا ولا ذهباً (٤)

(٩) المنذر بن المنذر ، أخوه ملك « من سنة ٤٩٣-٥٠٠ م »

ليس له حوادث تستحق الذكر .

(١) جزراً : قطعاً .

(٢) رهبا : خوفاً .

(٣) الرسل بالكسر : اللبن ، والحلب بالتحريك : استخراج ما في الضرع

من اللبن .

(٤) نهاية الارب : ٣٢٠\١٥ ، تاريخ ابي الفداء : ٧٤\١ .

(١٠) النعمان بن الاسود ملك « من سنة ٥٠٠-٥٠٤ م »

لم يورد له العرب خيراً هاماً ، ولكن جاء في كتب اليونان أنه قضى مدة حكمه الصغيرة وهو خارج الحيرة يحارب الروم في سوريا والجزيرة ، وأبلى بلاءاً حسناً . وفي أيامه تمدى بكر وتغلب على حدود العراق ، فجرد النعمان المذكور اليهم فلم يقو عليهم ، وقتل من أهله كثيرون ، ولم يحضر المعركة بنفسه ، ولكنه مات في ذلك العام وهو محاصر الرها مع قباذ وهي ممتنعة عليهم ، وينسب مؤرخو النصرانية وفاته الى معجزة دينية ، وكان معاصراً لقباز والد كمرى انوشروان .

(١١) علقمة بن يعفر ، ملك « من سنة ٥٠٤-٥٠٧ م »

كان معاصراً لقباز ، وهو من غير آل نصر ، وليس له خير يستحق الذكر .

(١٢) امرؤ القيس بن النعمان ، ملك « من سنة ٥٠٧-٥١٤ م »

شأنه مثل شأن علقمة .

(١٣) المنذر بن امرئ القيس بن ماء السماء ملك « من سنة ٥١٤-٥٣٣ م »

هو أشهر ملوك لخم واكثرهم عملاً ، لأنه عاصر من ملوك الفرس قباذ المذكور ، وابنه انوشروان ، ومن قياصرة الروم جستنيان ، ومن الفساسنة الحارث بن جبلة ، وكلهم من كبار الرجال اجتمعوا في عصر واحد ، وفي أيامه فتح الأحباش بلاد اليمن على يد أبرهة ، وكان المنذر

من جملة الوفود على أبرهة وهو صاحب يوم - أباغ - .
أفضت سيادة الحيرة الى المنذر المذكور في اواسط حكم قباذ ،
وظهر في اثناء ذلك مذهب مزدك ، وغايته الاشتراك في الاموال
والاشياء ، وكان أعيان الفرس وأشرفهم قد أحرزوا أموالا طائلة
ومجوهرات وعقارات لا تقدر - قالوا : فأراد قباذ أن يصتعي بهذا
المذهب على مشاركتهم فيها ، فانتعله وتمصب لصاحبه وحمل رجاله عليه
ومنهم من أطلع ومنهم من أبى ، والمنذر من جملة الذين اكبروا هذه
البدعة فلم يتبعها .

وكانت دولة كندة - الآتي ذكرها قد ظهرت وتوالى منها بضعة
ملوك ، منهم الحارث بن عمرو بن حجر الكندي ، وكان معاصراً لقباز
والمنذر ، وملوك كندة يومئذ ينافسون اللخمين في السيادة على عرب
الشمال ، كما ينافسهم الفسائيون .

وكان الحارث الكندي يتقرب من الأكاسرة لفرصة ينتمها لتأييد
سلطته ، وهم يدافعونه أو يسايرونه حتى اذا تغير قباذ على المنذر
تصدى الحارث للولاية ، فولاه قباذ الحيرة وأخرج المنذر منها ، فظل
محتبئاً بقية أيام قباذ ، فلما تولى انوشروان - وكان على غير رأي والده -
أقبل عليه المنذر فرحب به ثم أعاده الى منصبه ، بعد ان قتل مزدك
وهرب الحارث ونجا ، وأصلح انوشروان ما أفسده أبوه ومزدك .

وهو صاحب الفريين ، ويومي البؤس والنميم ، ولبت على ذلك برهة
من الدهر ، حتى جاء عبيد بن الابصر الأسدي الشاعر ممتدحا ،
فاتفق قدومه يوم البؤس ، فسق على المنذر قتله ولم ير بدأ من البر
بقسمه ، وفق رواية ان الذي أتاه في يوم البؤس حفظة بن ابي عفراء ،

وقال بعضهم : أن النعمان تفصر لهذا السبب .

والمنذر بن ماء السماء يوم مشهور بين أيام العرب يعرف بيوم
- اواره - يفنه وبين بكر بن وائل .

(١٤) الحارث بن عمرو الكندي

جاء خبره في أثناء خبر المنذر بن ماء السماء ، ومدة حكمه داخله
في مدة حكم المنذر .

(١٥) عمرو بن هند مضطرب الحجاره ملك « من سنة ٥٣٣-٥٧٨ م »

هو عمرو بن المنذر بن امرئ القيس ، ويسمونه المحرق الثاني ،
ويعرف باسم امه هند بنت عمه امرئ القيس الشاعر الشهير ، ولدت
للمنذر عمراً هذا وقابوساً ، وكان عمرو شديد السلطان ، وقد غزا بني
تميم في دارهم ، وقتل من بني دارم كثيرين يوم اواره الثاني .

وبالغ في العظمة والكبرياء حتى توهم في نفسه الفضل على الناس
كلهم ، وخيل له أنه ليس من امير في العرب لا يخدمه ويتمنى رضاه ،
وكانت تلك الدعوة سبب قتله ، وذلك أنه قال يوماً لجلسائه : هل
تعرفون أحداً من أهل مملكتي يأنف ان يخدم امه امي ؟ قالوا : مانعرفه
إلا ان يكون عمرو بن كلثوم التغلبي ، فان أمه ليلى بنت مهلهل بن
ربيعة وعمها كليب وائل وزوجها كلثوم ، وابنها عمرو .

فسكت مضطرب الحجاره على ما في نفسه ، وبعث الى ابن كلثوم
يستزيره ويأمره ان تزور أمه أمه ، فقدم ابن كلثوم في فرسان من
تغلب ومعه أمه ليلى ، فنزل على شاطئ الفرات ، وبلغ عمرو بن هند

قدمه ، فأمر فضربت خيامه بين الحيرة والقرات ، وصنع طعاماً دعا إليه وجوه أهل دولته ، فقرب لهم الطعام على باب السرادق . وجلس هو وعمرو بن كلثوم وخواص أصحابه في السرادق ، ولأمه هند قبة في جانب السرادق ، وليلى أم عمرو بن كلثوم معها في القبة .

وكان مضطرب الحجارة قد قال لأمه : إذا فرغ الناس من الطعام ولم تبق إلا الطرف نحي خدمك عنك ، فإذا دنت الطرف استخذي ليلى ومرها فلتناولك الشيء بعد الشيء ، ففعلت ، فلما استدعى الطرف قالت هند لليلى : ناوليني ذلك الطبق . قالت : لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها ، فألحت عليها فقالت ليلى : واذا له ! يا آل تغلب !

فسمعها ولدها ابن كلثوم فثار الدم في وجهه والقوم يشربون ، فعرف عمرو بن هند الشر في وجهه ونهض ابن كلثوم الى سيف ابن هند وهو معلق في السرادق وليس هناك سيف غيره ، فأخذه وضرب به مضطرب الحجارة فقتله ، وخرج فنادى : يا آل تغلب ! فانتهبوا مال عمرو بن هند وخيله وسبوا النساء ولحقوا بالحيرة . وطاصر عمرو بن هند كسرى انوشروان .

(١٦) قابوس بن المنذر ملك « من سنة ٥٧٨-٥٨١ م »

هو أخو عمرو المتقدم ذكره ، وكان ضعيفاً وفيه لين ، وسموه فتنة العرس أو « قينة العرس » وله مع بني يربوع « يوم طخفة » ، وقد قتله رجل من يشكر وسلب ما كان عنده وعليه .

(١٧) فيشهرت (أو زيد) ملك « من سنة ٥٨١-٥٨٢ م »

ليس له خبر يذكر . نعم يذكر بعض المؤرخين في سبب تسميته ملكاً على الحيرة في حين أنه رجل فارسي ليس من ولد آل نخم، ولعل اضطراباً حدث في المملكة أو نزاعاً وقع بين أولاد قابوس وبين آل نخم أدى إلى تدخل الفرس ، فقرروا تسمين رجل غريب من أهل الحيرة حتى تزول أسباب الخلاف ، فلما زالت تلك الموانع عين المنذر ملكاً على الحيرة وبذلك يكون قد عاد الملك إلى آل نخم .

(١٨) المنذر بن المنذر بن ماء السماء ملك « من سنة ٥٨٢-٥٨٥ م »

هو صاحب يوم « حليلة » وهو من أيام العرب المشهورة .

(١٩) النعمان بن المنذر أبو قابوس ملك « من سنة ٥٨٥-٦١٣ م »

كان معاصراً لهرمز الرابع وكسرى ابرويز ، وبلغت الدولة في أيامه منتهى الترف والرخاء اقتداءً بالفرس ، وبعد أن كان الأكرسة في أوائل الدولة يعجبون بفشاط العرب وانفتهم ويمهدون اليهم بتربية أولادهم وتثقيفهم أصبح هؤلاء يمهدون بتربية أولادهم إلى آخرين ، وذلك أن المنذر بن المنذر - والد النعمان المذكور - عهد بتربيته إلى رجل من عباد الحيرة اسمه عدي بن زيد ، وكان للمنذر ١٢ ولداً يسمون الأشاهب ، وكان النعمان من بينهم أحمر أبرش قصيراً ، وكان قابوس عم النعمان قد بعث إلى انوشروان بعدي بن زيد وخواوته ، وهم من أهل الكتابة يعرفون الفارسية والعربية ، فكانوا في جملة كتابه ومترجميه .

فلما حضرت النبية المنذر بن المنذر لم يعهد بالعرش لأحد من بنيه فوكل الأمر الى أليس بن قبيصة الطائي ، فتولاه أشهراً ، وفسكر انوشروان فيمن يملكه على العرب بعد المنذر المتوفى ، وشاور عدي بن زيد المذكور واستنصحه في بني المنذر فأشار عليه بالنعمان ، وكان في خاصة ملك الفرس رجل آخر من بني « مرينا » - وبنو مرينا من البيوت ذات القوة والجاه في الحيرة - اسمه عدي ايضاً ، وكان هو مع أخ للنعمان اسمه الأسود ، فسأه انتخاّب النعمان للملك وعزم على الكيد له ولعدي بن زيد ، وحرص الأسود على ذلك ، وأخذ هو يسمي سرّاً للايقاع بعدي لدى النعمان نفسه بالاغتيال والوشاية واسترضاء الحاشية ، حتى اضغن النعمان عليه . وكان عدي يومئذ في المدائن عند كسرى ، والنعمان في الحيرة ، فبعث النعمان يستزيه - أي يستزيه عدياً - فاستأذن كسرى في ذلك ووصل الى الحيرة فأمر النعمان بحبسه ، فجعل عدي يقول الشعر ، فبلغ النعمان قوله فندم على حبسه ، وخاف منه اذا أطلقه وبلغ كسرى حال عدي فكتب الى النعمان أن يطلقه ، وعلم النعمان بالرسالة قبل وصول الرسول ، فشاور أصحابه فخوفوه من إطلاقه ، فبعث اليه جماعة خنقوه ودفنوه ، وكان الرسول قد رآه في السجن قبل وصوله الى النعمان ، فلما أدى الرسالة قال له النعمان : « اذهب الى السجن فخذ » فقبل له أنه مات منذ أيام ، فعلم انهم غدروا به وقتلوه فعاد الى النعمان بذلك فرشاه واستوثقه ألا يقول لكسرى وقد ندم على ما فرط منه .

ورأى النعمان ابناً لعدي اسمه زيد فأراد أن يكرمه تكفيراً عن اساءته لأبيه ، فطلب اليه زيد أن يسمي له عند كسرى ليجمعه مكان أبيه ففعل ، فتقرب زيد من كسرى وفي نفسه شيء على النعمان يضره

ويظهر الثناء عليه ويترقب الفرص ، فاتفق ان كسرى احتاج الى نساء لتزويج اولاده ، فأشار عليه زيد أن يطلب من النعمان بعض بنات عمه واثني على جاهلن وهو يعلم ان النعمان يرضن بذلك ، فكلفه كسرى أن يسير في طلبهن ، وانفذ معه سفيراً يعرف العربية ليسمع جواب النعمان .

فلما دخل زيد والرسول على النعمان أفهماه ما طلبه كسرى ، فسق ذلك عليه فقال : ما في عين السواد وفي فارس ما تبلغون به حاجتكم ؟ فسأل الرسول زيدا عن معنى لفظ « عين » فقال : البقر ، فلما عاد الى كسرى أخبراه بما قاله فغضب لقوله : « ما في بقر السواد ما يكفيه » وسكت اشهراً ثم بعث يستقدمه اليه ، وبلغ النعمان غضبه فأخذ سلاحه وما استطاع حمله ولحق بجبلى طيه ، وكان متزوجاً منهم وطلب اليهم أن يمنعوه فأبوا عليه خوفاً من كسرى ، فأقبل وليس أحد من العرب يقبله ، حتى نزل في ذي قار على بني شيبان سراً ، فلقى هناك هانيه ابن مسعود الشيباني - وكان سيداً منيعاً - فأودعه أهله وماله وفيه ٤٠٠ درع ، وتوجه الى كسرى فلما وصل الى بابه بعث اليه من قيده وأرسله مخفوراً الى خانقين وحبس فيه حتى جاء الطاعون فمات فيه سنة ٦١٣ م .

ويقول بعضهم : ان النعمان هذا هو صاحب الغريين ، وانه كان يعبد الوثن فتنصر على يد عدي بن زيد المذكور - وقيل غير ذلك - .

وهو صاحب يوم طخفة ويوم السلاف ، الأول بينه وبين بني يربوع - وسببه ان الردافة - وهي بمنزلة الوزارة والرديف يجلس عن يمين الملك - كانت لبني يربوع من تميم يتوارثونها صغيراً عن كبير فلما كانت ايام النعمان وقيل ايام ابنه المنذر سأهاها حاجب بن زرارة الدارمي

التميمي النعمان لبني دارم ، فقال النعمان : لبني يربوع في هذا ، وطلب منهم أن يجيبوا الى ذلك فامتنعوا وكان منزلهم أسفل طخفة ، فلما امتنعوا من ذلك بعث اليهم النعمان قابوساً ابنة وحصاناً أخاه ، على أن يكون قابوس على الناس وحسان على المقدمة ، وضم اليهم جيشاً كثيفاً فيهم الصنائع والوضائع (١) وفاس من تميم وغيرهم ، فساروا حتى أتوا طخفة فالتقوا هم ويربوع ، واقتتلوا ، وصبرت يربوع وانتهزم قابوس ومن معه ، وضرب طارق ابو صميرة فرس قابوس فمقره وأسره ، وأراد أن يجز ناصيته فقال قابوس : ان الملك لا تجز نواصيها فأرسله .

وأما حسان فأرسله بشر بن عمرو بن جوين فنّ عليه وأرسله ، فعاد المنهزمون الى النعمان ، وكان شهاب بن قيس بن كياس اليربوعي عند الملك فقال له : يا شهاب أدرك أبي وأخي ، فان أدركتها حين فلبني يربوع حكمهم واردد عليهم وفادتهم واترك لهم ما قتلوا وما غنموا واعطيهم الف بعير (٢) .

فسار شهاب فوجدهما حين ، فأطلقها ووفى الملك لبني يربوع بما قال ولم يعرض لهم في وفادتهم ، وقال مالك بن نويرة :

ونحن عقربنا مهر قابوس بعدما رأى القوم منه الموت والخليل تلجب
عليه دلاص ذات نسج وسيقه جواز من الهندي ابيض مقضب

(١) الوضائع في القبائل العربية : كانوا قوماً من سرات الناس في مكانة شيوخها . والصنائع : هم العرب الذين يصطنعهم الملوك ليحاربوا باسمهم .

(٢) وهي فداء لولده قابوس ولأخيه حسان ، حيث ان الملك او الامير اذا اسر يفدى عنه بألف بعير ، فكل فداء الف بعير .

طلبنا بها أنا مداريك نبلها إذا طلب الشأو البعيد المغرب
ويوم السلان بين النعمان المذكور وبني عامر بن صعصعة ، وسببه
أن كسرى برويز كان يجهز كل سنة لطيمة (قافلة تجارية) تباع بمعكظ
فأغار بنو عامر على لطيمة منها في بعض السنين ، ففضب النعمان واستنفر
أخاه لأمه وبرة بن رومانوس الكلبي ، وأرسل الى بني تميم فجمعهم ووجه
معهم عيراً وقال لهم : إذا فرغتم من عكاظ وانسلخت الحرم ورجع كل
قوم الى بلادهم فاقصدوا بني طامر فانهم قرييون بنواحي السلان ،
فخرجوا وكتموا أمرهم وقالوا : خرجنا ليلاً لئلا يعرض أحد للطيمة الملك .
فلما فرغ الناس من عكاظ علمت قريش بحالهم ، فأرسل عبد الله
ابن جدعان قاصداً الى بني عامر يعلمهم الخبر ، فسار اليهم وأخبرهم خبرهم
فخندروا وتهبأوا للحرب وتحذروا ووضعوا العيون ، وعاد عليهم طامر بن
مالك ملاعب الأسنة وأقبل الجيش فالتقوا بالسلان ، فاقتتلوا قتالاً شديداً
ودارت الدائرة على جيش النعمان .

(٢٠) أياس بن قبيصة ملك « من سنة ٦١٣-٦١٨ م »

لما مات النعمان استعمل كسرى أياس بن قبيصة الطائي مكانه ،
وأمره أن يجمع ما خلفه النعمان ويرسله اليه ، فبعث أياس الى هاني بن
مسعود بارسال ما استودعه النعمان ، فأبى ففضب كسرى فأشار عليه أحد
أعداء شيبان وسائر بكر بن وائل أن ينتظر ريثما ينزلون ذي قار فيبعث
من يأخذهم بالقوة ، فصبر كسرى حتى نزلوا المسكان ، فبعث اليهم أن
يسلموا ما خلفه النعمان عندهم أو الحرب ، فاخثاروا الحرب ، فحمل عليهم
أياس بن قبيصة ومعه جند الفرس والعرب وأياد بالأفيال والمعدة الثقيلة .

أما هانيء بن مسعود ففرق سلاح النعمان في رجاله ، وعزم على الفرار خوفاً من كثرة جنود الفرس ، فاعترضه رجل من عجل اسمه حنظلة ابن ثعلبة وقال : يا هانيء أردت نجاتنا فألقيتنا في الهلكة . فرد الناس وقطع وضمن الهوادج (احزمتها) وضرب على نفسه قبة ، وأقسم لا يفر حتى تفر القبة ، فرجع الناس واستقوا ماء لنصف الشهر ، فانهزم الفرس بصغوفهم وخيولهم وثبت العرب نباتاً جميلاً فانتصروا وفر الفرس مع كثرة عددهم سنة ٣ للمبعثة ، وتعرف هذه الواقعة في تاريخ العرب بيوم « ذي قار » .

(٢١) زاديه ملك « من سنة ٦١٨-٦٢٨ م »

ليس له خبر يذكر .

(٢٢) المنذر بن النعمان المغرور ملك « من سنة ٦٢٨-٦٣٢ م »

هذا آخر ملوك الحيرة قتل في البحرين يوم « جواما » وليس له من

الأعمال ما يستحق الذكر .

(العرب قبل الاسلام : ٢٢٣-٢٣٥ ، تاريخ ابن الاثير :

٢٤٠/١ ، تاريخ ابي الفداء : ٧٣/١ ، تاريخ الطبري :

٤٣٦/١-٤٥١ ، تاريخ ابن خلدون : ٢٥٩/٢ ، معجم

البلدان : ٣٧٦/٣ ، تاريخ صروج الذهب : ٢٨٧/١ ،

تاريخ اليعقوبي : ٢٦٩/١ ، نهاية الأرب : ٣١٥/١٥ ،

بلوغ الأرب : ١٧٥/٢ ، دائرة المعارف الاسلامية :

١٦١/٨ ، دائرة معارف البستاني : ٢٧٥/٧ ، دائرة

معارف فريد وجدي : ٢٤٣/٦ ، الاعلام : ١٠/٩ ،

الاغاني (١٢٠/٢) .

في الصيف ضيقت اللبن (١)

قال مؤلف كتاب « من أمثال العرب » : قالوا تزوجت امرأة من العرب رجلاً ذا مال ولكنه كان شيخاً تقدمت به السن ، فاختلعا فطلقها وكان ذلك وقت الشتاء الذي يكثر فيه المرعى ويدّر اللبن ، وتزوجت المرأة بعد طلاقها شاباً جميلاً ولكنه كان غير ثري ، فلما جاء الصيف

(١) استشهد شارح الفية ابن مالك بهذا المثل - في باب. نعم وبش وما جرى مجراها - قال الناظم :

ومثل نعم حبذا الفاعل ذا وان ترد ذماً فقل لا حبذا
واول ذا المخصوص اياً كان لا تعدل بذاً فهو يضاهى المثلاً

قال ابن الناظم في شرح البيت الثاني : يعني اتبع ذا المخصوص بالمدح او الذم مذكراً كان او مؤثماً مفرداً او مثنى او مجموعاً ، ولا تعدل عن لفظ ذا لان باب حبذا جار مجرى المثل والامثال لا تغير ، فنقول « حبذا زيد » و « حبذا هند » و « حبذا الزيدان » و « حبذا الزيدون » ولو طبقت بين الفاعل والمخصوص بالمدح لقلت « حب ذي هند » و « حب اولاء الزيدون » ، كما تقول « نعم المرأة هند » و « نعم الرجال الزيدون » ، إلا انه لما جرى مجرى المثل لم يغير كما قالوا : « بالصيف ضيقت اللبن » .

(شرح الفية ابن مالك : ١٩٥)

احتاجت الى اللبن ، ولم يكن اللبن موجوداً في ذلك الوقت إلا عند زوجها الاول ، فبعثت اليه ترجوه بعضاً منه ، فأبى وصاح قائلاً : « في الصيف ضيبت اللبن » أي انك بسوء رأيك وفساد تدبيرك قد فوت على نفسك هذا اللبن الذي كنت تستجدينه في الصيف عند الحاجة اليه فحقت المنم وأولى بك الذمامة ، وهكذا يقال لمن ضيع ما في يده ثم طلبه بعد فواته ، فاذا أسرف رجل في ماله ثم بحث عنه وقت العجز فلم يجده ، أو أسرف في صحته ثم جاء يطلبها وقت الشيخوخة ، أو لم يسمع النصيح في وقته ثم راح يفضده بعد فوات الوقت قيل في ذلك وأمثاله « في الصيف ضيبت اللبن » .

وقال أليداني في مجمع الامثال: والتاء من «ضيبت» مكسورة على كل حال إذا خوطب بها المذكر والمؤنث والاثان والجمع ، لأن المثل في الاصل خوطبت به امرأة وهي «دختنوس (١)» بنت لقيط بن زرارة ، كانت تحت عمرو بن عمرو بن عدس ، وكان شيخاً كبيراً ففركته أي كرهته

(١) دختنوس بفتح الدال وسكون الحاء ، وفتح التاء وضم النون بعدها الواو والسين : بنت لقيط بن زرارة الدارمية من تميم ، شاعرة جاهلية سميت باسم بنت كسرى - دختنوش - اي بنت الهني ، كانت زوجة عمرو بن عمرو بن عدس ، وحضرت يوم «شعب جبلة» قبل مولد النبي (ص) بتسع عشرة او سبع عشرة سنة ، وفيه قالت اشعاراً منها - ابيات رواها القالي في اماليه ، تعير فيها النعمان بن قهوس التميمي من تميم الرباب بفراره ، وكان حامل لواء قومه في ذلك اليوم ، واورد لها النويري اياتاً وقال انها في رثاء اخيها لقيط .

(الاعلام : ١٤/٣)

فطلقها ، ثم تزوجها فتى جميل الوجه ، واجدبت (١) ، فبعثت الى عمرو تطلب منه حلوبة (٢) فقال عمرو : « في الصيف ضيقت اللبن » فلما رجع الرسول وقال لها ما قال عمرو ضربت يدها على منكب زوجها وقالت : « هذا ومذقه خير » تعني ان هذا الزوج مع عدم اللبن خير من عمرو ، فذهبت كلماتها مثلاً ، فالاول يضرب لمن يطلب شيئاً قد فوته على نفسه والثاني يضرب لمن قنع باليسير إذا لم يجد الخبير ، وإنما خص الصيف لأن سؤاها الطلاق كان في الصيف ، أو ان الرجل إذا لم يطرق ماشيته في الصيف كان مضيعاً لألبانها عند الحاجة .

وقال الأصمعي : معناه تركت الشيء في وقته ، وقال غيره : تركت الشيء وهو ممكن .

وقال أبو عبيدة : أول من قاله عمرو بن عمرو بن عدس ، وكان قد تزوج دختنوس بعدما كبر ، فكان ذات يوم نائماً في حجرها فجحف (٣) وسال لعابه ، فتأنفت وانتبه وهي تنأف فقال : أتحمين اطلاقك ؟ قالت : نعم . فطلقها فتزوجها فتى حسن الوجه ففجئتهم غارة والتقى نائم ، فجاءت دختنوس فانبهته وقالت : الخليل فجعل يضرب وهو يقول الخليل الخليل حتى مات ، فقيل اجبن من المنزوف ضرباً ، وسبيت دختنوس فبلغ عمرو بن عمرو بن عدس ، فركب في طلبهم فلحقهم وقتلهم حتى استنقذ جميع ما أخذ واستنقذ دختنوس فردها الى أهلها ، ثم أصابتهم سنة (٤)

-
- (١) اجدبت الارض : انقطع عنها المطر فيست فربي ما حل .
 - (٢) الحلوبة من الابل او الغنم : التي تعطي حليباً .
 - (٣) الجحيف : الغطيط وصوت نفس الانسان حال نومه .
 - (٤) كناية عن جذب الارض لعدم المطر .

فبعثت دختنوس بجاريتها الى عمرو بن عمرو وقالت قولي له محتاج اللبن
فابعث لقمحة (١) فلما أخبرت الجارية عمراً برسالة دختنوس قال لها قولي :
لها : « الصيف ضيعت اللبن » فذهبت مثلاً وبعث اليها بلقمحة .
(الفاخر : ١١١ ، شرح مقامات الحريري : ٣١٩/٢ ، نهاية الارب :
١٣/٣ ، مجمع الامثال : ٦٨/٢ ، من أمثال العرب : ١٤٨) .
قال المؤلف : (ما يتبع المثل وقصته) على اختلاف الروايات ،
وفيه فصول :

(١) اللقمحة بفتح اللام وسكون القاف : الناقة الحلوب .

الفصل الاول

ما قيل في الشجاعة شعراً ، ونثراً ، وقصصاً ، وتمداد بعض من عرف بالشجاعة من العرب ، حتى ضربت شجاعته مثلاً ، والسبب في تدوين هذا الفصل لمناسبة ما أبداه عمرو بن عمرو من البسالة والشجاعة في ارجاع الأموال المنهوبة وارجاع الميية « دخنتوس » ومقاتلته للقوم الناهيين ، (أما ما قيل في الشجاعة شعراً) :

قال الشاعر :

قوم اذا نزل الغريب بدارهم تركوه ربّ صواهل وقيان
وإذا دعوتهم ليوم كريمة شدوا شعاع الشمس بالفرسان
لا ينكتون الأرض عند سؤالهم لتطلب الملات بالعيضان
بل يسفرون وجوههم فترى لها عند السؤال كأحسن الألوان
وقال السموأل .

وما مات منا سيد حتف أنفه ولا طلّ منا حيث كان قتيل
تسيل على حد الظبابة نفوسنا وليست على غير الظبابة تسيل
وقال الآخر :

وإنا لتستحلي المنايا نفوسنا ونترك أخرى مرّها فنذوقها

وقال الشنفرى :

فلا تدفنوني إن دفني محرم
إذا حملت رأسي وفي الرأس أكثرى
عليكم ولكن خامري أم طامري
وغودر عند الملتقى ثم سائري
هناك لا ابقي حياة تسرنى
سجيس الليالي مبسلا بالجرأر
وقال حسان بن ثابت :

ولمنا على الأعقاب تدمى كلومنا
وقبل هذا البيت قوله :

تأخرت استبقي الحياة فلم أجد
لنفسى حياة مثل أن أتقدما
ونسب بعض الأدياء البيتين إلى الحصين بن الحمام بن ربيعة المري :
وهو الأئسب لأن حسان بن ثابت لم يكن معروفاً بالشجاعة ، بل كان
معروفاً بالجبن .

وقال الآخر العلووي :

محرمة أكفال خيلي على القنا
حرام على أرماحنا طعن مدبر
ودامية لباتها ونحورها
وتندق منها في الصدور صدورها
وقال الآخر :

وسائلة بالغيث عني ولو درت
إذا ما التقينا كنت أول فارس
مقارعتي الأبطال طال نحيبها
يجود بنفس أنقلتها ذنوبها
وقال همرو بن الأطنابة :

أبت لي شيمتي وأبي بسلائي
واقدامي على المسكروه نفسي
واخذى الحمد بالثمن الربيع
وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت
لأدفع عن مآثر صالحات
مكانك تمهدي أو تستريح
وأحيا بعد عن هوض صحيح

وقال قطري بن الفجاءة :

وقولي كلما جشأت لنفسي
فإنك لو سألت حياة يوم
فصيراً في مجال الموت صبيراً
ولا ثوب البقاء بثوب عز
سبيل الموت غاية كل حي
وان لم يغتبط يسأم ويهرم
وما للمرء خير في حياة
وقال عنتره العبسي :

بكرت تخوفني الحتوف كأنني
فأجبتها ان النية منهل
فاقني حياك لا أبالك واعلمي
وقال حيان بن ربيعة :

لقد علم القبائل أن قومي
وإنا نعم أحلاس القوافي
وانا نضرب الملحاء حتى
وقال يحيى بن منصور الحنفي :

وجدنا أبانا كان حلّ ببلدة
فلما نأت عنا المصيرة كلها
فما اسلمتنا عند يوم كريمة
وقال حسان بن نشبة المدوي :

نحن أجزنا الحمي كلباً وقد أتت
لها حمير تزجي الوشيح المقوما

تركنا لها شق الشمال فأصبحوا
فلما دنوا صلنا ففرق جمعهم
فخاذين قبلا من مقالوم حير
أمر على أفواه من ذاق طعمها
وقال هلال بن رزين أحد بني
ثور بن عبد مناة بن أد :

وبالبيداء لما أن تلاقى
فخانت حير لما التقينا
وأيقنت القبائل من جناب
أجارت وبل مدجئة فدرت
فولوا تحت قطقتها سراعا
وقال حصين بن حمام المري :

فقلت لهم يا آل ذبيان مالكم
موالكم مولى الولادة منهم
وقلت تبين هل ترى بين ضارج
من الصبح حتى تغرب الشمس لا ترى
عليهم فتیان كسام محرق
صفائح بصرى أخلصتها قيونها
ولما رأينا الصبر قد حيل دونه
صبرنا وكان الصبر مغا سحجية
فقلق هاماً من كرام أعزة
ولما رأيت الود ليس بنافعي
فلمست بمبتاع الحياة بذلة

بها كلب وحل بها النذور
وكان لهم بها يوم عسير
وطامران سيمنعها نصير
عليهم صوب سارية درور
تكبيرهم المهندة الذكور

تفادتم لا تقدمون مقدما
ومولى اليمين حابس قد تقسما
ونهي الكف صارخاً غير اعجا
من الخيل إلا خارجياً مسوما
وكان إذا يكسو أجاد واكرما
ومطر دأ من نسج داود مبهما
وان كان يوماً ذا كواكب مظلما
باسيافنا يقطعن كفأ ومعضما
عليفا وهم كانوا أعق وأظلما
عمدت الى الامر الذي كان احزما
ولا مرتق من خشية الموت سلما

وقال بشامة بن حزن :

ولقد غضبت لخندق واقيسها لما ونى عن نصرها خذالها
دافمت عن أعراضها فنعتها ولدي في أمثالها امثالها
انى امرؤ اسم القصائد لامدى إن القصائد شرها اغفالها (١)
قومي بنو الحرب العوان بجمهم والمشرفية والقنا اشمالها
ما زال معروفاً لمرة في الوعى علّ القنا وعليهم انصالها
من عهد عاد كان معروفاً لنا أسر العداة وقتلها وقتالها

وقال عباس بن مرداس السلمى :

فلم أر مثل الحمى حياً مصباحاً ولا مثلنا يوم التقينا فوارسا
اكر واحمي للحقيقة منهم واضرب مغابا السيوف القوانيسا (٢)
إذا ما شدونا شدة نصبوا لنا صدور المذاكي والرماح المداعيسا
إذا الخيل جالت عن صريع نكرها عليهم فإ يرجعن إلا عوابسا
وقال أبو الايض العبسي :

وذى امل يرجو ترأى وإن ما يصير له منى غـ بدأ لقليل
ومالى مال غير درع ومغفر وايض من ماء الحديد صقيل

(١) اغفال جمع غفل بضم الغين فى المفرد ، من الشمور ما يجهل قائله .

(٢) القوانيس : اعلى بيضة الحديد .

واسمر خطي القنساء مثقف
واقية بنفسه في الحروب واتقى
وقال عمرو بن كلثوم التغلبي :

معاذ الآله أن تنوح نساؤنا
قراع السيوف بالسيوف أحلنا
فما أبقت الأيام لمعال عندنا
ثلاثة أمثال فأمثال خيلنا
وقال بعض بني قيس بن ثعلبة :

دعوت بني قيس إلي فشمرت
إذا ما قلوب القوم طارت مخافة
وقال حجر بن خالد :

وجدنا أبانا حل في المجد بيته
فن يسم منا لا ينل مثل سميه
يسود ثنانا من سوانا وبدؤنا
ونحن الذين لا يروع جارنا
واعيا رجالا آخرين مطالعه
ولكن متى ما يرتحل فهو تابعه
يسود معداً كلها لا تدافعه (٦)
وبعضهم للصدر صم مسامعه

(١) السراة بضم السين : الظهر .

(٢) هادي الفرس : صدره وعتقه .

(٣) الاراك والائل : نوعان من الشجر ينبتان في السهل اكثر .

(٤) لمعال : اي من المال ، والجذم : الاصل .

(٥) الحناذيد : فحول الخيل ، ويستعمل في الشجعان كما هنا .

(٦) الثني : من يكون دون الرئيس ، لكنه يليه في الرتبة مثل ولي العهد في

الاسلام . والبده : السيد المتقدم في السيادة الغير المدفوع عنها .

ندهدق بضع اللحم للباع والندی وبمضهم تغلى بدم مناقمه
ويحلب ضرس الضيف منا إذاشتا سديف السنام تستريه اصابعه
منعنا هانا واستباحث رماحنا همي كل قوم مستجير مراتمه
وقال الرقاق بن المنذر بن ضرار الضبي :

إذا المهرة الشقراء أدرك ظهرها فشب الآله الحرب بين القبائل
وأوقد ناراً بينهم بضرامها لها وهج للمصطلي غير طائل
إذا حملتني والسلاح مشيحة الى الروع لم أصبح على سلم وائل (١)
فدى لفتى القى إلي برأسها تلادي واهلي من صديق وجامل
وقال أبو النول الطهوي في قوم من العرب :

فدت نفسي وما ملكت يميني فوارس صدقت فيهم ظنوني
فوارس لا يملون النايا إذا دارت رحى الحرب الزبون
ولا يجزون من حسن بسية ولا يجزون من غلظ بلين
ولا تبلى بحالتهم وان هم صلوا بالحرب حيناً بعد حين
هم منعوا همي الوقي بضرب يؤلف بين أشتات المنون
فنكب عنهم درأ الأهادي وداووا بالجنون من الجنون
ولا يرعون اكناف الهوينا إذا حلوا ولا أرض الهدون
وقال ربيعة بن مقروم الضبي :

ولقد شهدت الخيل يوم طرادها بسليم أو ظفة القوائم هيكل (٢)
فدعوا نزال فسكنت أول نازل وعلام اركبه إذا لم انزل

(١) المشيحة : الفرس القوي العذر .

(٢) الاوظفة جمع وظيف : وهو مستدق الذراع والساق من

الخيل وغيرها .

وألد ذي حنق علي كأنما
ارجيته عني فأبصر قصده
تغلي عداوة صدره في مرجل (١)
وكويته فوق النواظر من عل
وقال بشامة بن حزن النهشلي :

انا محيوك يا سلمى فحينما
وان دعوت الى جلي ومكرمة
أنا بني نهشل لا تدعي لأب
ان تبتدر غاية يوماً لمكرمة
وليس يهلك منا سيد أبداً
أنا لترخص يوم الروح أنفسنا
بيض مفارقنا تغلي مراجعنا
أنا لمن معشر أفنى أو اللهم
لو كان في الالف منا واحد فدعوا
إذا الكفاة تمنحوا أن يصيبهم
ولا ترام وان جلت مصيبتهم
ونركب الكرب أحياناً فيفرجه
وقال ودّاك بن ثميل المازني :

رويد بني شيبان بمض وعيدكم
تلاقوا غدأ خيلي على سفوان (٥)

-
- (١) المرجل بكسر الميم : القدر تكون من نحاس .
 - (٢) الجلي : تأنيث الأجل .
 - (٣) المصلي : من اسماء خيل العلبة التي تخرج للسباق .
 - (٤) الأفتلاء : الانتظام والاخذ عن الأم .
 - (٥) سفوان : اسم ماء على اميال من البصرة .

تلاقوا جياداً لا تحيد عن الوعى إذا ما غدت في المأزق المتدانى
 عليها الكفاة الفر من آل مازن ليوث طمان عند كل طمان
 تلاقوهم فتعرفوا كيف صبرهم على ما جنت فيهم يد الخدنان
 مقاديم وصالون في الروع خطوهم بكل رقيق الشفرتين يمان
 إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم لأية حرب أم بأي مكان
 وقال بعض بني تميم الله بن ثعلبة :

ولقد شهدت الخليل يوم طرادها فطمعت تحت كنانة المتمطر
 ونطاعن الابطال عن آبائنا وعلى بصائرنا وان لم نبصر
 ولقد رأيت الخليل شلن عليكم شول الخاض أبت على المتغير
 وقال عامر بن الطفيل :

طلقت ان لم تسألني أي فارس حليلك إذ لاقى صداه وخثمها (١)
 أكرّ عليهم دعلجاً ولباناه إذا ما اشتكى وقع الرماح تحمها
 وقال حريث بن عذاب الغبباني :

تمالوا افاخركم أعياء وفقعس الى المجد أدنى أم عشيرة حاتم
 الى حكم من قيس عيلان فيصل وآخر من حي ربيعة عالم
 ضربناكم حتى إذا قام ميلسكم ضربوا باكذافي واكذاف معشري
 فقد كان اوصاني ابي ان اضيفكم اكن حرزكم في المأقط المتلاحم
 الى وانهى عنكم كل ظالم
 وقال العباس بن مرداس السلمي :

أشد على الكتيبة لا ابالي احتفي كان فيها ام سواها
 وقال المتنبي :

(١) صداه وخثم : قبيلتان .

شجاع كأن الحرب شاققة له
وقال المتنبى أيضاً :

وكم رجال بلا ارض لكثرتهم
ما زال طرفك يجرى في دمائهم
وقال عماد الأصفهاني :

قوم إذا لبسوا الحديد إلى الوغى
المصدرون الدهم عن ورد الوغى
وقال أبو الفرج البغاه :

واليوم من غسق العجاجة ليلة
وعلى الصفاح من الكفاح وصدقه
والظمن يفتصب الجياد شياتها
وعد النفوس من الحمام طلائع
وأجل ما عند الفوارس حشها
حتى إذا ما فارق الرأي الهوى
لم يفن غير أبي شجاع والعل
وقال البهتري ، وقيل لأبي الفرج البغاه :

من كل متمسم الأخلاق مبتمم
يسمى به البرق إلا أنه فرس
يلقى الرماح بصدر ليس له
وقال البهتري :

معشر أمسكت حلومهم الأرز
فاذا الجذب جاء كانوا غيوثاً
ض وكادت لولاهم أن تميذا
وإذا النقم نار ناروا أسودا

وكأن الأله قال لهم في الحرب كونوا حجارة أو حديدا
وقال مسلم :

لو أن قوماً يخلقون منية من بأسهم كانوا بني جبريلا
قوم إذا همي الوطيس لديهم جعلوا الجاهم للسيوف مقبلا
وقال الآخر :

عقبان روع والسروح وكورها وليوث حرب والفتنا آجام
وبدور تم والشوائك في الوغى هالاتها والسابري غمام
جادوا بمنوع البلاد وجودوا حزبا تحدد به الطلا والهمام
وتجاورت أسيافهم وجيادهم فالأرض تمطر والصماء تنمام
وقال الآخر :

قوم شراب سيوفهم ورماحهم في كل معترك دم الأشرف
رجعت اليهم خيلهم بمعاشر كل لكل جسيم أمر كاف
يتحننون الى لقاء عدوم كتحنن الآلاف للآلاف
ويباشرون طلبا السيوف باقمس امضى وأقطع من طلبا الأسياف
وقال ابن حيوس :

أن ترد خير حالهم عن قريب فأتهم يوم نائل أو نزال
تلق بيض الوجوه سود مثار النقع خضر الأكناف همر النصال
وقال سعد بن ناشد المازني :

سأغسل عني العار بالسيف جالبا علي قضاء الله ما كان جالبا
واذهل عن دارى واجعل هدمها لمرضى عن باقي المذمة حاجبا
ويصغر في عيني تلادي إذا انتنت بعيني بادراك الذي كنت طالبا
فيا لزام رشحوا بي مقدما الى الموت خواضاً اليه الكرائمبا

إذا هم لم يردع كريمة هم
أخا غمرات لا يريد على الذي
إذا هم القى بين عينيه عزمه
ولم يستشر في رأيه غير نفسه
عليكم بداري فاهدومها فانها
وقال الآخر وهو المملوط :

ألم ترني خلقت أخا حروب
وقالت امرأة من كندة :

أبوا أن يفروا والقنا في نحورهم
ولو انهم فروا لكانوا أعزة
وقال أبو سعيد الخزومي :

وما يريد بنو الأغيار من رجل
لا يشرب الماء إلا من قليب دم
وتمثل زيد بن علي (رض) يوم قتل بقول القائل :

أذل الحياة وعزّ المات
فان كان لا بد من واحد
وقال عمرو بن معد يكرب :

اعاذل شكّتي بزي ورعي
اعاذل إننا أفنى شبابي

وقال معلم بن الوليد يمدح يزيد بن يزيد :
تلقي المنية في أمثال عدتها
نجد بالنفس إذ شح الضنين بها
وكل مقلص سلس القياد
ركوب في الصربخ إلى المنادي
كالصيف يقذف جلوداً بجمود
والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وقال زيد الخيل :

وقد علمت سلامة أن سيفي كرهه كلما دعيت نزال
أحاده بصقل كل يوم وأعجمه بهامات الرجال

وقال أبو محم السعدي :

تقول وصكت وجهها بيمينها
فقلت لها لا تعجلي وتبيني
ألست ارد القرن يركب روعه
إذا هاب اقوام تجشمت كما
لعمرو ايك الخير اني لخدم
وقال تأبط شراً :

قليل التشكي للمهم يصيبه
يبيت بمومات ويضحى بغيرها
إذا خاط عينيه كرى النوم لم يزل
ويجعل عينيه ربيسة قلبه
إذا هزه في عظم قرن نهلت
كثير النوى شت الهوى والمسالك
جحيشاً ويعرورى ظهور المهالك
له كاليه من قلب شيحان فأتك
الى جلة من جزه خلق باتك
نواجذ افواه المنايا الضواحك

وقال عمرو بن معد يكرب وقد سبق منها البيتان الأيمان :

اطاذل عدني بدني ورعحي
اطاذل إنها افنى شسبابي
مع الابطال حتى سل جسمي
ويبقى بعد حلم الموت حلمي
ومن عجب عجبت له حديث
تخى ان يلاقيني قبيس
بماني وسابغتي قميصي
وكل مقلص سلس القياد
اجابتي الضربخ الى المنادي
وافرح عاتقي حمل النجادي
ويبنى قبل زاد القوم زادي
بديع ليس من بدع السداد
وددت وأينا مني ودادي
كان قطيرها حلق الجراد

وسيف لابن ذى قيمان عندي تخير فصله من عهد عاد
فلو لا قيتني لاقيت ليثاً هصوراً ذا ظباً وشباً حداد
ولاستيقنت أن الموت حق وصرح شحم قلبك عن سواد
أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

(عيون الاخبار : ١٨٧/١ ، نهاية الأرب : ٢٢١/٣ ،

بلوغ الأرب : ١٠٤-١١٨ ، عقد الفريد : ٥٧/١)

قال المؤلف : ما نظم من الشعر في الشجاعة والبسالة ، سواء كان
الناظم هو نفس البطل المخوار ، أو كان قد قيل عن لسانه من نظم
الشعراء والادباء ، هذا اللون من الشعر هو واسع المجال كثيراً ، وسبب
ذلك كثرة الوقائع والحروب ، التي كانت في أيام العرب العاقبين في زمان
الجاهلية ، ولو أضيف الى ذلك وقائع الحروب والايام في عصر بزوغ
شمس الإسلام على عهد صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله وسلم ومن
بعده في زمان الخلفاء وفي زمان أمير المؤمنين عليه السلام وزمام الامام الحسن عليه السلام
وزمان نهضة الحسين عليه السلام والى ما بعد هذا التاريخ والى أواخر تاريخ الخلافة
العباسية ، فلو جمع هذا الشعر الذي قيل في تلك المناسبات والحروب من
نظم الشعراء ، أو من نظم الفرسان والابطال ، حينما يبرزون الى المارك
والحروب لأدى ذلك الى اخراج موسوعة كبيرة هي أوسع مما بأيدينا
من التأليف ، ولكننا نكتفي بما دوناه من الشعر وما نظم من القصائد

﴿ وأما ما قيل في الشجاعة نثراً ﴾

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يوم صفين ، وقد قيل
له : أتقاتل أهل الشام بالعدة وتظهر بالعشي في أزار ورداء ؟ فقال :

أبالموت تخوفوني ، فوالله ما أبالي أسقطت على الموت أم سقط الموت
علي . وقال لابنه الحسن عليها السلام :
لا تدعون أحداً الى المبارزة ، وان دعيت اليها فأجب ، فان
الداعي اليها باغ وللباغي مصرع .
وقالوا :

حدّ الشجاعة سعة الصدر بالاقدام على الأمور المتلفة .

وسئل بعضهم عن الشجاعة فقال :

جبلت نفس أبية . قيل له : فما النجدة ؟ قال : ثقة النفس عند

استرسالها الى الموت حتى تحمد بفعلها دون خوف .

وقيل لبعضهم ما الشجاعة ؟ قال : صبر ساعة .

وقال بعض أهل التجارب : الرجال ثلاثة : فارس ، وشجاع ،

وبطل . فالفارس هو الذي يشد إذا شدوا ، والشجاع الداعي الى البراز

والهجين داعيه ، والبطل الحامي لظهور القوم إذا ولوا .

وقال يعقوب بن السكيت في كتاب الألفاظ :

العرب تجعل الشجاعة في أربع طبقات ، تقول : رجل شجاع ،

فإذا كان فوق ذلك قالوا : بطل ، فإذا كان فوق ذلك قالوا : بهمة ،

فإذا كان فوق ذلك قالوا أليس .

وقال بعض الحكماء : جسم الحرب الشجاعة ، وقلبها التدبير ،

ولسانها المكيدة ، وجناحها الطاعة ، وقائدها الرفق ، وسائقها النصر .

وقالت العرب . الشجاعة وقاية ، والجبن مقتلة .

وقالت الحكماء : استقبال الموت خير من استدباره .

وما زالت العرب يتماحون بالموت قعساً ، ويتسابرون بالموت على

الفراش ، ويقولون فيه : مات فلان حتف أنفه .

وقال ابن أبي الحديد :

السخاء من باب الشجاعة ، والشجاعة من باب السخاء ، لأن
الشجاعة إنفاق العمر وبذله فكانت سخاءاً ، والسخاء اقدم على اتلاف
ما هو عدل المهجة فكان شجاعة .

وقال أبو تمام في تفضيل الشجاعة :

كم بين قوم إنها نفقاتهم مال وقوم ينفقون نفوسا

(نهاية الأرب ٣/٢٢٠ ، نهج البلاغة : ١/٣٠٧)

﴿ وأما القصص المدونة في الشجاعة ﴾

فهي واسعة المدد كثيرة مما يملأ الكثير من الكتب والمؤلفات ،
لسعة وقائع العرب وحروبهم - كما أسلفنا - ونكتني بالنزر اليسير وهي :
١ - منها ما روي أنه خرج رهم بن حزم الهلالي ومعه أهله وماله
يريد النقلة من بلد الى بلد ، فلقبه ثلاثون رجلا من بني تغلب ، فعرفهم
فقال : يا بني تغلب شأنكم بالمال وخلوا الظعينة . فقالوا : رضينا ان
ألقىت الرمح . قال : وإن رمعي لمعي ، فحمل عليهم فقتل منهم رجلا
وصرع آخر وقال :

ردوا على آخرها الأتاليا إن لها بالمشرفي حاديا

ذكرني الطعن وكنت ناسيا

٢ - ومنها ما عن العتبي عن بعض بني تميم قال : كنت عند

المهاجر بن عبدالله والي اليمامة (١) فأتى بأعرابي قد كان معروفاً فقال له : أخبرني عن بعض عجائبك . قال : إنها لكثيرة ، ومن أعجبها أنه كان لي بعير لا يسبق ، وكانت لي خيل لا تلحق ، فكنت لا أخرج فأرجع خائباً ، فخرجت يوماً فاحترشت (٢) ضباً فملقته على قتي (٣) ثم سررت بخبائه سري (٤) ليس فيه إلا عجوز ، فقلت اخلق بهذا الخبائه ان يكون له رائحة من غنم وأبل ، فلما أمسيت إذا بأبل مائة فيها شيخ عظيم البطن ، مثدن (٥) اللحم ومعه عبد أسود ، فلما رأى رحب بي ، ثم قام الى ناقة فاحتلبها وناولني العلبة فشربت ما يشرب الرجل ، فتناول الباقي فضرب به جبهته ، ثم احتلب سمه أنيق (٦) فشرب ألبانهم ، ثم نحر حواراً فطبخه ، ثم ألقى عظامه بيضاً وحثاً كومة من بطحاء (٧) وتوسدها وغط غطيط البكر (٨) فقلت : هذه والله الغنيمة .

-
- (١) اليمامة : بلدة بينها وبين البحرين مسيرة عشرة أيام ، وهي معدودة من نجد ، وسميت باسم اليمامة بنت سهم بن طميم .
- (٢) احترش الضب : اصطاده .
- (٣) القتب : الرجل .
- (٤) يقال : كان سرياً اي صاحب مرزوءة وسخاء .
- (٥) مثدن الرجل بالتشديد وضم الثاء : كثر لحمه ونقل .
- (٦) الأنيق جمع ناقة : هي انثى الابل .
- (٧) البطحاء جمعها بطاح وبطائح : مسيل واسع فيه رمل ودقاق الحمى .
- (٨) البكر بفتح الباء : الفتى من الابل .

ثم قمت الى فحل أبله فخطمته (١) ثم قرنته الى بميري وصحت به
فأتبعني الفحل واتبعته الابل ارباباً به ، فصارت خلفي كأنها جبل ممدود ،
فقضيت أبادر نذية (٢) بيني وبينها مسيرة ليلة للمصرع ، فلم أزل اضرب
بميري بيدي مرة وأقرعه برجلي أخرى حتى طلع الفجر ، فأبصرت النذية
فاذا عليها سواد ، فلما دنوت إذا أنا بالشيخ قاعداً ، وقوسه في حجره
فقال : أضيفنا ؟ قلت : نعم . قال : أنسخو نفسك عن هذه الأبل ؟
قلت : لا . فأخرج سهماً كأن نصله لسان كلب ثم قال : ابصر ما بين
اذني الضب ، ثم رماه فصدع عظمه عن دماغه ، ثم قال : ما تقول ؟
قلت : أنا على رأيي الاول . قال : انظر هذا السهم الثاني في فقرة ظهره
الوسطى ، ثم رمى به فكأنها قدردته بيده ثم وضعه باصبعه ثم قال :
أرأيت ؟ قلت : انى احب ان استعجت . قال : انظر هذا السهم الثالث في
عكوة ذنبه والرابع والله في بطنك ، ثم رماه فلم يخطىء العكوة . فقلت :
انزل آمنأ ؟ قال : نعم . فنزلت فدفعت اليه خطام فخله وقلت : هذه
ابلك لم يذهب منها وبرة وأنا أنتظر متى يرميني بسهم ينتظم به قلبي
فلما تنحيت قال لي : أقبل فأقبلت والله خوفاً من شره لا طمعاً في خيره
فقال : اي هذا ما احسبك جشمت الليلة ما جشمت إلا من حاجة
قلت : أما والله حتى أخبرك عن نفسك قبلا ، ثم قلت : والله مارأيت
اعرابياً قط أشد ضرساً ولا أعدى رجلاً ولا ارمى يداً ولا اكرم
عفواً ولا اسخى نفساً منك .

٣ — ومنها عن المدائني قال : أتى رجل عمر بن الخطاب يستحمله ،

(١) الخطام بكسر الحاء : كل ما يوضع في انف البعير ليقاد به .

(٢) النذية : الطريق في الجبل .

فقال له : خذ بعيراً من أبل الصدقة ، فتناول ذنب بعير صعب فحذبه فأقتلعه ، فمجب عمر ، ، فقال له : هل رأيت أشد منك ؟ قال : نعم خرجت بامرأة من أهلي أريد بها زوجها ، فنزلنا منزلاً أهله خلوف (١) فقربت من الحوض ، فبينما أنا كذلك إذ أقبل رجل ومعه ذود (٢) والارأة ناحية ، فشرب ذوده الى الحوض ومضى الى المرأة فساورها ونادتني ، فما انتهيت اليها حتى خالطها ، فحُت لأدفعه عنها ، فأخذ برأسي فوضعه بين عضده وجنبه ، فما استطعت ان أتحرك حتى قضى ما أراد ، ثم استلقى فقالت المرأة : اي غل هذا لو كانت لنا منه سخلة : وامهلته حتى امتلأ نوماً فقمت اليه بالسيف ، فضربت ساقه فأبنتها ، فأنبته وتناول رجله فعدا فغلبه الدم فرماني برجله واخطأني وأصاب عنق بعيري فقتله ، فقال عمر : ما فعلت المرأة ؟ قال : هذا حديث الرجل ، فكرر عليه مراراً لا يزيد على هذا ، فظن انه قد قتلها .

(عيون الاخبار : ١ / ١٧٤-١٨٦)

٤ - ومنها عن الفضل بن يزيد قال : نزل علينا بنو ثعلب في بعض السنين ، وكنت مشغولاً بأخبار العرب ان اسمها واجمها ، فبينما انا ادور في بعض احياهم إذا بامرأة واقفة في فناء خبائها وهي آخذة بيد غلام ، قلما رأيت مثله في حسنه وجماله ، له ذؤبتان كالسبح المنظوم وهي تعاتبه بلسان رطب وكلام عذب ، تحن اليه الاسماع وترتاح له

(١) المنزل الخلوف : الخالي من الرجال .

(٢) الذود بفتح الذال وسكون الواو : ثلاثة ابرع الى التسعة وقيل

الى العشرة وقيل غير ذلك ، ولا يكون إلا من الأناث ، وهو واحد وجمع كالفلك .

القلوب ، واكثر ما اسسم منها : اي بني وهو يتبسم في وجهها قد غلب عليه الحياء والخجل كأنه جارية بكر لا يرد جواباً ، فاستحسننت ما رأيت واستحليت ما سمعت ، فدنوت منه وسلمت فرد علي السلام ، فوقفت انظر اليها ، فقالت : يا حضري ان شئت سقت اليك من خبره ما هو أحسن من منظره . فقلت ، قد شئت يرحمك الله .

فقالت : حملته والرزق عسر والمعيش نكد حملاً خفيفاً حتى مضت له تسعة أشهر ، وشاء الله عز وجل أن أضمه فوضعتـه خلقاً سوياً ، فوربك ما هو إلا ان صار ثالث أبويه حتى افضل الله عز وجل واعطى واتى من الرزق بما كفى واغنى ، ثم ارضعته حولين كاملين ، فلما استتم الرضاع نقلته من خرقة المهد الى فراش أبيه ، فربى كأنه شبل أسد ، أقيه برد الشتاء وحر الهجير ، حتى إذا مضت له خمس سنين اسلمته الى المؤدب ، فحفظه القرآن فتلاه وعلمه الشعر فرواه ، ورغب في مفاخرة قومه وآبائه وأجداده ، فلما ان بلغ الحلم واشتد عظمه وكل خلقه ، حملته على عتاق الخيل فتفرس وتمرس ولبس السلاح ومشى بين بيوتات الحي الخيلاه ، فأخذ في قرى الضيف وإطعام الطعام وأنا عليه وجلته ، أشفق عليه من العيون أن تصيبه ، فاتفق أن نزلنا بمنهل من المناهل بين أحياء العرب ، فنفرج فتیان الحي في طلب ثأر لهم ، وشاء الله تعالى أن اصابته وعسكة شغلته عن الخروج حتى إذا أمعن القوم ، ولم يبق في الحي غيره ونحن آمنون وادعون ، الى أن أدبر الليل وأسفر الصباح ، حتى طلعت علينا غرر الجياد وطلائع العدو ، فما هو إلا هنيهة حتى أحرزوا الاموال دون أهلها وهو يسألني عن الصوت ، وأنا أسترضه الخبر إشفافاً عليه وضناً به ، إذ علت الاصوات وبرزت المخدرات رمى

دثاره وثار كما يشور الأسد وأمر بأسراج فرسه ، ولبس لامة حربيه وأخذ رمحه بيده ولحق حماة القوم ، فطمعن أدناهم منه فرمى به ولحق أبعدهم منه فقتله ، فانصرفت وجوه الفرسان فرأوه صبيحاً صغيراً لا مدد وراه ، فحملوا عليه فأقبل يؤب البيت ، ونحن ندعو الله عز وجل له بالسلامة ، حتى إذا مدم وراه وامتدوا في أثره عطف عليهم ففرق ثملهم وشتت جمعهم وقلل كثيرهم ومنقهم كل ممزق ومرق كما يمرق السهم ، وناداهم : خلوا عن المال ، فوالله تعالى لا رجعت إلا به أو لأهلكن دونه .

فانصرفت اليه الأقران وتمايلت نحوه الفرسان وتميزت له الفتيان وحملوا عليه وقد رفعوا اليه الأسنه وعطفوا عليه الأئنة ، فوثب عليهم وهو يهدر كما يهدر الفحل من وراء الأبل ، وجعل لا يحمل على ناحية إلا حطمها ولا كتيبة إلا مزقها حتى لم يبق من القوم إلا من نجا به فرسه ، ثم ساق المال وأقبل ، فكبر القوم عند رؤيته وفرح الناس بسلامته ، فوالله تعالى ما رأينا قط يوماً كان أسمح صباحاً وأحسن رواحاً من ذلك اليوم ، ولقد سمعته يقول في وجوه فتيان الحمي من آيات منها :

تأملن فعلي هل رأيتين مثله	إذا حشرجت نفس الجبان من الكرب
وضاقت عليه الارض حتى كأنه	من الخوف مسلوب العزيمة والقلب
لم اعط كلا حنفته ونصيبه	من السمهوري اللدن والمرهف العضب

(المستطرف : ١ / ٢٢٦)

٥ - ومنها ما عن المفضل بن سلمة قال : عند قولهم في المثل
« زر غباً تزدد حباً » أول من قال ذلك معاذ بن حرم الخزاعي ،
وكانت أمه من عك ، وكان فارس خزاعة ، وكان يكثر زيارة اخواله
فاستفاد منهم فرساً وأتى به قومه ، فقال له رجل من قومه يقال له
جحيش بن سودة وكان له عدواً : أنسابني على انه من سبق صاحبه
أخذ فرسه ؟ فسابقه فسبق معاذ وأخذ فرس جحيش وأراد أن يغيظه
فطعن ابطل الفرس بالسيف فسقط . فقال جحيش : لا أم لك قتلت
فرساً خيراً منك ومن والديك ، فرفع معاذ السيف فضرب مفرقه فقتله
ثم لحق بأخواله ، وبلغ الحي ما صنع فركب أخو الجحيش وابن عم له
فلحقاه فشد على أحدهما فطمعه فقتله وشد على الآخر فضربه بالسيف
فقتله ، وقال في ذلك من أبيات منها :

قتلت جحيشاً بعد قتل جواده وكنت قديماً في الحوادث ذي فتك

قصدت بعمر و بعد بدر بضربة نحر صريماً مثل عائرة النسك

لكي يعلم الاقوام اني صارم خزاعة أجدادي وأنمي الى عك

قال : فأقام في اخواله زماناً ، ثم انه خرج مع بني اخواله في
جماعة من فتيانهم يتصيدون ، فحمل معاذ على غير فلحقه ابن خال له يقال
له الغضبان ، فقال : خل عن العير . فقال : لا ولا نعمت عين . فقال
له الغضبان : أما والله لو كان فيك خير لما تركت قومك . فقال معاذ :
« زر غباً تزدد حباً » فأرسلها مثلاً ، ثم أتى قومه فأراد أهل المقتول
قتله ، فقال لهم قومه : لا تقتلوا فارسكم وان ظلم فقبلوا منه الدية .

﴿ بلوغ الأرب؛ ١٥٨/٢ ، الفاجر : ١٥١ ، مجمع الامثال : ٣٢٢/١ ﴾

(وأما من ضرب المثل بشجاعتهم من العرب) فهم كثيرون وأكثر

من عددهم وقائهم التاريخية الدالة على بسالتهم وشجاعتهم ، ولسعة المجال في ذلك حاولنا ذكر تراجمهم على نحو الاختصار ، من دون تدوين حروبهم ووقائعهم ، فراراً من التطويل ، وحذراً من الوقوع في هوة الاسهاب في القول ، وم :

(١) خالد بن جعفر بن كلاب العامري :

خالد بن جعفر بن كلاب بن ربيعة العامري ، من هوازن ، من عدنان : فارس شاعر جاهلي انتهت اليه رئاسة قومه (هوازن) وهو الذي قتل زهير بن جذيمة العبسي ، وله فيه من أبيات :

وقتل ربهم زهيراً بعدما جدع الانوف وأكثر الاوتارا
وقتل الحارث بن ظالم أري - في خبر طويل - بمكان يسمى
« بطن عاقل » على طريق حاج البصرة ، بين رامتين وإمرة .
وخالد عقب ينسبون اليه ، وهم بطن من عامر بن صعصعة .
وعرفه ابن حزم بخالد الاصبغ ، وذكر بنيه ثم قال : ومن ولده
أربد بن قيس بن جزء بن خالد الاصبغ ، أخو لبسد الشاعر لأمه ؛
وهو الذي أراد قتل رسول الله ﷺ مع عامر بن الطفيل ، وقتل بصاعقة
في سنة ٣٠ ق ٥ - ٥٩٥ م .

(الأعلام : ٣٣٥/٢ ، بلوغ الأرب : ١١٨/١)

(٢) مجمع بن هلال بن خالد :

مجمع بن هلال بن خالد بن مالك ، من بني تميم الله بن ثعلبة ، من بكر بن وائل : شاعر فارس جاهلي ، أغار على بمض بني مجاشع في أرض تسمى « اللهيما » فقتل وأسروغنم ، وله في ذلك شعر ، وهو من المميرين ، ومن شعره :

وخيل كأسراب القطاقد وزعتها لها سبل فيها المنية تلعب
شهدت وغنم قد حويت ولذة أتيت وحاز العيش إلا التمس
وبروى مع هذين البيتين بيت يذكر فيه انه تجاوز مئة وتسع سنين
(في روايتي المرزباني وابي تمام) أو مئة وتسع عشرة سنة (في رواية
السجستاني) .

(الاعلام : ١٦٦/٦ ، بلوغ الأرب : ١٢٠/١)

(٣) ربيعة بن مكدم :

ربيعة بن مكدم بن عامر بن مرثان ، من بني كنانة : له أخبار أشهرها حمايته الظعن بعد مقتله ، ولا يعلم قتيل حمى الظعن غيره ، وذلك أنه خرج في ظعن كنانة فلقبهم نبيشة بن حبيب السلمي غازياً ، فتقدم ربيعة فقاتل نبيشه ومن معه طويلاً ، فأصابه سهم ، فعاد الى الظعن وأمه فيه ، فشددت على جرحه عصابة ، ففكر راجعاً يقاتل والدم ينزفه ، فهابه

القوم ، فأختار عقبة وانسكأ على رمح وهو على متن فرسه ، يرويه فلا يتقدم أحد منهم ، ثم رموا فرسه بسهم فقمصت ، وانقلب عنها ميتاً وكان الظمن قد نجا ، ولد نحو سنة ٨٥ ق ٥ - ٥٣٤ م وقتل نحو سنة ٦٢ ق ٥ - ٥٥٨ م .

(الاعلام : ٤٣/٣ ، بلوغ الارب ١٢٥/٢)

(٤) عنتر بن شداد العبسي :

عنتر بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد العبسي : أشهر فرسان العرب في الجاهلية ، ومن شعراء الطبقة الأولى ، من أهل نجد . أمه حبشية اسمها زبيبة ، سرى اليه السواد منها ، وكان من أحسن العرب شيمة ومن أعزهم نفساً ، يوصف بالحلم على شدة بطشه ، وفي شعره رقة وعضوبة ، وكان مغرمًا بابنة همه « عبلة » فقلّ أن تخلو له قصيد من ذكرها .

اجتمع في شبابه باصرى القيس الشاعر ، وشهد حرب داحس والغبراء ، وعاش طويلاً ، وقتله الأسد الرهيص ، أو جبار بن عمرو الطائي ، ينسب اليه ديوان شعر - ط أكثر ما فيه مصنوع ، وقصة عنتر - مطبوعة خيالية يهدا الأفرنج من بدائع آداب العرب ، وقد ترجموها الى الألمانية والفرنسية ، ولم يعرف واضعها ، وللمستشرق الألماني (توريكي) كتاب عن « عنتر » طبع في هيدلبرج سنة ١٨٦٨ م ، ولمحمد فريد أبي حديد « أبو الفوارس عنتر بن شداد - مطبوع »

ولفؤاد البستاني « عنتر بن شداد - ط » قتل نحو سنة ٢٢ قبل
الهجرة - ٦٠٠ م .

(جواهر الادب: ٥٢/٢ ، الاعلام: ٢٦٩/٥ ، بلوغ الارب: ١٢٦/٢)

(٥) عامر بن مالك ملاعب الاسنة:

عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري ، أبو براء : فارس
قيس واحد ابطال العرب في الجاهلية ، وهو خال عامر بن الطفيل ، سمي
« ملاعب الاسنة » بقول اوس بن حجر :

ولاعب أطراف الاسنة عامر فراح له خط الكنتبية أجمع
أدرك الاسلام وقدم على رسول الله ﷺ بتبوك ، ولم يثبت
إسلامه - انتهى ما يقوله الزركلي .

وقد ذكره صاحب تنقيح المقال ولكن لم يذكر عنه شيئاً من
إسلامه أو عدم إسلامه ، فهو مجهول الحال توفي نحو سنة ١٠ هـ - ٦٣١ م .
(الاعلام : ٢٥/٤ ، بلوغ الارب : ١٢٧/٢ ، تنقيح المقال ١١٩/٢) .

(٦) زيد بن مهلهل :

زيد بن مهلهل بن منهب بن عبدالرضا ، من طيء ، كنيته أبو
مكنف : من أبطال الجاهلية ، لقب « زيد الخيل » لكثرة خيـله
أو لكثرة طراده بها . وكان طويلاً جسيماً من أجل الناس ، وكان شاعراً

محسناً وخطيباً لسنناً موصوفاً بالكرم ، وله مهاجاة مع كعب بن زهير .
أدرك الاسلام ووفد على النبي ﷺ سنة ٥٩ هـ في وفد طيء ، فأسلم
وسر به رسول الله ﷺ وسماه زيد الخير . وقال له : يا زيد ما وصف
لي أحد في الجاهلية فرأيتك في الاسلام إلا رأيتك دون ما وصف لي
غيرك ، واقطعه أرضاً بنجد ، فكثت في المدينة سبعة أيام وأصابته حمى
شديدة فخرج عائداً الى نجد ، فنزل على ماء يقال له « فردة » فمات
هناك . وللمفجم البصري كتاب « غريب شعر زيد الخليل » توفي سنة
٥٩ - ٦٣٠ م .

(الاعلام : ١٠١/٣ ، بلوغ الارب : ١٢٧/٢)

(٧) عامر بن الطفيل العامري :

عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامري ، من بني عامر بن
صمصمة : فارس قومه واحد فتاك العرب وشعرائهم وساداتهم في الجاهلية
كنيته أبو علي . ولد ونشأ بنجد . وكان يأمر منادياً في « عكاظ »
ينادي هل من راجل فنعمله ؟ أو جائع فنطعمه ؟ أو خائف فنؤمنه ؟
وخاض المعارك الكثيرة ، وأدرك الاسلام شيخاً فوفد على رسول الله ﷺ
وهو في المدينة بعد فتح مكة ، فدماه الى الاسلام فأشترط ان يجعل له
نصف نهار المدينة ، وان يجعله ولي الامر من بعده فرده فماد حنقاً
وسمه احد يقول : لا ملأها خيلاً جرداً ورجالا مرداً ولا رطبان بكل
نحلة فرساً ! فمات في طريقه قبل ان يبلغ قومه .

وكان اعور اصببت عينه في احدى وقائمه ، عقيماً لا يولد له ،
وهو ابن عم لمبيد الشاعر . اخباره كثيرة متفرقة وله « ديوان شعر
مطبوع » ولد سنة ٧٠ ق ٥ - ٥٥٤ م وتوفي سنة ١١ هـ - ٦٣٢ م .

(الأعلام : ٢٠ / ٤ ، بلوغ الأرب : ١٢٩ / ٢)

(٨) عمرو بن معد يكرب الزبيدي :

عمرو بن معد يكرب بن ربيعة بن عبدالله الزبيدي : فارس اليمن
وصاحب الغارات المذكورة ، وفد على المدينة سنة ٥٩ هـ ، في عشرة من
بني زبيد فأسلم واسلموا وطادوا ، ولما توفي النبي (ص) ارتد عمرو في
اليمن ثم رجع الى الإسلام ، فبعثه ابو بكر الى الشام فشهد اليرموك ،
وزهدت فيها احدى عينيه ، وبمته عمر الى العراق فشهد القادسية ، وكان
عصي النفس أبيها فيه قسوة الجاهلية ، يكنى أبا ثور ، وأخبار شجاعته
كثيرة ، له شعر جيد اشهره قصيدته التي يقول فيها :

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه الى ما تستطيع
توفي على مقربة من الري . وقيل قتل عطشاً يوم القادسية ،
سنة ٢١ هـ - ٦٤٢ م .

(الأعلام : ٥ / ٢٦٠ ، بلوغ الأرب ١٣١ / ٢ ، جواهر الادب : ١٣٨ / ٢)

(٩) دريد بن الصمة :

دريد بن الصمة الجشمي البكري ، من هوازن : شجاع من الابطال الشعراء المعمرين في الجاهلية . كان سيد بني جشم وفارسهم وقائدهم ، وغزا نحو مئة غزوة لم يهزم في واحدة منها ، وعاش حتى سقط حاجباه عن عينيه ، وأدرك الاسلام ولم يسلم ، فقتل على دين الجاهلية يوم حنين ، وكانت هوازن خرجت لقتال المسلمين فاستصحبته معها تيمناً به وهو اعمى ، فلما انهزمت جموعها أدركه ربيعة بن رفيع السلمي فقتله له أخبار كثيرة ، والصمة لقب أبيه معاوية بن الحارث ، وقتل سنة ٨٨ - ٦٣٠ م .

(الاعلام : ١٦/٣ ، بلوغ الارب : ١٣٤/٢)

(١٠) زيد الفوارس :

زيد بن حصين بن ضرار الضبي : فارس شاعر جاهلي ، أورد البغدادي في خزائنه قليلا من أخباره ، وأبيانا له من الشعر ، واختار ابو تمام في الحماسة أبيانا أخرى من شعره ، وذكر له صاحب بلوغ الارب أبيانا منها قوله :

ولدت ان لم تسألني أي امرىه بلوى النقيعة إذ رجالك غيب

إذ جاء يوم ضوؤه كظلامه بادى الكواكب مقمطر أشهب
 الى آخر الأبيات ، وكان سبب هذه الأبيات أنه اغار رز بن ثعلبة
 وعبدالله بن غطفان ، فأصابوا نهما لبني بكر بن سعد بن ضبة فطردوها
 فأتاهم الصريخ ورئيسهم زيد الفوارس حتى أدركوهم بالنقيعة تحت الليل
 فقتلوا زراً والجند بن تيجان وابن ارنم وأتوا بالمال المنهوب ، فأنشأ
 زيد الفوارس الأبيات :

(الأعلام : ٩٧/٣ ، بلوغ الأرب : ١٣٧/٢)

(١١) أمية بن حرثان الكناني :

أمية بن حرثان بن الأُسَكر الجندعي الليثي الكناني المصري : شاعر
 فارس مخضرم ، أدرك الجاهلية والاسلام ، وكان من سادات قومه
 وفرسانهم ، له أيام مذكورة ، وهو من أهل الطائف (في الحجاز) انتقل
 الى المدينة وطاش طويلاً حتى خرف ومات في خلافة عمر . نحو سنة
 ٢٠ هـ - ٦٤١ م وهو القائل من شعر :

الأسائل هوازن يوم لاقوا فوارس من كنانة معلمينا
 لدى شرب وقد جاشوا وجشنا طأوعب في التفير بنو ابينا

(الأعلام : ٣٦٢/١ ، بلوغ الأرب : ١٣٨/٢)

(١٢) عمرو بن كلثوم :

عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب ، من بني تغلب ، أبو الاسود شاعر جاهلي ، من الطبقة الأولى ، ولد في شمالي جزيرة العرب في بلاد ربيعة وتجول فيها وفي الشام والعراق ونجد ، وكان من أعز الناس نفساً وهو من الفتاك الشجعان ، ساد قومه « تغلب » وهو فتى ، وعمرطويلا ، وهو الذي قتل الملك عمرو بن هند . اشهر شعره معلقته التي مطلعها :

ألا هي بصحنك فأصبحينا ولا تبق خمر الأندرينا

يقال أنها كانت في نحو ألف بيت ، وإنما بقي منها ما حفظه الرواة ، وفيها من الفخر المعجب . مات في الجزيرة الفراتية نحو سنة ٤٠ ق هـ - ٥٨٤ م .

(الاعلام : ٢٥٦/٥ ، بلوغ الأرب ١٤١/٢ ، جواهر الأدب : ٦٠/٢)

(١٣) عمرو بن مالك الشنفرى :

عمرو بن مالك الأزدي ، من قحطان : شاعر جاهلي يماي من فحول الطبقة الثانية ، كان من فتاك العرب وعدائهم ، وهو أحد الخلفاء الذين تبرأت منهم عشائرهم ، قتله بنو سلامان ، وقيست قفزاته

ليلة مقتله ، فكانت الواحدة منها قريباً من عشرين خطوة ، وفي الامثال :
« اعدى من الشنفرى » وهو صاحب لامية العرب التي مطلعها :

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فاني إلى قوم سواكم لا أميل

شرحها الزمخشري في « أعجب العجب » المطبوع مع شرح آخر منسوب الى البرد ويظن أنه لأحد تلاميذ ثعلب ، قتل نحو سنة ٧٠ ق ٥٢٥ م .

(الاعلام : ١٥٨/٥ ، بلوغ الارب : ١٤٣/٢ ، مجم الامثال : ٤٦/٢)

(١٤) المهلهل بن ربيعة التغلي :

هو عدي بن ربيعة بن مرة بن هبيرة ، من بني جشم من تغلب ، أبو ليلى المهلهل : شاعر من أبطال العرب في الجاهلية من أهل نجد ، وهو خال امرئ القيس الشاعر . قيل : لقب مهلهلا لأنه أول من هاهل نسج الشعر - أي رققه - وكان من أصبح الناس وجهاً ، ومن أفصحهم لساناً ، عكف في صباه على اللهو والتشبيب بالنساء فسماه أخوه كليب « زير النساء » أي جليسهن ، ولما قتل جساس بن مرة كليياً نار المهلهل ، فانقطع عن الشراب واللهو ، وآلى أن يثأر لأخيه فكانت وقائع بكر وتغلب التي دامت أربعين سنة ، وكانت للمهلهل فيها المعائب والاختبار الكثيرة . وأما شعره فعالي الطبقة ، ولمحمد فريد

ابي حديد كتاب «المهلل سيد ريعة - مطبوع» .

(الاعلام : ٩/٥ ، بلوغ الارب : ١٤٩/٢)

قال المؤلف : نكتفي بهذا العدد من الفرسان الذين ضرب المثل
بشجاعتهم ، لأن هذا المقام لا يستوعبهم ، ومن أراد الاستيفاء من ذكرهم
ووقائعهم فليراجع كتاب مقاتل الفرسان والله المستعان .

الفصل التالى

في صفة الجبن ، وما قيل فيها شعراً ونثراً وقصصاً ، وذكر من اشتهر بالجبن من العرب ، حتى ضرب المثل بجبنه ، وقد أخذنا هذا الفصل من زواج « دختموس » بالفتى الجليل بعد طلاق عمرو لها الذي مات فرقاً من سماعه بالخيل فجعل يضطر ويقول الخيل الخيل حتى مات ، فكان مضرب المثل « أجبن من المنزوف ضرطاً » .

﴿ أما ما قيل في الجبن من الشعر ﴾

قال كعب بن زهير :

بمخلا علينا وجبناً من عدوكم لبئست الخلتان البخل والجبن

وقال الطرماح في بني تميم :

تميم بطرق اللؤم اهدى من القطا ولو سلكت سبل الكارم ضلت

ولو ان برغوثاً على ظهر قلة رأته تميم يوم زحف لوآلت

ولو جمت يوماً تميم جموعها على ذرة معقولة لا استقلت

وقال أبو دلامة حينما شهد الحرب مع روح بن حاتم فقال له

تقدم فقاتل فقال :

انى اعوذ بروح ان يقدمني الى القتال فتخزي بي بنو أسد

ان المهلب حب الموت ورتنكم
وقال الآخر :

أضحت تشجمني هند وقد علمت
لا والذي منع الابصار رؤيته
للحرب قوم أضل الله سمعهم
ولست منهم ولا أهوى فمالهم

وقال ايمن بن خريم :

إن للفتنة ميظاً بيناً
فاذا كان عطاء فأتهم
فرويد الميظ منها يمتدل (٢)
واذا كان قتال فاعتزل
حطب النار فدعها تشتعل

وقال قرواش بن حوط وذكر رجلين :

ضبعا مجاهرة وليثا هدنة
وقال عبد الملك بن مروان في امية بن عبد الله بن خالد :

إذا صوت العصفور طار فؤاده
وقال حنش بن عمرو :

وانتم سماء يعجب الناس رزها
تقطع اطناب البيوت بحاصب
فويلها خيلا تهادى شرارها
وقال الفرزدق او البعيث :

(١) الحوباء : النفس جمعها حوباوات .

(٢) الميظ : في الاصل التنحي واليمد ، و اراد به هنا الهياج من قولهم :

القوم في هياط ومياط .

سائل سليطاً اذا ما الحرب افرعها ما بال خيلكم قعساً هواديتها
لا يرفمون الى داع أعتها وفي جواشنها داء يجافيهما
وقال حصان بن ثابت حينما انهزم الحارث بن هشام اخو ابي جهل
ابن هشام شهد بدرأ مع المشتركين وانهزم :

ان كنت كاذبة الذي حدثني فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الأحبة لم يقاتل دونهم ونجا برأس طمرّة وجام
ملأت به الفرجين فارمدت به ونوى احبته بشرّ مقام
وقال الآخر :

يفر جبان القوم عن عرس نفسه ويحمى شجاع القوم من لا يناسبه
وقال الآخر :

يقول جبان القوم في حال سكره وقد شرب الصهباء هل من مبارز
واين الخيول الأعوجيات في الوغى أنازل منهم كل ليث مناhez
ففي السكر قيس وابن معدى وعامر وفي الصحوة تلقاه كبعض العجائز
وقال محمود الوراق :

أيها الفارس المشيح المغير ان قلبي من السلاح يطير
ليس لي قوة على رهج الخيل - هل اذا ثور الغبار مثير
واستدارت رجا الحروب بقوم فقتيل وهارب وأسير
حيث لا ينطق الجبان من الذء - ر ويعلو الصياح والتكبير
أنا في مثل ذا وهذا بليد ولبيب في غيره نحرير
وقال الآخر في رجل اكول جبان :

ضعيف القلب رعديد عظيم الخلق والنظر
رأى في النوم عصفوراً فوارى نفسه أشهر

وقيل لرجل جبان في بعض الوقائع تقدم فأنشأ يقول :
 وقالوا تقدم قلت لست بفاعل اخاف على نفارتي ان تحطما
 فلو كان لي رأسان اتلفت واحداً ولكنه رأس اذا راح أعقما
 ولو كان مبتاعاً لدى السوق مثله فعلت ولم أحفل بأن أتقدما
 فأيتهم أولاداً وأرمل نسوة فكيف على هذا ترون التقدما
 وقال المتنبي :

يرى الجبناء أن الجبن حزم وتلك خديعة الطبع اللثيم
 وقال ابن الرومي في سليمان بن عبدالله بن طاهر :

قرن سليمان قد أضربه شوق الى وجهه سيد نفه
 لا يعرف القرن وجهه ويرى قفاه من فرسخ فيعرفه
 وقال ابن الرومي ايضاً :

وفارس أجب من صفر (١) يحول او يغور من صفرة
 لو صاح في الليل به صائح لكانت الارض له طفرة
 يرحمه الرحمن من جنبه فيرزق الجند به النصرة

(نهاية الأرب : ٣/٣٤٧-٣٥٠ ، المقد الفريد : ١/٧٤-٨٠)

(عيون الاخبار : ١/١٦٤-١٦٩ ، المستطرف : ١/٢٢٩)

﴿ وأما ما قيل في الجبن من الكلمات المأثورة ﴾

قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً
 فلا تولوهم الأدبار * ومن يولهم يومئذ دبره إلا
 متحرفاً لقتال أو متحيزاً الى فئة فقد باء بغضب من الله
 ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾ .

(الأنفال : ١٥-١٦)

(١) الصفر : طائر يقال له « ابو المليح » وهو طائر جبان .

وكتب زياد الى ابن عباس : أن صف لي الشجاعة ، والجبن ، والجود والبخل . فكتب اليه : تسألني عن طبائع ركبت في الانسان تركيب الجوارح : اعلم أن الشجاع يقاتل عمن لا يعرفه ، والجبان يفر عن عرسه ، وان الجواد يعطى من لا يلزمه ، وان البخيل يمسك عن نفسه .

وقالت الحكماء في الفراسة : من كانت فزعته في رأسه ، فذاك الذي يفرّ من أمه وأبيه ، وصاحبته وأخيه ، وفصيلته التي تؤويه .
وقالوا : الجبن غريزة كالشجاعة يضعها الله تعالى فيمن شاء من خلقه .

وقالوا : حدّ الجبن الضن بالحياة ، والحرص على النجاة .
وقالوا : اسرع الناس الى الفتنة أقلهم حياءً من الفرار .
وقال هاني الشيباني لقومه يوم « ذي قار » يحرصهم على القتال : يا بني بكر ! هالك معذور خير من ناج فرور ، المنية ولا الدنيا ، استقبال الموت خير من استداره ، الشفر في ثغور النحور خير منه في الأعجاز والظهور . يا بني بكر ! قاتلوا فما من المنايا بدّ ، الجبان مبغض حتى لأمه والشجاع محبب حتى لعدوه .

وقالوا : الجبن خير أخلاق الذمّاء ، وشر أخلاق الرجال .
وقال عمرو بن معد يكرب : الفزعات ثلاث : فمن كانت فزعته في رجله فذلك الذي لا تقله رجلاه ، ومن كانت فزعته في رأسه فذلك الذي يفرّ عن أبويه ، ومن كانت فزعته في قلبه فذلك الذي يقاتل .
وقيل في وصف الجبان : أن احس بمصنور طار فؤاده ، وان طنت بموضة طال سهاده ، يفزع من صرير الباب ، ويقلق من طنين

الذباب ، ان نظرت اليه شزراً أغمي عليه شهراً ، يحسب خفوق الرياح
قعقمة الرياح .

وقال ابن المقفع : الجبن مقتلة ، والحرص محرمة ، فانظر فيما رأيت
وسمعت من قتل في الحرب مقبلاً اكثر من قتل مدبراً ، وانظر من
يطلب اليك بالاجمال والكرم أحق أن تسخو نفسك له بالمطية ، أم يطلب
اليك بالشره والحرص .

(عيون الأخبار : ١٦٦/٢ ، نهاية الأرب : ٣/٣٤٦)

(العقد الفريد : ١/٧٣ ، المستطرف : ١/٢٢٨)

﴿ وأما نوادر قصص الجبناء ﴾ فهي كثيرة ، واليك بعض ما حكى

في ذلك :

(١) حكى عن ابن الزبير أنه قال :

كان حسان بن ثابت في قاع أطم مع النساء يوم الخندق ، فأتاهم
في ذلك اليوم يهودي يطوف بالحصن ، فقالت له صفيية بنت عبدالمطلب :
يا حسان هذا اليهودي كما ترى يطوف بالحصن ، وأنا والله ما آمنه أن
يدل على عوارتنا من ورائه من اليهود ، فانزل اليه فاقتله . فقال : يغفر
الله لك يا بنت عبدالمطلب ، لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا . قال :
فأعترجت (١) صفيية ثم أخذت عموداً ونزلت من الحصن فضرته بالعمود
حتى قتلتها ، ورجعت الى الحصن فقالت : يا حسان قم اليه فاسلبه فانه
ما منعني من سلبه إلا انه رجل . فقال : مالي بسلبه من حاجة .

(المستطرف : ١/٢٢٨)

(١) اعترجت المرأة : لبست المعجر بكسر الميم ، وهو ثوب تشده

المرأة على وسطها .

(٢) وقيل : كان لفتى من قریش جارية مليحة الوجه حسنة الأدب ، وكان يحبها حباً شديداً ، فأصابته اضاقة وفاقه ، فاحتاج الى ثمنها فحملها الى العراق ، وكان ذلك في زمن الحجاج بن يوسف ، فابتاعها منه الحجاج فوَقعت منه بمنزلة ، فقدم عليه فتى من ثقيف من أقاربه فأنزله قريباً منه وأحسن اليه ، فدخل على الحجاج والجارية تكبمه ، وكان الفتى جميلاً فجعلت الجارية تسارقه النظر ففطن الحجاج بها فوهبها له ، فأخذها وانصرف فبات معه ليلتها وهربت بغلس (١) فأصبح لا يدري أين هي ، وبلغ الحجاج ذلك فأمر منادياً أن ينادي : برأت الذمة ممن رأى وصيفة من صفتها كذا وكذا ولم يحضرها . فلم يلبث أن أتى له بها ، فقال لها الحجاج : يا عدوة الله كنت عندي من أحب الناس إلي فأخترت لك ابن عمي شاباً حسن الوجه ورأيتك تسارقينه النظر فعلمت انك شففت به فوهبتك له فهربت من ليلتك ؟ فقالت : يا سيدي اسمع قصتي ، ثم اصنع بي ما شئت . قال : هاتي ولا تخفي شيئاً قالت : كنت للفتى القرشي فاحتاج الى ثمني فحملني الى الكوفة ، فلما قربنا منها دنا مني فوق علي ، فسمع زفير الاسد فوثب واخترط سيفه وحمل عليه وضربه فقتله وأتى برأسه ثم أقبل علي وما برد ما عنده ثم قضى حاجته ، وان ابن عمك هذا الذي اخترته لي لما اظلم الليل قام الي فلما علا بطني وقعت فأرة من السقف فضرط ثم غشي عليه ، فمكث زماناً طويلاً وأنا ارش عليه الماء وهو لا يفيق ، نجفت أن يموت فتمتمني به فهربت فزعا منك . فما ملك الحجاج نفسه من شدة الضحك ، قال :

(١) الغلس : ظلمة آخر الليل .

ويحك اكنمي هذا ولا تعلمي به أحد . قالت : على ان لا تردني اليه .
قال : لك ذلك .

(المستطرف : ٢٢٩/١)

(٣) وحكي ايضاً : أنه حدث جار لأبي حنيفة الدميري قال : كان لأبي حنيفة سيف ليس بينه وبين العصا فرق ، وكان يسميه لعاب المنية فاشرفت عليه ذات ليلة وقد انتضاه وهو واقف على باب بيته ، وقد سمع حمأ في داره وهو يقول : أيها المغتر بنا المجترى علينا ، بئس والله ما اخترت لنفسك خير قليل وسيف صقيل ، وهو لعاب المنية الذي سمعت به ، اخرج بالعفو عنك قبل أن أدخل بالعقوبة عليك ، ثم فتح الباب على وجل فاذا كلب قد خرج فقال : الحمد لله الذي مسحك كلباً وكفاناً حرباً .

(المستطرف : ٢٢٩/١)

(٤) وحكي ايضاً أنه وقع في بعض العساكر ضجة ، فوثب خراساني الى دابته ليلاجمها فصير الاجام في الذنب من الدهش ، وقال يخاطب الفرس : هب جبهتك عرضت ، فناصريتك كيف طالت ؟

(المستطرف : ٢٢٩/١)

(٥) وروى الدائمي قال : رأى عمرو بن العاص معاوية يضحك ، فقال : مم تضحك يا أمير أضحك الله سنك ؟ قال : اضحك من حضور ذهنك عند ابدائك سؤتك يوم ابن ابي طالب ، أما والله لقد وافقتـه منانا كريماً ، ولو شاء أن يقتلك لقتلك . قال عمرو : يا أمير أما والله اني لمن يمينك حين دعاك الى البراز ، فاحولت عيناك وربما مسحك وبادا

منك ما أكره ذكره ، فن تفسك فاضحك اودع .

(نهج البلاغة : ٤٠/٢ ، عيون الاخبار : ١٦٧/١)

﴿ وأما من اشتهر بالجبن والفرار ﴾ فهم كثيرون واليك بعضهم :

(١) عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث :

وقد فرّ هرب من الازارقة - وهم من الخوارج - وكان في عشرة
آلاف ، وقد كان يقول للهباب : هم أهون علي من شرطة الجمل ،
فقتل من أصحابه خمسمائة وفرّ لا يلوى علي أحد ، فقال فيه الشاعر :
تركت ولداننا تدمي نحورهم وجئت منهزماً يا شرطة الجمل
(المعقد الفريد : ٧٥/١)

(٢) أمية بن عبدالله بن خالد :

وقد فرّ هرب يوم مرداء هجر (١) من أبي فديك الى أن
وصل البصرة في ثلاثة أيام ، وكان يقول فيه الشاعر :
إذا صوت العصفور طار فؤاده وليث حديد الناب عند التراثد
وأني للحجاج من دواب أمية قد وسم على أنفاذها « عدة » فأمر
الحجاج أن يكتب تحت ذلك للفرار .

(المعقد الفريد : ٧٦/١ ، بلوغ الأرب : ٣٥١/٣)

(١) مرداء هجر : موضع بهجر ، وهجر في بلاد البحرين .

(٣) أبو دلامة :

وكان مع مروان أيام الضحاك الحروري ، وقد فرّ حينما برز الى فارس من الحرورية طمعاً بما بذله مروان لمن قتل ذلك الفارس - وهو عشرة آلاف - فلما رآه الحروري فهم الذي أخرجه فأقبل عليه يرتجز ويقول :

وخرج اخرجه حب الطمع فرّ من الموت وفي الموت وقع
من كان ينوي أهله فلا رجع
فولى ابو دلامة هاربا الى ان دخل في غمار الناس .

(العقد الفريد : ٧٦/١)

(٤) أسلم بن زرعة :

وقد كان وجهه عبيدالله بن زياد لحرب ابي بلال الخارجي ، في الفين ، وابو بلال في اربعين رجلا ، فشدوا عليهم شدة رجل واحد فانهمز هو واصحابه ، فلما دخل على ابن زياد عنقه فقال : ويلك تمضي في الفين وتنهمز عن اربعين ؟ فقال : « لان يشتمنى الامير وانا حي احب الي من ان يدعولي وانا ميت » .

(العقد الفريد : ٧٨/١)

(٥) عتبية بن الحارث :

وقد فرّ وهرب يوم « ثبرة » عن ابنه حزره ، وقال حينما ولي هارباً :
يا حسرتي لقد لقيت حسرة يا لتميم غشيتني عبرة
نعم الفتى غادرته بمـبرة نجيت نفسي وتركت حزره
هل يترك الحر الكريم بكره
(المقد الفريد : ٧٩/١)

(٦) أبو خراش الهذلي :

وقد فرّ وهرب من فائد وأصحابه ورصدوه بعرفات ، يقول
من أبيات :
فلولا ادراك الشرقامت حليلتي تخير من خطابها وهي أيم
ولولا ادراك الشر انلقت مهجتي وكان خراش يوم ذلك ييتم
(المقد الفريد : ٧٩/١)

(٧) حبيب بن عوف :

وفرّ حبيب وهرب يوم « مرداء هجر » من ابي فديك ، فقال
من أبيات :
بذات لهم يا قوم حولي وقوتي ونصحني وما ضمت يداي من التبر
فلما تناهي الأمر بي من عدوكم الى مهجتي وليت اعداءكم ظهري
(المقد الفريد : ٧٩/١)

(٨) خالد بن عبدالله بن أسيد :

فرّ وهرب من المصعب بن الزبير بالبصرة ، فقال فيه الفرزدق :
وكل بني السوداء قد فرّ فرّة فلم يبق إلا في سوى است خالد
فضحتهم أمير المؤمنين وأنتهم تمدون سودانا غلاظ السواعد
(العقد الفريد : ٧٩/١)

(٩) روح بن زنباع :

وكان روح من بشر بن مروان بمنزلة الوزير ، وكان عالما داهية
إلا انه من اجبن الناس والجلهم ، وقالت له زوجته هند : كيف سودك
قومك وأنت جبان غيور ؟ قال : أما الجبن فان لي نفسا واحدة فأنا
احوطها ، وأما الغيرة فما أحق بها من كانت له امرأة حمقاء مثلك مخافة
أن تأتيه بولد من غيره فتري به في حجره .

(العقد الفريد : ٨٠/١ ، عيون الاخبار : ١٧١/١)

الفصل الثالث

﴿ فيما ترمز اليه القصة التي كانت سبباً لمضرب المثل ﴾

فنقول فيها من الوعظ والاعتبار لكل انسان عاقل ، حيث يلزم على كل انسان مفكر أن يتدبر في عواقب الأمور ، وينظر بنظر الروية والتعمق فيما يمر به في هذه الحياة من الحوادث والكوارث ، ليعتبر بذلك دروساً وعظة لئلا يصدر منه بسبب سوء تدبيره وبعدم تفكيره ، بما يعود عليه بالخبيثة والخسران والفشل والحرجان ، فيندم على ما فرط ، ولات حين ينفعه الندم . فان من فوت على نفسه الشيء اليسور بيده الموجود طوع رغبتة هو أحق بالندامة عليه والحسرة من أجله ، فن أسرف في ماله ولم يحافظ عليه بحسن الاقتصاد والتدبير - كما قيل : « التدبير نصف المعيشة » وكما قال تعالى : ﴿ لا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً ﴾ (١) وكذلك من فرط في حفظ صحته في أيام شبابه ولم يراع أيام شيخوخته وزمان هرمه وعجزه ، وكذلك من لم يستمع الى النصيح في وقته ولم يعر سمعه للعواظ في أوانها واثانها ، فان امثال هؤلاء كثيرون من البشر في كل وقت وزمان ،

(١) الاسراء : ٢٩ .

فإن الذي يضيع الفرص في أوانها ويدع الساعات والأيام والشهور والاعوام تمر عليه مر السحاب أو طيف الخيال ، ومع ذلك لم يراع في حفظ صحة أو مال أو طلب علم ، أو سماع ما ينتفع به ، ثم بعد ذلك يجيء يطلبه في غير أوانه وفي غير وقته يحق أن يقال له ولأمثاله : « في الصيف ضيعت اللبن » .

أي انك أيتها المرأة المخاطبة - عند أول المثل وصدوره - أو من ينطبق عليه هذا الخطاب والمثل ، حيث انك بسوء رأيك وفساد تدبيرك قد فوتت على نفسك اللبن الذي كنت ستجدينه في الصيف عند الحاجة اليه ، فيحق لمثلك المنع ، كما وأولى بك التندامة على ما فعلت ، حيث لا ينفعك الندم ، ولات حين مناص . والله تعالى ولي التوفيق والساداد .

زب اكله تمنع اكلات (١)

يضرب - هذا المثل - في ذم الحرص على الطعام . قال ألفضل : أول من قال ذلك عامر بن الظرب المدواني (٢) وكان من حديثه أنه كان يدفع الناس في الحج ، فرآه ملك من ملوك غسان ، فقال : لا اترك هذا المدواني حتى أذله ، فلما رجع الملك الى منزله ارسل اليه : أحب ان تزورني فأحبوك (٣) واكرمك واتخذك خليلا ، فأتاه قومه فقالوا : تفد ويفد معك قومك اليه، فيصيبون في جنبك ويتجيبون بجهاك ، فخرج وأخرج معه

(١) قال امير المؤمنين عليه السلام : « كم من اكلة تمنع اكلات » .

(نهج البلاغة : ٤ | ٣٢٤)

(٢) عامر بن الظرب بن عمرو بن عياذ المدواني : حكيم ، خطيب رئيس ، من الجاهليين ، كان إمام مضر وحكها وفارسها ، وممن حرم الحمر في الجاهلية ، وكانت العرب لا تعدل بفهمه فهماً ، ولا بحكمه حكماً ، وهو احد المعمرين في الجاهلية ، واول من قرعت له العصا ، وكان يقال له « ذو الحلم » وفيه قول الشاعر : « إن العصا قرعت لذي الحلم » .

(الاعلام : ٤ | ٢٠)

(٣) الحبوة بضم الحاء وفتحها : العطية .

نفرأ من قومه ، فلما قدم بلاد الملك اكرمه واكرم قومه ، ثم انكشف له رأي الملك فجمع اصحابه وقال : الرأي نائم والهوى يقظان ، ومن أجل ذلك يغلب الهوى الرأى ، عجبت حين عجبتكم ولن أعود بعدها ، إنا قد تورطنا ببلاد هذا الملك فلا تسبقونى بريت أمر اقيم عليه ولا بمجلة رأي أخف معه ، فان رأيي لكم ؟ فقال قومه : قد اكرمنا كما ترى وبعد هذا ما هو خير منه . فقال : لا تعجلوا فان لكل عام طعاماً و « رب أكلتة تمنع أكلات » .

فكثروا أياماً ثم ارسل اليه الملك فتحدث معه ، ثم قال الملك : انى قد رأيت أن اجعلك الناظر في امور قومى . فقال له : ان لي كنز علم لست اعلم إلا به تركته في الحى مدفوناً وان قومي أضناء بي (١) فأكتب لي سجلاً بجباية الطريق فيرى قومي طمعاً تطيب به أنفسهم ، فأستخرج كنزى وارجم اليك وافراً ، فكتب اليه بما سأل ، وجاء الى أصحابه فقال : ارتحلوا حتى اذا أدبروا قالوا : « لم ير كاليوم وافد قوم أقل ولا ابعد من نوال منك » فقال : مهلا فليس على الرزق فوت ، وغنم من نجا من الموت ، ومن لا ير باطناً يعيش واهنا ، فلما قدم على قدمه لم يمد .

(مجمع الأمثال : ٢٩٧/١ ، الفاخر : ١٧٤ ، من امثال العرب : ٩٥)

﴿ قال المؤلف ﴾ : ما يتبع المثل وقصته وفي ذلك فصول :

(١) ضن بالشيء : يحل به .

الفصل الاول

﴿ في ذم كثرة الأكل كتاباً ، وسنة ، وشعراً ﴾

﴿ أما النهي عنه والذم له في الكتاب ﴾ قوله تعالى : ﴿ يا بني آدم خذوا زيتكم عند كل مسجد وكواوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ﴾

(الأعراف : ٣١)

﴿ وأما الذم لكثرة الأكل في السنة والاحبار ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء .

وفي الحديث الشريف قال ﷺ : ما ملأ ابن آدم وطاءً شراً من بطن ، يحسب للرجل من طعمه ما اقام صلبه ، واما إذا ابيت فثلت طعام ، وثلت شراب ، وثلت نفس .

وفي الحديث الشريف قال ﷺ : لا تيمتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب ، فان القلب يموت بها ، كازرع يموت إذا كثرت عليه الماء .

وفي الحديث الشريف قال ﷺ : لا تشبعوا فيطفاً نور المعرفة من قلوبكم ، ومن بات يصلي في خفة من الطعام باتت الحور العين حوله .

وقال عليه السلام : عندما سئل ما أكثر ما يدخل النار ؟ «الأجوفان
البطن والفرج» .

وعن أبي جحيفة (١) قال : أتيت رسول الله (ص) وأنا أتجشأ
فقال : اخفظ جشأك ، فإن أكثر الناس شبعاً في الدنيا أطولهم جوعاً
يوم القيامة .

وقال عيسى بن مريم عليه السلام يا بني إسرائيل لا تكثروا الأكل ، فإنه من أكثر
من الأكل أكثر من النوم ، ومن أكثر من النوم أقل من الصلاة
ومن أقل من الصلاة كتب من الغافلين .

وقيل ليوסף عليه السلام : مالك لا تشبع وفي يدك خزان عصر ؟
قال : انى إذا شبعت نسيت الجائعين .

(مكارم الاخلاق : ١٧١/١ ، نهج البلاغة : ٤/٣٨٥)

﴿ وأما ما قيل في ذلك من الشعر ﴾

انشأ المبرد :

فإن امتلاء البطن في حسب الفتى قليل الغناء وهو في الجسم صالح
وقال الشاعر :

وأكلة اوقعت في الهلك صاحبها كحبة القمح دقت عنق عصفور
لكسرة بجريش الملح آكلها ألد من تمره تمشى بزنبور
وقال أبو دريد :

لست بأكأل كأكل العبد ولا بنوأم كنوم الفهد

(١) جحيفة بتقديم الجيم على الحاء ، مصغراً : هو وهب بن عبد الله
من اصحاب امير المؤمنين (ع) بل من خواصه ، وفي الخبر : انه ماملأ
ابو جحيفة بطنه من الطعام - بعد ذلك الحديث - حتى لحق بالله تعالى .

وقال الآخر :

إذا لم أزر إلا لآكل أكلة فلا رفعت كفي إلي طعماي
فما أكلة ان نلتها بغنيمـة ولا جوعـة إن جمعتها بفرام
وقال حاتم الطائي :

وإني لاستحي صحابي ان يروا مكان يدي من جانب الزاد اقربا (١)
اقصر كفي ان تنال اكفهم إذا نحن اهوينا وحاجاتنا مما
ابيت خميص البطن مضطمر الحشا حياء اخاف الضم أن تضلعا
فانك ان اعطيت نفسك مشوها وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا
(نهج البلاغة : ٤ / ٣٨٠-٣٨١)

(٩) قرع المكان بفتح القاف وكسر الراء : خلا .

الفصل الثاني

﴿ في بعض الوصايا الطبية ﴾

(١) وصية أمير المؤمنين لولده الحسن عليهما السلام قال :

يا بني ألا أعلمك كلمات تستغني بها عن الطب ؟ فقال عليه السلام : بلى .
قال : لا تجلس على الطعام إلا وانت جائع ، ولا تقم عن الطعام إلا وانت
تشتهيه ، وجود المضع ، وإذا نمت فأعرض نفسك على الخلاء ، فإذا
استعملت هذه استغنيت عن الطب .

(الكنى والألقاب : ٢٢/١ ، طب الامام الصادق : ١٧)

(٢) وصية الامام الصادق عليه السلام :

١- غسل الأناة وكسح الفناء ، مجلبة للرزق ٢- اقلل من شرب الماء فإنه
يمد كل داء ، ٣- يفتني للشيخ الكبير ان لا ينام إلا وجوفه ممتلئ من
الطعام فإنه أهدأ لنومه واطيب لنكته ، ٤- إياك وان تأكل مالا تشتهيته

فانه يورث الحمق والبله ، ولا تأكل إلا عند الجوع ، وإذا أكلت فكل حلالا ، وسم بالله واذكر حديث رسول الله ﷺ « ما ملأ آدمي وطاءاً شراً من بطنه » فإذا كان ولا بد فثلك طعامه وثلك لشرا به وثلك لنفسه ٥ - النوم راحة الجسد ، والنطق راحة الروح ، والسكوت راحة العقل ، ٦ - لا تدخل الحمام إلا وفي جوفك شيء يطفى عنك وهج المعدة ، وهو أقوى للبدن ، ولا تدخل وأنت ممتلئ من الطعام ، ٧ - الاستلقاء بمد الشبع يسمن البدن ويعرئ الطعام ويسل الداء ، ٨ - اغسلوا أيديكم قبل الطعام وبمده ، فانه ينفي الفقر ويزيد في العمر .

(طب الامام الصادق عليه السلام : ٧٦)

✽

(٣) وصية أحد حكماء العرب لولده قال :

يابني عود نفسك الأثرة ، ومجاهدة الهوى والشهوة ، ولا تنهش نهش السباع ، ولا تقضم قضم البراذين ، ولا تدمن الاكل ادمان النعاج ولا تلقم لقم الجمال ، ان الله تعالى جعلك انساناً ، فلا تجعل نفسك بهيمة ولا سباعاً ، واحذر سرعة الكظة وداء البطنة ، فقد قال الحكيم : إذا كنت بطناً فعد نفسك من الزمنى ، وقال الاعشى : « والبطنة يوماً تسفه الأحلاما » واعلم ان الشبع داعية البشم والبشم داعية السقم والسقم داعية الموت ومن مات هذه الميتة فقد مات موتة لئيمة ، وهذا مع ذلك قاتل نفسه وقاتل نفسه ألوم من قاتل غيره ، يابني والله ما أدى حق السجود والركوع ذو كظفة ولا خشع لله ذو بطنة ، والصوم مصححة ولربما طالت أعمار الهند وصحت أبدان العرب ، والله در الحارث بن كلدة

حيث زعم ان الدواء هو الأزم وان الداء ادخل الطعام في أثر الطعام ،
يا بني لم صفت اذهان الاعراب ، وصحت أذهان الرهبان مـم طول
الاقامة في الصوامع حتى لم يعرفوا وجع المفاصل ولا الاورام إلا لقلة
الرزء ورتاجة الاكل ، وكيف لا يرغب في تدبير يجمع لك بين صحة البدن
وذكاه الدهن وصلاح المعاد والقرب وعيش الملائكة .

يا بني لم صار الضب أطول شيء ذمهاً إلا لأنه يتبلغ بالنسيم ولم زعم
الرسول ﷺ أن الصوم وجاء إلا ليجمله حجاباً دون الشهوات
فأفهم تأديب الله ورسوله فأنها لا يقصدان إلا مثلك .

يا بني أبي قد بلغت تسعين عاماً ما نقص لي سن ولا انتشر لي
عصب ولا عرفت دنيف أنف ولا سيلان عين ولا تقطير بول ما لذلك
علة إلا التخفيف من الزاد ، فإن كنت تحب الحياة فهذه سبيل الحياة وان
كنت تريد الموت فلا يبعد الله من ظلم .

(نهج البلاغة : ٤ / ٣٧٩)

الفصل الثالث

﴿ في آداب الأكل ﴾

عن النبي ﷺ :

أنه كان يغسل يديه من الغمر - بالتحريك هو زنج اللحم وما يعلق باليد من دسسه - ثم يمسح بها وجهه ورأسه قبل أن يمسحها بالمنديل ثم يقول : اللهم اجعلني ممن لا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة .

وقال ﷺ :

الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي الهمم ويصح البصر .

وقال ﷺ :

من أراد أن يكثر خيره فليتوضأ عند حضور طعامه .

﴿ قال المؤلف ﴾ :

المراد بالوضوء في هذين الحديثين النظافة وغسل اليد لا الوضوء

بالمعنى المعروف ، كما صرح بذلك علماء اللغة ومنهم صاحب « مجمع البحرين » .

وقال النبي ﷺ :

يبدأ أولاً رب المنزل بغسل يده ومن عن يمينه ، فإذا فرغ من

الطعام يبدأ بغير صاحب المنزل ممن عن يساره لأنه أولى بالصبر على الغمر .

وقال ﷺ لعلي بن أبي طالب :

يا علي إفتح بالمح واختم به ، فإنه شفاء من سبعين داء منها الجنون والجذام والبرص . وعن الصادق عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : إذا وضعت المائدة حفا أربعة أملاك ، فإذا قال العبد بسم الله قالت الملائكة للشيطان اخرج يا فاسق فلا سلطان لك عليهم ، وإذا فرغوا فقالوا الحمد لله قالت الملائكة قوم أنعم الله عليهم ، فادوا الشكر لربهم ، وإذا لم يقل بسم الله قالت الملائكة للشيطان ادن يا فاسق فكل معهم فإذا رفعت المائدة ولم يحمد الله قالت الملائكة قوم أنعم الله عليهم فانسوا ربهم .

وقال ﷺ :

من أكل ما يسقط من المائدة عاش ما عاش في سعة من رزقه وعوفي في ولده وولد ولده من الجذام .

وقال ﷺ :

النفخ في الطعام يذهب بالبركة .

وعن الصادق (ع) عن النبي (ص) قال :

كان رسول الله (ص) إذا أتى بفاكهة حديثه قبلها ووضعها على عينه ويقول : اللهم كما أريتنا أولها في طافية فأرنا آخرها في عافية .

وقال ﷺ :

إذا وضعت المائدة بين يدي الرجل فليأكل مما يليه ولا يتناول مما بين يدي جلسه ، ولا يأكل من ذروة القصة فإن من أعلاها تأتي البركة ، ولا يرفع يده وإن شبع فانه إذا فعل ذلك خجل جلسه وعسى أن يكون له في الطعام حاجة .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام :

اذكرو الله عز وجل عند الطعام ولا تلعنوا فيه - وهو التكلم
بها لا يلفغي - فانه نعمة من نعم الله تعالى يجب عليكم فيها شكره
وحمده . أحسنوا صحبة النعم قبل فراقها فانها تزول وتشهد على صاحبها
بما عمل فيها .

وقال عليه السلام :

إذا جلس أحدكم على الطعام فليجلس جلسة العبد وليأكل على
الأرض ، ولا يضع إحدى رجله على الأخرى ، ولا يتربع فانها جلعة
ينفضها الله عز وجل ويمقت صاحبها .

وقال عليه السلام :

كل ما يسقط من الخوان فانها شفاء من كل داء لمن أراد أن
يستشفى به .

وقال عليه السلام :

ابدؤا بالملح في أول الطعام ، فلو علم الناس ما في الملح لاختاروه
على الترياق المجرّب - وهو ما يستعمل لدفع السم من الادوية والمعاجين - .

وقال عليه السلام :

ضمنت لمن سمي على طعامه أن لا يشتكى منه - فقال ابن الكوا - ؛
وهو عبدالله بن الكوا خارجي ملعون وهو الذي قرأ خلف علي عليه السلام
جهرأ قوله تعالى : ﴿ ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن
أشركت ليجبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ﴾ يا أمير المؤمنين لقد
أكلت البارحة طعاماً فسميت عليه ثم آذاني . فقال : أكلت ألواناً فسميت
على بعضها ولم تسم على بعض بالكعب - ولكعب كسر د : العبد
الأحق اللثيم - .

وقال عليه السلام :

أقروا الحار حتى يبرد ويمكن ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قرّب إليه طعام حار فقال : أقروه حتى يبرد ويمكن ، ما كان الله ليطمعنا النار والبركة في البارد والحار غير ذي بركة .

وقال عليه السلام :

من أكل الطعام على النقاء - يعنى خلو المعدة من الطعام - وأجاد الطعام تمضغاً وترك الطعام وهو يشتهيهِ ولم يجبس الغائط إذا أتى لم يمرض إلا مرض الموت .

وقال الصادق عليه السلام :

من غسل يده قبل الطعام وبمده بورك له في أوله وآخره وعاش ما عاش في سعة وعوفي من بلوى في جسده .

وقال الصادق عليه السلام :

من غسل يده قبل الطعام فلا يمصحها بالمنديل فإنه لا تزال البركة في الطعام ما دامت الندوة في اليد .

وقال الصادق عليه السلام :

اطيلوا الجلوس على الموائد ، فإنها ساعة لا تحسب من أعماركم .
وقال الصادق عليه السلام عن آبائه عن الحسين بن علي عليه السلام قال :
في المائة اثنتا عشرة خصلة يجب على كل مسلم أن يعرفها أربع منها فرض وأربع منها سنة وأربع منها تأديب : فأما الفرض فالمعرفة بالرضا ، والتسمية ، والشكر . وأما السنة فالوضوء قبل الطعام ، والجلوس على الجانب الأيسر ، والاكل بثلاث أصابع ، ولعق الأصابع . وأما التأديب فالاكل مما يليك ، وتصغير الاقمة ، والمضغ الشديد ، وقلة النظر في وجوه الناس .

وقال الصادق عليه السلام :

إنه كره أن يأكل بشماله أو يشرب بها أو يتناول بها .

وقال الصادق عليه السلام :

لا تأكل وأنت تمشي إلا أن تضطر إلى ذلك .

وقال الرضا عليه السلام :

إذا أكلت فاستلق على قفاك وضع رجلك اليمنى على اليسرى .

(مكارم الأخلاق : ١/١٥٩-١٧١)

الفصل الرابع

(في رمز القصة والمثل)

اما المثل فانه يرمز الى بعض النواحي الصحية حسب منطوقه ،
كما اخذ هذا المعنى الحريري في مقاماته حيث يقول : « يارب اكلة هاضت
الآكل ومنعته ما كل » وكما اشار الى هذا المعنى الشاعر ابن العلاف
في قصيدته الحكيمية التي جعلها في رثاء سنوره من ابيات منها :
كم اكلة خامرت حشاشره فاخرجت روحه من الجسد

واما ما ترمز اليه القصة ، فان الملك لما اراد الوقية بعامر العدواني
لما شاهده منه في الحجج من دفعه للناس وعدم الاكتراث بهم ، فقد
سأه ذلك المنظر من عامر فأراد ان يحط من كرامة عامر ، فعندما طلب
منه الزيارة فلم يكن آنذاك ملتفتاً لما انطوت عليه سريرة الملك ولا كان عالماً
بقصده ، ولكنه لما حلّ مع قومه في بلاد الملك انكشف له الحال
وتبين له مقصد الملك ، وليكن قومه خفي عليهم ما تبين لعامر ، لذلك
قال لهم : إن إكرام الملك لنا هو خديمة ومؤامرة لأجل الوقية بنا
فأمرنا ليكون مثل ذلك الشخص الشره لأكل الطعام الذي يدفعه شره
لأن يأكل منه أكلة ولكنها تكون آخر اكلاته وبها تاه حياته وعمره

لكونها كالمس في العسل أو كالمريض الذي تضره تلك الأكلة ، لذلك ينبغي لكل عاقل لبیب أن يكون حذراً ومتأنياً في أموره غير متسرع بما يفعل كما يقول الشاعر :

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل
وأن لا ينخدع بظواهر الاشياء حتى ينكشف له الحال ويبدو ما خفي
من وراء الستار ، وان يدفعه طمعه وحرصه الى التورط في المهالك ،
فكم من لذة أعقبت ندامة ، وكم من طمع أوقع صاحبه في الخسران ، وإذا
تورط العاقل اللبيب في بعض المآزق فليحسن الخروج والتخلص منها
لذلك ان عامر المدواني استعمل الملك بحسن رويته وتفكيره ، وكل هذا
وقوم عامر لا يعلمون بحقيقة الحال ، لذلك لاموه وطابوا عليه بقولهم :
« لم نر كاليوم وافد قوم أقل ولا أبعد من نوال منك » يعني انك لم
تحصل بهذه السفرة والوفادة على الملك شيئاً يذكر ، والحال أن الناس
يفدون على الملوك ، فيحفظون بالجاه المريض والمال الكثير . وقد أجابهم
عامر بأن لا تمجلوا علي فان الرزق لا يؤسف عليه إذا طأت فان الغنيمة
في النجاة من الموت ، وأي قيمة للمال لو بطش بنا الملك ، فهي كالأكلة
الواحدة التي تمنع الأكل كثيراً من الأكلات ولات ينفعه الندم ، ويقول
لهم : إن الغنيمة هي نجاتنا مما نواه الملك بنا من الوقعة والسوء ،
لذلك قال لهم : « رب اكلة تمنع اكلات » .

ماوراء النخيل

قال المفضل : أول من قال ذلك الحارث بن عمرو ملك كندة وذلك أنه لما بلغه جمال ابنة عوف بن محم الشيباني ، وكأها وقوة عقلها دعا امرأة من كندة ، يقال لها « عصام » ذات عقل ولسان ، وأدب وبيان ، وقال لها : اذهبي حتى تعلمي لي علم ابنة عوف ، فضت حتى انتهت الى أمها وهي أمانة بنت الحارث ، فأعلمتها ما قدمت له ، فأرسلت أمانة الى ابنتها وقالت : أي بنية هذه خالتك أتت لتنظر اليك فلا تستري عنها شيئاً إذا أرادت النظر من وجه أو خلق ، وناطقها إذا استنطقتك فدخلت اليها فنظرت الى ما لم تر قط مثله فخرجت من عندها وهي تقول : « ترك الخداع من كشف القناع » فأرسلتها مثلاً ثم انطلقت الى الحارث فلما رآها مقبلة قال لها : « ما وراءك يا عصام » قالت : صرح الخوض عن الزبد ، رأيت وجهاً كالمرأة المصقولة يزيناها شعر حالك كاذناب الخيل ان أرسلته خلته الصلاسل وان مشطته قلت عناقيد جلاها الوابل ، وحاجبين كأنها خطأ بقلم أو سودا بمحمم (الفحم) تقوسا على مثل عين ظبية عبهرة (ممتلئة الجسم) بينها أنف كعهد السيف الصنيع (المجلو) حفت به وجنتان كالأرجوان (صبغ أحمر شديد الحمرة) في بياض كاللجان

(اللؤلؤ) شق فيه فم كالخاتم لذيذ المبتسم فيه ثنانياً غير ذات امر تقلب فيه لسان ذو فصاحة وبيان بمقل وافر وجواب حاضر تلتقي فيه شفتان حراوان تحلبان ريقاً كالشهد إذا ذلك في رقبة بيضاء كالفضة ركبت في صدر كصدر تمثال دمية (التمثال من العاج وغيره) وعضدان مدحجان يتصل بها ذراعين ليس فيها عظم يمس ولا عرق يجس ، ركبت فيهما كفن دقيق قصبها لين عصبها ، تعقد ان شئت منها الأنامل ، نتأفي ذلك الصدر ثديان كالرمانتين يخرقان عليها ثيابها ، تحت ذلك بطن طوي طي القباطي كسر عكناً كالقراطيس المدرجة تحيط بتلك العنق سرّة كالمدهن الجلو خلف ذلك ظهر فيه كالجداول يلتهي الى خصر لولا رحمة الله لانتبر لها كفل يقعدا إذا نهضت وينهضها إذا قعدت كأنه دعص الرمل لبدّه سقوط الطل يحمله نخدان لفا كأنها قلبا على نضد جان تحتها ساقان خدلتان كالبريتين ، وشيتا بشعر أسود كأنه حلق الزرد يحمل ذلك قدمان كحذو اللسان ، فتبارك الله مع صغرهما كيف تطيقان حمل ما فوقها . فأرسل الملك الى أبيها فخطبها فزوجها إياه وبعث بصدقها فجزت ، فلما أراد أن يحملوها الى زوجها قالت لها أمها : أي بنية إن الوصية لو تركت لفضل أدب ، تركت لذلك منك ، ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل ، ولو ان امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبوها وشدة حاجتها اليها كنت أغنى الناس عنه ولكن النساء للرجال خلقن ولهن خلق الرجال ، أي بنية انك فارقت الجو الذي منه خرجت ، وخلقت العش الذي فيه درجت الى وكر لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فأصبح بملكك عليك رقيباً ومليكاً فكوني له أمة يكن لك عبداً وشيكاً أي بنية : احلمي غني عشر خصال ، تكن لك ذخرأً وذكراً : الصحبة

بالقناعة ، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة ، والتعهد لموقع عينه ، والتفقد لموضع أنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك إلا طيب ريح ، والكحل أحسن الكحل ، والماء أطيب الطيب المفقود ، والتهد لوقت طعامه ، والهدوء عند منامه ، فان حرارة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة ، والاحتفاظ ببيتته وماله ، والأرعاء على نفسه وحشمه وعياله ، فان الاحتفاظ بالمال حسن التقدير ، والأرعاء على العيال والحشم جميل حسن التدبير ، ولا تقشي له سرأ ، ولا تعصي له أمرأ ، فانك أن أفشيت سره لم تأمني غدره ، وان عصيت أمره أو غرت صدره ، ثم اتقى مع ذلك الفرح ان كان ترحأ ، والاكتئاب عنده ان كان فرحأ ، فان الخصلة الاولى من التقصير ، والثانية من التكدير ، وكوني أشد ما تكونين له موافقة يكن أطول ما تكونين له مرافقة ، واعلمي انك لا تصلين الى ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك وهواه على هواك ، فيما أحببت وكرهت والله يخبر لك ، فحملت فسلمت اليه ، فعظم موقعها منه وولدت له الملوك السبعة الذين ملكوا بعده اليمن .

﴿ الفاخر : ١٨٤ ، قصص العرب : ٧٢/٢ ، من أمثال العرب : ٢٤٧ ،
 المعقد الفريد : ١٦٠-١٧٩ ، مجمع الامثال : ٢٦٢/٢ ، نهاية الارب :
 ٥٠/٣ ، المعقد المفصل : ٦٠/١ ﴾ .

﴿ قال المؤلف ﴾ : ما يتبع المثل وقصته وفي ذلك فصول :

الفصل الاول

وفيه فائدتان : (الفائدة الأولى)

في الأحاديث والَاخبار المرغبة في النكاح والزواج وذم العزوبة .

قال رسول الله ﷺ :

اتخذوا الَاهل فانه أرزق لكم .

وقال ﷺ :

تزوجوا فاني مكاثر بكم الَامم غدأ في القيامة ، حتى ان السقط

ليجيء محبباً على باب الجنة فيقال له ادخل الجنة ، فيقول لا حتى يدخل

أبواي الجنة قبلي .

وقال ﷺ :

ركعتان يصليهما متزوج أفضل من رجل أعزب يقوم ليله ويصوم نهاره .

وقال ﷺ :

إن أرادك موتا كم العزاب .

وقال ﷺ :

أكثر أهل النار العزاب .

وقال ﷺ :

من سره أن يلقى الله طاهراً مطهراً فليلقه بزوجة، ومن ترك الزوج مخافة العيلة فقد أساء الظن بالله عز وجل .
وقال عليه السلام :

ما استفاد امرؤ مسلم فائدة بمد الاسلام أفضل من زوجة مسلمة تسره إذا نظر إليها وتطيعه إذا أمرها وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله .
وقال عليه السلام :

ما يمنح المؤمن أن يتخذ الاهل لعل الله أن يرزقه نسمة تثقل الارض بلا إله إلا الله .
وقال عليه السلام :

من تزوج أحرز نصف دينه فليتق الله في النصف الباقي .
وقال عليه السلام :

ما بني بناء في الاسلام أحب الى الله تعالى من الزوج .
وقال جعفر بن محمد الصادق عليها السلام :
الركعتان يصليهما متزوج أفضل من سبعين ركعة يصليهما أعزب .
وقال عليه السلام أيضاً :

من ترك التزويج مخافة الفقر فقد أساء الظن بالله عز وجل ، إن الله عز وجل يقول ﴿ إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ﴾ .
والاخبار والاحاديث في هذا الباب كثيرة جداً ونكتفي بما دوناه .
﴿ الفائدة الثانية ﴾ فيما ورد من الاحاديث والاخبار في محاسن المرأة وفي مساوئها وفي محاسن الرجل وفي مساوئه :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
أفضل نساء أمتي أصبهن وجهاً وأقلهن مهراً .

وقال ﷺ :

ألا أخبركم بخير نساءكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله . قال : إن من خير نساءكم الولود الودود الستيرة العفيفة العزيزة في أهلها الذليلة مع بعلها المتبرجة مع زوجها الحصان مع غيره التي تصمع قوله وتطيعم وإذا خلا بها بذلت له ما أراد منها ، ألا أخبركم بشر نساءكم؟ قالوا: بلى قال : ان من شر نساءكم الذليلة في أهلها العزيزة مع بعلها العقيم الحقود التي لا تتورع من قبيح ، المتبرجة إذا غاب عنها بعلها ، الحصان معه إذا حضر التي لا تصمع قوله ولا تطيع أمره وإذا خلا بها بعلها تمنعت منه تمنع الصمبة عند ركوبها ولا تقبل له عذراً ولا تغفر له ذنباً ثم قال ﷺ : أفلا أخبركم بخير رجالكم؟ فقلنا: بلى . قال : إن من خير رجالكم التقي النقي السمح الكفين السليم الطرفين البر بوالديه ولا يلجئ عياله الى غيره ثم قال : ألا أخبركم بشر رجالكم؟ فقلنا: بلى . قال : ان من شر رجالكم البهات الفاحش الآكل وحده المانع رفده الضارب أهله وعبيده البخيل الملجئ عياله الى غيره العاق بوالديه .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام :

تزوج سمراء عينا عجزاء مربوعة ، فان كرهتها فعلي الصداق .

وقال عليه السلام :

خير النساء الطيبة الريح الطيبة الطعام التي إن انفقت أنفقت بمرحوم وإن أمسكت أمسكت بمرحوم ، فتلك من عمال الله وعامل الله لا ينجيب .

وجاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال:

إن لي زوجة إذا دخلت تلتقتني وإذا خرجت شيعتني وإذا رأيتي مهموماً قالت : ما يهملك إن كنت تهتم لرزقك فقد تكفل به غيرك وإن

كنت تهتم بأمر آخرك فزادك الله هما . فقال ﷺ : إن الله عمالا وهذه من عماله لها نصف اجر الشهيد .

وقال الصادق عليه السلام :

الشؤم في ثلاثة اشياء . في الدابة ، والمرأة ، والدار ، فأما في المرأة فشؤمها غلاء مهرها وعسر ولادتها ، وأما الدابة فشؤمها كثرة عليها وسوء خلقها ، وأما الدار فشؤمها ضيقها وخبث جيرانها .

وقال ﷺ :

تزوجوا الابكار فانهن أطيب شيء أفواها وأدر شيء اخلاقاً وأحسن شيء اخلاقاً وافتح شيء أرحاماً ، إلى آخر الحديث .

وقال ﷺ :

اختراروا لنطفكم فان الخال أحد الضجيعين .

وقال الصادق عليه السلام :

ثلاثة أشياء لا يحاسب عليهن المؤمن : طعام يأكله ، وثوب ، يلبسه وزوجة صالحة تماونه ويحصن بها فرجه .

وأما ما ورد في الأحاديث والأخبار في ذم النساء وفي مساوئهن فهي كثيرة منها :

قال رسول الله ﷺ :

ما رأيت ضعيفات الدين ناقصات العقول اسلب لذي لب منكن

- اي النساء - .

وقال ﷺ :

لولا النساء لعبد الله حقاً حقاً .

وقال ﷺ :

يامشر الذماء ما رأيت نواقص عقول ودين اذهب بعقول ذوي
الألباب منكن ، اني قد رأيت انكن اكثر أهل النار يوم القيامة فتمقرين
الى الله عز وجل ما استطعتن . فقالت امرأة منهن : يا رسول الله ما نقصان
ديننا وعقوانا ؟ فقال : أما نقصان دينكن فالحيض الذي يصيبكن فتمكث
إحدا كن ما شاء الله لا تصلي ولا تصوم ، وأما نقصان عقولكن فشهادتكن
إنما شهادة المرأة نصف شهادة الرجل .

ونقل أمير المؤمنين عليه السلام :

يظهر في آخر الزمان واقتراب الساعة وهو شر الأزمنة ، نسوة كاشفات
طاريات متبرجات من الدين ، داخلات في الفتن ، مائلات الى الشهوات ،
مسرعات الى اللذات ، مستحلات للمحرمات في جهنم خالدات .

﴿ من لا يحضره الفقيه : ٣/٢٤٢-٢٤٣-٢٤٧ ، تهذيب الاحكام : ٣٩٩-٤٠١ ﴾

الفصل الثاني

في ذكر القصيدة الشهيرة - بالدعية - لما تشتمل عليه من أوصاف الفساة المحببة ولم أحط خبراً بناظمها لأنى لم استقص المصادر سوى «العقد المفصل» وقد دونها بدون ذكر الناظم لها .

آه على دعد وما خلقت
بيضاء قد لبس الأديم أديم
ويزين فوديبها إذا حسرت
فالوجه مثل الصبح منبلج
ضدان لما استجمعا حسنا
وجبينها صلت وحاجبها
فكأنها وسنى إذا نظرت
بفتور عين ما بها رمد
وتريك عرنيناً يزينه
وتجيل مسواك الأراك على
والجيد منها جيد جازية
وامتد من أعضاها قصب
والمعصان فما يرى لها
إلا لطول بليتي دعبد
الحسن فهو لجلدها جلد
ضاني الغدائر فاحم جمعد
والشعر مثل الليل مسود
والضد يظهر حسنه الضد
شحط المخط أزعج ممتد
أو مدنف لما ينفق بعد
وبها تداوى الأعين الرمد
شمم وخد لونه الورد
نفر كأن رضابه شهد
تمطو إذا ما طلبها البرد
فعم زهته مرافق درد
من فعمة وبضاضة زند

ولها أنامل لو اردت لها
فكأنما سقيت ترائبها
وبصدرها حقان خلقتها
والبطن مطوي كما طويت
والتف نغذاها وفوقها
وبخصرها هيف يزينه
فقيامها مثنى إذا نهضت
ما شأنها طول ولا قصر
ولها من راب مجسته
فإذا طعنت طعنت في لبد
فكأنه من كبره قدح
والساق خرعبة منعمة
ومشت على قدمين خصرتا
إن لم يكن وصل لديك لنا
أن تتهمى فتهامة وطني
قد كان أورق وصلكم زمناً
لله أشواقى إذا نزحت
وإذا المحب شكى الصدود ولم
إما تري طمري بينها
فالسيف يقطع وهو ذو صده
هل ينفعن السيف حليته

عقد بكفك أمكن العقده
والوجه ماء الحسن إذ تبدو
كافورتين علاهما ند
بيض الرياط تصونها الملد
كفيل يجاذب خصره النهده
فإذا تنوه تسكاد تنقد
من لينها وقعودها فرد
أزرى بها فقوامها قصد
ضيق المسالك حره وقد
وإذا جذبت يكاد ينسد
اكل العيال وكبه العبد
ثملت وطوق الحجل مشتد
والتفتا فتكامل العقده
يشقى الصباية فليكن وعد
أو تنجدي إن الهوى نجد
فذوى الوصال وأورق الصدد
دار لكم ونأى بكم بعد
يمطف عليه فقتله عمد
رجل الحّ بهزله الجدد
والحد يفرى الهام لا الغمد
يوم الجلال اذا نبا الحد
(العقد المفصل : ٦٢/١)

الفصل الثالث

في ذكر ملوك كندة أولاد الملك الحارث بن عمرو صاحب المثل الذي بأيدينا : (دولة كندة) بطن من كهلان فهم قحطانيون ، أصلهم من البحرين والمشقر ، هاجروا الى حضرموت فأقاموا ببلدة اسمها كندة ، مرتفع من الأرض يشرف على حضرموت وطاصمة ملكهم « دمون » وملوكهم على رواية أبي الفداء وجرجي زيدان ما يأتي وهم :

(١) حجر بن عمرو آكل المرار : « توفي سنة ٤٥٠ م »

هو آكل المرار ابن عمرو وهو من ولد كندة - التي سميت الملوك باسمه وكذلك محل ملكهم - وكان اسم كندة ثوراً وهو ابن عم عفير ابن الحارث من ولد زيد بن كهلان بن سبا ، وكانت كندة قبل أن يملك حجر عليهم بغير ملك فآكل القوي الضعيف ، فلما ملك حجر سدد أمورهم وسامهم أحسن سياسة وانزع من اللخميين - ملوك الحيرة - ما كان بأيديهم من أرض بكر بن وائل وبقي حجر آكل المرار كذلك حتى مات . وقيل له آكل المرار لكون امرأته قالت عنه : كأنه جبل قد

اكل المرار لبغضها له فغلب ذلك لقباً عليه ، ثم ملك بعد حجر
المذكور ابنه .

(٢) عمرو بن حجر « توفى سنة ٤٩٠ م »

ويقال لعمرو المذكور المقصور لأنه اقتصر على ملك أبيه . ثم ملك
بعد ابنه .

(٣) الحارث بن عمرو « توفى سنة ٥٤٠ م »

قوي ملك الحارث ووافق قباذ بن فيروز على الزندقة والدخول
في مذهب - مزدك - فطرد قباذ المنذر بن ماء السماء للخمى عن ملك
الحيرة وملك الحارث بن عمرو فمظم شأن الحارث، ولما ملك انوشروان
بعد أبيه قباذ أعاد المنذر وطرد الحارث فهرب وتبعته تغلب وعدة قبائل
فظفر المنذر بامواله وباربعين نفساً من بني حجر آكل المرار منهم ابنان
من ولد الحارث فقتلهم عن آخرهم . وفي ذلك يقول امرؤ القيس بن حجر
ابن الحارث من أبيات منها :

ملوك بني حجر بن عمرو يساقون العشية يقتلوننا
فلو في يوم معركة اصيبوا ولكن في ديار بني مرينا
ولم تغسل جاجهم بغسل ولكن بالدماء مزملينا

(قال المؤلف) : وهذا الحارث بن عمرو هو صاحب القصة والمثل

« ما وراءك يا عصام » . ومن بعده ملك ابنه .

(٤) حجر بن الحارث « توفى سنة ٥٥٠ م »

هو والد امرؤ القيس الشاعر ، وحجر هذا ملكه أبوه علي بن
اسد بن خزيمية بن مدركة ، وملك باقي بنيه على قبائل العرب ثم
ملك ابنه .

(٥) شراحيل بن الحارث :

هو ابن الحارث وقد ملكه أبوه الحارث علي بكر بن وائل ، وملك
بعده ابنه .

(٦) معدى كرب بن الحارث :

ابن الحارث علي قيس غيلان، وكان معدى كرب يلقب غلقاً لتخليفه
رأسه بالطيب ، ثم ملك ابنه .

(٧) سلمة بن الحارث :

علي تغلب والنمر ، أما حجر بن الحارث هو أبو امرؤ القيس الشاعر
وقد استعمل الظلم في بني أسد والنكابة بهم حتى دخلوا في طاعته ثم
قتلوه غيلة ، وفي ذلك يقول امرؤ القيس :

بنو أسد قتلوا ربهم ألا كل شيء سواه خلل
ونار امرؤ القيس لما سمع بمقتل أبيه فاستنجد بيكر وتغلب على
بني أسد ثم دارت حروب وقتلت نفوس كثيرة وأخذ بثأر أبيه ، وهو
الذي أودع دروعه عند السموأل لما هرب الى قيصر الروم ووفى السموأل
له ، وتذكر كتب التاريخ قصة طويلة في أخذه بثأر أبيه ، توفي سنة ٥٦٠ م .
وعموت امرئ القيس انتهت مملكة الكنديين .

﴿ تاريخ ابن عساکر : ١٠٤/٣ ، مجمع الأمثال : ٤١٧/٢ ، العرب
قبل الاسلام : ٢٤٤ ، دائرة معارف فريد : ٢٤٣/٦ ، تاريخ ابن الاثير :
٣٠٧/١ ، شرح مقامات الحريري : ٢٥٤ ، تاريخ ابى الفدا : ٧٧/١ ،
قصص العرب : ٣٦٥/٣٤ ﴾ .

فتى ولا كمالك

قاله متمم بن نويرة في أخيه مالك بن نويرة ، وتقديره «هذا فتى»
أو «هو فتى» .

قال ابن خلكان في ترجمة وثيمة بن موسى الوشاء : كان مالك
ابن نويرة سرياً نبيلاً يردف الملوك (هو ولي العهد الذي يخلف الملك)
وهو الذي يضرب فيه المثل فيقال : « مرعى ولا كالمعدان ، وماء ولا
كصداء ، وفتى ولا كمالك » . وكان فارساً شاعراً مطاعاً في قومه ،
وكان يقال له الجفول . وهو ذو النجدة والغيرة الممسك بعنان فرسه فإذا
سمع بهيمة طار إليها ، وفد على رسول الله ﷺ فأسلم مع جماعة من
قومه ، فولاه النبي ﷺ صدقات قومه .

ولما ارتدت العرب بعد النبي ﷺ بمنع الزكاة كان مالك من جملتهم
فأخذ زكاتهم ووزعها في قومه ، فقال مالك لخالد : اني آتي بالصلاة دون
الزكاة ، فتجادلا بالكلام طويلاً فقال له خالد : اني قاتلك . قال : أو
بذلك أمرك صاحبك - يعني أبا بكر - ؟ فقال خالد : والله لا قتلناك .
فقال مالك : يا خالد ابعثنا الى أبي بكر فيكون هو الذي يحكم فينا ،

فقد بعثت اليه غيرنا ممن هو جرمه اكبر من جرمنا ، فأبى خالد .

وكان عبدالله بن عمر وأبو قتادة الأنصاري حاضرين ، فكلما خالداً في أمره فكره كلامها ، فالتفت مالك الى زوجته أم متمم وقال : هذه التي قتلتني - وكانت في غاية الجمال - فقال له خالد : بل الله قتلك برجوعك عن الاسلام . فقال مالك : أنا على الاسلام . فقال خالد : يا ضرار إضرب عنقه . فضرب عنقه وجعل رأسه انقيسة القدر ، وكان من أكثر الناس شعراً ، فكانت القدر على رأسه حتى نضج الطعام ، وما خلصت الى شواه من كثرة شعره ، وقبض خالد امرأته ، وقال لأبن عمر وأبي قتادة أن يحضرا النكاح فأبيا ، وقال له ابن عمر : اكتب الى أبي بكر وتذكر له أمرها ، فأبى وتزوجها . فقال ابو زهير السعدي من أبيات منها :

قضى خالد بغياً عليه لمرسه وكان له فيها هوى قبل ذلك
فأمضى هواه خالد غير عاطف عنان الهوى عنها ولا متماسك

ولما بلغ الخبر أبا بكر وعمر قال عمر لأبي بكر : ان خالداً قد زنى فأرجه . فقال : ما كنت لأرجه فانه تأول فأخطأ . قال : إنه قتل مسلماً فأقتله به . قال : ما كنت لأقتله به فانه تأول فأخطأ . قال : فأعزله . قال : ما كنت لأشيم سيفاً سله الله عليهم ابدأ .

ولما بلغ متمم مقتل أخيه مالك حضر الى مسجد رسول الله ﷺ ووقف بجذاه أبي بكر واتكأ على قوسه ثم أنشد :

نعم القتيل إذا الرياح تناوحت خلف البيوت قتلت يابن الأزور
أدعوته بالله ثم غدرت له لو هو دطاك بدمه لم يغدر

وأوماً الى أبي بكر ، ثم بكى وانحط عن سية قوسه فما زال
يبكي حتى دمعت عينه الموراء .

(النص والاجتهاد : ٦١ ، مجمع الامثال : ٧٨/٢ ، تاريخ ابن
خلكان : ١٧٢/٢ ، أيام العرب في الاسلام : ١٦٠) .

﴿قال المؤلف﴾ : هذا ما نقلته مختصراً ومقتطفاً من تاريخ ابن خلكان
ما يتبع المثل والقصة وفي ذلك فصول :

الفصل الاول

من هو مالك بن نويرة عند المؤرخين وعند أصحاب السير والتراجم؟
(١) قال أبو جعفر الطبري وابن الأثير: كان من عهد أبي بكر الى جيوشه
« إن غشيتهم داراً من دور الناس فسمعتهم فيها أذاناً للصلاة فامسكوا عن
أهلها حتى تسألوهم ما الذي نعموا ، وان لم تسمعوا أذاناً فشنوا الغارة
فأقتلوا وحرقوا » .

وكان ممن شهد لمالك بالاسلام أبو قتادة الخارث بن ربيعي
الانصاري ، وقد طاهد الله أن لا يشهد مع خالد حرباً أبداً ، وكان يحدث
أبو قتادة ويقول : انهم لما غشوا القوم راعوهم تحت الليل ، فأخذ القوم
الاسلح . قال : فقلنا إنا المسلمون . فقالوا : ونحن المسلمون . قلنا :
فما بال اسلح معكم ؟ قالوا لنا : فما بال اسلح معكم ؟ قلنا : فان كنتم
كما تقولون ضعوا اسلح ، فوضعوه ثم صلبنا وصلوا ، وكان خالد يعتذر
في قتله أنه قال وهو يراجعه : ما أخل صاحبكم - يعني أبا بكر -
إلا وقد كان يقول كذا وكذا . قال خالد : أو ما تمده لك صاحباً
ثم قدمه ف ضرب عنقه وأعناق أصحابه ، فلما بلغ قتلهم عمر بن الخطاب
تكلم فيه عند ابي بكر فأكثر ، وقال : عدو الله عدا على امرئ مسلم

فقتله ثم نزا على امرأته .

وأقبل خالد بن الوليد قافلاً حتى دخل المسجد وعليه قباه له عليه
صدأ الحديد قد غرز في عمامته أسهماً ، فلما دخل المسجد قام إليه عمر
فانزع الاسهم من رأسه فخطمها ثم قال : ارتاءأ قتلت امرءاً مسلماً ثم
نزوت على امرأته والله لأرجنك بأحبارك . وخالد لا يكلمه ظناً منه
أن ذلك رأي أبي بكر ، فلما دخل على أبي بكر فاعتذر إليه فاعذره بما
تجاوز منه في تلك الحرب ، فخرج وعمر جالس في المسجد فقال خالد
لعمر : هلم إلى يا بن أم شملة ، فمرف عمر أن أبا بكر رضي عنه فلم
يكلمه ودخل بيته .

وفي رواية سويد قال : جاءت الخليل بمالك ونهر من بني ثعلبة
فاختلفت السرية وفيهم أبو قتادة ، وقد شهد انهم اذنوا وأقاموا وصلوا
فأمر خالد بهم فحبسوا في ليلة باردة ، وأمر مناديه : ادفنوا اسراكم وهي
كناية عن القتل فقتلوه . وسمع خالد الواعية فخرج وقد فرغوا منهم ، فقال
أبو قتادة : هذا عمك ؟ فزبره خالد فغضب ومضى الى أبي بكر فأخبره
وتزوج خالد أم تميم ابنة المنهال ، وقال عمر لأبي بكر : إن في سيف
خالد رهقاً وحق عليه أن تقيده .

وكان ابو بكر لا يقيد من عماله ولا وزعته ، فقال أبو بكر :
هيه يا عمر ، تأول فأخطأ فارفع لسانك عن خالد . وودى مالكا وكتب الى
خالد ، فلما حضر عنده واعتذر منه أعذره وعنفه في التزويج من زوجة
مالك حيث ان العرب تميب مثل هذا التزويج .

وعن سويد : كان مالك من اكثر الناس شعراً ، وان اهل
الاسكر أنفوا برؤوسهم القدور فما منهم رأس إلا وصلت الى بشرته النار

ما خلا مالكا فان القدر نصبت وما نصبح رأسه من كثرة شعره .
(تاريخ الطبري : ٥٠٢/٢ ، تاريخ ابن الاثير : ٢٤٢/٢)

(٢) وقال ابو الفداء في تاريخه وصاحب تاريخ البداية والنهاية :

كان مالك فارساً مطاعاً شاعراً قدم على رسول الله ﷺ واسلم
فولاه صدقة قومه ، وجيء به اسيراً مع نفر من اصحابه ، وشهد ابو
قتادة انهم اقاموا الصلاة ثم تجادل مالك وخالد في الكلام فقال خالد :
اني قاتلك . فقال له : اوبذلك امرك صاحبك - يعني ابا بكر - ؟
وكان عبدالله بن عمر وابو قتادة حاضرين ، فكلاما خالداً في امره فكره
كلامها ، فقال مالك : ابعت بنا الى ابي بكر ليحكم هو فينا ، فأبى
فالتفت مالك الى زوجته وقال لخالد : هذه التي قتلتني - وكانت في غاية
الجمال - فقال خالد : بل الله قتلك برجوعك عن الاسلام . فقال مالك :
أنا على الاسلام . فقال خالد : يا ضرار إضرب عنقه ، وأمر برأسه مع
حجرين وطبخ على الثلاثة قدراً ، فأكل منها خالد تلك الليلة ليرهب
بذلك الاعراب ، وتزوج بامرأة مالك في تلك الليلة ، واستمر ابو بكر
بخالد على الأمرة وإن كان قد اجتهد في قتل مالك وأخطأ .

(تاريخ ابي الفداء : ١٦٦/١ ، البدايه والنهاية : ٣٢٢/٦)

(٣) وقال البلاذري في فتوح البلدان : ان مالك بن نويرة قال لخالد

ابن الوليد : اني والله ما ارتددت . وشهد ابو قتادة ان بني حنظلة
وضعوا السلاح واذنوا ، فقال عمر لابي بكر : بعثت رجلا يقتل المسلمين
ويعذب بالنار ، وكان مالك عاملاً للنبي ﷺ على صدقات بني حنظلة .

(فتوح البلدان : ١٠٥)

(٤) وقال اليعقوبي في تاريخه : وكتب ابو بكر الى خالد أن ينكفيه الى مالك بن نويرة اليربوعي ، فسار اليهم فأتاه مالك يناظره واتبعته امرأته ، فلما رآها خالد أعجبته فقال : والله لا نلت ما في مثابتك حتى اقتنلك ، فنظر مالك فضرب عنقه وتزوج امرأته ، فلحق ابو قتادة بأبي بكر فأخبره وحلف أن لا يسير تحت لواء خالد لأنه قتل مالكا مسلماً . فقال عمر بن الخطاب لابي بكر : إن خالداً قتل رجلاً مسلماً وتزوج امرأته من يومها . فكتب أبو بكر الى خالد فأشخصه فقال : اني تأولت وأصبت وأخطأت .

(تاريخ اليعقوبي : ١١٠/٢)

(٥) وقال ابن خلدون في تاريخه : ولما قدم خالد الى البطاح بمثل السرايا يدعون الى الاسلام ويأتون بمن لم يجب أن يقتلوه ، فجاءوا بمالك في نفر معه من بني يربوع ، فشهد أبو قتادة أنهم اذنوا وصلوا ، فحبسهم عند ضرار وكانت ليلة ممطرة ، فنادى مناديه أن ادفنوا اسراكم - وهي كناية عن القتل بلمغة كناية - وكان ضرار كنانياً ، وخرج خالد متأسفاً حين سمع الواعية وقد فرغوا من قتلهم ، فأنكر عليه أبو قتادة ، فزجره خالد فغضب ولحق بأبي بكر ، ثم قدم خالد على ابي بكر و اشار عليه عمر أن يقيد منه بمالك بن نويرة أو يعزله ، فأبى وودى مالكا وأصحابه .

(تاريخ ابن خلدون : ٧٣/٢)

(٦) وقال صاحب تاريخ الحميس : انتهى خالد بمن معه من العسكر الى البطاح فلم يجدوا بها جمعاً ، ففرق السرايا في نواحيها ، وكان في

سرية فيها أبو قتادة ، فلحقوا اثني عشر رجلاً فيهم مالك بن نويرة ،
 فجاؤا بهم الى خالد ، وكان مالك قد بعثه النبي ﷺ مصدقاً الى قومه
 بني حنظلة وكان سيدهم ، فلما أتى به أسيراً في نفر من قومه ، فقال
 جماعة وفيهم أبو قتادة : قد والله أسلموا فما لنا عليهم من سبيل .
 وكان رأى خالد قتلهم ، فأمر خالد بهم فقتلوا وقتل مالك معهم ،
 وتزوج خالد امرأته أم متمم من ليلته وكانت جميلة ، وقد أمر خالد
 برأس مالك فجعل ائفية لقدر ، وأشار عمر على ابي بكر بقتل خالد
 قصاصاً فلم يقبل ، وقال : ان خالداً تأول امرأ فأخطأ . وقال عمر : لئن
 وليت الأمر لأقيدن خالداً بمالك . وقال عمر لابن بكر : ارجم خالداً
 فإنه استحل ذلك . فقال ابو بكر : لا أفعل . وعاتب ابو بكر خالداً
 في قتل مالك فاعتذر اليه فقبل عذره .

(تاريخ الخميس : ٢٠٩/٢)

(٧) وقال صاحب الفتوحات الاسلامية : أتى بمالك ومعه اثنا عشر رجلاً
 منهم مالك الى خالد ، فقال قوم : إنهم أسلموا فما لنا عليهم من سبيل
 فأمر بهم خالد فقتلوا ومعه مالك ، وتزوج خالد امرأته ، ولما سمع خالد
 الواعية ليلة قتلهم خرج متأسفاً ، ولما قدم على ابي بكر سأله عن قتل
 مالك فأخبره واعتذر اليه فقبل عذره ، وأراد عمر من ابي بكر أن
 يأمر في قتل خالد قصاصاً في مالك ، فقال ابو بكر : يا عمر تأول خالد
 فأخطأ . ودفع ابو بكر ديات لأولياء مالك ومن قتل معه ، وكان مالك
 ممن أسلم في حياة النبي ﷺ وجعله على صدقات قومه .

(الفتوحات الاسلامية : ١٠/١)

(٨) قال صاحب أسد الغابة : مالك بن نويرة قدم على النبي ﷺ

وأسلم واستعمله على بعض صدقات بني تميم ، ولما توفي النبي ﷺ وارتدت العرب لم تظهر منه ردة واقام بالبطاح ، ولما توجه خالد الى البطاح أتى له بالاك ونفر من قومه ، وكان في السرية أبو قتادة وشهد انهم أذنوا وأقاموا وصلوا ، فحبسهم في ليلة باردة ثم نادى مناديه ادفنوا اسراكم - وهي القتل - في لغة كنانة ، فقتلهم فسمع خالد الواعية فخرج وقد قتلوا ، فزوج خالد امرأته ، فقال عمر لابن بكر : ان سيف خالد فيه رهق . فقال ابو بكر : تأول فأخطأ ولا اشيم سيفاً سله الله على المشركين ، وودي مالكا . ولما قدم خالد على ابى بكر قال له عمر : يا عدو الله قتلت امرءاً مسلماً ونزوت على امرأته لأرجنك ، وكان خالد يعتذر في قتله ، وقدم متمم على ابى بكر يطلب بدم اخيه وان يرد عليهم سبيهم وودي مالكا من بيت المال .

(اسد الغابة : ٤ / ٢٩٥)

(٩) وقال صاحب الاصابة : قتل ضرار بن الازور مالكا صبراً بأمر

خالد ، ثم خلف خالد على زوجته ، وإن أبا بكر أمر خالد ان يفارق امرأه مالك واغلظ عمر لخالد في امر مالك ، وأما ابو بكر فعذره . وفي كتاب الردة ان مالكا وجماعته ممن شهد ابو قتادة انهم أذنوا واقاموا الصلاة وصلوا . وروي ان خالد رأى امرأه مالك ام تميم بفت المنهال وكانت فائقة الجمال ، فقال مالك لامرأته قتلتيني - يعني سأقتل من أجلك - وان مالكا لما بلغه وفاة النبي ﷺ امسك الصدقة وفرقها في قومه وقال في ذلك :

فقلت خذوا أموالكم غير خائف ولا ناظر فيما يجيء من الغد
فإن قام بالدين المحوق قاتم أطمئنا وقلنا الدين دين محمد

(الاصابة في تمييز الصحابة : ٣/٣٣٦)

وقال أبو الفرج في أغانيه : وقد قتل خالد بن الوليد مالك بن
نويرة بالبطاح في خلافة ابي بكر ، فطمع عليه جماعة في ذلك من الصحابة
منهم عمر بن الخطاب وأبو قتادة الانصاري لأنه تزوج امرأة مالك بعده .
ويقال : أنه يهواها في الجاهلية واتهم لذلك وأنه قتله مسلماً
ليتزوج امرأته بعده ، وان أهل المسكر اتفوا القدور برأس مالك
وأصحابه .

(الاغانى : ١٥/٢٣٩)

وقال صاحب خزنة الأدب : لما قام أبو بكر بالأمر بعث الى مالك
ابن نويرة خالد بن الوليد ، وأمره أن لا يأتي الناس إلا عند صلاة
العداء (الصبح) فن سمع فيهم مؤذناً كف عنهم ومن لم يسمع فيهم
مؤذناً استحلهم ، وعزم عليه ليقتلن مالكاً ان أخذه ، فأقبل خالد حتى
نزل عند بني يربوع ، فبات عندهم وهم لا يخافونه ، فلما رأى مالك
وأصحابه الفرسان والجيش قالوا : من أنتم ؟ قالوا : نحن المسلمون . قال
مالك : ونحن المسلمون . فلم ينته خالد وجماعته لذلك فوضعوا قيهم السيف
واعجل مالك عن لبس السلاح وقد قامت امرأته دونه عريانة ، ودخل
مالك القبة وقامت امرأته دونه .

ثم أن خالد قتل : يابن نويرة هلم الى الاسلام . قال مالك :
وتعطيني ماذا ؟ قال : ذمة الله وذمة رسوله ﷺ وذمة ابي بكر وذمة

خالد بن الوليد . فأقبل مالك وأعطاه بيديه ، وعلى خالد تلك العزمة
من ابي بكر قال : يا مالك انى قاتلك . قال : لا تقتلني . قال :
لا استطيم غير ذلك ، وقدمه الى الناس فتهيبوا قتله . فقال المهاجرون :
انقتل رجلاً مسلماً ؟ غير ضرار بن الأزور فإنه قام فقتله . فقال متمم
من أبيات منها :

نعم القتيل إذا الرياح تناوحت فوق الكنيف قتيلك ابن الأزور
أدعوته بالله ثم قتلته لو هو دعاك بدمه لم يندر

وأخذ خالد ليلي بنت سنان امرأة مالك وابنها جراد فأقدمها المدينة
ودخلها وقد غرز سهمين في عمامته ، فغضب عمر حين رأى ذلك ، فأتى
علياً عليه السلام فقال: ان في حق الله أن يقاد هذا بمالك قتل رجلاً مسلماً ثم نزا
على امرأته كما ينزو الحمار . ثم قاما وأتيا طلحة فنتابموا على ذلك ، فقال
ابو بكر : سيف سله الله لا اكون اول من اغمده أكل امره الى الله ،
فلما قام عمر بالأمر وفد عليه متمم فاستمدهاه على خالد فقال : لا أرد
شيئاً منعه ابو بكر . فقال متمم : قد كنت تزعم لو كنت مكان
أبي بكر اقدته به . فقال عمر : لو كنت ذلك اليوم بمكاني اليوم لفعلت
ولكني لا ارد شيئاً امضاه ابو بكر ، ورد عليه ليلي
وابنها جراد .

﴿قال المؤلف﴾ : قال المعلق في الهامش على كلمة « وعزم عليه ليقتلن
مالكا ان اخذه » : هذا عجيب ، فان المعروف ان ابا بكر اظهر على قتله
جزعاً كما جاء في تاريخ ابن عساكر : ١٠٥/٥ ، قال : ولما قدم
ابو قتادة واخبره بقتل مالك واصحابه جزع جزعاً شديداً . وفي الكامل :

قال ابو بكر : والله ما دعوته ولا غدرته .

(خزانة الادب : ٢١/٢)

وقال الزرباني في معجم الشعراء : كان مالك من ارداف الملوك وكان النبي ﷺ قد استعمله على صدقات قومه ، فلما بلغه وفاة رسول الله ﷺ أمسك الصدقة وفرقها في قومه ، فقتله ضرار بن الازور بأمر خالد بن الوليد بالبطاح صبراً ، وخلف على زوجته وكانت جميلة ، وقدم اخوه متمم على ابي بكر وناشده في دمه وفي سبيهم ، فرد السبي اليه واغلظ عمر خالد في امر مالك وعذره ابو بكر .

(معجم الشعراء للزرباني : ٢٦٠)

وقال الجمحي في طبقات فحول الشعراء : وحديث مالك مما اختلف فيه ، فلم نقف منه على ما نريد ، وقد سمعت فيه أقوالاً شتى ، غير أن الذي استقر عندي ان عمر انكر قتله واغلظ خالد فيه وان ابا بكر صفح عنه وقبل تأوله . وكان مالك ممن وفد على رسول الله ﷺ فولاه صدقة قومه بني يربوع ، فلما قبض النبي ﷺ وجه ابو بكر خالد بن الوليد الى اهل الردة فطرق خالد مالكا وقومه على ماء لهم يقال له - البعوضة - تحت الليل ، فذعرهم فأخذوا السلاح ، ولما هجم عليهم خالد قال : من انتم ؟ قالوا : المسلمون . قال : ونحن المسلمون فما بال السلاح ؟ قالوا : ذعرتمونا . قال خالد : فضعوه وكلم ابو قتادة خالداً في امر مالك كلاماً شديداً فلم يقبله فألقى ان لا يسير تحت راية اميرها خالد ابداً . وقال عبدالله بن عمر خالد : أبعد شهادة ابي قتادة ، فأعرض عنه ثم طرده فقال : يا أبا عبد الرحمن اسكت عن هذا فإني اعلم ما لا تعلم ، فأمر ضرار فضرب عنقه .

قال ابن سلام : سمعني يونس يوماً اراد التميمية في خالد واعذره
فقال : يا أبا عبدالله أما سمعت بماقي ام تميم - يعني زوجة مالك - أو
صارت ام تميم الى خالد بنكاح ام سبأء ومها طابه عليه عمر بن الخطاب
قال : قتلت امرءة مسلماً ووثبت على امرأته بحقرياه يوم بني حنيفة •
(طبقات فحول الشعراء للجمعي : ١٧٠)

الفصل الثاني

﴿ في نتيجته ما وقفنا عليه من هذه المصادر وهو ما يلي ﴾ :

أولاً - ان خالد بن الوليد قتل مالك بن نويرة وهو مسلم بشهادة

جماعة من الصحابة وغيرهم .

ثانياً - المثلة برأس مالك ورؤوس أصحابه ممن قتل معه .

ثالثاً - نزاه خالد - على حدّ تعبير عمر بن الخطاب - على زوجة

مالك وهي في حبال زوجها ، فهل كان ذلك النسكاح بمقصد وزواج

أم بسبأه ؟

رابعاً - كلمات خالد بن الوليد المتضاربة .

خامساً - التصادم بين اجتهادي ابي بكر وعمر .

وبعد أن أوقفت القارئ على المصادر التي دونت واقعة يوم

- البطاح - التي أدت الى تلك الكارثة المؤلمة فن الآن أرغب السير مع

الباحثين الذين ينفذون الحقائق من وراء المنطق الصحيح والذين

لا تتجاهبهم شوائب التعصب ولا يبرق بهم عن الطريق أهواء العناد

بل البحث لمحض إظهار الحق بما دون على أسنة المؤرخين وغيرهم ﴿ ومن

اهتدى فلنفسه ومن ضل فعليها وما أنت عليهم بوكيل ﴾ والله من

وراء القصد وهو يهدي السبيل .

« والبعث يقع في أمور ستة » .

﴿ الأمر الأول ﴾

ان مالك بن نويرة قتله خالد بن الوليد وهو مسلم بههادة جماعة من الصحابة وغيرهم وهم :

١ - أبو قتادة الانصاري .

٢ - عبدالله بن عمر بن الخطاب .

٣ - علي بن ابي طالب عليه السلام .

٤ - طلحة بن عبدالله .

٥ - مالك بن نويرة نفسه ، لأقراره واعترافه بالاسلام .

٦ - عمر بن الخطاب .

٧ - المهاجرون - كما في رواية صاحب خزانة الأدب - .

وبعد اعتراف هؤلاء الشهود من الصحابة وإقرار مالك نفسه وإقرار أصحابه بالاسلام ، فكيف جاز لخالد بن الوليد أن يضرب عنقه وأعناق أصحابه من المسلمين ؟

أليس الاسلام ، الذي به تحقن الدماء وتحفظ به الأعراض والأموال هو شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

أليس مالك بن نويرة كان ممن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسن إسلامه فولاه صدقات قومه بني يربوع ، وذلك لعلمه صلى الله عليه وسلم بمكانته عند عشيرته ، الوجيه بين أفراد قومه ، فلو لم تكن له أهلية هذا المنصب من حيث إسلامه وحسن تدييره وامانته كيف يوئيه صلى الله عليه وسلم جمع صدقات قومه .

أليس مالك هو القائل : اطعنا وقلنا الدين دين محمد صلى الله عليه وسلم ، فلو

كان - كما يقول الخصم - أنه قد ارتد وخرج عن دين الاسلام -
- وحاشاه - إذن فما هذا الاعتراف منه ؟ ولو كان مرتدأ لأخذ العدة
والعدد ولأظهر الخلف في قبال جيش خالد بن الوليد ، شأن من يخرجون
عن الطاعة ويفارقون الجماعة - وهو أمتع من عقاب - جانباً لو شاء
ذلك لشجاعته وبسالته وكثرة قومه وعشيرته وهو المطاع عندهم ، لو اراد
منهم النهوض معه والقيام باعباء ما يريد .

ولكن كل هذا لم يكن ولم يظهر منه العصيان والتمرد - على امام
زمانه - وان خالد لما نزل في قوم مالك وبات عندهم تلك الليلة ، كان
مالك بن نويرة قد فرق قومه ولم يكن عازماً على شيء في قبال
جيش خالد .

أضف الى ذلك كله شهادة الصحابة الذين كانوا مع خالد ، أمثال
أبي قتادة ، وعبدالله بن عمر ، فكل منها يقول : كان مالك على الاسلام
ولم يظهر منه أثر للعصيان . وهذا قول عمر بن الخطاب بأن خالدأ قد
قتل مسلماً ونزا على زوجته كما ينزو الحمار ، وذهب عمر مع ابى قتادة
الى علي عليه السلام ومضيهم جميعاً الى طلحة وغضب هؤلاء جميعاً - الذين هم
من أجلاء الصحابة - على سوء ما ارتكبه خالد .

فاذا كان الاسلام لا يثبت بشهادة أمثال هؤلاء من أعيان الصحابة
وكذلك لا يثبت باقرار المرء نفسه أيضاً فبأي شيء يثبت اسلام المرء
- لو اريد اثباته - ؟

وهذه الأحاديث المتواترة المتظافرة عند المسلمين جميعاً من العامة
والخاصة صريحة في ثبوت الاسلام بالاقرار بالشهادتين التوحيد والرسالة ،
وليس ثبوت الاسلام للمرأة اكثر مؤنة من النصب أو نفيه أو من ثبوت

حق من دين او غيره ، وكل ذلك يثبت بالافرار وبشهادة الشاهدين
المقبولين ، يشير الى ذلك الحديث الشريف : « إنما احكم بينكم بالبينات
والايمان » ولا مانع من هذا أن بعض الامور لا تثبت إلا بأربعة
شهود كماؤنا مثلاً لقيام الدليل .

وعلى كل حال بعد شهادة تلك الزمرة من الصحابة والمهاجرين
باسلام مالك واصحابه كيف ساغ لخالد قتله وقتل من معه واستباحة عرضه ،
وهذه الآيات الكريمة تنادي بالويل لمرتكبي مثل هذه الاعمال . قل تعالى :
﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه
ولعنه وأعدّ له عذاباً عظيماً ﴾ (النساء : ٩٣) وقوله تعالى : ﴿ ولا
تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه
سلطاناً فلا يسرف في القتل انه كان منصوراً ﴾ (الاسراء : ٣٣)
وقوله تعالى : ﴿ أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساداً في الارض فكأنما
قتل الناس جميعاً ﴾ (المائدة : ٣٢) .

والاحاديث في هذا الباب كثيرة ، وإذا كان مالك مرتدداً
- كما يزعم الخصم - كيف اتى سلاحه وسلاح اصحابه بمجرد اعطاء خالد
له الأمان والمهد وذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ وذمة ابي بكر
وذمة هو - أي خالد - وبعد أن اعطاء فمة الاسلام غدر به وفتك به ،
فأين الوفاء بذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ ؟

وبين يديك حديث ابي هريرة في باب الايمان من صحيح الترمذي
قال : قال رسول الله ﷺ أمرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا إله
إلا الله ، ، فإذا قالوها منعوا مني دماءهم واموالهم إلا بحقها .
وعن انس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : أمرت ان

أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وان محمداً عبده ورسوله وان
يستقبلوا قبلتنا ويأكلوا ذبيحتنا وان يصلوا صلاتنا ، فاذا فعلوا ذلك
حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها ، لهم ما للمسلمين وعليهم ما على
المسلمين .

وعن ابن عمر أنه قال عليه السلام : ان من ورطات الامور التي لا يخرج
لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله .

ونحن لا نريد سبر الآيات والاحاديث المسلمة عند الطرفين في جرم
قتل المسلم الذي يشهد الشهادتين إلا بحق ، فان ذلك كثير ، ولكننا
نسأل أي دليل على ارتداد مالك وأصحابه بعد اعتراف من ذكرنا من
الصحابة في حقه ؟ وأي مبرر لسفك دمه ودماء تلك النفوس البريئة بعد
إدلاء تلك الشهادات المرفقة باقرار مالك وإقرار أصحابه بالاسلام ، وأي
عذر لخالد في هذا الموقف ؟

ولعل خالد يعتذر ويقول بأنه قائد مأمور في تنفيذ أوامر الخليفة
وان أدى فعله وتنفيذ أمره الى سفك الدماء المحرمة ، وهتك الاعراض
المقدسة ، وذلك توطيداً للأمر وقمماً لما يعارض امور خلافتهم التي شيد
بناؤها على القوة والقسوة ، وخوفاً منه على الخلافة التي لم تم بعد
لصاحبها - ابي بكر - لوجود هزات وهزات ، وتصادم بين المهاجرين
والانصار في تعيين الخليفة بعد رسول الله عليه السلام بعد أن صرفوها عن موضع
الرسالة ، وحذفوها عن قواعد النبوة والدلالة ، ومنعوها عن مهبط الروح الامين .
فاذا كانت الخلافة في إبان أمرها قد شيدت على مثل هذه الاعمال
البشعة ، فلا نساءل كيف يكون حال المسلمين فيما بعد ، وقائد المسلمين مثل
خالد بن الوليد الجبار الفاتك بالنفوس المستبيح للأعراض ... ولكن انا

لله وإنا إليه راجعون ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين ﴾ . ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفأن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين ﴾ .

﴿ الأمر الثاني ﴾

المثلة برأس مالك ورؤوس أصحابه ، حيث جمعت اثنية لثلاثين لثلاثين . وهذا الاجرام الثاني الذي صدر من القائد المبعوث من قبل الخليفة وأي فعل شنيع هو أعظم من هذا الفعل ، وهو لا يصدر إلا من الحيوانات المفترسة ، أو من النفوس البعيدة عن العطف والرأفة ، فان قواد الجيش الفاتحين مها بلغت سلطتهم وخطورتهم لا تبلغ بهم الى هذا المدى من الخروج عن الحدود المألوفة بين البشر من الغالب والمغلوب ، فهي لا تخرج عن القتل أو الأسر ، كما يحدثنا التاريخ في جميع الحروب التي تقع بين العشائر والقبائل أو الدول .

فان صح خالد بن الوليد قتل مالك وأصحابه حسب اجتهاده واجتهاد صاحبه - المخالف للكتاب والسنة - فا هذا التمثيل ؟ الذي يعرب عن كوامن الحقد المضمرة في قلب خالد وصاحبه .

والمعجب - من سيف الله - كيف يصدر منه هذا الفعل وهو الصحابي الجليل ، ألم يسمع قول الرسول ﷺ « لا تمثلوا ولو بالكلب المقور » وأين الرحمة التي غرسها النبي ﷺ في قلوب المسلمين بأقواله وبأفعاله .

وهذه قضية فتوحه ﷺ « ملكة المكرمة » تمثل لنا ما كان يحمله الرسول ﷺ من

العطف والرحمة حينما كانت الراية بيد سعد بن عبادة ، وكان يقول في هتافه : اليوم يوم الملحمة اليوم تسعي الحرمة ، فأمر النبي ﷺ علياً ﷺ أن يأخذ الراية منه وينادي : اليوم يوم المرحة اليوم تصان الحرمة .

هذا والنبي ﷺ فاتح لمكة التي أخرجته هارباً من أهلها خوفاً من القتل ، وكانت مأوى ألدائه وأشد أعدائه كما مثال أبي لهب وأبي جهل وأبي سفيان رؤساء المشركين ، وكان يحق للنبي ﷺ أن يقتل من أراد قتله ويأسر من أراد أسره ، ومع ذلك عفى عنهم وهم مشركون اكتفاء بما أظروه من كلمة الشهادة وهم في الباطن أشد الخصام من المشركين .

ولما جئ به إلى النبي ﷺ قال له : ما تراني صانعاً بكم ؟ قال : كفو كريم . فقال ﷺ : فأذهبوا فأنتم الطلقاء .

هذه سيرة نبي الرحمة ﷺ كما يقول تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ وأقبح من الفعل المنكر الاعتذار منه ، حيث روى بعض المؤرخين ان هذا الفعل من خالد لأجل إرهاب الاعراب ، وما عليه لو فعل ما فعله الرسول ﷺ في مشركي مكة من العفو والرحمة .

ولا يستبعد ان تكون سريرة خالد قد انطوت على شيء آخر ، وهو أن قتل مالك وأصحابه لم يشف غليله وغليل صاحبه دون ان يعقبه ذلك مما يصبح حديثاً على ألسن الناس ، لكي لا يطمع أحد في أمر الخلافة من أصحاب علي ﷺ ، لأن العاطفة مفوضة في استعمال هذه الاساليب وإن أدت الى كل شيء ممقوت .

أضف الى ذلك ان هذا الفعل مع فرض ان صاحبه مما يوصف - بالحيوان الكاسر - أو الانسان المتعبد - على نظم الانسانية فهو بعيد

عن الرحمة والعطف ، وبعيد عن الاخلاق والآداب الجيشية ، ويوقفنا هذا الفعل من خالد على ان قائد الجيش يلزم ان يكون بعيداً عن مبادئ الدين والشريعة المقدسة ، وان يكون خارجاً عن قواعد الجهاد في سبيل الله ، لان قتل العدو معها كان كاف في الظفر بالفتح ، إذن فما هذا التماذي والغي في سبيل إظهار كوامن الحقد .

ولا يقل هذا الموقف من خالد جرماً عن موقف هند زوجة ابي سفيان أم معاوية بما فعلته من التمثيل بحمزة اسد الله واسد رسوله ﷺ ، فهل ان هذا كله مما يقتضيه نظام الجهاد ؟ كلا ، ولكن كما قال الشاعر :

ملكننا فكان العفو منا مسجية ولما ملكتم سال بالدم ابطح
لعمركم هذا التفلوت بيننا وكل إناء بالذي فيه ينضح

﴿ الامر الثالث ﴾

في دخول خالد بزوجة مالك ليلة قتله

وهذه الموقعة الثالثة من أفعال خالد ، وهو الزنا بذات البعل ، واستباحة ما حرمه الله تعالى من الدخول بزوجة الغير وهي في حباله ، حيث ان الشريعة الاسلامية تحرم نكاح المتوفى عنها زوجها حتى تمتد أربعة اشهر وعشرة ايام . قال تعالى : ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجاً يتربصن بأنفسهن اربعة اشهر وعشراً فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير ﴾ (البقرة : ١٣٤) ومن دخل بها في أثناء عدتها فقد حرمت عليه حرمة مؤبدة ، كما اشارت بعض المصادر السابقة الى هذه الجهة ، حيث ان ابا بكر امره ان يفارقها .

ولو تنزلنا وقلنا : إن خالداً اعتبرها سبية ، لارتداد زوجها - كما يتصوره خالد - فإلسبية لا يحل وطؤها إلا بعد الاستبراء الشرعي - وهي الاجتناب عنها مدة معينة ذكرها الفقهاء في كتبهم - والمفروض أنه لم يكن انقضاء عدة ولا استبراء ، لأنه دخل بها في ليلتها ، وبعد إقامة الشهود من الصحابة على زنا خالد فلماذا لم يقيم أبو بكر الحد الشرعي على خالد المقرر في الزاني كما يقول تعالى : ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منها مائة جلدة ﴾ الى آخر الآية : (النور : ٢) ولماذا عطلت الحدود في عهد أبي بكر في مثل هذه الواقعة ؟ ولماذا لم يعزل خالداً عن منصبه بعد صدور هذا الاستهتار منه ؟

نعم كان أبو بكر من اجتهاده ان لا يقيم الحدود على عماله وقواد جيشه ، حذراً من سخطهم عليه أو فرارهم منه ، وهذا لا يصلح عذراً مبرراً في تعطيل الحدود الشرعية ، وأي محذور يلزم على المسلمين لو أقام الحد الشرعي على خالد ، فهو كأحد المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم ، ومع هذا كله فإن اجتهاد أبي بكر أدى الى عدم إقامة الحد على خالد سواء كان اجتهاده مطابقاً للكتاب والسنة أم كان مخالفاً .

وأي رجل من المسلمين يعارض اجتهاد أبي بكر ، لذلك قد اندحرت شهادة الشهود وفي مقدمتها شهادة عمر بن الخطاب وأبي قتادة وابن عمر ، فكانت شهادتهم كما قيل - هباء في شيبك - .

وهناك بعض المصادر التي سطرناها سابقاً قد نوّهت بأن خالداً كان يتعشق زوجة مالك في زمان الجاهلية ، وهذه فرصة مؤاتية له قد سنحت فلا تفوت من يده - وزوجة مالك كانت في غاية الجمال - لذلك قد أصرّ على قتله ولم يقبل بأن يبعث به وبأصحابه الى أبي بكر

ليحكم فيه برأيه ، ولا ريب أنه لو بعث به الى ابى بكر لكف عن قتله لعدم ظهور الارتداد منه سوى التريث فى إعطاء الزكاة منتظراً قيام الخليفة الذى نصبه رسول الله ﷺ (يوم الغدير) .

وهذا مالا يروق لخالد بعد وقوع الصيد فى شبكته ، لذلك عمل تلك المكيدة من إعطاء الذمام لمالك ثم الغدن به ، وهو على علم بأن صاحبه أبا بكر يشكر له قتل مالك بن نويرة ، ولأجل دفع الشبهة أمام الرأي العام عن خالد وأنه زنا بامرأة مالك ، لذلك أسر أبو بكر خالدآ بالاعتزال عنها ومفارقتها .

﴿ الأمر الرابع ﴾

كلمات خالد بن الوليد متضاربة فى قضية قتله لمالك بن نويرة ، حسب منطوق المصادر التى دونت كلماته ، والذى وقفنا عليه يدون فى صور وهمي :

(الصورة الأولى) أن خالد بن الوليد صرح بأنه مأمور من قبل أبى بكر فى قتل مالك ولا يمكنه مخالفة ما أمر به .

(الصورة الثانية) أن خالد بن الوليد قد أدى اجتهاده فى قتل مالك ، والمجاهد يصيب تارة ويخطئ تارة أخرى ، فهو معذور ، « فان أصاب فله اجران وان أخطأ فله أجر واحد » كما فى الحديث الشريف .

(الصورة الثالثة) ان قتل مالك بن نويرة مع من قتل من أصحابه كان ذلك أسراً أهلياً لا محيص عنه ، فهو خارج عن اختيار خالد ، لذلك قال : إذا أراد الله شيئاً كان .

(الصورة الرابعة) ان خالد بن الوليد إنما قتل مالك بن نويرة

لأنه صدر منه ما يدل على الارتداد والخروج عن الإسلام ، وهذا التصادم والتضارب في كلمات خالد بن الوليد جعل مجال الاعتذار واسعاً لكل كاتب مناصر لخالد ولأبي بكر ، حيث له أن يختار صورة من صور تلك الكلمات فتكون عذراً مبرراً لفعل خالد وخليفته ، وليكن الذي يلمس من وراء تلك العبارات المختلفة لخالد ، وكذلك العبارات المختلفة لأبي بكر ، أن واقعة البطاح هي مؤامرة مدبرة خيوطها متصلة بين أبي بكر وبين خالد ، وعمر لم يكن مسبوقاً بها ، ولما انكشف له الأمر تراجع عن عزمه وسار على منوال ما دبره صاحبه .

﴿ الأمر الخامس ﴾

التضارب بين اجتهادي أبي بكر وعمر في قضية مالك بن نويرة كان عمر من اجتهاده أن يقتل خالداً لقتله مالكا - والنفس بالنفس - ولا أقل من إقامة حدّ الزانى عليه إن لم يكن القتل ، وإلا فلا أقل من عزله عن إمارة الجيش - لأن في سيف خالد رهقاً - وهو السفه والخفة وركوب الشر والظلم وغشيان المحارم .

هذا كان رأي الخليفة عمر بن الخطاب الذي أصرّ عليه ، ولكن الخليفة أبا بكر قد طرض رأي عمر ، وكان من اجتهاده أن ما صدر من خالد بن الوليد من القتل والزنا والمثلة لا يؤاخذ عليه - لأن باب الاجتهاد مفتوح لجميع الصحابة - فهو مجتهد وان أخطأ فيما اجتهد أو خالف الكتاب والسنة فلا يضر في اجتهاده ، هذه جهة عذر بها أبو بكر خالداً ، إضافة الى سيرة أبي بكر المعلومة من عدم مؤاخذه قواده ووزعته - أي عماله - فلا يقيم عليهم الحدود الشرعية ولا يعزله عن

مناصبهم منها فعلوا وعملوا ، وذكر تعليلا لذلك قوله : إني لا أشيم سيفاً - أي لا أعمد سيفاً - سله الله على الكافرين .

وهنا يتوجه السؤال بأن سيف خالد إذا كان من السيوف التي سلها الله تعالى على الكافرين ، فكيف يوصف بالرهق - وهو غشيان المحارم والشرم والظلم - وحاشا لله تعالى أن يسلب سيفاً هذه صفته على أحد من مخلوقه .

ولو تنزلنا بأنه سيف سله الله تعالى والخليفة لا يريد أن يشيمه - أي يعمده - ولكن ذلك السيف سله الله على الكافرين لا على المسلمين كمثل مالك بن نويرة وأصحابه ، بشهادة جماعة من الصحابة والمهاجرين .

ثم أن ابا بكر كان من جملة ما اعتذر به عن قضية خالد بن الوليد مع مالك بن نويرة هو قوله : « أكل أمره الى الله تعالى » ، فنقول : ان فعل خالد بن الوليد بعد ان كان بين الظهور وأنه مخالف للشرع المقدس ، فلا يوصف بالخفاء والعموض وانه من الامور التي وقع فيها الالتباس ليوكل ابو بكر امرها الى الله تعالى ، ولو فرض إن قضية خالد بن الوليد مما وقع فيها النزاع بين الصحابة وغيرهم فتكون داخلة في قوله تعالى : ﴿ ان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير لكم واحسن تأويلاً ﴾ (النساء : ٥٩) فيجب الأخذ بالآيات القرآنية والسنة النبوية في إقامة الحدود ، والمسؤول عن ذلك هو ولي الأمر وهو ابو بكر .

والعجب من هذا ان سيف خالد هو من السيوف التي سلها الله تعالى على الكافرين - كما يقول ابو بكر - فلا يجب ان يعمده ، فيكون

المقتول بذلك السيف هو كافر ، وحيث أن معنى لأعطاء دية مالك ودية أصحابه من بيت المال ورد السمايا ومفارقة زوجته ، فإذا كان مالك كافراً مرتدأ فلا دية له وتباح أمواله وغير ذلك .

فانظر أيها الباحث في صميم التاريخ لتعرف التلاعب الذي وقع في مقدرات الاسلام منذ بدى غصب الخلافة - يوم السقيفة - وهذه إحدى القضايا التي صدرت في الصدر الأول .

والاعجب من هذا كله موقف عمر بن الخطاب ، فإنه بعد ان كان مصرآ على اجتهاده من وجوب قتل خالد بمالك وإقامة الحد عليه للزنا ، فلما وصلت الخلافة اليه جاءه متمم أخو مالك بن نويرة فاستمدها وطلب منه أن يقاد خالد بمالك فقال عمر : لا أرد شيئاً صنمه أبو بكر . فقال له متمم : قد كنت تزعم انك لو كنت مكان ابي بكر لأقذته به . فقال عمر : لو كنت ذلك اليوم بمكانى اليوم لفعلت .

وآخر شوط في المطاف أن التعمق والنظر في هذه الواقعة يعطينا دروساً ناصعة بأن هذه القضية من موارد تصادم الدين مع السياسة ، والسياسة تكون مقدمة على الدين لأن السطوة والسلطة في جانب السياسة ومعارضة الدين لها لا أثر له ، لذلك لم تطبق الحدود الشرعية في هذه القضية في زمان ابي بكر لأن سياسته اقتضت ذلك ، وكذلك لما جاء دور عمر بن الخطاب ، كما قيل : إذا تكلم السيف سكنت القلم . وللبحث فروع كثيرة نكتفي بما ذكرناه والله تعالى ولي التوفيق .

الفصل الثالث

﴿ في جولة مع الكتاب المعاصرين من السنة ﴾

﴿ (١) قال النجار في تاريخ الاسلام ، ﴾

وكان من سياسة أبي بكر أن لا يقيد من عماله وقواده ووزعته ،
إذا حصل منهم أمر في وجههم ، لقتال العدو ، لأن مفاجأة القائد
- وهو في جهاد عدوه - بالمعقاب تحبث نفوس بقية القواد ، وتطمع
فيهم الجند ، وتطلق ألسنة العيابين ، وتفسد الامر ، وهذه السياسة
الحكيمة هي التي نراها من الأمم العريقة في الاستعمار ، لا تعجل
بمحاسبة عاهلها على خطأ كان منهم ، ولا تحذهم في أثناء قيامهم بأعمالهم
في خدمتها ، وإنما تترث في الأمر حتى إذا سكنت الزواجع ، وكفت
الألسن الشكاية ، وكان الامر ثابتاً لا شبهة فيه عمدت الى نقل عاملها
الى مكان آخر ، وربما زادت في مرتبته ، حتى لا يتوهم الشاكون أن
نقله كان بسببهم أو اجابة لمطالبهم ، وهي سياسة الانكليز في
هذا العصر .

(تاريخ الاسلام للنجار : ٥٠)

﴿ قال المؤلف ﴾ ان الاستاذ النجار بمد أن سرد قضية مالك وأصحابه ، وإنهم اذنوا وصلوا ، وأنهم بذلك قد حقنوا دماءهم فلا يحل قتلهم ، وكان ذلك بشهادة جماعة من المسلمين ومنهم أبي قتادة صاحب رسول الله ﷺ ، فأكبروا ما صدر من خالد من قتل مالك والدخول بزوجه ، وقد كثر كلام المسلمين في شأن خالد بن الوليد وما صنع ... كل هذا قد سرد النجار ، ولكن برّر موقف ابي بكر حيث قال : ان سياسته قد اقتضت عدم مؤاخذه خالد ولا إقامة الحد عليه ، وان هذه سياسة حكيمة مما تستعملها الدول الاستعمارية كالانكلز ، وحينئذ فعلى ما ذكره النجار أن منصب الخليفة لا يقصر عن مناصب الدول المستعمرة التي ترتبط بالسياسة اكثر مما ترتبط بالدين .

فهل يحسن منه هذا المنطق ؟ وهل يرتضيه أحد من المسلمين ؟ وهل يحسن أن يقال : إن خليفة رسول الله ﷺ هو يسير على مناهج سياسة الدول الكافرة المستعمرة ؟ فأين نظم القرآن وأين السنة النبوية التي جعلها البارئ تعالى والنبي الاعظم ﷺ أساس نظام الاسلام ؟ ولقد عز على المسلمين مثل هذا المنطق الذي هو بعيد عن رسالة النبي ﷺ وما هتف به القرآن الكريم .

ويحسن بنا وبكل كاتب يقف على مثل هذا الكتاب السكوت عنه وعدم الالتفات اليه ، لأن الجواب عن قوله المفلوج يظهر من نفس كلماته الملتوية التي يكفي فيها قوله : « وهي سياسة الانكلز في هذا العصر » أي إن سياسة أبي بكر سياسة انكلزية في هذا الموقف .

(٢) ﴿ وقال الخضري في محاضرات تاريخ الامم الاسلامية ﴾

جاءت السرايا بهالك ونقر من بني يربوع ، فأمر خالد بحبسهم ثم أمر بقتلهم ، وكان في الجيش ممن شهد أنهم أذنوا للصلاة ، فلما حصل القتل رأوه مخالفاً لأمر الخليفة ، وبما اكبر التهمة تزوج خالد بزوجة مالك ، فلما بلغ ابا بكر أسف ، فقال له عمر : إن في سيف خالد رهقاً فالحق أن تقيده . فقال : هيه يا عمر - أي اسكت - تأول فأخطأ طارفع لسانك عن خالد .

(محاضرات الخضري : ١٧٧/١)

﴿ قال المؤلف ﴾ الخضري هنا لم يبد لنا رأياً خالصاً له ، والظاهر من عبارته أنه اكتفى بما دون من ذكر واقعة البطاح وانها وإن كانت على خلاف نظم الشارع المقدس وليكن أبا بكر حينما سمع بها أسف على ذلك ، وإن سياسته كانت معروفة في عدم قود عماله ووزعته . ونحن نقول : فهل ان هذين الامرين - اسف ابي بكر ، وسياسته المعروفة في عدم قود عماله ووزعته - يصلحان عذراً له في عدم إقامة الحدود الشرعية في حق قاتل النفس المحترمة وفي حق الزاني بذات البعل الموجب للرجم - كما عبر عمر بقوله لخالد - « لا جمنك باحبارك » . وعلى كل حال القول ما يقوله الخليفة أبو بكر ، وقد عذر خالد لأنه تأول فأخطأ وإن أدى الى سفك الدماء وهتك الاعراض وغير ذلك من الامور الغير المشروعة .

(٣) ﴿ وقال العقاد في عبقرية الصديق ﴾

أما مسألة خالد بن الوليد فقد كان السؤال فيها هل يحاسب

أو لا يحاسب ! فكان جواب الصاحبين على حسب المهود فيها من مزاج وخلق ، ولم يكن منظوراً أن يقضي أحد منها بغير ما قضاه ، قتل خالد مالك بن نويرة وبني بامرأته في ميدان القتال على غير ما تألفه العرب في جاهلية و اسلام وعلى غير ما يألفه المسلمون وتأمر به الشريعة ، أفيحاسب على هذا أو لا يحاسب عليه ؟

أول جواب يبدر الى عمر عن هذا السؤال المحاسبية بغير وناه ، ولم لا ما الذي يتقى ما الذي يكون ؟ ان المبالاة بعقي حسابه ليست مما يروع صمراً ويثنيه ، بل لعلها مما يحفزها الى التحدي والاسراع فيه ، أما أبو بكر فقد استشار هنا طبيعة الاقتداء ، وطبيعة الاعجاب بالبطولة وطبيعة اللين والاعضاء ، وهي تشير عليه بالأعفاء من الحساب أو بالامهال به الى حين ، فهو لا يعزل قائداً من قواد رسول الله ﷺ وسيماً من سيفه ، وهو لا يفسى بطولة خالد وإن زل أو أخطأ التأويل كما قال ، وهو يؤثر اللين لأنه في عامة أحواله مطبوع عليه ما لم يمسه الأصر فيما يشير .

(عمقيرة الصديق : ٨٨)

﴿ قال المؤلف ﴾ أيها الأديب الكبير إنك تقول : إن خالد بن الوليد قتل مالك بن نويرة ودخل بامرأته في ميدان القتال ، وصدر منه مالا تألفه العرب لا في جاهلية ولا في اسلام ، وعلى غير ما يألفه المسلمون وتأمر به الشريعة ، حيث ان المقرر في الشريعة في نص القرآن النفس بالنفس والجلد للزاني . هذه قوانين المسلمين والذي يقيمها من يتولى أمور المسلمين والمسلمون فيها شرع سواء ، فاذا كان هذا معلوماً لديك ومسماً

عندك ، فما معنى لربط تطبيق هذه المسائل الشرعية وهي إقامة الحدود ،
رهن طبيعة الصاحبين - ابي بكر وعمر - .

فهل الاحكام الشرعية تغيرها طبائع الانسان حيث ان الطبائع هي
المشرفة لقوانين المسلمين في قبال الكتاب والسنة ؟ وهل أحد من المسلمين
يرتضي بهذا الرأي منك وان الطبائع هي المشرفة ؟

واحسب ان هذا المنطق منك لمجرد الفلسفة في التعبير - لا أنك
كاتب قدير - مسلط على التعمق في اسلوب البيان ، وان كنت لا تدين بأن
الفرائز تفتج الاحكام الشرعية .

وما المراد بقولك « ان ابا بكر استشار هنا طبيعة الاقتداء » فنقول :
ما المراد بالاقتداء ؟ فان أريد به الاقتداء بالقرآن والسنة النبوية فهو غير
صحيح لمخالفة فعله لنص القرآن ، والسنة النبوية ، وان اريد الاقتداء
والسير على منهاج طبيعته وغريزته فقد قلنا إن الفرائز النفسية لا تصلح
أن تكون مشرعاً في قبال القرآن والسنة النبوية .

والذي يعجبني من العقاد قوله : « وهو - أي ابو بكر - يؤثر
اللين في عامة أحواله مطبوع عليه مالم يمسه الأمر فيما يثير » يعني أن
طبيعة ابي بكر وغريزته ايثار اللين على الشدة في جميع الأمور ، ومنها
هذا الامر الذي صدر من خالد من القتل للمسلمين والزنا وسيي الذراري
فهذا لا يبعث في ابي بكر الثورة والغضب ، لأن هذا من الأمور
البسيطة التي لا تتنافى مع سلطان خلافته ، وما قيمة دم مالك واصحابه
وهتك أعراض المخدرات المسلمات بأزاء خلافته التي شيدت دعائمها بصيف
خالد بن الوليد ، فهو لا ينسى بطولته وإن فعل ما فعل ، فباب الاجتهاد
يرر أعماله وإن خالف الكتاب الكريم والسنة المقدسة .

والثابت الذي لا نزاع فيه أن وجوب القتل لم يكن صريحاً قطعاً في أمر مالك بن نويرة ، وإن مالكا كان أحق بإرساله الى الخليفة من زعماء فزارة الذين أرسلهم خالد بمد وقعة البزاة ، وان خالداً تزوج امرأة مالك وتعلق بها وأخذها معه الى اليمامة ، وأوجب ما يوجب الحق علينا - بمد ثبوت هذا كله - أن نقول : إن وقعة البطاح صفقة في تاريخ خالد كان خيراً له وأجمل لو أنها حذفت ولم تكتب .

(عبقرية : ١١١)

﴿ قال المؤلف ﴾ موقف العقاد هنا فيه بعض الشيء من الانصاف مما يدلى بالواقع على تتبعه الذي أوقفه على الحقيقة التي نطق بها ، ولهذا نقول له : إذا كان قتل مالك لم يكن وجوبه صريحاً قطعاً فلماذا أقدم عليه خالد بن الوليد ؟ ولأي شيء لم يترث في حفظ دماء المصلين ؟ ولم ذا لم يكن في جانبه لين ليوقف موقف المحافظ على الشمار الإسلامية وحفظ الدماء الزكية ، كما تريت في زعماء فزارة حينما أرسلهم الى أبي بكر ، ولم يكن جرمهم أقل من جرم مالك وأصحابه ؟

ولكن لا لوم عليه - كما قلنا فيما سلف - لأنه مأمور بقتل مالك ولا يمكنه مخالفة أمره ، والمحاولة التي من أجلها نزه العقاد موقف خالد ، هي توجب توجه التهمة واللوم على أبي بكر ، وأنه لماذا أمره بقتله؟ والحال انه قد أظهر التأسف حينما بلغه قتله .

وعلى كل حال ان العقاد كان يرغب أن لا تسجل هذه الواقعة في

تاريخ حياة خالد بن الوليد ، لأنها لم نضف له نغاراً بل وجهت الالمن الانتقادية عليه ، ولكن بعد أن دوّن التاريخ هذه الواقعة فلننصف يصح له أن يعبر عنها بأنها مؤامرة مدبرة ، أو أنها من قبيل « السكرة » التي يلعب بها الصبيان ، فبينما الكرة بيد زيد وإذا هي بيد عمرو ثم بيد بكر وهكذا ، فبينما يجدها الرائي بيد زيد فيتوجه إليه فإذا توجه إليه قذف بها في أحضان عمرو ، ولكن هذه الألعوبة المقصود منها أن لا تنسب الى واحد بعينه لتقع عليه المسؤولية ، ومع الأسف أن ضحية هذه الألعوبة ذهبت هدرأً بلا سائل ولا مسؤول وتم المقصود المدبر .

(٥) ﴿ وقال الصعيدي في القضايا الكبرى في الاسلام ﴾

وكان على خالد أن يتأنى في أمر مالك بن نويرة وقد اصبح في أسره ، وان يرسله الى أبي بكر كما طلب مالك منه ذلك ليرى فيه رأيه ولكنه تعجل في ذلك كما تعجل في زواج امرأته قبل إستبرائها ، وكان حكم ابي بكر في قتل مالك أنه وقع خطأ ففضى فيه بالدية لأخيه متم واطلق له سبي قومه فأرضاه بذلك ، ولم يمكنه هو ولا غيره من خالد .

(القضايا الكبرى في الاسلام : ١٠٢)

﴿ قال المؤلف ﴾ موقف الصعيدي كوقف العقاد في عبقرية خالد ، وهو موقف منصف نظر هذه القضية بمنظار الواقع الذي يقتضيه المنطق الصحيح حسب ما وقف عليها من المصادر ، ولكنه صرح بأمر لم يصرح به العقاد ، وهو ان خالدأ تزوج امرأة خالد بلا استبراء باعتبار انها سبية فلا يجوز التزويج بها إلا بعد استبرائها ، فيعتبر هذا الفعل من خالد انه زنى يوجب الحد الشرعي ، ولكن يقع السؤال في موقف

ابي بكر من إعطاء الدية باعتبار ان مالك قتل خطأ ، فنقول : إن مالك إذا كان مرتدأ فلا دية له لأنه خارج عن الاسلام وقتل في دار الحرب ، وان قتل وهو مسلم فلا معنى لاستحلال خالد زوجته باعتبار أنها سبية لأن زوجها مسلم وهي في حبال المسلم ، فلا تحل للغير إلا بعد اعتدادها بمدة الوفاة وهي اربعة أشهر وعشرة أيام .

(٦) قال الكوثري في مقالاته ﴿ :

وأما مالك بن نويرة فإنه كان قد قدم المدينة واسلم واستعمله رسول الله ﷺ على جباية زكاة قومه ، ولذلك ذكره من ذكره في عداد الصحابة ، وبعد وفاة النبي ﷺ خان العهد ، وابي دفع الزكاة مراراً وتكراراً عند النقاش معه ، واجترأ ان يقول صاحبكم ، فقتل خالد في صرامته وحزمه ضد أهل الردة وهو شاهد يرى مالا يراه الغائب ، إذا قسا على مثل مالك لا يعد انه اقترف ذنباً والقتل والسبي من احكام الردة ، ولذا لم يذكره ابن عبد البر في الاستيعاب وأصاب ، وإذا نظرنا الى المسألة بمنظار الغرب فأى حكومة مدنية تعاقب الموظف الذي خان عهده بأقل من عقوبة الاعدام ، وأما أداء ابي بكر لديته من بيت مال المسلمين فهو تسكين للنفوس في اثناء ثوراتها سراطة للأبعد في باب السياسة .

(مقالات الكوثري : ٤٥٨)

﴿ قال المؤلف ﴾ : النقاط التي يؤخذ عليها الكوثري اربعم : الاولى ان مالكا اعتبره مسلماً وحصلت منه الردة في عدم دفع الزكاة مراراً وفي التعريض بقوله « صاحبكم أو صاحبك » . ثانياً انه صوب

ما عليه صاحب الاستيعاب من عدم عدّه من الصحابة . ثالثاً ان دفع
الدية لم يكن من باب الحكم الشرعي بل هو من باب السياسة الحالية آنذاك .
رابعاً انه صحيح المجال في النظر في قضية مالك بحسب منظار الحكومات
المدنية التي تحكم في مثله بالاعدام ، فنقول :

اعتباره مسلماً مما يتنافى معه من جواز القتل وجواز سبي ذراريه ،
كما يشهد باسلامه من سبق من الصحابة .

وأما قولك « لم يدفع الزكاة مراراً » فهذا كذب صريح ، حيث
كانت وفاة النبي ﷺ سنة ١١ و قتل مالك سنة ١٢ هـ فلم يصدر منه
منع للزكاة إلا دفعة واحدة التي تريت بدفعها وتريثه في الامر ليكون
على علم عن يقوم مقام رسول الله ﷺ .

وأما التعريض بالصاحب فأراد به أبا بكر - كما صرحت به المصادر
السابقة - وكيف لا تعتبر القسوة هنا ذنباً وهي قد أدت الى سفك
الدماء البريئة وهتك الاعراض المحترمة ، وان اعتبرته غير مسلم كما صوبت
ذلك فما معنى لدفع الدية إذا لم يكن مربوطة بنظام شرعي مسوغ .
وأخيراً هل يصح ربط نظام الاسلام في باب السياسة التي هي
لا ترتبط مع الدين بكل رابطة .

وأيضاً كيف تعتمد على صاحب الاستيعاب في عدم اعتباره مسلماً ،
وقد صرحت تلك المصادر المتواترة باسلامه هو ومن معه ، وانهم أذنوا
وصلوا بشهادة الصحابة المتقدمين . وللمناقشة في كلامه مجال واسع
والله ولي المؤمنين .

جاء الجند بمالك بن نويرة في نفر من بني يربوع الى خالد ، وكان للمنطق يقضي بمد الذي رأيت بأنه أن اقر مالك وأصحابه بالاسلام ، أن يمامهم خالد معاملة من تاب وأتاب ، لكن الذي حدث أن أمر خالد بقتل مالك فقتل ، وقد أثار ذلك بالمدينة نائرة ظلت زمناً قبل أن تهدأ الى أن يقول هيكل : الرأي عندي في هذا الخلاف - أي بين ابي بكر وبين عمر - حول قضية مالك أنه كان اختلافاً في السياسة التي يجب أن تتبسم في هذا الموقف ، وهو اختلاف يتفق وطباع الرجلين .

أما عمر - وكان مثال العدل الصارم - فكان يرى ان خالد أعدى على امرئ مسلم ونزا على امرأته قبل انقضاء عدتها ، فلا يصح بقاؤه في قيادة الجيش حتى لا يعود لمثلها فيفسد أمر المسلمين ، ولا يصح أن يترك بغير عقاب على ما أثم مع ليلي ، ولو صح أنه تؤل فأخطأ في أمر مالك وهذا مالا يجيزه عمر فحسبه ما صنع مع زوجته ليقام عليه الحد ، ولا ينهض عذراً له بأنه سيف الله وأنه القائد الذي يسير النصر في ركابه ، وإلا لأبيحت لخالد وأمثاله المحارم .

أما أبو بكر فكان يرى الموقف اخطر من ان يقام فيه لمثل هذه الأمور وزن ، وما قتل رجل أو طائفة من الرجال خطأ في التأويل أو لغير خطأ والخطر محيط بالدولة كلها ، وهذا القاعد من أعظم القوى التي يدفع بها البلاء ، وما التزويج من امرأة على خلاف تقاليد العرب ، بل ما الدخول بها قبل أن يتم طهرها ، إذا وقع ذلك من فاتح غزا فتح له بحكم النزول أن تكون له سبايا يصبحن ملك يمينه !! إن التزمت في تطبيق التشريع لا يجب أن يتناول الذوابع والعظام من امثال خالد ، وبخاصة

إذا كان يضرّ بالدولة ويمرّضها للخطر .

ثم يقول : أفمن أجل مقتل مالك بن نويرة أم من أجل ليلى الجميلة التي فتنت خالداً يعزل خالد ، وتعرض جيوش المسلمين لتغلب مسيئة عليها ، ان خالداً آية الله وسيفه سيف الله ، فلتكن سياسة ابى بكر حين استدعاه اليه ان يكتفى بتعنيفه .

هذا في رأي هو التصوير الصحيح لما كان بين ابى بكر وعمر من خلاف في هذا الحادث ، وان اعجب فليس عجي للكتاب والمؤرخين الذين حاولوا أن يسيئوا بهذا الحادث الى تاريخ خالد بأعظم من عجي لأمثالهم ممن حاولوا ان يبرؤوه او يتلمسوا له الأعذار . فاما مالك ، وما ليلى ، وما بنت مجاعة ، الى جانب المئات والألوف من الرؤوس التي طاحت بسيف خالد او امره ا فان اصاب سيفه رهق في لحظة من اللحظات ، فقد اصاب هذا السيف النصر والفخار في سنوات وسنوات .

(ابو بكر الصديق : ١٥٥-١٦٢)

﴿ قال المؤلف ﴾ : ان الاستاذ هيكل ذكر قصة مالك بن نويرة مفصلاً ، وقد احاط بجانب كبير من المصادر التاريخية التي ألت بالموضوع إلاماً واضحاً جلياً ، وان مجال المناقشة معه واسع الميدان من عدة جهات ، وقد سبقني في المحاوره العلمية معه المجاهد الكبير آية الله المرحوم السيد عبدالحسين شرف الدين في كتابه - النص والاجتهاد - ولقد اعطى الموضوع حقه ، بحسن بيانه وسعة اطلاعه وعذوبة اسلوبه .

ونحن نشير الى بعض المساجلات العلمية مما توصلنا اليه حسب
أداء الواجب الشرعى الذى يقتضيه الدفاع عن الحق بالمنطق
المألوف :

ان الاستاذ هيكل كان يرثى من خالد حينما أتى له بمالك أن
يصفح عنه بعد ان تاب واناب ، فالمنطق يقتضى له عدم جواز قتله ،
لذلك إن قتله اثار ضجة فى المدينة لوقوع امر من خالد غير مألوف شرعاً
وهو مخالف للقوانين العربية والاجتماعية .

هذا موقفه مع خالد ، فهو لا يبرر جانبه من حيث صدور هذا
الخطأ المنافي للشرع ، لكنه عندما يأتى الى الموقف الثانى وهو التصادم
بين رأي ابى بكر ورأى عمر يجعل الامر دأراً بين أمرين : بين تطبيق
القوانين الشرعية باقامة الحدّ على خالد ولكن ذلك يفتى فى عضد
الاسلام والمسلمين ، وبين أن يترك تطبيقها لأجل المصلحة النوعية
العائدة الى جميع المسلمين . وما قيمة قتل نفس واحدة وهتك عرض
واحد وان كان محرماً ومخالفاً للشرع بأزاء انتصارات خالد فى حروب
الردة ، ولا يخفى أن التعبير بالترتّب من التعريض والاستهانة بمقدسات
الشرع الشريف .

وبالنتيجة انه يختار ما اختاره أبو بكر من تقديم المصلحة النوعية
وطرح تطبيق الاحكام الشرعية ، وحينئذ فليفعل خالد ما بدا له من
المخالفات الشرعية وقتل النفوس المحترمة ، وسفك الدماء الزكية ، وهتك
الاعراض المقدسة ، كل ذلك يباح له بأزاء كونه قائداً قائماً ، فأين
تطبيق الاحكام الشرعية وإقامة الحدود الدينية ؟ فتطبق حينئذ على بقية
المسلمين دون قواد الجيوش ورؤسائهم الكبار - كما يقول هيكل : ان التزم

في تطبيق التشريع لا يجب أن يتناول للنوايغ واللعظاء من امثال خالد - .
إنظر أيها المقاريه الكريم الى هذه الجرأة التي تسيء الأدب الى
الكتاب والسنة معاً ، حيث أن الكتاب والسنة يصرحان بعدم الفرق بين
المسلمين في جميع الأحكام الشرعية ولا فرق بينهم من هذه الجهة ، بل هم في ذلك
شرع سواء واسكن انا لله وانا اليه راجعون .

الفصل الرابع

﴿ مالك بن نويرة عند الشيعة ﴾

﴿ قال المجلسي قدس الله سره ﴾ :

عن البراء بن عازب قال : بينا رسول الله ﷺ جالسا في اصحابه إذ أتاه وفد من بني تميم ومنهم مالك بن نويرة ، فقال : يا رسول الله علمني الايمان . فقال رسول الله ﷺ : تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنى رسول الله ﷺ ، وتصلى الخمس ، وتصوم شهر رمضان ، وتؤدي الزكاة ، وتُحج البيت ، وتوالي وصي هذا من بعدي - وأشار الى علي بن أبي طالب - ولا تسفك دمًا ، ولا تسرق ، ولا تخون ، ولا تأكل مال اليتيم ، ولا تشرب الخمر ، وتوفى بشرائعي ، وتحلل حلالي ، وتحرم حرامي ، وتعطى الحق من نفسك للضعيف والقوى وللكبير والصغير ... حتى عدّ عليه شرائع الاسلام . فقال : يا رسول الله أعد علي فاني رجل نساء ، فأطاد عليه فمقدها بيده فقام وهو يجر أزاره ويقول : تعلمت الايمان ورب الكعبة .

فلما بعد عن رسول الله ﷺ قال ﷺ : من أحب أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا الرجل . فقال ابو بكر وعمر : الى من تشير يا رسول الله ؟ فأطرق ﷺ الى الأرض ، فأخذ في السير

فلحقاه فقالا له : البشارة من الله ورسوله ﷺ بالجنة . فقال :
 أحسن الله بشارتكما ان كنتما ممن يشهد بها شهدت به فقد علمتما ما علمني
 النبي ﷺ ، وان لم تكونا كذلك فلا أحسن الله بشارتكما . فقال
 ابو بكر : لا تقل ذلك فأنا ابو عائشة زوجة النبي ﷺ قال : قلت
 ذلك فما حاجتكما ؟ قال : إنك من اصحاب الجنة فاستغفر لنا . فقال :
 لا غفر الله لكما انما نذبان لرسول الله ﷺ صاحب الشفاعة وتسألاني
 ان استغفر لكما ، فرجما والكتابة لأحمة في وجهيها ، فلما رأها
 رسول الله ﷺ تبسم وقال : أفي الحق مفضبة .

فلما قوفي رسول الله ﷺ رجع بنو تميم الى المدينة ومعهم
 مالك بن نويرة ، فخرج لينظر من قام مقام رسول الله ﷺ ، فدخل
 يوم الجمعة وابو بكر على المنبر يخطب الناس ، فنظر اليه وقال : أخو
 تميم . قالوا : نعم . قال : ما فعل وصي رسول الله ﷺ الذي امرني
 بموالاته ؟ قالوا : يا اعرابي الأمر يحدث بعهده الأمر الآخر . قال : تالله
 ما حدث شيء وإنكم تخنتم الله ورسوله .

ثم تقدم الى ابي بكر وقال له : من أراك هذا المنبر ووصي
 رسول الله ﷺ جالس ؟ فقال ابو بكر : أخرجوا الاعرابي البوال
 على عقبه من مسجد رسول الله ﷺ . فقام اليه قنفذ بن صمير وخالد بن
 الوليد فلم يزالا يكرزان عنقه حتى اخرجاه ، فركب راحلته وأنشأ يقول :

اطعنا رسول الله ما كان بيئتنا فيا قوم ما شأنى وشأن ابي بكر
 إذا مات بكر قام صمرو مقامه فتلك وبيت الله قاصمة الظهر
 يذب وينعشاه المشار كأنها يجاهد جأ او يقوم على قبوري
 فلو طاف فينا من قريش عصابة أقننا ولو كان القيام على جهر

قال : فلما استتب الامر لأبي بكر وجه خالد بن الوليد وقال له :
قد علمت ما قال علي رؤوس الاشهاد فلست آمن أن يفتق علينا فتقاً
لا يلبث أن يفتقنا ، فحين أتاه خالد ركب جواده وكان فارساً يمدّ بألف
فارس ، يخاف خالد منه فأمنه وأعطاه الموائيق ثم غدر به بعد ان التقى
سلاحه ، فقتله وعرس بامرأته في ليلته وجعل رأسه انفية قدر فيها
لحم جزور لوليمة عرسه لامرأته ينزو عليها نزو الحمار - والحديث طويل .
(بيان) العشار بالكسر جمع المشراء : وهي الناقة التي مضى لحملها
عشرة اشهر . والجهم جمع الجماء : وهي الشاة التي لا قرن لها . والاجم :
الرجل بلا رمح ، ولعله تشبيه القوم بالعشار لما اكلوا من الاموال
المحرمة ، وطعموا من الولايات الباطلة ، ونفي كونها جماً تهديد بأنه وقومه
كاملوا الارادة والسلاح .

(البحار : ٢٤٠ / ٨ ، تنقيح المقال : ٥٠ / ٢ ، باب مالك ، منتهى المقال : ٢٥٢)

الفصل الخامس

﴿ في رثاء متمم بن نويرة لأخيه مالك بن نويرة ﴾

قال متمم يرثيه من قصيدة تشتمل على واحد وخمسين بيتاً منها قوله :
 لعمرى وما دهري بتأبين هالك ولا جزع مما أصاب فأوجعا
 لقد كفن المنهال تحت ثيابه فتى غير مبطن العشيات أروطا
 وقال أيضاً من قصيدة تشتمل على خمسة عشر بيتاً منها قوله :
 أرقى ونام الأخلاء وهاجني مع الليل هم في الفؤاد وجيع
 وهيج لي حزناً تذكر مالك فانت إلا والفؤاد مروع
 وقال أيضاً من أبيات منها :

نعم القليل إذا الرياح تناوحت فوق العضاه قتلت يا ابن الأزور
 أدعوته بالله ثم غدرتـه بل لو دعاك بذمة لم يفسد
 وقال أيضاً من أبيات منها :

لقد لامني عند القبور على البكى رفيق لتذراف العيون السوادك
 وقالوا أنبكي كل قبر رأيتـه لقبر نوى بين اللوى فالدكادك
 فقلت لهم ان الشجا يبعث الشجا دعوني فهذا كله قبر مالك

(المفضليات : ٢٦٣ ، فوات الوفيات : ٢٩٧)

﴿ قال المؤلف ﴾ : كان من عزمي جمع ما قيل في مالك من الرثاء وبيان

تمام القصائد بطولها ولكنني آثرت الاختصار .

لأمر ما جسد قصير النصف

قال الميداني عند شرح قول قصير في المثل « خطب يصير في خطب كبير » : قاله قصير بن سعد اللخمي لجذيمة بن مالك بن نصر الذي يقال له جذيمة الأبرش وجذيمة الوضاح ، والعرب تقول للذي به البرص « به وضح » تقادياً من ذكر البرص ، وكان جذيمة ملك ما على شاطيء الفرات ، وكانت الزباء ملكة الجزيرة وكانت من أهل - باجري - (هي بلدة من خراسان بين نيسابور وجرجان) وتتكلم بالعربية ، وكان جذيمة قد وترها بقتل أبيها ، فلما اجتمع امرها وانتظم شمل ملكها احبت ان تفزو جذيمة ، ثم رأت ان تكتب اليه انها لم تجد ملك النساء إلا قبحاً في السماع وضعفاً في السلطان وانها لم تجد لملكها موضعاً ولا لنفسها كفواً غيرك ، فأقبل إلي لاجم ملسكى الى ملكك ، وأصل بلادي ببلادك ، وتقلد أمرى مع أمرك ، تريد بذلك الغدر . فلما أتى كتابها جذيمة وقدم عليه رسلها استخفنه ما دعتة اليه ورغب فيما اطعمته فيه ، فجمع أهل الحجا والرأي من ثقاته وهو يومئذ بيقة (حصن كان على فرسخين من هيت كان ينزله جذيمة الأبرش ملك الحيرة) من شاطيء الفرات ، فعرض عليهم ما دعتة اليه وعرضت

عليه ، فاجتمع رأيهم على أن يسير اليها فيستولى على ملكها ، وكان فيهم قصير - وكان اريباً حازماً اثيراً عند جذيمة - فخالفهم فيما اشاروا به وقال : « رأي فاتر وغدر حاضر » فذهبت كلمته مثلاً ، ثم قال لجذيمة : الرأي ان تكتب اليها فان كانت صادقة في قولها فلتقبل اليك وإلا لم تمكنها من نفسك ، ولم تقع في حبالها وقد وترتها وقتلت أباهما فلم يوافق جذيمة ما أشار به فقال قصير :

إني امرؤ لا يميل المعجز ترويتي إذا أتت دون شيء مرة الودم
فقال جذيمة : لا ولكنك امرؤ رأيك في الكرن لا في الضح ،
فذهبت كلمته مثلاً .

ودعا جذيمة عمرو بن عدى ابن اخته فاستشاره فشجبه على المسير وقال : إن قومي مع الزباء ولو رأوك صاروا معك ، فأحب جذيمة ما قاله وعصى قصيراً ، فقال قصير : « لا يطاع لقصير أمر » فذهبت مثلاً . واستخلف جذيمة عمرو بن عدي على ملكه وجعل عمرو بن عبدالجن على جنوده وخيوله ، وسار جذيمة في وجوه أصحابه ، فأخذ على شاطيء الفرات من الجانب الغربي ، فلما نزل دعا قصيراً فقال : ما الرأي يا قصير ؟ فقال قصير : « ببقة خلفت الرأي » فذهبت مثلاً . واستقبله رسل الزباء بالهدايا والالطاف ، فقال : يا قصير كيف ترى؟ قال : « خطب يسير في خطب كبير » فذهبت مثلاً ، وستلثاك الجيوش فان سارت أمامك فالمرأة صادقة وان اخذت جنبتيك وأحاطت بك من خلفك فالقوم غادرون بك « فاركب العصا فانه لا يشق غبارها » فذهبت مثلاً .

وكانت العصا فرساً لجذيمة لا تجارى وانى راكبها ومسايرك عليها

فلقيته الخيول والكتائب فحالت بينه وبين العصا فركبها قصير ونظر اليه
جذيمة على متن العصا مولياً فقال : « ويل أمه حزمأ على متن العصا »
فذهبت مثلاً .

وجرت به الى غروب الشمس ثم نفقت (أى خرجت روحها)
وقد قطعت أرضاً بعيدة ، فبنى عليها برجاً يقال له (برج العصا) وقالت
العرب : « خير ما جاءت به العصا » فذهبت مثلاً .

وسار جذيمة وقد أحاطت به الخيل حتى دخل على الزباه ، فلما
رأته تكشف فاذا هي مضمفورة الاسب فقالت : يا جذيمة « أدأب عروس
ترى » فذهبت مثلاً .

فقال جذيمة « بلسغ المدى وجف الثرى وأمر غدر أرى »
فذهبت مثلاً .

ودعت بالسيف والنطم ثم قالت : ان دماء الملوك شفاء من المكاب
فأمرت بطشت من ذهب قد أعدته له وسقته الحمر حتى سكر فأمرت
براهشيه فقطما ، وقدمت اليه الطشت وقد قيل لها ان قطر من دمه
شيء في غير الطشت طلب بدمه ، وكانت الملوك لا تقتل بضرب الاعناق
إلا في القتال تكرمه للملك ، فلما ضعفت يداه سقطت فقطر من دمه
في غير الطشت ، فقالت : لا تضيعوا دم الملك . فقال جذيمة
« دعوا دماً ضيعه أهله » فذهبت مثلاً . فهلك جذيمة وجمعت الزباه
دمه في ربة لها .

وخرج قصير من الحي الذي هلكت العصا بين أظهرهم ، حتى قدم
على عمرو بن عدى وهو بالحيرة ، فقال له قصير : أنائر أنت ؟ قال :
« بل نائر سأئر » فذهبت مثلاً .

ووافق قصير الناس ، وقد اختلفوا ، فصارت طائفة مع عمرو بن
عدي وجماعة منهم مع عمرو بن عبد الجن الحريمي ، فأختلف بينها قصير
حتى اصطالحا وانقاد عمرو بن عبد الجن لعمرو بن عدي ، فقال قصير
لعمرو بن عدي : تهباً واستمدولا تظن دم خلك . قال : « وكيف لي
بها وهي أمتع من عقاب الجو » فذهبت مثلاً .

وكانت الزباء سألت كلهنة لها عن هلاكها فقالت : أرى هلاكك
بسبب غلام مبهين غير أمين وهو عمرو بن عدي ، وإن تموتي بيده
ولكن حتفك بيدك ومن قبله ما يكون ذلك ، فخذرت عمراً وانخذت
لها نفقاً من مجلسها الذي كانت تجلس فيه الى حصن لها في داخل مدينتها
وقالت : ان جأني امرؤ دخلت النفق الى حصني .

ودعت رجلاً مصوراً من أجود أهل بلادها تصويراً وأحسنهم صلا
فجزته وأحسنت اليه وقالت : سر حتى تقدم على عمرو بن عدي متنكراً
فتخلوا بحشمه وتنظم اليهم وتخالطهم وتعلمهم ما عندك من العلم بالصور
ثم اثبت لي عمرو بن عدي معرفة تصويره جالساً وقائماً وراكباً ومتفضلاً
ومتسلحاً ببيئته ولبسته ولونه ، فإذا احكمت ذلك فأقبل الي .

فانطلق المصور حتى قدم على عمرو بن عدي وصنع الذي امرته
به الزباء وبلغ من ذلك ما أوصته به ، ثم رجع الى الزباء بعلم ما وجهته
به من الصور على ما وصفت وأرادت أن تعرف عمرو بن عدي فلا
تراه على حال إلا عرفته وحذرتة ، فقال قصير لعمرو بن عدي : اجدع
أنفي واضرب ظهري ودعني وإياها . فقال عمرو : ما أنا بفاعل وما أنت
لذلك مستحقاً عندي . فقال قصير : « خلّ عني اذن وخلاك ذم »
فذهبت مثلاً فقال له عمرو : فأنت أبصر ، فجدع قصير أنفه وأثر

آثراً بظهره ، فقالت العرب « لأمر ما جدع قصير أنفه » وفي رواية
« لمكر ما جدع قصير أنفه » وفي ذلك يقول المتلمس :

وفي طلب الأوتار ما حز أنفه قصير ورام الموت بالسيف بيهس
ثم خرج قصير كأنه هارب ، وأظهر ان صمراً فعل ذلك به وانه
زعم أنه مكر بحاله خديعة وغرّه من الزباه ، فسار قصير حتى قدم على
الزباه فقبل لها : إن قصيراً بالباب ، فأمرت به فأدخل عليها ، فاذا أنه
قد جدع وظهره قد ضرب فقالت : ما الذى أرى بك يا قصير ؟ قال :
زعم عمرو أني قد غررت خاله وزينت له المصير اليك وغششته ومالأتك
ففعل بي ما ترين ، فأقبلت اليك وعرفت اني لا أكون مع أحد هو
انقل عليه منك . فأكرمته وأصابت عنده من الحزم والرأى ما ارادت
فلما علم أنها استرسلت اليه ووثقت به قال : ان لي بالعراق أموالاً كثيرة
وطرائف وثياباً وعطراً فأبعثني الى العراق لأحمل مالي واحمل اليك من
بزوزها وطرائفها وثيابها وطيبها وتصيبين في ذلك أرباحاً عظيماً وبعض
ما لاغنى بالملوك عنه .

وكان اكثر ما يطرفها من التمر الصرطان وكان يحبها ، فلم يزل
يزين لها ذلك حتى أذنت له ودفعت اليه أموالاً وجهازت معه عبيداً ،
فسار قصير بها دفعت اليه حتى قدم العراق وأنى الحيرة متنكراً فدخل
على عمرو فأخبره الخبر وقال : جهزني بصنوف البرّ والأمتعة لعل الله
يمكن من الزباه فتصيب نارك وتقتل عدوك ، فأعطاه حاجته فرجع بذلك
الى الزباه ، فأعجبها ما رأت وسرها وازدادت به ثقة وجهازته ثانية ،
فسار حتى قدم على عمرو فجزه وعاد اليها ، ثم عاد الثالثة وقال لعمرو :
اجمع لي ثقات أصحابك وهمي الغرائر والمعوح واحمل كل رجلين على

بعير في غرارتين ، فاذا دخلوا مدينة الزباء اقتمك على باب نفقها وخرجت الرجال من الغرائر ، فصاحوا بأهل المدينة فن قاتلهم قتلوه ، وان اقبلت الزباء تريد النفق جلاتها بالسيف ، ففعل عمرو ذلك وحمل الرجال في الغرائر بالسلاح وسار يكمن النهار ويسير الليل ، فلما صار قريباً من مدينتها تقدم قصير فبشرها واعلمها بما جاء به من المتاع والطرائف وقال لها : « آخر البز على القلوص » فأرسلها مثلاً ، وسألها أن تخرج فتتظر الى ما جاء به وقال لها : « جئت بها صاه وصمت » فذهبت مثلاً .

ثم خرجت الزباء فأبصرت الابل تكاد قوائمها تسوخ في الارض من ثقل أحمالها . فقالت يا قصير :

ما للجمال مشيها وئيدا أجنديلا يحملن أم حديدا

أم صرفانا تارزاً شديدا

فقال قصير في نفسه :

بل الرجال جثماً قمودا

فدخلت الابل المدينة حتى كان آخرها بعيراً سرّ على بواب المدينة وكان بيده منخسة فنخس بها الغرارة فأصاب خاصرة الرجل الذي فيها فضرط ، فقال البواب بالرومية « بشنب شاقا » يقول شر في الجوالق فأرسلها مثلاً .

فلما توسطت الابل المدينة أنيخت ودلّ قصير عمراً على باب النفق الذي كانت الزباء تدخله وأرته إياه قبل ذلك ، وخرجت الرجال من الغرائر فصاحوا بأهل المدينة ووضعوا فيهم السلاح ، وقام عمرو على باب النفق وأقبلت الزباء تريد النفق فأبصرت عمراً فعرفته بالصورة التي صورت لها ، فصمت خاتمها وكان فيه السم وقالت « بيدي لا بيد ابن

عدى « فذهبت كلمتها مثلاً ، وتلقاها عمرو فجلبها بالسيف وقتلها ،
وأصاب من المدينة وأهلها وانكفأ راجماً الى العراق .
﴿ بلوغ الأرب : ١٨١/٢ ، مجمع الامثال : ٢٣٣/١ ، قصص
العرب : ٥٦/٢ ، شرح مقامات الحريري : ٥/٢ ، تاريخ الطبري :
٤٤٣/١ ، تاريخ ابى الفداء : ٧٣/١ ، تاريخ ابن الأثير : ١٩٧/١ ،
دائرة معارف فريد : ٥٢٥/٤ ، دائرة معارف البستاني : ١٦٧/٩ ﴾ .

الخاتم

﴿ قال المؤلف ﴾ هذا آخر الامثال مع قصته ، ولضيق المجال عدت
عن التعليق والشرح واكتفيت بتدوين المثل مع قصته التي كانت سبباً
لمضربه ، ولتمام الفائدة أحببت أن اجمل ختام هذه « المطالعة الثانية » قصيدة
الشاعر الحكمي الكبير ابي العتاهية التي نظمها ارجوزة في الامثال قال :

حسبك مما تبتغيه القوت	ما اكثر القوت لمن يموت
الله حسبي في جميع أسري	به غنائى واليه فقري
الفقر فيما جاوز الكفاة	من اتقى الله رجا وخافا
ان كان لا يفنيك مايكفيكا	فكل ما في الأرض لا يفنيكا
إن القليل بالقليل يكثر	ان الصفاء بالقذى ليكثر
هي المقادير فلني او فذر	ان كنت اخطأت فما اخطا القدر
ما انتفع المرء بمثل عقله	وخير ذخر المرء حصن فعله
إن الفساد ضده الصلاح	ورب جد جرّه المزاح
يفنيك عن كل قبيح تركه	يرتهن الرأي الاصيل شكله
لسل قلب أمل يقلبه	يصدقه طوراً وطوراً يكذبه
يارب من اسخطنا بجهده	قد سرنا الله بغير حمده

من لم يصل فارض إذا جفا كما
العز لا يسمن إلا بالعلف
لن يصلح الناس وانت فاسد
لكل ما يؤذي وان قلّ ألم
إن اختفى ما في الزمان الآتي
ما تطلع الشمس ولا تغيب
لكل شيء معدن وجوهر
من لك بالمخض وكل ممتزج
ما زالت الدنيا لنا دار أذى
الخير والشر بها أزواج
من لك بالمخض وليس محض
لكل إنسان طبيعتان
والخير والشر إذا ما أعدا
إنك لو تستنشق الشحيحة
عجبت حتى غمني الصكوت
كذا قضى الله فكيف اصنع
الترك للمدنيا النجاة منها
من لاح في طارضه القمير
من جعل النمام عيناً هلكا
ما كنت لو اكرمت استعصي
من لم يكن في بيته طعام
المسكر والعتب أداة الغادر

لا تقطن للهوى اخاكا
لا يسمن العز بقول ذي لطف
هيات ما ابعث ما تكابد
ما أطول الليل على من لم ينم
فقس على الماضي من الاوقات
إلا لأمر شأنه عجيب
واوسط واصغر واكبر
وساوس في الصدر منك تختلج
ممزوجة الصفو بالوان القذى
لذا نتاج ولذا نتاج
يخبث بعض ويطيب بعض
خير وشر وهما ضدان
بينها بون بعيد جدا
وجدته اتقن شيء ربحا
صرت كأنني حائر مبهوت
والصمت ان ضاق الكلام أوسع
لم تر انبي لك منها عنها
فقد أتاه بالبلى النذير
مبلغك الشر كباغية لسا
لا يهرب الكلب من القرص
فأله في بيته مقام
والكذب المخض سلاح الفاجر

لم يغفل شيء هو موجود الثمن
وقلما ينفك عن عجيبيه
أين طلبت الله كان ثمة
وإنما الرشد من التوفيق
إن لم يكن ربي لها فن لها؟
ما اقرب الشيء إذا الشيء وجد
يعمر بيت بخراب بيت
كمثل صلح اللحم والسكين
ليس صديق المرء من لا يصدق
ما طاب عذب شابه اجاج
نعص عيشا طيباً فناؤه
لن يترك الموت لألف إلغا
في ساعة العدل يموت الجائر
مفسدة للمرء أي مفسدة
روائح الجنة في الشباب
قلمرء مذسوب الى القرين
فأنها منزلة ذميمة
لا تسألن ان سألت شططا

وكن من الناس جميعاً وسطاً (١)

* * *

(١) ديوان أبي العتاهية : ٣٨٥ .

الى هنا - بحمد الله تعالى - ينتهي بنا المطاف مع القراء الكرام
في ربوع « المطالعة الاولى والمطالعة الثانية »
والى اللقاء معهم انشاء الله تعالى - في ميدان
المطالعة الثالثة - وعنوانها - « مواقف حاسمة لآ نصهار

أهل البيت عليهم السلام»

مستمدين

من المولى الكريم

التوفيق

والحداد

*

الفهارس

- (١) فهرس العناويفه والمحتويات
- (٢) فهرس من ترجمه منه الاعلام
- (٣) فهرس المصادر والمراجع
- (٤) فهرس الخطأ والصواب

﴿ فهرس المواضيع ﴾

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
« ألدال على الخير كفاعله »	١٨٩	الافتتاح: في بيان فكرة تأليف الكتاب	٧
ما يتبع المثل وقصته	١٩٢	المطالعة الاولى : وتحتوي على فوائد	١٧
« انصر اخاك ظالماً او مظلوماً »	١٩٥	الفائدة الاولى: في تاريخ تدوين العلوم	١٩
ما يتبع المثل وقصته : الفصل الاول	١٩٨	الفائدة الثانية : في حياة التأليف في	٣٩
في رمز القصة		عصر الطباعة	
الفصل الثاني : في علم العيافة	٢٠١	الفائدة الثالثة : في نظر المجتمع في	٦٢
المؤلفات في علم الفراسة والعيافة	٢٠٢	المؤلف	
الفصل الثالث: في علم الزجر والتفاوت	٢٠٤	الفائدة الرابعة : في حقوق التأليف	٦٨
من اشتهر بعلم العيافة والتدين بها	٢٠٦	الفائدة الخامسة : في اختلاف كلمات	٧٨
من العرب		الاهداء	
من اشتهر بدم العيافة واعاها شعراً	٢٠٧	الفائدة السادسة: في تقرير المؤلفات	١١٧
« إن اخاك من واساك »	٢١٢	ونقدتها	
ما يتبع المثل : وفيه فصل واحد في	٢١٤	الفائدة السابعة: في تدوين الفهارس بين	١٢٦
اختبار الاصدقاء		الافراط والتفريط	
ماورد في الاصدقاء : من الشعر	٢١٧	الفائدة الثامنة : في عصر التأليف	١٣٣
والكلمات المأثورة		وانتشار المؤلفات	
« رب اخ لك لم تلده امك »	٢٣١	الفائدة التاسعة : في تأسيس المكتبات	١٤٨
ما يتبع المثل: في بعض سجايا العرب	٢٣٤	المطالعة الثانية: في بعض الامثال السائرة	١٦٧
« إن غداً لناظره قريب »	٢٣٨	الكتب المؤلفة في الامثال	١٧٢
		المثل عند علماء اللغة واعلام الأدب	١٨٣

﴿ فهرس المواضيع ﴾

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
بعض القصص المدونة في الشجاعة	٤١١	٢٤٣ ما يتبع المثلة الفصل الاول في سجية	
من اشتهر من العرب بالشجاعة	٤١٧	الكرم واطعام الضيف عند العرب	
الفصل الثاني : في صفة الجبن وما قيل فيه شعراً	٤٢٩	٢٤٣ الزبدة الاولى : في الضيافة وما قيل فيها من الشعر والاخبار والكلمات المأثورة	
فيما قيل من الكلمات المأثورة في الجبن والفرار	٤٣٢	٢٦٥ الزبدة الثانية : فيما قيل في سجية الكرم من الشعر والاخبار والكلمات المأثورة	
بعض نوادر قصص الجبناء	٤٣٤	٢٧٦ من اشتهر بالكرم من العرب	
بعض من اشتهر بالجبن والفرار	٤٣٧	٣٢١ الفصل الثاني : فيما قيل في سجية الوفاء من الشعر والكلمات المأثورة	
الفصل الثالث : فيما ترمز اليه القصة والمثل « رب اكلة تمنع اكالات »	٤٤١	٣٠٧ في بعض قصص الوفاء	
٤٤٣ « رب اكلة تمنع اكالات »		٣٥١ من اشتهر من العرب بالوفاء :	
الفصل الاول : في ذم كثرة الاكل كتاباً وسنة وشعراً	٤٤٥	٣٧٠ الفصل الثالث : في مختصر تاريخ الحيرة	
٤٤٨ الفصل الثاني : في بعض الوصايا الطبية		٣٧٤ ملوك الحيرة : المناذرة للخميين	
٤٥١ الفصل الثالث : في آداب الاكل		٣٩٢ « في الصيف ضيعت اللبن »	
٤٥٦ الفصل الرابع : في رمز القصة والمثل « ما وراءك يا عصام »		٣٩٦ ما يتبع المثل وقصته : وفيه فصول	
٤٦١ الفصل الاول : الفائدة الاولى في الأحاديث المرغبة في الزواج وذم العزوبة		الفصل الاول فيما قيل في الشجاعة شعراً	
٤٦٢ الفائدة الثانية : في الاحاديث المشتملة على محاسن المرأة ومساوئها		٤٠٩ فيما قيل في الشجاعة من الكلمات المأثورة	

﴿ فهرس المواضيع ﴾

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
الامر الثالث : دخول خالد بزوجة مالك	٤٩٢	ومحاسن الرجل ومساوئه	
الامر الرابع : كلمات خالد المتضاربة	٤٩٤	الفصل الثاني : في ذكر القصيدة « الدعوية »	٤٦٦
الامر الخامس : التضارب بين اجتهادي ابي بكر وعمر	٤٩٥	الفصل الثالث : في ذكر ملوك كندة	٤٦٨
الفصل الثالث : في جولة مع الكتاب المعاصرين من السنة	٤٩٨	« فتى ولا كمالك »	٤٧٢
الفصل الرابع : مالك بن نويرة	٥١١	الفصل الاول : من هو مالك بن نويرة عند المؤرخين وغيرهم	٤٧٥
عتد الشيعة		الفصل الثاني : في نتيجة ما وقفنا عليه وهو امور	٤٨٥
الفصل الخامس : في رثاء متمم لاخته مالك	٥١٤	الامر الاول : شهادة جماعة من الصحابة باسلام مالك	٤٨٦
« لأمر ما جدع قصير انفه »	٥١٥	الامر الثاني : المثلة براس مالك واصحابه	٤٩٠
الختام : في قصيدة ابي العتاهية في الامثال	٥٢٢		

﴿ فهرس من ترجم من الاعلام ﴾

أ

الصفحة	المترجم	التسلسل	الصفحة	المترجم	التسلسل
٣٧٧	امرؤ القيس بن عمرو بن امرئ القيس	(٨)	٣٥٩	ابو حنبل الطائي	(١)
٣٨٢	امرؤ القيس بن النعمان	(٩)	٤٣٩	ابو خراش الهذلي	(٢)
٤٢٥	امية بن حرنان الكناقي	(١٠)	٤٣٨	ابو دلامة	(٣)
٤٣٧	امية بن عبدالله بن خالد	(١١)	٢٠٦	ابو ذؤيب الهذلي	(٤)
٢٨٠	اوس بن حارثة الطائي	(١٢)	٤٣٨	اسلم بن درعة	(٥)
٣٧٧	اوس بن قلام	(١٣)	٣٦٧	ام جميل الدوسية	(٦)
٣٩٠	اياس بن قبيصة	(١٤)	٣٧٥	امرؤ القيس بن عمرو	(٧)

ب

٢٢٥	جمال الدين القاسمي	(١٦)	٥١٥	جذيمة الابرش	(١٥)
-----	--------------------	------	-----	--------------	------

ح

٢٧٧	حاتم بن عبدالله الطائي	(١٩)	٤٦٩ ، ٣٨٤	الحارث بن عمرو الكندي	(١٧)
٣٥٥	الحارث بن ظالم المري	(٢٠)	٣٦٠	الحارث بن عباد البكري	(١٨)

﴿ فهرس من ترجم من الاعلام ﴾

الصفحة	المترجم	التسلسل	الصفحة	المترجم	التسلسل
٤٧٠	حجر بن الحارث	(٢٣)	٤٣٩	جيب بن عوف	(٢١)
٣٠٣	الحكم بن حنطب	(٢٤)	٤٦٨	حجر بن عمرو آكل المرار	(٢٢)

خ

٣١٦	خالد بن عبدالله القسري	(٢٨)	٤١٨	خالد بن جعفر العامري	(٢٥)
٤٧٢	خالد بن الوليد المخزومي	(٢٩)	٢٢٤	خالد بن صفوان	(٢٦)
			٤٤٠	خالد بن عبدالله بن اسيد	(٢٧)

د

٤٢٤	دريد بن الصمة البكري	(٣١)	٣٩٣	دختوس بنت لقيط	(٣٠)
-----	----------------------	------	-----	----------------	------

ر

٤٤٠	روح بن زنباع	(٣٤)	٢٠٥	رؤبة بن عبدالله العجاج	(٣٢)
			٤١٩	ربيعة بن مكرم	(٣٣)

ز

٤٢٤	زيد الفوارس	(٣٧)	٣٩١	زاديه	(٣٥)
٤٢١	زيد بن مهلهل	(٣٨)	٥١٥	الزباء	(٣٦)

﴿ فهرس من ترجم من الاعلام ﴾

التسلسل المترجم الصفحة | التسلسل المترجم الصفحة

س

٣٦١	(٤٢) السموأل الغساني	٣١٧	(٣٩) سالم بن مسافع المعروف بابن دارة
٣٨٠	(٤٣) الاسود بن المنذر	٢٩٧	(٤٠) سعيد بن العاص
		٤٧٠	(٤١) سلعة بن الحارث

ش

٤٧٠	(٤٤) شراحيل بن الحارث
-----	-----------------------

ع

٥١٦	(٥٧) عمرو بن عدي ابن اخت جذيمة	٤٤٣	(٤٥) عامر بن الظرب العدواني
٥١٦	(٥٨) عمرو بن عبدالجن	٤٢١	(٤٦) عامر بن مالك ملاعب الاسنة
٣٧٤	(٥٩) عمرو بن عدي اللخمي	٢٩٤	(٤٧) عبدالله بن جعفر
٣١٠	(٦٠) عدي بن زيد الدمشقي	٢٨٣	(٤٨) عبدالله بن جدعان
٤٢٦	(٦١) عمرو بن كلثوم	٢٨٢	(٤٩) عبدالله بن حبيب الغنبري
٤٢٣	(٦٢) عمرو بن معدى كرب	٢٨٨	(٥٠) عبدة الكلبية
٣٨٤	(٦٣) عمرو بن هند مضرط الحجارة	٤٣٩	(٥١) عنبة بن الحارث
٢٩١	(٦٤) عبيد الله بن عباس	٤٣٧	(٥٢) عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث
٣٠١	(٦٥) عبيد الله بن ابي بكر	٣٤٢	(٥٣) علقمة بن يعفر
٣٠١	(٦٦) عبيد الله بن معمر	٣٧٦	(٥٤) عمرو بن امرئ القيس
٤٢٠	(٦٧) عنزة بن شداد العبسي	٤٦٩	(٥٥) عمرو بن حجر المقصور
٣٥١	(٦٨) عوف بن محم	٣١٧	(٥٦) عدي بن حاتم الطائي

فهرس من ترجم من الاعلام

الصفحة	المترجم	التسلسل	الصفحة	المترجم	التسلسل
ف					
٣٨٦	او زيد	(٧٠) فيشهرت :	٣٦٦	فكيهة بنت قتادة	(٦٩)
ق					
٢٨٦	سعد الانصاري	(٧٤) قيس بن	٣٨٥	قابوس بن المنذر	(٧١)
٢٨٩	سلمة	(٧٥) قتادة بن	٣١٤	القاسم بن اسماعيل ابو دلف	(٧٢)
			٥١٦	قصير اللخمي	(٧٣)
ك					
			٢٧٩	كعب بن مامة	(٧٦)
ل					
			٢٣١	لقمان بن عاد بن ملطاط	(٧٧)
م					
٣٨٢	المنذر بن امرىء القيس	(٨٣)	٤٧٢	مالك بن نويرة	(٧٨)
٣٨٦	المنذر بن المنذر	(٨٤)	٣٠٥	سروان بن سليمان	(٧٩)
٣٧٩	المنذر بن النعمان بن امرىء القيس	(٨٥)	٤١٩	مجمع بن هلال	(٨٠)
٣٩١	المنذر بن النعمان المغرور	(٨٦)	٣٠٥	معن بن زائدة	(٨١)
٤٢٦	المهلل بن ربيعة	(٨٧)	٤٧٠	معدى كرب بن الحارث	(٨٢)

﴿ فهرس من ترجم من الاعلام ﴾

الصفحة	المترجم	التسلسل	الصفحة	المترجم	التسلسل
ن					
٣٧٧	النعمان بن امرئ القيس	(٩٠)	٣٠٣	نصيب بن رياح	(٨٨)
٣٨٦	النعمان بن المنذر	(٩١)	٣٨٢	النعمان بن الاسود	(٨٩)
هـ					
٢٧٨	هرم بن سنان المري	(٩٤)	٣٦٨	هاني بن مسعود الشيباني	(٩٢)
			٣٣٤	هدبة بن الحشرم	(٩٣)
و					
				وهب بن عبدالله ابوجحيفة	(٩٥) ٤٤٦
ي					
٣٠٧	يزيد بن المهلب	(٩٧)	٣١٢	يزيد بن حاتم الأزدي	(٩٦)

﴿ فهرس المصادر والمراجع ﴾

التسلسل	المصادر	التسلسل	المصادر
(١)	القرآن الكريم	(١٢)	تاريخ ابن خلدون
(٢)	بحار الأنوار	(١٣)	تاريخ التريية الاسلامية
(٣)	بلوغ الأرب	(١٤)	تاريخ آداب اللغة
(٤)	تاريخ الطبري	(١٥)	تنقيح المقال
(٥)	تاريخ ابن الاثير	(١٦)	التثيل والمحاضرة
(٦)	تاريخ صروج الذهب	(١٧)	تاريخ التمدن الاسلامى
(٧)	تاريخ اليعقوبي	(١٨)	جواهر الأدب
(٨)	تاريخ العالم	(١٩)	جوامع الآداب
(٩)	تاريخ ابن عساكر	(٢٠)	جواهر البلاغة
(١٠)	تاريخ الحميس	(٢١)	الجامع الصغير
(١١)	تاريخ ابى الفداء	(٢٢)	الحضارة الاسلامية

فهرس المصادر والمراجع

التسلسل	المصادر	التسلسل	المصادر
(٣٩)	عيون الاخبار	(٢٣)	خطط الشام
(٤٠)	العقد الفريد	(٢٤)	خزانة الأدب
(٤١)	العقد الفريد للملك السعيد	(٢٥)	دائرة معارف فريد
(٤٢)	العرب قبل الاسلام	(٢٦)	دائرة معارف البستاني
(٤٣)	اعيان الشيعة	(٢٧)	دائرة معارف الاسلامية
(٤٤)	الغدير	(٢٨)	الحلق الكامل
(٤٥)	الاغانى	(٢٩)	ديوان حافظ ابراهيم
(٤٦)	الاعلام	(٣٠)	ديوان الشيبى
(٤٧)	الفاخر	(٣١)	ديوان المتنبي
(٤٨)	فهرست ابن النديم	(٣٢)	دليل الجمهورية العراقية
(٤٩)	فهرس مكتبة النهضة	(٣٣)	الذريعة
(٥٠)	الفية ابن مالك	(٣٤)	الشوقيات
(٥١)	قصص العرب	(٣٥)	الشعر والشعراء
(٤٢)	قانون ابن سينا	(٣٦)	شرح مقامات الحريري
(٥٣)	اقرب الموارد	(٣٧)	شرح نهج البلاغة
		(٣٨)	طبقات الاطباء

﴿ فهرس المصادر والمراجع ﴾

التسلسل	المصادر	التسلسل	المصادر
(٥٤)	كشف الظنون	(٧٢)	المفرد العلم
(٥٥)	كيف تكسب الاصدقاء	(٧٣)	معجم البلدان
(٥٦)	الكنى والالقب	(٧٤)	ماضي النجف وحاضرها
(٥٧)	لثالىء الاخبار	(٧٥)	مجمع البيان
(٥٨)	من لا يحضره الفقيه	(٧٦)	نهاية الارب
(٥٩)	مجانى الادب	(٧٧)	هل ينقذنا العلم
(٦٠)	آمالى القالى	(٧٨)	هامش بلوغ الارب
(٦١)	معجم الادباء	(٧٩)	نفتح الطيب
(٦٢)	مفتاح السعادة	(٨٠)	مكارم الاخلاق
(٦٣)	الامثال البغدادية	(٨١)	العقد المفصل
(٦٤)	المنجد	(٨٢)	تهذيب الاحكام
(٦٥)	المرشد	(٨٣)	ايام العرب فى الاسلام
(٦٦)	مجمع البحرين	(٨٤)	النص والاجتهاد
(٦٧)	المعجم الوسيط	(٨٥)	الفتوحات الاسلامية
(٦٨)	من امثال العرب	(٨٦)	فتوح البلدان
(٦٩)	المستطرف	(٨٧)	اسد الغابة
(٧٠)	مجمع الأمثال	(٨٨)	الاصابة
(٧١)	مجلة المكتبة		

﴿ فهرس المصادر والمراجع ﴾

المصادر	التسلسل	المصادر	التسلسل
مقالات الكوثري	(٩٦)	معجم الشعراء للمرزباني	(٨٩)
ابو بكر الصديق	(٩٧)	طبقات فحول الشعراء	(٩٠)
ديوان ابي العتاهية	(٩٨)	تاريخ الاسلام للنجار	(٩١)
المفضليات	(٩٩)	محاضرات الحضري	(٩٢)
فوات الوفيات	(١٠٠)	عبقرية الصديق للعقاد	(٩٣)
منتهى المقال	(١٠١)	عبقرية خالد للعقاد	(٩٤)
		القضايا الكبرى في الاسلام	(٩٥)

﴿ فهرس الخطأ والصواب ﴾

الصفحة السطر الخطأ	الصواب	الصفحة السطر الخطأ	الصواب				
عروض	عوض	٢٢	٣٩٧	شهامها	شهامها	٥	١١
بجمعهم	بجمعهم	٥	٤٠٠	اوربا	اوبا	٢٢	٥٢
والسروج والسروج	والسروج والسروج	٦	٤٠٦	الحالية	الحالية	١٧	٥٧
فسرب	فثرب	٥	٤١٤	النويري	النوميري	٣	١٨١
ذراعان	ذراعين	٥	٤٥٩	الدال	الدل	٧	١٨٩
كالبردينين	كالبرتين	١٢	٤٥٩	سعد	سعداً	٣	١٩٢
١١ تهذيب الاحكام: تهذيب الاحكام:	١١ تهذيب الاحكام: تهذيب الاحكام:	٤٦٥	٤٦٥	السابقون	السابقين	٢	٢٠١
٣٩٩/٧-٤٠١	٣٩٩-٤٠١			الحسن	الحسين	٧	٢٨٧
عقدأ	عقد	١	٤٨٧	بنت عوف	بن عوف	٦	٣٥٢
خالدأ	خالد	٨	٤٨٧	فمنعتهم	فمنعمهم	٢	٣٦٧
للمرء	للمرأة	٢٢	٤٨٧	بلاقي	بسلاقي	١٩	٣٩٧